



رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تأليف

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

المجلد الرابع



أسد الدين محمد

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «التراث»

رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظر
في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

تأليف

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

قدّم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه

عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلد الرابع

1417 هـ / 1997 م

أكاديمية المملكة المغربية

شارع الإمام مالك، كلم 11، ص.ب. 5062

الرمز البريدي 10.100

الرباط - المملكة المغربية

تليفون : 75.51.24 / 75.51.13

75.51.89 / 75.51.35

فاكس : 75.51.01

محتوى الكتاب من مصطلحات

وتعليقات وخرائط وصور

يلزم المحقق وحده

حقوق الطبع محفوظة للأكاديمية

رقم الإيداع القانوني : 1997/321

ردمك 9981-46-006-0 (المجموعة)

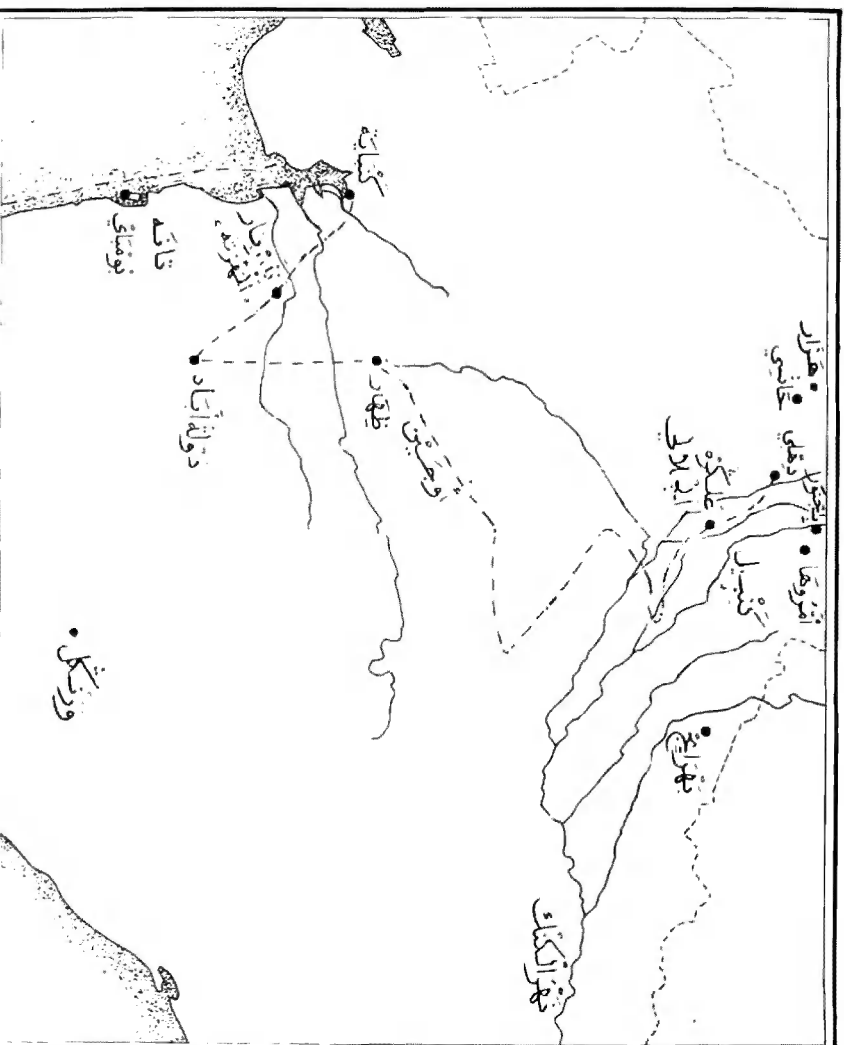
ردمك 9981-46-010-9 (الجزء الرابع)

الفصل الرابع عشر

الجنوب الهندي - جزر مالديف - سيلان - البنغال

- من دهلي إلى كُول وأُسْر ابن بطوطة بها
- من كُول إلى دولة آباد
- من دولة آباد إلى بلاد المُلِّيَّار : بلاد الأَبْزار !
- الذهاب إلى مدينة قالقوط
- محاولة الذهاب إلى الصين وفشلها ...
- جزائر ذبية المهل (المالديف)
- ابن بطوطة بجزر مالديف ووقوفه بها على النقش التاريخي
- جزيرة سيلان ...
- عندما هاجمه 12 مراكباً وسلبوه !

الجنوب الهندي



ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر مَنْ بعث معي وذكر الهدية.

وكان ملك الصين قد بعث إلى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكُمُخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الرُّيتون، ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا، وخمسة أمان من المسك، وخمسة أثواب مرصعة بالجواهر، وخمسة من التراکش مزركشة، وخمسة سيوف، وطلب من السلطان أن يأذن له في بناء بيت الأصنام الذي بناحية جبل قُراجيل (1) المتقدم ذكره، ويعرف الموضع الذي هو به بسمله، بفتح السين المهمل وسكون الميم وفتح الهاء، وإليه يحج أهل الصين، وتعلّب عليه جيش الإسلام بالهند فخرّبوه وسلبوه. فلما (2) وصلت هذه الهدية إلى السلطان كتب إليه بأن هذا المطلب لا يجوز في ملّة الإسلام إسعافه، ولا يباح بناء كنيسة بأرض المسلمين إلّا لمن يعطي الجزية، فإن رضيت بإعطائها أبحنا لك بناءه، والسلام على من إتبع الهدى. وكافأه (3) عن هديته بخير منها، وذلك مائة فرس من الجياد مسرجة ملجمة، ومائة مملوك ومائة جارية، من كفار الهند مغنيات ورواقص، ومائة ثوب بيّرميّة، وهي من القطن ولا نظير لها في الحسن، قيمة الثوب منها مائة دينار (4)، ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجُرّ (5)، بضم الجيم وزاي، وهي التي يكون حرير إحداها مصبوغاً بخمسة ألوان وأربعة، ومائة ثوب من الثياب المعروفة بالصِّلَاحية، ومائة ثوب

1/4

2/4

(1) يعلّق بيكينكام (Beckingham) الذي تصدّى لترجمة الجزء الرابع من الرحلة بعد وفاة الأستاذ كيب إنه لا يوجد أثر لحد الآن حول أخبار هذه السفارة في المراجع الصينية ولا الهندية. ونحن نقول إنه يمكن أن تعتبر معلومة ابن بطوطة حول الموضوع معلومة أصيلة يعتمد عليها سيما وابن بطوطة شاهد عيان.

وتعتبر هذه الفقرة من رحلة ابن بطوطة اسهاماً جديداً في كتابة التاريخ الدولي للإسلام وعلاقته بالديانات والعقائد المجاورة حيث نرى المكاتبات بين ملوك الاسلام وملوك البوذية حول موضوع يتعلق بحرية ممارسة الشعائر وما يتصل بها من ظروف وصروف.

(2) عرّف يول Yule سمله هذه وكأئها (Sambhal) التي توجد في روهيل خاند (Rohilkhand) - ابن بطوطة ذكر السَّئبل على أنها الاقليم الذي تقع فيه مدينة بذاون (136. III) يذكر بيكينكام أنه لم يعثر على بقايا بوذية هناك وإن الذين هناك كان على ما يبدو معدوماً بالمرّة في القرن الرابع عشر. علاوة على هذا نذكر أن ملك الهند السلطان محمد كان قد استولى على الناحية في حملته القراجيلية في اتجاه آخر نحو ناكاركو Nagarkot ، وهكذا فإن من الصعب أن نتصور أن سمله توجد على مقربة من الهيمالايا. Yule H cathay and The way Thither. New édition. L'Onon 1913-16. 4 Vols.

(3) نسجل هنا حرص ابن بطوطة على ذكر نص جواب سلطان الهند على رسالة أميراطور الصين حول هذا الموضوع الهام في العلاقات بين الإسلام والديانات الأخرى وهذه اللفظة كما أسلفنا تأكيد بين لكونها أي الرحلة تعتبر مصدراً من مصادر التاريخ الدولي ..

(4) البيرميّ تعبير مستعمل يطلق على ثوب هندي أبيض، وقد ورد ذكره كذلك من قبل الكاتب البرتغالي دُوَارْت بَرَبُوزَا (Duarte Barbosa) في بداية القرن السادس عشر، ويتعلق الأمر على ما يظهر بالثوب الحريري المنسوب إلى داکا (Dacca) - العاصمة الحالية لبنغلاديش ...

(5) انواع من قماش ناعم مقترّح اللون حريريّ النسيج.



احتفال بانمبر سعودي في الملاط - تصوير جداري



رسم يمثل الاحتفال بأحد السفراء - تصوير جداري بقاعة الأعمدة الأربعين

من الشيرين باف (6)، ومائة ثوب من الشان باف (7)، وخمسمائة ثوب من المرعر، مائة منها سود، ومائة بيض، ومائة حمر، ومائة خضر، ومائة زرق، ومائة شقة من الكتان الرومي، ومائة فضلة من الملف، وسراجة (8) وست من القياب، وأربع حسك من ذهب، وست حسك من فضة منيلة، وأربعة طسوت من الذهب ذات أياريق كمثلها، وستة طسوت من الفضة، وعشر خلج من ثياب السلطان مزركشة، وعشر شواش من لباسه، إحداها مرصعة بالجواهر وعشرة تراکش مزركشة، وأحدها مرصع بالجواهر، وعشرة من السيوف، أحدها مرصع الغمير بالجواهر، ودشت بان (9) وهو قفاز مرصع بالجواهر، وخمسة عشر من الفتيان.

وعين السلطان للسفر معي بهذه الهدية الأمير ظهير الدين الزنجاني (10)، وهو من فضلاء أهل العلم، والفتي كافور الشربدار، وإليه سلمت الهدية، وبعث معنا الأمير محمد الهروي (11) في ألف فارس ليوصلنا إلى الموضع الذي نركب منه البحر، وتوجه صحبتنا أرسلال ملك الصين، وهم خمسة عشر رجلاً يسمى كبيرهم ترسي وخدامهم نحو مائة رجل وانفصلنا في جمع كبير ومحلة عظيمة، وأمر لنا السلطان بالضيافة مدة سفرنا ببلاد

3/4

وكان سفرنا في السابع عشر لشهر صفر سنة ثلاث وأربعين (12) وهو اليوم الذي اختاروه للسفر لأنهم يختارون للسفر من أيام الشهر ثمانية أو سابعة أو الثاني عشر أو السابع عشر أو الثاني والعشرين أو السابع والعشرين فكان نزولنا في أول مرحلة بمنزل تلبت (13)، على مسافة فرسخين وثلاث من حضرة دهلي، ورحلنا منه إلى منزل أو، ورحلنا منه

4/4

(6) نوع رفيع من القطن.

(7) شان باف (SHANA-BAF) هي على ما يبدو ثوب شفاف من القطن يسمى سيبابافي (SIN-ABAF) عند وارثيما (WARTHEIMA) الرحالة الإيطالي في بداية القرن السادس عشر

(8) السراجة الخيمة الكبيرة الفسيحة انظر H. 369, II - 14 III - 251 - 352 - 415 - 438

(9) يبدو أن كلمة دشتبان وهي كلمة فارسية صولها دشتبان بالسين

(10) ظهير الدين الزنجاني وصفه ابن بطوطة (145, III) بأنه كان كبير المنزل عند السلطان، كلمة النمر دار تعني الساقى والديم ابن بطوطة III - 145

(11) الهروي نعتة (121, III) بالكثوال وهي تعني بالأردو صاحب الحصن أو رئيس الشرطة

(12) التاريخ يوافق 22 يولييه 1342 بيد أن هناك مشاكل تتعلق من جهة بالتسلسل التاريخي، وبخط السير من جهة أخرى الأمر الذي يفرض علينا تقديم التاريخ الهجري سنة واحدة، وهكذا فإن المناسب هو تاريخ 17 صفر 742 الموافق 2 غشت 1341

(13) تلب (Tilpat) ذكرها ابن بطوطة (89, III) على أنها تبعد عن العاصمة بسبعة أميال، وقد ذكرها هنا على أنها تقع على مسافة فرسخين وثلاث الفرسخ.

إلى منزل هيلو (14)، ورحلنا منه إلى مدينة بَيَانَة (15)، وضبط إسمها بفتح الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف مع تخفيفها وفتح النون، مدينة كبيرة حسنة البناء مليحة الأسواق. ومسجدها الجامع من أبداع المساجد وحيطانه وسقفه حجارة، والأمير بها مظفر ابن الداية، وأمه هي داية السلطان، وكان بها قبله الملك مجير بن أبي الرجاء أحد كبار الملوك، وقد تقدم ذكره (16)، وهو ينتسب في قريش وفيه تجبر، وله ظلم كثير قتل من أهل هذه المدينة جملة، ومثل بكثير منهم، ولقد رأيتُ من أهلها رجلاً حسن الهيئة قاعداً في أسطوان منزله وهو مقطوع اليدين والرجلين.

6/4

وقدم السلطان مرةً على هذه المدينة فتشكى الناس من الملك مجير المذكور فأمر السلطان بالقبض عليه وجعلت في عنقه الجامعة، وكان يقعد بالديوان بين يدي الوزير، وأهل البلد يكتبون عليه المظالم، فأمره السلطان بإرضائهم فأرضاهم بالأموال ثم قتله بعد ذلك.

ومن كبار أهل هذه المدينة الامام العالم عزّ الدين الزبير بن ذرية الزبير بن العوام رضي الله عنه، أحد كبار الفقهاء الصلحاء، لقبته بكاليور عند الملك عز الدين البتاني (17) المعروف بأعظم ملك.

7/4

ثم رحلنا من بَيَانَة فوصلنا إلى مدينة (18) كُول، وضبط إسمها بضم الكاف، مدينة حسنة ذات بساتين وأكثر أشجارها العنّاب، ونزلنا بخارجها في بسيطٍ أفيح، ولقينا بها الشيخ الصالح العابد شمس الدين المعروف بابن تاج العارفين، وهو مكفوف البصر معمر، وبعد ذلك سجنه السلطان ومات في سجنه، وقد ذكرنا حديثه (19).

(14) أو وهيلو لم يقع تحديدهما بصفة مرضية، على الطريق الذي يربط دهلي بعليكزة ALigarh.

(15) بيانة تقع على نحو 38 كيلو متراً غرب عليكره ... ونذكر هنا أنه توجد مدينة (البيانة) بالاندلس - ابن بطوطة (370: IV) - ويذكر مزك Mzik أن كلام ابن بطوطة يقتضي أنه حتى الآن يتحرك في الجانب الغربي لجُومنا Jumna.

(16) يراجع (ج III 230) كما تراجع صفحة 318 حيث الحديث عن مجير الدين بن أبي الرجاء.

(17) الملك عز الدين هذا يحيى بن ذات أعظم ملك من لدن السلطان الذي منحه إقطاعاً يحمل اسم سَاتْكَاون (Satgaon)، وقد أكدت هذه المعلومات من قبل المؤرخين، وقد تركت ساكتكاون لفخر الدين البنغالي وسيرد ذكر عز الدين منعوتا بأعظم أمير لمدينة جنديري 41. IV، كما سيرد ذكر عز الدين الزبير في نفس المساق.

(18) كُول : عليكره (ALIGARH) الحالية في إقليم يحمل نفس الاسم كان في الاصل اسماً لحصن، انظر ج III 307.

(19) يُراجع ج II ص 308.

ذكر غزوة شهدناها بگول

ولما بلغنا إلى مدينة گول بلغنا أن بعض كفار الهند حاصروا بلدة الجَلَالِي (20) وأحاطوا بها وهي على مسافة سبعة أميال من كول فقصدناها، والكفار يقاتلون أهلها، وقد أشرفوا على التلّف، ولم يعلم الكفار بنا حتى صدّقنا الحملة عليهم، وهم في نحو ألف فارس وثلاثة آلاف راجل، فقتلناهم عن آخرهم واحتوينا على خيلهم وأسلحتهم، واستشهد من أصحابنا ثلاثة وعشرون فارساً وخمسة وخمسون راجلاً، واستشهد الفتى كافور الساقى الذي كانت الهدية مسلمة بيده، فكتبنا إلى السلطان بخبره، وأقمنا في إنتظار الجواب.

8/4

وكان الكفار في أثناء ذلك ينزلون من جبل هنالك منبع فيُغيرون على نواحي بلدة الجَلَالِي، وكان أصحابنا يركبون كلّ يوم مع أمير تلك الناحية ليعينوه على مدافعتهم.

نكر محنتي بالأسر وخلصني منه، وخلصني من شدة بعده، على يد وليّ من أولياء الله تعالى

وفي بعض تلك الأيام ركبت في جماعة من أصحابي ودخلنا بستاناً ثقیلاً فيه ذلك فصل القيط، فسمعنا الصياح، فركبنا ولحقنا كُفاراً أغاروا على قرية من قرى الجَلَالِي، فاتبعناهم فتفرقوا وتفرق أصحابنا في طلبهم، وانفردت في خمسة من أصحابي، فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك ففررنا منهم لكثرتهم واتبعني نحو عشرة منهم، ثم انقطعوا عني إلا ثلاثة منهم ولا طريق بين يدي، وتلك الأرض كثيرة الحجارة فنشيتُ يداً فرسي بين الحجارة، فنزلت عنه واقتلعتُ يده وعدت إلى ركوبه.

9/4

والعادة بالهند أن يكون مع الانسان سيفان : أحدهما معلق بالسرج، ويسمى الرّكابي، والآخر في التركش، فسقط سيفي الركابي من غمده وكانت حليته ذهباً فنزلت فأخذته وتقلدته وركبت وهم في أثري، ثم وصلت إلى خندق عظيم فنزلت ودخلت في جوفه فكان آخر عهدي بهم.

ثم خرجت إلى وادٍ في وسط شعراء ملتفة في وسطها طريق فمشيت عليه ولا أعرف منتهاه فبينما أنا في ذلك خرج عليّ نحو أربعين رجلاً من الكفار بأيديهم القسيّ فأحدقوا بي وخيفتُ أن يرموني رمية رجل واحد إن فررت منهم. وكنت غير متدرع، فألقيت بنفسي إلى الأرض واستأسرت، وهم لا يقتلون من فعل ذلك، فأخذوني وسلبوني جميع ما عليّ، غير جبة وقميص وسروالٍ ودخلوا بي إلى تلك الغابة فانتهوا بي إلى موضع جلوسهم منها على حوض ماءٍ بين تلك الاشجار وأنوني بخبزٍ ماشٍ، وهو الجُلْبَان، فاكلت منه وشربت من الماء

10/4

(20) الجَلَالِي (JALALI) مدينة صغيرة على بعد 17 كم شرق عليكره

وكان معهم مُسلمان كَلَماني بالفارسية، وسَلاني عن شاني، فأخبرتهما ببعضه
وكتمتهما أني من جهة السلطان، فقالا لي : لا بد أن يقتلك هؤلاء أو غيرهم، ولكن هذا
مُقَدَّمهم وأشارا إلى رجل منهم، فكَلَّمته بترجمة المسلمين وتلطفتُ له، فوكل بي ثلاثة منهم
أحدهم شيخ ومعه ابنه، والآخر أسود خبيث، وكَلَّمني أولئك الثلاثة، ففهمت منهم أنهم أمروا
بقتلي، فاحتلموني عشيَّ النهار إلى كهف، وسلط الله على الأسود منهم حمى مرعدة، فوضع
رجليه عليّ ونام الشيخ وابنه !

11/4

فلما أصبح تكلموا فيما بينهم وأشاروا إليّ بالنزول معهم إلى الحوض وفهمت أنهم
يريدون قتلي فكلمت الشيخ وتلطفت إليه فرق لي، وقطعت كُمِّي قميصي وأعطيتهم أيهما لكي
لا يأخذ أصحابه فيّ إن فررت.

ولما كان عند الظهر سمعنا كلاماً عند الحوض فظنوا أنهم أصحابهم، فأشاروا إليّ
بالنَّزول معهم، فنزلنا ووجدنا قوماً ۞ آخرين فأشاروا عليهم أن يذهبوا في صحبتهم فأنابوا،
وجلس ثلاثتهم أمامي وأنا مواجهة لهم ووضعوا حبل قنَّب كان معهم بالأرض، وأنا أنظر إليهم،
وأقول في نفسي : بهذا الحبل يربطونني عند القتل، وأقمت كذلك ساعة ثم جاء ثلاثة من
أصحابهم الذين أخذوني فتكلموا معهم، وفهمت أنهم قالوا لهم : لأي شيء ما قتلتموه؟ فأشار
الشيخ إلى الأسود كأنه اعتذر بمرضه ! وكان أحد هؤلاء الثلاثة شاباً حسن الوجه، فقال لي :
أتريد أن أسرحك؟ فقلت : نعم، فقال : اذهب : فأخذت الجَبَّة التي كانت علي فاعطيتها إياها
وأعطاني مِقْبِرَةً بالية عنده، وأراني الطريق فذهبت وخفت أن يبدو لهم فيدركونني، فدخلت
غِيضَةً ۞ قصبٍ واختفيتُ فيها، إلى أن غابت الشمس، ثم خرجت وسلكت الطريق التي أرانيها
الشاب، فاقضتُ بي إلى ماءٍ فشربت منه، وسرت إلى ثلث الليل فوصلت إلى جبل فمنت تحته
فلما أصبحت سلكت الطريق فوصلت ضحىً إلى جبل من الصخر عالٍ فيه شجر أمَّ غيلان
والسدر، فكنت أجنّي النبق فأكله حتى أثَّر الشوك في ذراعي أثَّراً هي باقية به حتى الآن !

12/4

13/4

ثم نزلت من ذلك الجبل إلى أرض مزدرعة قطناً وبها أشجار الخروع، وهناك باينٌ،
والباين عندهم : بئر متسعة جداً مطوية بالحجارة، لها درج ينزل عليها إلى ورد الماء،
وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقايف والمجالس، ويتفاخر ملوك
البلاد وأمرؤها ۞ بعمارتها في الطرقات التي لا ماء بها، وسنذكر بعض ما رأيناه منها فيما
بعـ(21)، ولما وصلت إلى البايين شربت منه ووجدت عليه شيئاً من عساليج الخردل قد سقطت

14/4

(21) انظر مايتي IV ، 84-85 حول المقبرة انظر المقدمة.

لمن غسلها فأكلت منها وأدّخرت عليه شيئاً من عساليج الخردل قد سقطت لمن غسلها فأكلت منها وأدّخرت باقيةا، ونمت تحت شجرة خروع.

فبينما أنا كذلك إذ ورد البايين نحو أربعين فارساً مدرعين، فدخل بعضهم إلى المزرعة، ثم ذهبوا، وطمس الله أبصارهم بوني، ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح ونزلوا إلى البايين، وأتى أحدهم إلى شجرة إزاء الشجرة التي كنت تحتها، فلم يشعر بي.

ودخلت إذ ذاك في مزرعة القطن وأقمتُ بها بقية نهار، وأقاموا على البايين يغسلون ثيابهم ويلعبون، فلما كان الليل هدأت أصواتهم، فعلمت أنهم قد مروا أو ناموا فخرجت حينئذ واتبعته أثر الخيل، والليل مقمر، وسرت حتى انتهيت إلى بايٍ آخر، عليه قبة فنزلت إليه وشربت من مائه وأكلت من عساليج الخردل التي كانت عندي، ودخلت القبة فوجدتها مملوءة بالعشب مما يجمعه الطير فنمت بها، وكنت أحس حركة حيوان في تلك العشب أظنه حيّة فلا أبالي بها لما بي من الجهد، فلما أصبحت سلكت طريقاً واسعة تفضي إلى قرية خربة وسلكت سواها فكانت كملتها وأقمتُ كذلك أياماً، وفي بعضها وصلت إلى أشجار ملتفة بينها حوض ماء وداخلها شُبّه بيت وعلى جوانب الحوض نبات الأرض كالنجيل. وغيره فأردت أن أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلني إلى العمارة.

15/4

16/4

ثم إنني وجدت يسير قوة فنهضت على طريق وجدت بها أثر البقر ووجدت ثوراً عليه بردعة ومنجل، فإذا تلك الطريق تفضي إلى قُرى الكفار فاتبعته طريقاً أخرى فاقتضت بي إلى قرية خربة ورأيت بها أسودين عريانين فحفتها وأقمت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت داراً في بيت من بيوتها شِبّه خابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع، وفي أسفلها ثَقْب يسع منه الرجل فدخلتها ووجدت داخلها مفروشاً بالتبن وفيه حجر جعلت رأسي عليه ونمت.

وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه أكثر الليل، وأظنه كان يخاف فاجتمعنا خائفين وأقمت على تلك الحال سبعة أيام من يوم أسرت، وهو يوم السبت وفي السابع منها وصلت إلى قرية للكفار عامرة، وفيها حوض ماء ومنابت خُضر، فسألتهم الطعام، فأبوا أن يعطوني، فوجدت حول بئر بها أوراق فجّل، فأكلته، وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة، فدعاني طليعتهم فلم أجبه، وقعدت إلى الأرض، فأتى أحدهم بسيف مسلول ورفع ليضربني به، فلم التفت إليه لعظم ما بي من الجهد، ففتشني فلم يجد عندي شيئاً فأخذ القميص الذي كنت أعطيت كمّية للشيخ الموكل بي.

17/4

ولما كان في اليوم الثامن اشتدَّ بي العطش، وعمدت الماء ووصلت إلى قرية خراب فلم أجد بها حوضاً، وعادتهم بتلك القرى أن يصنعوا أحواضاً يجتمع بها ماء المطر فيشربون منه جميع السنة، فاتبعت طريقاً فأقضت بي إلى بئرٍ غير مطوية، عليها حبل مصنوع من نبات الأرض، وليس فيه أنية يستقى بها فربطت خرقة كانت على رأسي في الحبل، وامتصصت ما تعلق بها من الماء، فلم يروني، فربطت خفي واستقيت به، فلم يفروني فاستقيت به ثانياً فانقطع الحبل، ووقع الخف في البئر فربطت الخف الآخر وشربت حتى رويت، ثم قطعت فربطت أعلاه على رجلي بحبل البئر، وبخرق وجدتها هناك فبينما أنا أربطها وأفكر في حالي إذ لاح لي شخص فنظرت إليه فإذا رجلٌ أسود اللون بيده إبريق وعُكَّاز، وعلى كاهله جراب، فقال لي : سلام عليكم . فقلت له : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقال لي بالفارسية : جيكسُ معناه : من أنت؟ فقلت له : أنا تائه . فقال لي : وأنا كذلك، ثم ربط إبريقه بحبل كان معه واستقى ماء فأردت أن أشرب، فقال لي : اصبر ! ثم فتح جرابه فأخرج منه غرفة حمصٍ أسود مقلَّو مع قليل أرز، فأكلتُ منه وشربت، وتوضأ وصلى ركعتين وتوضأت أنا وصليت، وسألني عن اسمي فقلت : محمد، وسألته عن اسمه فقال لي : القلب الفارح فتفاعلت بذلك وسررت به، ثم قال لي : بسم الله ! ترافقتي؟ فقلت : نعم، فمشيتُ معه قليلاً، ثم وجدت فتوراً في أعضاءي، ولم أستطع النهوض، ففعدت، فقال لي : ما شأنك؟ فقلت له : كنت قادراً على المشي قبل أن ألقاك . فلما لقيتك عجزت، فقال : سبحان الله اركب عنقي ! فقلت له : إنك ضعيف ولا تستطيع ذلك، فقال : يقوِّني الله، لا بد لك من ذلك، فركبت على عنقه، وقال لي : أكثِر من قراءة : حسْبنا الله ونعم الوكيل، فاكثرت من ذلك.

18/4

19/4

20/4

وغلبتني عيني فلم أفق إلا لسقوطني على الأرض فاستيقظت ولم أر للرجل أثراً، وإذا أنا في قريةٍ عامرة فدخلتها فوجدتها لرعية الهنود، وحاكمها من المسلمين، فأعلموه بي فجاء إليَّ فقلت له : ما إسم هذه القرية؟ فقال لي : تاج بورة (22)، وبينها وبين مدينة كُول حيث أصحابنا فرسخان، وحملني ذلك الحاكم إلى بيته فأطعمني طعاماً سخناً واغتسلت . وقال لي : عندي ثوب وعمامة أودعهما عندي رجلٌ عربي مصري : من أهل المحلة التي بكول، فقلت له : هاتهما ألبسهما إلى أن أصل إلى المحلة، فأتى بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدما كول فطال تعجبي من ذلك !

21/4

(22) تاج بورة (TAJAPUR) تقع على نحو خمس كيلو ميترات شه ال غرب عليكرة، وقد ظهرت في خريطة عن المواقع الأثرية الهامة . لجمال م صديقي Alagarh - Snippets from the Past كراسة نشرت بتعاون مع الكونكرس التاريخي الهندي عليكرة - عام 1975 - الآية حسْبنا الله ونعم الوكيل من سورة آل عمران رقم 173 واللفظ في سورة المائدة والثوبة

وفكرت في الرجل الذي حملني على عنقه، فتذكرت ما أخبرني به ولي الله تعالى أبو عبد الله المرشدي حسبما ذكرناه في السفر الأول (23)، إذ قال لي : ستدخل أرض الهند وتلقى بها أخي بلشاد، ويخلصك من شدة تقع فيها، وتذكرت قوله لما سألته عن اسمه فقال : القلب الفارح وتفسيره بالفارسية بلشاد، فعلمت أنه هو الذي أخبرني بلقائه وأنه من الأولياء ولم يحصل لي من صحبته إلا المقدار الذي ذكرته.

22/4

وكتبت تلك الليلة إلى أصحابي بكون معلم لهم بسلامتي فجاءوا إلي بفرس وثياب، واستبشروا بي ووجدت جواب السلطان قد وصلهم، وبعث بفتى يسمى بسنبُل الجامدار عوضاً من كافور المستشهد، وأمرنا أن نتمادي على سفرنا، ووجدتهم أيضاً قد كتبوا للسلطان بما كان من أمري وتشاعروا بهذه السفارة لما جرى فيها علي وعلى كافور، وهم يريدون أن يرجعوا، فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر، أكدت عليهم وقوى عزمي، فقالوا ألا ترى ما اتفق في بداية هذه السفارة والسلطان يعذرك، فلنرجع إليه أو نقيم حتى يصل جوابه، فقلت لهم : لا يمكن المقام وحيث ما كنا أدركنا الجواب

23/4

فرحلنا عن كول ونزلنا بورج بوره (24) وبه زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لأنه لا يلبس عليه إلا ثوباً من سرته إلى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقراة مصر، نفع الله به.

حكاية هذا الشيخ

وكان من أولياء الله تعالى قائماً على قدم التجرد يلبس ثوباً، وهو ثوب يستر من سرته إلى أسفل، ويذكر أنه كان إذا صلى العشاء الآخرة أخرج كل ما بقى بالزاوية من طعام وادام وماء وفرق ذلك على المساكين ورمى بقتيلة السراج، وأصبح على غير معلوم.

وكانت عادته أن يطعم أصحابه عند الصباح خبزاً وفولاً فكان الخبازون والفولون يستبقون إلى زاويته فيأخذ منهم مقدار ما يكفي الفقراء، ويقول لمن أخذ منه ذلك : أقعد حتى يأخذ أول ما يفتح به عليه في ذلك اليوم قليلاً كثيراً

24/4

ومن حكايته أنه لما وصل قازان ملك التتر إلى الشام بعساكره وملك دمشق ما عدا قلعتهم، وخرج الملك الناصر إلى مدافعته ووقع اللقاء على مسيرة يومين من دمشق بموضع

(23) يراجع ج I 47 الجام دار : تعني بالفارسية حامل الكاس وسيذكر سنبل وسينعته بالملك 95. V

(24) بورج بورة (Burjpur) على بعد من 16 كم في (MAINPUR) بين غليكره وكأنوج

يقال له قشحب، والملك الناصر إذ ذاك حديث السن لم يعهد الوقائع، وكان الشيخ العريان في صحته فنزل، وأخذ قيدا فقيد به فرس الملك الناصر لنيل يتزحزح عند اللقاء لحدائثة سنة، فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين، فقتب الملك الناصر وهزم القتر هزيمة شتعا قتل منهم قبيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليهم من المياه، ولم يعد القتر إلى قصد بلاد الاسلام بعدها (25)، وأخبرني الشيخ محمد العريان المذكور تلميذ هذا الشيخ أنه حضر هذه الواقعة وهو حديث السن

250

251

ورحلنا من برج بؤره ونزلنا على الماء المعروف باب سياه (26)، ثم رحلنا إلى مدينة قنوج (27)، وضبط اسمها بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم، مدينة كبيرة حسنة العمارة حصينة رخيصة الاسعار كثيرة السكر، ومنها يحمل إلى دهلي، وعليها سور عظيم، وقد تقدم ذكرها، وكان بها الشيخ معين الدين الباخريزي أضافنا بها، وأميرها فيروز البدخشاني من ذرية بهرام جور (28) صاحب كسري، ويسكن بها جماعة من الصلحاء الفضلاء المعروفين بمكارم الاخلاق يعرفون بأولاد شرف جهان، وكان جدهم قاضي القضاة بدولة آباد وهو من المحسنين المتصدقين وانتهت الرئاسة ببلاد الهند إليه.

حكاية قاضي القضاة

يذكر أنه غزل مرة عن القضاء وكان له أعداء فادعى أحدهم عند القاضي الذي ولي بعده، أن له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له بيئة وكان قصده أن يحلفه فبعث القاضي عنه، فقال لرسوله بما ادعى علي فقال بعشرة آلاف دينار، فبعث إلى مجلس القاضي عشرة آلاف، وسلمت للمدعي

(25) يتعلق الأمر بمعركة مرج الصفر التي وقعت يوم ثاني رمضان 702 = 21 أبريل 1303 لقد كان قازان المغولي إيلخان فارس اجتاحت سوريا واحتلت لفترة مدينة دمشق، وقد دافع السلطان المملوكي الناصر ملك مصر عن البلاد وهزم المغول الذين كان يقودهم قتلوشاه والأمير جويان وليس الإيلخان - ويبدو أن قشحب تحريف لكلمة كشاف حيث التحق قتلوشاه بالإيلخان - لا ننسى أنه بمناسبة هذا النصر بعث سلطان مصر لسلطان المغرب ببعض الهدايا التي غنمها في معركته ضد القتر - 20 اكديشا 20 أسيرا - نسكية من طبولهم واسلحتهم علاوة على الفيل والزرافة

وقد قدم لنا المقرئ وصفا مفصلا لتلك المعركة ولكن من غير أن يشير لما حكاه ابن بطوطة هنا الأمر الذي يدل على أن الرحلة لم تكن قد وصلت للمشرق أيام المقرئ المتوفى 845 = 1441 - ابن اباس بدائع الزهور 1982 ج 1، 413 دائرة المعارف الإسلامية، مادة MARDE AL SSUTAR

(26) اب سياه يعني النهر الأسود كالينشي (Kalmsh) أحد روافد الكانج

(27) قنوج (Kanauj) تقع على الساحل الايمن للكانج في إقليم (Fatehgarh)

(28) يخطط ابن بطوطة بين بهرام جور الملك الساساني لفارس في القرن الخامس وبين الجبال بهرام جويان الذي ثار على كسري برؤيز - Beckingham: The travels IV P. 781

وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنده بطلان تلك الدعوى، فاعاده إلى القضاء وأعطاه عشرة آلاف.

27/4

وأقمنا بهذه المدينة ثلاثاً، ووصلنا فيها جواب السلطان في شائي بأنه إن لم يظهر لفلان أثر فيتوجه وجيه الملك قاضي دولة آباد عوضاً منه ! ثم رحلنا من هذه المدينة فنزلنا بمنزل هَنُول، ثم بمنزل وزير بُور ثم بمنزل البَجَالِصَة (29) ثم وصلنا إلى مدينة مُؤَرِي (30)، وضبط اسمها بفتح ميم وواو وراء وهي صغيرة ولها أسواق حسنة، ولقيت بها الشيخ الصالح المعمر قطب الدين المسمى بحيدر الفرغاني، وكان بحال مرضٍ فدعا لي وزودني رغيف شعير، وأخبرني أن عمره ينيف على مائة وخمسين، وذكر لي أصحابه أنه يصوم الدهر ويواصل كثيراً ويكثر الاعتكاف، وربما أقام في خلوته أربعين يوماً يقتات فيها بأربعين ثمرة في كل يوم واحدة.

28/4

وقد رأيت بداهلي الشيخ المسمى بربجب البرقعي دخل الخلوة بأربعين ثمرة فاقام بها أربعين ثم خرج وفضل معه منها ثلاث عشرة ثمرة !

ثم رحلنا ووصلنا إلى مدينة مُرَه (31)، وضبط اسمها بفتح الميم وسكون الراء وهاء، وهي مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة، وهي حصينة وبها القمح الطيب الذي ليس مثله بسواها، ومنها يحمل إلى دهلي، وحبوبه طوالٌ شديدة الصفرة ضخمة، ولم أر قمحاً مثله إلا بأرض الصين ! وتنسب هذه المدينة إلى المالوة (32) بفتح اللام، وهي قبيلة من قبائل الهنود ضخام الأجسام عظام الخلق حسان الصور، لنسائهم الجمال الفائق، وهن مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة، وكذلك نساء المُرَهَة (33) ونساء جزيرة ذبية المهل (34) !

29/4

(29) يلاحظ مزيك MZIK بأنه من الصعب جداً أن تحدد الطريق التي سلكها ابن بطوطة من قَنُوج إلى كَالِيُور ... لا توجد أسماء لها شبه بهنول ولا وزير بُور أو البجالة بالاقليم الذي اجتازه ابن بطوطة - وسيدذكر ابن بطوطة كَالِيُور على أنه زارها بيد أنه لم يذكر كيف وصلها فلعلها اختلطت عنده بزيارة أخرى Beekingham P. 781

(30) من الممكن أن يكون القصد إلى أُمري (UMRI) التي تقع على مقربة من بهند (BHIND) في الإقليم الذي يحمل نفس الاسم.

(31) حول رجب البرقعي يراجع ج 1، 367-368 حيث نجده مبعوثاً بهدية من الملك إلى الخليفة وعن مدينة مُرَه فإن مزيك Mzik يقترح علينا فكرة احتمال تحريف كلمة موه (MAUH) إلى مُرَه.

(32) مالوة قبيلة تقع شمال غربي الإقليم الحالي الذي يحمل اسم ماديا بُرَادِش (MADHYA PRA-DESH) والذي يقع جنوب دهلي - انظر الخريطة ..

(33) المُرَهَة يكتبها ابن بطوطة هكذا بتقديم الراء على الهاء والامر بالعكس على ما يبدو، نسبة إلى إقليم مَهَرَشْطَرَا (MAHARASHTRA) الذي يفتح على بومباي الواقعة على بحر العرب انظر ج III 182 تعليق 39.

(34) هي جزر مالديف آتية الذكر

ثم سافرنا إلى مدينة علابور (35)، وضبط اسمها بفتح العين ولام والـ ف وباء موحدة مضمومة وواو وراء، مدينة صغيرة أكثر سكانها الكفار تحت الامة، وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قثم بفتح القاف والتاء المعلو، وهو سلطان جنيل بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وباء مد ولام، الذي حاصر مدينة كيالير، وقتل بعد ذلك (36)

حكاية الأمير قثم

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة رابري (37)، وهي على نهر الجون، كثيرة القرى والمزارع، وكان أميرها خطاب الأفغاني، وهو أحد الشجعان، واستعان السلطان الكافر بسلطان كافر مثله يسمى رجو، بفتح الراء وضم الجيم، وبلده يسمى سلطان بور (38)، وحاصراً مدينة رابري فبعث خطاب إلى السلطان يطلب منه الإغاثة فابطل عليه المدد وهو على مسيرة أربعين من الحضرة، فخاف أن يتقلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الأفغان نحو ثلاثمائة، ومثلهم من الممالك ونحو أربع مائة من سائر الناس، وجعلوا العمانم في أعناق خيلهم، وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت وباعوا نفوسهم من الله تعالى، وتقدم خطاب وقبيلته وأتبعهم سائر الناس، وفتحوا الباب عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفاً فهزموهم، باذن الله، وقتلوا سلطانهم قثم ورجو، وبعثوا برأسيهما إلى السلطان ولم ينح من الكفار إلا الشريد.

30/4

31/4

ذكر أمير علابور واستشهاده

وكان أمير علابور بدر الحبشي من عبيد السلطان، وهو من الأبطال الذين تضرب بهم الأمثال، وكان لا يزال يُغير على الكفار منفرداً بنفسه فيقتل ويسبي حتى شاع خبره واشتهر أمره وهابه الكفار، وكان طويلاً ضخماً ياكل الشاة عن آخرها في أكلة

وأخبرت أنه كان يشرب نحو رطل ونصف من السمن بعد غذائه على عادة الحبشة

(35) علابور حالياً هي (ALAPUR) قرية جنوب شرق كوالبور (Gwalior) على بعد نحو 7 كم منها ويذكر Mizik أن هناك موقعاً جغرافياً آخر يحمل نفس الاسم على بعد 47 كم غربي شمال كوالبور الذي يبعد عن الطريق من قنوج

(36) يتعلق الامر، على ما يبدو بامير دولبور DHAULPUR مدينة واقعة بين اكرا وكوالبور على شاطئ، ومن هنا جاءت كلمة جنيل في نص ابن بطوطة

(37) رابري يتعلق الامر، على ما يبدو، بمدينة رابري (RAPRI) التي تقع على نهر يامونا (Yamuna)

(38) توجد عدة مواقع تحمل اسم سلطان بور، ومن ذلك موقع اقليم بحمل نفس الاسم في جنوب شرقي لُكنُو (LUCKNOW)

ببلادهم^١ وكان له ابن يدانيه في الشجاعة، فاتفق أن غار مرة في جماعة من عبيده على قرية للكفار فوقع به الفرس في مطمورة واجتمع عليه أهل القرية فضربه أحدهم بقتارة، والقتارة بقاف معقود وتاء معلولة، حديدة شبه سكة للحرث يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين، وضربتها لا تُبقي، فقتله بتلك الضربة وقاتل عبيده أشد القتال فتغلبوا على القرية، وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وما فيها وأخرجوا الفرس من المطمورة سالماً فاتوا به ولده فكان من الاتفاق الغريب أنه ركب الفرس وتوجّه إلى دهلي فخرج عليه الكفار فقاتلهم حتى قُتل وعاد الفرس إلى أصحابه فدفعوه إلى أهله فركبه صهر له فقتله الكفار عليه أيضاً^{٣٢/٤}

ثم سافرنا إلى مدينة كاليور، وضبط اسمها بفتح الكاف المعقود وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وواو وراء، ويقال فيها أيضاً كيالير، وهي مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع في رأس شاهق على باب صورة فيل، وفيال من الحجارة وقد مر ذكره في اسم السلطان قطب الدين (٣٩)، وأمير هذه المدينة أحمد بن سيرخان فاضل كان يكرمني أيام إقامتي عنده قبل هذه السفرة^{٣٣/٤}

ودخلت عليه يوماً وهو يريد توسيط رجل من الكفار فقلت له: بالله لا تفعل ذلك، فاني ما رأيت أحداً قط يُقتل بمحضري! فأمر بسجنه وكان ذلك سبب خلاصه.

ثم رحلنا من مدينة كاليور إلى مدينة برؤن (٤٠)، وضبط اسمها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخره نون، مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار، أميرها محمد بن بيرم التركي الأصل، والسباع بها كثيرة، وذكر لي بعض أهلها أن السبع كان يدخل إليها ليلاً وأبوابها مغلقة فيفترس الناس حتى قُتل من أهلها كثيراً وكانوا يعجبون في شأن دخوله. وأخبرني محمد التوفيري من أهلها، وكان جاراً لي بها أنه دخل داره ليلاً واقترب صبيّاً من فوق السرير، وأخبرني غيره أنه كان مع جماعة في دار عرس فخرج أحدهم لحاجة فاقتربه فخرج أصحابه في طلبه فوجدوه مطروحاً بالسوق وقد شرب دمه ولم يأكل لحمه. وذكروا أنه كذلك فعله بالناس.

(٣٩) يراجع ج III ص 194 حيث ردد ذكر صورة الفيل المنحوت من الحجر على باب الحصن، وعليه صورة فيال...

(٤٠) برؤن (PARWAN) القصد على ما يبدو - إلى نرؤز (NARWAR) في ولاية كواليور (Gwalior) التي كانت، حسب المسجل الهندي - إحدى المحطات الخسبة على الطريق الذي يربط بين دهلي ودكان (Deccan). الخريطة العصرية توحى كذلك بمكان يحمل اسم نرؤي PARWAI على بعد 25 ميلاً شمال شرق نرؤز NARWAR و 30 ميلاً جنوب كواليور. Gibb - Selections, p. 363 N 5 - Beckingham. IV P. 787 N 44.

ومن العجب أن بعض الناس أخبرني أن الذي يفعل ذلك ليس بسبع وإنما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور في صورة سبع، ولما أخبرته بذلك أنكرته، وأخبرني به جماعة ولذا ذكر بعضاً من أخبار هؤلاء السحرة

35/4

ذكر السحرة الجوكية (41)

وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب، منها أن أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب، وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الأرض وتبنى عليه، فلا يترك له إلا موضع يدخل منه الهواء، ويقيم بها الشهور، وسمعت أن بعضهم يقيم كذلك سنة

ورأيت بمدينة منجرو رجلاً من المسلمين ممن يتعلم منهم قد رفعت له طبلة وأقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة من خمسة وعشرين يوماً وتركته كذلك، فلا أدري كم أقام بعدي

والناس يذكرون أنهم يركبون حبوباً يأكلون الحبة منها لأيام معلومة أو أشهر فلا يحتاج في تلك المدة إلى طعام ولا شراب ويخبرون بأمر مغيبة والسلطان يعظمهم ويجالسهم، ومنهم من يقتصر في أكله على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الأكثرون، والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها، ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتاً من نظره، وتقول العامة إنه إذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون: أكل قلبه، وأكثر ما يكون هذا في النساء، والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

36/4

حكاية [امراة كفتار]

لما وقعت المجاعة العظمى ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلنك (42) نفذ أمره أن يعطى لأهل دهللي ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم، فجمعهم الوزير، ووزع المساكين منهم على الأمراء والقضاة ليتولوا إطعامهم فكان عندي منهم

37/4

(41) هؤلاء السحرة المدعوون بالجوكية هم بالذات الذين سمع بهم ابن خلدون في المقدمة، (طبعة دار الكتاب اللبناني: ص 898-899) والكلمة من أصل سنسكريتي (Jogin) المأخوذ نفسه من كلمة (Yoga) "Joug" التي ظهرت في أوروبا منذ سنة 1298 ثم Jogue : 1553 وعام IOGHI - 1575، هكذا يكون ابن بطوطة من أوائل الذين تحدثوا عن الجوكية -

(42) بلاد التلنك... تيلينكانا Tilingama مملكة هندية بين كوداغاري وبين نهر كريشنا بعاصمتها WA RANGAL. يراجع ج 192 III

خمسمائة نفس فعمّرت لهم سقائف في دارين وأسكنتهم بها . وكنت أعطيتهم نفقة خمسة أيام في خمسة أيام، فلما كان في بعض الأيام أتوني بمزاةق منهم، وقالوا : إنها كفتار وقد أكلت قلب صبيّ كان إلى جانبها، وأتوا بالصبي ميتاً، فأمرتهم أن يذهبوا بها إلى نائب السلطان فأمر بإختبارها وذلك بأن ملأوا أربع جرات بالماء وربطوها بيدها ورجليها وطرحوها في نهر الجون فلم تغرق، فعلم أنها كفتار ' ولو لم تطفُ على الماء لم تكن بكفتار، فأمر بإحراقها بالنار وأتى أهل البلد رجالاً ونساء فأخذوا رمادها وزعموا أنه من تبخر به أمن في تلك السنة من سحر كفتار !

38/4

حكاية [سحر الجوكية]

بعث إليّ السلطان يوماً وأنا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحقون بالملاحف ويغطون رؤوسهم لأنهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس بأباطهم. فأمرني بالجلوس فجلست، وقال لهما : إن هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره ! فقالا : نعم، فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعا، فعجبت منه، وأدركني الوهم فسقطت إلى الأرض ' فأمر السلطان أن أسقي دواء عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع، فأخذ صاحبه نعلًا من شكاره كانت معه فضرب بها الأرض كالغتناظ فصعدت إلى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلاً حتى جلس معنا، فقال لي السلطان : إن المتربع هو تلميذ صاحب النعل، ثم قال : لولا أنني أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم مما رأيت ' فأنصرفت عنه وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربة أذهبن ذلك عني.

39/4

ولنعد لما كنا بسبيله، فنقول : سافرنا من مدينة برؤن إلى منزل أمواري، ثم إلى منزل كَجَرًا (43) وبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الأصنام، قد مثل بها المسلمون، وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحمر على ثلاث طباق وعلى أركانه الأربعة أربع قباب، ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبّدوا شعورهم وطالت، حتى صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الألوان من الرياضة، وكثير من المسلمين يتبعونهم ليتعلموا منهم، ويذكرون أن من كانت به عاهة من برص أو جذام يأتوي إليهم مدّة طويلة فيببرأ بإذن الله تعالى.

40/4

(43) أمواري Amoury لم نصل إلى تحديد موقعها. أما كَجَرًا فإن القصد على ما يبدو إلى خَجْرَة (KHAJURAH) التي تقع على بعد 27 ميلا شرقي إقليم CHHATARPUR. و 25 ميلا شمال غربي بَنَّا (BANNA) بالرغم من المنعرجات الظاهرة في خط الرحلة. وإنّ الوصف الذي قدمه ابن بطوطة يتفق مع الوصف الذي يوجد عن هذا الموقع في التقارير الهندية Gibb : Selece P. 363 N 5 Bekingham : Travel 4 P. 790

وأول ما رأيت هذه الطائفة بمحلة السلطان طرمشبيرين ملك تركستان، وكانوا نحو خمسين فحفر لهم غاراً تحت الأرض، وكانوا مقيمين به لا يخرجون إلا لقضاء حاجة.

ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة، وشأنهم كله عجب ومنهم الرجل الذي صنع للسلطان غياث الدين الدامغاني سلطان بلاد المغبر حبوباً يأكلها تقوية على الجماع (44)، وكان من أخلاطها برادة الحديد، فاعجبه فعلها فأكل منها أزيد من مقدار الحاجة فمات، وولي ابن أخيه ناصر الدين فأكرم هذا الجوكي ورفع قدره.

ثم سافرنا إلى مدينة جنديري (45)، وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وسكون النون وكسر الدال المهمل وياء مد وراء مدينة عظيمة لها أسواق حافلة يسكنها أمير أمراء تلك البلاد عز الدين البتتاني، بالباء الموحدة ثم النون ثم التاء المثناة مفتوحات ثم ألف ونون، وهو المدعوا بأعظم ملك، وكان خيراً فاضلاً يجالس أهل العلم، وممن كان يجالسه الفقيه عز الدين الزبيري والفقيه العالم وجيه الدين البتاني، نسبة إلى مدينة بيانة التي تقدم ذكرها (46)، والفقيه القاضي المعروف بقاضي خاصة، وإمامهم شمس الدين، وكان النائب عنه على أمور المخزن يسمى قمر الدين، ونائبه على أمور العسكر سعادة التلنكي من كبار الشجعان، وبين يديه تعرض العساكر وأعظم ملك لا يظهر إلا في يوم الجمعة أو غيرها نادراً.

ثم سرنا من جنديري إلى مدينة ظهار، وضبط اسمها بكسر الظاء المعجم، وهي مدينة المألوة أكبر عمالة تلك البلاد، وزرعها كثير خصوصاً القمح، ومن هذه المدينة تحمل أوراق التنبول إلى دهلي وبينهما أربعة وعشرون يوماً.

وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوشة عليها عدد الأميال فيما بين كل عمودين فإذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار في يومه وما بقي له إلى المنزل أو إلى المدينة التي يقصدها قرأ النقش الذي في الأعمدة فعرفه ومدينة ظهار إقطاع للشيخ إبراهيم الذي من أهل ذببة المهل.

(44) سبأتي عند الحديث عن غياث الدين كلام أيضاً حول هذه الحبوب التي تزيد في قوة الجماع 199-200.IV وحول ابن أخيه ناصر الدين انظر ج IV 202-203.

(45) تقع مدينة جنديري Fehendri في إقليم كونا (Guna) قلعة مهمة فتحت في فترة علاء الدين الخلجي وحول أعظم ملك - عز الدين البتتاني انظر ج IV ص 6.

(46) يعني ج IV ص 5 وقد تقدم ذكر ظهار ج III، 129 ولكن من غير أن يحددها وينبغي أن يكون القصد إلى DHAR، ويلاحظ مزيك (Mzik) أن ابن بطوطة كان عليه أن يمر عبر LIX قبل أن يصل DHAR.

حكاية [بطيخ الشيخ إبراهيم]

كان هذا الشيخ إبراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها فأحیی أرضاً مواتاً هناك وصار يزرعها بطيخاً فتأتى في الغاية من الحلاوة ليس بتلك الأرض مثلها ويزرع الناس بطيخاً فيما يجاوره فلا يكون مثله، وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان إلى بلاد المعبر (47)، أهدى إليه هذا الشيخ بطيخاً فقبله واستطابه رآقطعه مدينة ظهار، وأمره أن يعمر زاوية بربوة تشرف عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر، وأقام على ذلك أعواماً ثم قدم على السلطان، وحمل إليه ثلاثة عشر لُكاً، فقال: هذا فضل مما كنت أطعمه الناس، وبيت المال أحق به، فقبضه منه ولم يعجب السلطان فعله لكونه جمع المال ولم ينفق جميعه في اطعام الطعام!

44/4

وبهذه المدينة أراد ابن اخت الوزير خواجه جهان (48) أن يفتك بخاله ويستولي على أمواله ويسير إلى القائم ببلاد المعبر فنمى خبره إلى خاله فقبض عليه وعلى جماعة من الأمراء وبعثهم إلى السلطان فقتل الأمراء ورد ابن اخته إليه، فقتله الوزير.

حكاية [ابن أخت الوزير وجاريتة]

ولما رد ابن أخت الوزير إليه أمر به أن يقتل كما قُتل أصحابه وكانت له جارية يحبها فاستحضرها وأطعمها التنبول وأطعمته وعانقها مودعاً ثم طُرح للفيلة، وسلخ جلده وملى تبناً، فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها في بئر هناك تقرب من الموضع الذي قتل فيه فوجدت ميتة من الغد فأخرجت ودفن لحمه معها في قبر واحد، وسمى ذلك قبور عاشقان، وتفسير ذلك بلسانهم قبر العاشقين

45/4

ثم سافروا من مدينة ظهار إلى مدينة أجين، وضبط إسمها بضم الهمزة وفتح الجيم وياء نون، مدينة حسنة كثيرة العمارة وكان يسكنها الملك ناصر الدين بن عين الملك من الفضلاء الكرماء العلماء، استشهد بجزيرة سندابور حين افتتاحها، وقد زرت قبره هناك، وسنذكره (49)، وبهذه المدينة كان سكنى الفقيه الطبيب جمال الدين المغربي الغرناطي الأصل.

46/4

(47) تمت حملة السلطان على بلاد المعبر في عام 735=1335 انظر ج 1، 426 وانظر ج III - 45 - 58

144 - 212 - 214 - 227 - 245 - 234 - 218 - 411

(48) خواجه جهان. لقب منح من لدن السلطان لأحمد ابن إياس وتوجد عدة أماكن تتعلق به انظر التعليق السابق ص 47

(49) يلاحظ أن ابن بطوطة لم يف بوعده في الحديث عن القبر، وسنرى 68، IV نفس الحال بالنسبة للأمير هريب. وعن افتتاح المسلمين لجزيرة سندابور التي يسميها المسلمون Goul - براجع ج IV ص 106-107 - عن جمال الدين الغرناطي انظر ج 293، III- 272

ثم سافرنا من مدينة أُجَيْن إلى مدينة دولة أباد (51)، وهي المدينة الضخمة العظيمة الشأن الموازية لحضرة دهلي في رفعة قدرها واتساع خطتها، وهي منقسمة ثلاثة أقسام : أحدها دولة أباد وهو مختص بسكنى السلطان وعساكره، والقسم الثاني يسمى الكَتْكة، (51)، بفتح الكافين والطاء المعلو التي بينهما، والقسم الثالث قلعتها التي لا مثل لها ولا نظير في الحصانة، وتسمى الدُويْقِير، بضم الدال المهمل وفتح الواو وسكون الياء وقاف معقود مكسور وياء مد وراء، وبهذه المدينة سكنى الخان الأعظم قُطلو خان (52) معلّم السلطان، وهو أميرها والنائب عن السلطان بها، وبلاد صاغر وبلاد التَّنْكِ وما أضيف إلى ذلك، وعمالها مسيرة ثلاثة أشهر عامرة كلها لحكمه ونوابه فيها.

47/

وقلعة الدُويْقِير التي ذكرناها في قطعة حجر في بسيط من الأرض (53)، قد نحتت وبنيت بأعلاها قلعة يصعد إليها بسُلْم مصنوع من جلود ويرفع ليلاً ويسكن بها المفردون وهم الزَمَاميون (54) بأولادهم، وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جُيُوب بها وبها فيران ضخام أعظم من القوط والقوط تهرب منها ولا تطيق مدافعتها لأنها تغلبها ! ولا تصاد إلا بحيل تدار عليها، وقد رأيتها هنالك فعجبت منها.

حكاية [فيران تاكل الرجال]

أخبرني الملك خطّاب الأفغاني (55) أَنَّهُ سَجِن مرة في جب بهذه القلعة يسمى جب الفيران، قال : فكانت تجتمع عليّ ليلاً لتاكلني فاقاتلها، وألقى من ذلك جهداً، ثم إني رأيت في النوم قاتلاً يقول لي : اقرأ سورة الإخلاص مائة ألف مرة، ويفرج الله عنك، قال فقرايتها فلما أتممتها أخرجت

48

(50) دولة أباد DEOGIRI ديوجير القديمة (ديوجير عند ابن بطوطة) وقد وصف حصن ديوجير في السجل الجغرافي الهندي... وقد كان فتح من لدن المسلمين عام 693=1294 واعتزافاً من السلطان محمد ابن تغلق بأهميته كقاعدة لحماية الجنوب الهندي اعطاه اسم دولة أباد... واقتنع باعتباره كعاصمة عام 727=1327... وقبل وفاة السلطان استولى عليه قائد تمرد على الحكم واستقل عن دهلي إلى أن ظهر الامبراطور أكبر 1575 م 983 هـ.

(51) كَتْكة تعني باللغة السنسكريتية المعسكر الملكي.

(52) هناك طائفة من المراجع التي تتعلق بقطلوخان وخاصة III، 143 وما يليها أما عن صاغر فسياتي الحديث عنها ج IV ص 52 وعن بلاد التَّنْكِ (Telungana) يراجع ج III 192

(53) بُني هذا البرج على صخرة مخروطية من علو 50 ميتر في العلو - الأكمة التي ينتصب عليها تقوم تقريباً على علو مائتي ميتر على شكل عمودي وتجاوز السهل راجع التعليق 50 سالف الذكر

(54) القصد إلى الجنود المسجلين على الزمام الخاص بالجيش

(55) تقدم ذكر الأفغاني كحاكم في رايري ج IV ص 29 ، سورة الإخلاص أقصر سورة في القرآن رقم 112 .

وكان سبب خروجي ان الملك ملّ كان مسجون في حب يجاورني فمرضت واكتت الغيران أصابعه وعينيه فمات فبلغ ذلك السلطان، فقال : أخرجوا خطّاباً لئلا يتفق له مثل ذلك، وإلى هذه القلعة لجأ ناصر الدين بن الملك ملّ المذكور والقاضي جلال حين هزمهما السلطان (56).

وأهل بلاد دولة أبادهم قبيل المهرتة الذين خص الله نساخهم بالحسن وخصوصا في الأنوف والحواجب، ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن (57)، وكفار هذه المدينة أصحاب تجارات وأكثر تجاراتهم في الجوهر، وأموالهم طائلة، وهم يسمون الساهة (58)، واحدهم سام باهمال السين وهم مثل الأكارم بديار مصر (59).

وبدولة أباد العنب والرمان ويثمران مرتين في السنة، وهي من أعظم البلاد مجبى وأكبرها خراجاً لكثرة عمارتها واتساع عمالتها

وأخبرت أن بعض الهنود التزم مغارمها وعمالتها جميعا، وهي كما ذكرناه، مسيره ثلاثة أشهر بسبعة عشر كُروراً، والكرور مائة لك، واللك مائة ألف دينار ولكنه لم يف بذلك فبقى عليه بقية وأخذ ماله وسلخ جلده .

50/4

ذكر سوق المغنين

وبمدينة دولة أباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمى سوق أباد، من أجمل الاسواق وأكبرها، فيه الدكاكين الكثيرة، كل دكان له باب يفضي إلى دار صاحبه، وللدار باب سوى ذلك ! والחנוث مزين بالفرش، وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية أو ترقد، وهي متزيّنة بأنواع الحلبي وجواربها يحركن مهدها

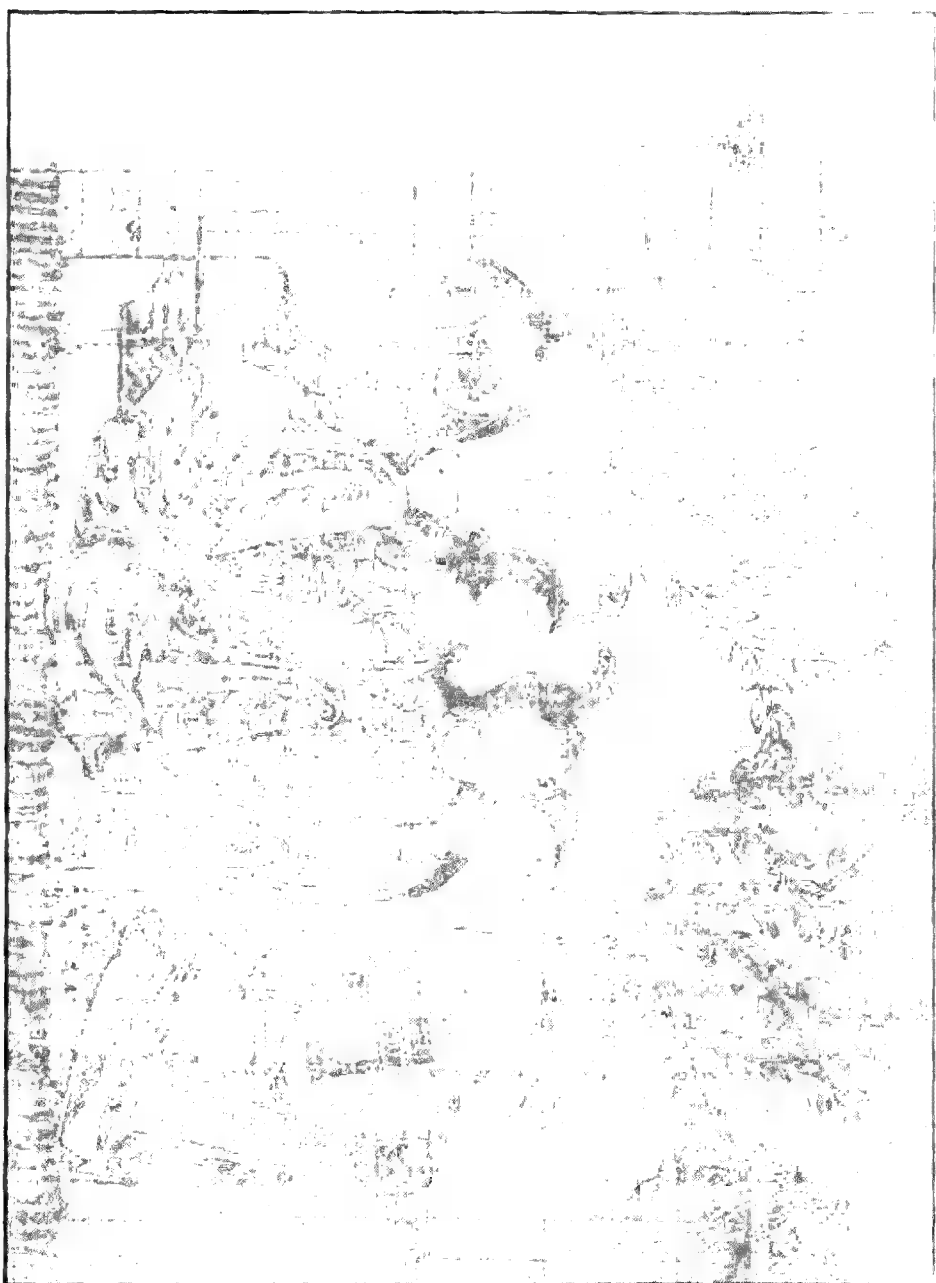
وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس، وبين يديه خدامه ومماليكه وتأتي المغنيات طائفة بعد أخرى فبغض

(56) تقدم الحديث عن هذا الموضوع ج III ص 362-363 ويعتقد مهدي حسين أن ابن بطوطة عذر القيل قبل هذا التمرد...

(57) يعلّق الأمير مولاي العباس في مخطوطته الخاصة الموجودة بالخرانة الملكية على هذه الفقرة بقوله "أطعمنا الله من هذه النعمة !! هذا وقد علّق بيكينكام على الموضوع مؤكدا أن رخالة آخرين يشاطرون ابن بطوطة الرأي حول معرفة المهرتات بأساليب الجماع" (راجع IV، 29 تعليق 33).

(58) اسمهم بالسنسكرتية سارنفا فاهما وسانتها فاهما ويطلقها أهل سيلان سانتاهه أو ساتياهه - النعيني

(59) أفرد التجببي وصفا دقيقا لمسالك الحج من قوص إلى عذاب، ومعلوم مركز المدينتين في تجارة الهند التي كانت منتظمة في تلك الفترة بواسطة تجار عدن الذين كانوا يُعرفون عند المصريين بالأكادير ولهم خان يخصصهم في مدينة قوص التي كانت بحق مركزا تجاريا وعلميا متميزا على ما استلفناه عند الحديث عن قوص وعذاب، IV، 116، III، 251، التجببي - مسفاك الرحلة والاغتواب بحقيق عبد الحفيظ منصور، منصور سابق



51/4 بين يديه ويرقصن إلى وقت المغرب ثم ينصرف وفي تلك السوق المساجد للصلاة، ويصلي النمة فيها التراويح في شهر رمضان، وكان بعض سلاطين الكفار بالهند إذا مر بهذه السوق ينزل بقبتها، ويغني المغنيات بين يديه، وقد فعل ذلك بعض سلاطين المسلمين أيضا

ثم سافرنا إلى مدينة نَذْرَبَار (60)، وضبط اسمها بنون وبذال معجم مفتوحين ورا- مسكن وباء موحدة مفتوحة وألف وراء، مدينة صغيرة يسكنها المرهته وهم أهل الاتقان في الصنائع والأطباء والمنجمون، وشرقاء المرهته هم البراهمة وهم الكَثْرِيُون (61) أيضا، وأكلهم الأزرق والخضر ودهن السمسم، ولا يرون بتعذيب الحيوان ولا ذبحه ويغتسلون للأكل كفلس الجنازة، ولا ينكحون في أقاربهم إلا فيمن كان بينهم وبينه سبعة أجداد، ولا يشربون الخمر وهي عندهم أعظم المعائب وكذلك هي ببلاد الهند عند المسلمين، ومن شربها من مسلم جلد ثمانين جلدة، وسجن في مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين طعامه،

ثم سافرنا من هذه المدينة إلى مدينة صَاغَر، وضبط اسمها بفتح الصاد المهمل وفتح الغين المعجم وآخره راء، وهي مدينة كبيرة على نهر كبير يسمى أيضا صَاغَر (62) كإسمها، وعليه النواعير، والبساتين فيها العنبا والموز وقصب السكر، وأهل هذه المدينة أهل صلاح ودين وأمانة، وأحوالهم كلها مرضية ولهم بساتين فيها الزوايا للوارد والصادر، وكل من يبني زاوية يحبس البستان عليها ويجعل النظر فيه لأولاده، فإن انقرضوا عاد النظر للقضاة.

والعمارة بها كثيرة والناس يقصدونها للتبرك بأهلها ولكونها محررة من المغارم والوظائف. ثم سافرنا من صَاغَر المذكورة إلى مدينة كَنْبَايَة (63)، وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وباء آخر الحروف مفتوحة، وهي على خور من البحر وهو شبه الوادي تدخله المراكب، وبه المد والجزر وعابنت المراكب به مرساة في الوحل حين الجزر فإذا كان المد عامت في الماء.

(60) حول نَذْرَبَار (NANDURBAR) يلاحظ أن ابن بطوطة غادر دولة أباد في الاتجاه الذي ورد منه، ويُفترض أن السفارة الهندية كانت تقصد إلى قالكوط عن طريق البر بيد أن ابن بطوطة علم وهو في دولة أباد أن السفر ربما لا يكون آمناً وقد يتعرض للخطر سيما وأن ما يصحب السفارة من هدايا ثمين جداً.

(61) يتعلق الأمر بالكثرتين وهو طائفة انحدرت من (Kshatryas) وهي فرقة تختلف عما سواها من الفرق القديمة في المجتمع الهندي. Enthoven : The Tribes and Castes of Bombay

(62) القصد بصاغر إلى (Songarh) في ساقلة النهر الذي هو طابتي (TAPTI)، وقد عوضت صاغر بعد القرن السادس عشر سوروات SURAT - راجع التعليق 52.

(63) كان على ابن بطوطة أن يصل إلى كنباية Cambay في النصف الأول من شهر أكتوبر عام 1341 هـ ومن المهم أن نذكر هنا أن إفادات بارثويزا (بداية القرن 16) أكدت ما ورد في ابن بطوطة من الأهمية التي كانت لميناء هذه المدينة قبل أن يأفل نجمها.

وهذه المدينة من أحسن المدن في إتقان البناء وعمارة المساجد، وسبب ذلك أن أكثر سكانها التجار الغريباء فهم أبدأً يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون في ذلك، ومن الديار العظيمة بها دار الشريف السامري الذي اتفقت لي معه قضية الطواء وكذبته ملك النُدماء (64)، ولم أر قط أضخم من الخشب الذي رأيت به هذه الدار، وبابها كائنه باب مدينة، والي جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار ملك التجار الكازروني، وإلى جانبها مسجده، ومنها دار التاجر شمس الدين كُلاه دوز ومعناه خياط الشواشي.

54/4

حكاية [الثلاثة المخالفين]

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة القاضي جلال الأفغاني أراد شمس الدين المذكور والناخوذه إلياس، وكان من كبار أهل هذه المدينة، وملك الحكماء الذي تقدم ذكره (65)، على أن يمتنعوا منه بهذه المدينة، وشرعوا في حفر خندق عليها إذ لا سور لها فتغلب عليهم ودخلها واختفى الثلاثة المذكورون في دار واحدة وخافوا أن يُتطلع عليهم فاتفقوا على أن يقتلوا أنفسهم، فضرب كل واحد منهم صاحبه بقتارة، وقد ذكرنا صفتها (66)، فمات اثنان منهم، ولم يمت ملك الحكماء.

55/4

وكان من كبار التجار أيضا بها نجم الدين الجيلاني وكان حسن الصورة كثير المال وبنى بها داراً عظيمةً ومسجداً ثم بعث السلطان عنه وأمره عليها وأعطاه المراتب (67)، فكان ذلك سبب تلف نفسه وماله.

وكان أمير كُنباية حين وصولنا إليها مقليل التلنكي، وهو كبير المنزلة عند السلطان (68)، وكان في صحبته الشيخ زاده الأصهباني نائباً عنه في جميع أموره، وهذا الشيخ له أموال عظيمة وعنده معرفة بأمور السلطنة، ولا يزال يبعث الأموال إلى بلاده ويتحيل في الفرار، وبلغ خبره إلى السلطان وذكر عنه أنه يروم الهروب فكتب إلى مقليل أن يبعثه على البريد وأحضر بين يدي السلطان ووكّل به، والعادة عنده أنه متى وُكّل بأحد فقلماً ينجو! فاتفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه إياه وهرباً جميعاً، وذكر لي أحد الثقات أنه رآه في ركن مسجد بمدينة قلّهات (69)، وأنه وصل بعد ذلك إلى بلاده وحصل على أمواله وأمن مما كان يخافه.

56/4

(64) يُراجع ج III ص 422-423.

(65) يُراجع ج III صفحة 362 إلى 372.

(66) فعلاً كان ذلك في ج IV ص 31.

(67) تراجع الفقرة الخاصة باستقبال الغريباء وتخصيصهم بالولايات والمراتب ج III - 97 - 98 - 222 - 229

233 - 239 - 243 - 274 - 298 - 334 - 427

(68) يُراجع ج III صفحة 362-372.

(69) قلّهات تقع في عُمان، ج. II - 225 - 226 - 236.

حكاية [الأعورين]

وإضافنا الملك مقبل يوماً بداره فكان من النادر أن جلس قاضي المدينة، وهو أعور العين اليمنى، وفي مقابلته شريف بغدادى شديد الشبه به في صورته وعوره، إلا أنه أعور اليسرى ! فجعل الشريف ينظر إلى القاضي ويضحك، فزجره القاضي، فقال له : لا تزجرني فاني أحسن منك، قال : كيف ذلك؟ قال لأنك أعور اليمنى وأنا أعور اليسرى ! فضحك الأمير والحاضرون وخجل القاضي ولم يستطع أن يرد عليه، لأن الشرفاء ببلاد الهند معظّمون أشدّ التعظيم.

57/4

وكان بهذه المدينة من الصالحين الحاج ناصر من أهل ديار بكر وسكناه بقبة من قباب الجامع دخلنا إليه وأكلنا من طعامه، واتَّفَقَ له لما دخل القاضي جلال مدينة كَنْبَاية حين خلافه أنه أتاه، وذكر للسلطان أنه دعا له، فهرب لئلا يقتل كما قتل الحيدري (70).

وكان بها أيضاً من الصالحين التاجر خواجه إسحق، وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر، وينفق على الفقراء والمساكين، وماله على هذا ينمي ويزيد كثرة.

وسافرنا من هذه المدينة يعني كَنْبَاية إلى بلدة كاوي (71)، وهي على خور فيه المد والجزر وهي من بلاد الري جَالَنْسِي الكافر وسنذكره، وسافرنا منها إلى مدينة قَنْدَهَار (72) وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء الف وراء، وهي مدينة كبيرة للكفار على خور من البحر.

58/4

ذكر سلطانها (قندهار)

وسلطان قَنْدَهَار كافرٌ اسمه جَالَنْسِي (73) بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهملة، وهو تحت حكم الاسلام ويعطي لملك الهند هدية كل عام، ولما وصلنا إلى قَنْدَهَار خرج إلى إستقبالنا وعظّمنا أشدّ التعظيم وخرج عن قصره فأنزلنا به، وجاء إلينا من

(70) يراجع ج III 310-311. حول ديار بكر راجع II - 131

(71) كاوي (القصد إلى Kava قبالة كَنْبَاية على الشاطئ الجنوبي لمصب نهر ماهي (MAHI).

(72) قَنْدَهَار (GANDHAR) ميناء هام كان في ذلك العهد، على مصب نهر دَانْدَار (DHANDAR) أو DHADAR مباشرة جنوب كاوي. انظر الخريطة جنوب ولاية الكجرات.

(73) جَالَنْسِي Jalansi هذا الاسم يتفق مع اسم لقبيلة تحمل اسم راجبوت (RAJPUT) وهم جهالاس (JHALAS) وهناك عُلْمٌ ظهر في هذه الفترة من التاريخ ضمن لائحة الملوك ميروار (MERWAR) جنوب شرق راجستان (RADJASTAN). بيد أن ماروار توجد في الشمال أكثر، وتوجد مفصولة عن قندهار (GANDHAR) بالجزرات تحت هيمنة دهللي على ذلك العهد،

Stéphane II, 185 - Gibb = Selections; P. 363 N. 10.

عنده من كبار المسلمين، كإولاد خواجة بُهرة (74)، ومنهم الناخودة إبراهيم له ستة من المراكب مختصة له، ومن هذه المدينة ركبنا البحر .

59/4

ذكر ركوبنا البحر

وركبنا في مركب لأبراهيم المذكور يسمى الجاكر، بفتح الجيم والكاف المعقودة، وجعلنا فيه من خيل الهدية سبعين فرساً، وجعلنا باقيها مع خيل أصحابنا في مركب لأخي إبراهيم المذكور يسمى منوُرت، بفتح الميم ونون وواو مد وراء مسكن وتاء معلوة، وأعطانا جالُسنى مركباً جعلنا فيه خيل ظهير الدين وسنبل وأصحابهما، وجَهز لنا بالماء والزاد والعلف وبعث ولده في مركب يسمى العُكيري، بضم العين المهمل وفتح الكاف وسكون الياء وراء، وهو شبه الغراب، إلا أنه أوسع منه، وفيه ستون مجذاًفاً ويسقُف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة، وكان ركوبي أنا في الجاكر وكان فيه خمسون رامياً وخمسون من المقاتلة الحبشة، وهم زعماء هذا البحر، وإذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصوص الهنود وكفارهم

60/4

ووصلنا بعد يومين إلى جزيرة بئرم (76)، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء، وهي خالية وبينها وبين البر أربعة أميال فنزلنا بها واستقينا الماء من حوض بها، وسبب خرابها أن المسلمين دخلوها على الكفار فلم تعمروا بعد، وكان ملك التجار الذي تقدم ذكره أراد عمارتها وبنى سورها، وجعل بها المجانيق وأسكن بها بعض المسلمين

ثم سافرنا منها ووصلنا في اليوم الثاني إلى مدينة قوُقة، وهي بضم القاف الأولى وفتح الثانية، وهي مدينة كبيرة عظيمة الأسواق (77) أرسينا على أربعة أميال منها بسبب

(74) البُهرة يكونون إلى اليوم جماعة تنتمي للإسلام في الكُجرات وبومباي ويمتازون بنشاطهم التجاري الفائق وينضمهم الدقيق لحياتهم الاجتماعية حسباً ما وقفت عليه بالعيان عندما حضرت مهرجاناً دينياً لهم في بومباي أبريل 1975 وإذا كانت فرقة البهرة التي بالكُجرات وبومباي تنتمي إلى الاسماعيلية فإن هناك فرقة أخرى من أهل السنة، وهم في شمال كوناكان Bekingham Konkani

(75) اسم الإبحار كما نرى من مرسى قندهار الذي كان يحتل مكانة كبيرة من هذا الخليج الشهير بتاريخه عبر العصور بما في ذلك عمليات القرصنة التي كانت تشهدها بعض جزره . ويذكر ابن بطوطة أن من جملة المراكب مركباً يشبه السفينة التي تحمل في اللسان العربي اسم الغراب ج اغربة نوع من المراكب السريعة الحركة وتختص عادة بخفر السواحل وإبلاغ البريد

التاريخ الأسطول المغربي عبر التاريخ، مجلة البحث العلمي 39، نوفمبر 1982

(76) جزيرة بيرم (PIRAM) أو Perm على مقربة من مدخل خليج كنباية، كانت معقلاً مشهوراً للقرصنة قبل أن يُغير عليها السلطان محمد ابن تغلق ويدهرها

(77) تقع Gunga شمال بيرم على الساحل الغربي لخليج كنباية . ويلاحظ أنها لم تكن على طريق ابن بطوطة من قندهار إلى كوا ولكن السفينة قصدها أما لغرض تقني أو أنها اضطرت لذلك مجاراةً للرياح .

الجزر، ونزلت في عشاري مع بعض اصحابي حين احمر لامخل الهند فوجدنا العيسري الطين، وبقي بيننا وبين البلد نحو ميل فكنت لما نزلنا في الوادي نركب على رؤس اصحابي، وخوفني الناس من وصول المد قبل وصولي اليها وانما لا يحصل المسلمون وصلنا اليها وضفت بأسواقها، ورايت فيها مسجدا ينسب لجنجر والناي عبيط النمل صليت به المغرب، ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية مع شيخ لهم تقدمت إلى المرات

ذكر سلطانها

وسلطانها كافر يسمى دُنْكُول يضم الدال المهمل وسكون اللون وضمة الكاف والهمزة وكان يظهر الطاعة لك الهند وهو في الحقيقة عاص، ولما اقبلنا عن هذه الدنيا وجدنا ثلاثة أيام إلى جزيرة سَندَابُور وضبط اسمها بفتح السين المهمل وسكون اللون وضمة الهمل والف وباء متوحدة وواو مد وراء وهي جزيرة في وسطها سمك وثلاثون قريية ويدور بها خور وإذا كان الجزر فماؤها غلب طيب، وإذا كان المد فهو ملح اجاج، وفيها مدينتان إحدهما قديمة من بنا الكفار، والثانية بناها المسلمون عند السفن من جزيرة الفتح الأول، وفيها مسجد جامع عظيم يتسبه مسجد بغداد عمده من والد السلطان جمال الدين محمد البنوري، وسياتي ذكره، وذكر حصونى معه لعمري الجزيرة الفتح الثاني إن شاء الله، وتجاوزنا هذه الجزيرة لما مرنا بها فوجدنا جزيرة صغيرة قريبة من البر، فيها كنيسة وبستان وحوض ماء، ووجدنا قسما الجوكية.

حكاية هذا الجوكي

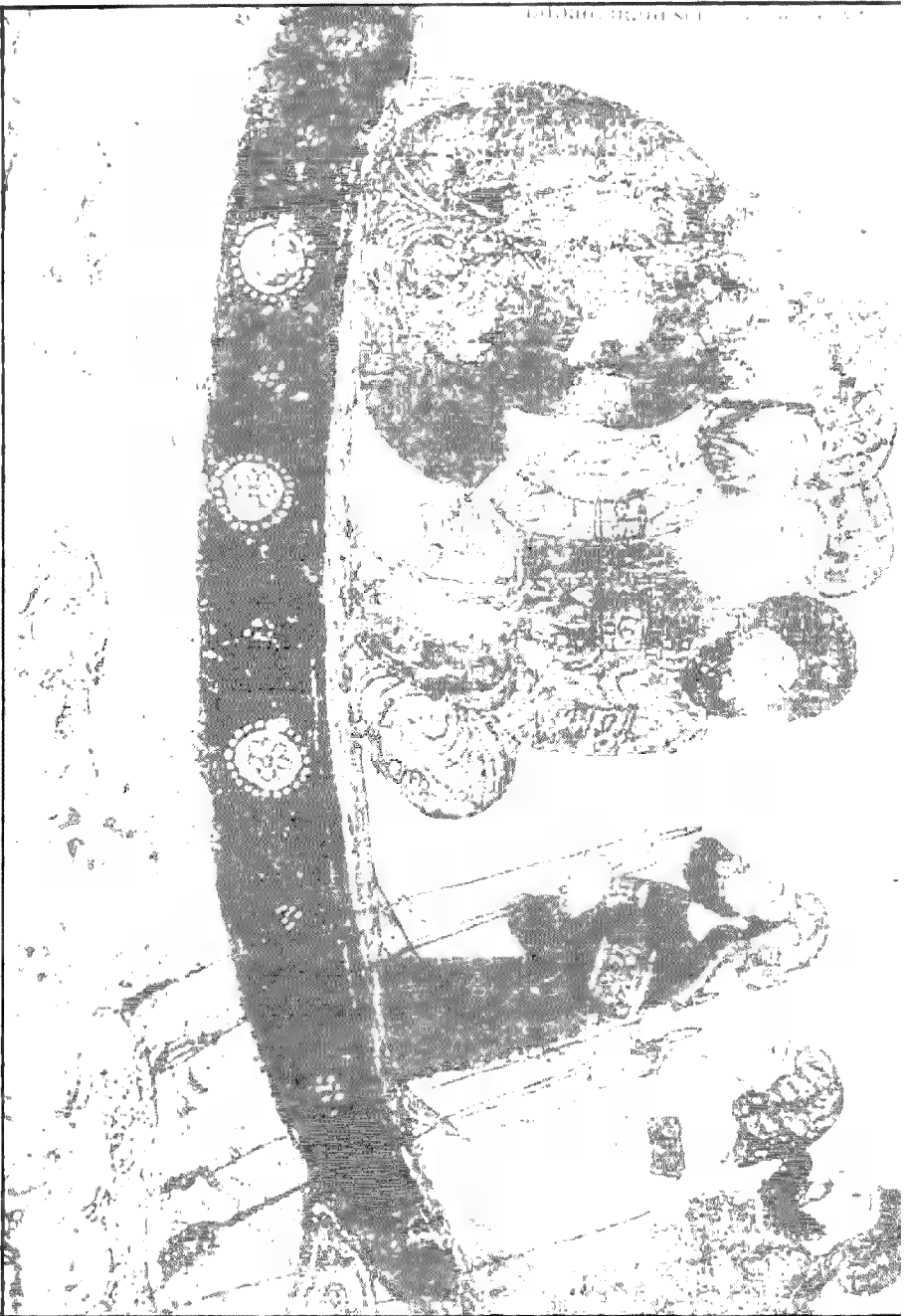
ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغرى وجدنا بها جوكك مستندا إلى حائطه فمنا بيت الاصنام، وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة فكلما قدم بتكلم، فخرج معه طعام فلم نر معه طعاماً، وفي حين نظرنا صاح صيحة عذابة مستفهمة فوجدنا

(78) حول الحيدرية يراجع ج II ص 6 و ج III ص 59

(79) سَندَابُور Sandabar أو سندابور كانت اسما يطلق على جزيرة ملطج شرق الهند المعروف باسم الأقدمين المسلمين وقد كانوا اقتنحوها عام 1271 هـ، وقد كان من السابقين لهذا الاسم ج. II - 177 - 254

(80) ج IV ص 68-69 وكذا صفحة 106-107 من هذا المجلد IV

(81) القصد إلى جزيرة انجيبث (ANDH/IV) التي تقع على خط عرض 16° 30' شمالا وخط طول 83° 30' بالذكور هنا أن قاسكوا دي كات الذي يذكره راز الجزيرة عام 1570 هـ، حيث وصفها بأنها يؤيد مصداقية الرحالة المغربي



نموذج من الفن التصويري عند العرب، تتركنا بالكثير من المشاهد التي يصفها ابن بطوطة في رحلته
مشهد المركب من إحدى مقامات الحريري (516-446 = 1222/104)

جوزةً من جوز النارجيل بين يديه، ودفعها لنا فعجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم، فلم يقبلها وأتيناه بزامٍ فردّه.

وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلّبتُها بيدي فدفعها لي، وكانت بيدي سُبحة زيلع (82) فقلّبتها في يدي فأعطيته إياها، ففرّكها بيده وشمها وقبّلها، وأشار إلى السماء ثم إلى سمت القبلة، فلم يفهم أصحابي إشارته، وفهمت أنا عنه أنه أشار أنه مسلم يُخفي إسلامه من أهل تلك الجزيرة، ويتعيش من تلك الجوز، ولما وادعناه قبلت يده فأنكر أصحابي ذلك ففهم إنكارهم فأخذ بيدي وقبّلها وتبسّم وأشار لنا بالانصراف فانصرفنا وكنت آخر أصحابي خروجاً، فجذب ثوبي فرددت رأسي إليه، فأعطاني عشرة دنانير، فلما خرجنا عنه قال لي أصحابي : لم جذبك؟ فقلت لهم : أعطاني هذه الدنانير، وأعطيتُ لظهير الدين ثلاثة منها ولستبّل ثلاثة، وقلت لهما : الرجل مسلم، ألا ترون كيف أشار إلى السماء؟ يشير إلى أنه يعرف الله تعالى، وأشار إلى القبلة يشير إلى معرفة الرسول عليه السلام وأخذُه السبحة يصدّق ذلك، فرجعا لما قلت لهما ذلك إليه، فلم يجداه وسافرنا في تلك الساعة.

64/4

وبالغد وصلنا إلى مدينة هنور (83)، وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء، وهي على خور كبيرة تدخله المراكب الكبار، والمدينة على نصف ميل من البحر وفي أيام البُشكال، وهو المطر، يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدّة أربعة أشهر لا يستطيع أحد ركوبه إلا للصيد فيه، وفي يوم وصولنا إليها جاعني أحد الجوكية من الهنود في خلوة وأعطاني ستة دنانير، وقال لي : البرهمي بعثها إليك، يعني الجوكية الذي أعطيته السبحة وأعطاني الدنانير فأخذتها منه وأعطيته ديناراً منها فلم يقبله وانصرف، وأخبرت أصحابي بالقضية وقلت لهما : إن شئتما نصيبكما منها، فأبيا، وجعلا يعجبان من شأنه، وقالوا لي : إن الدنانير الستة التي أعطيتنا إياها جعلنا معها مثلها وتركانها بين الصنمين حيث وجدناه، فطال عجبني من أمره واحتفظتُ بتلك الدنانير التي أعطانيها.

65/4

66/4

واهل مدينة هنور شافعية المذهب، لهم صلاح ودين وجهاد في البحر وقوة، وبذلك عُرفوا حتى أذلهم الزمان بعد فتحهم لسندابور، وسنذكر ذلك، ولقيت من المتعبدین بهذه المدينة الشيخ محمد الناقوري أضافني بزاويته. وكان يطبخ الطعام بيده استقذاراً للجارية

(82) الزَّلْع : ضرب من صغار الودع، الصدف... وهناك (زيلع) العَلَم الجغرافي : عاصمة البربرة التي تقدم الكلام عنها ج II - 180 . حول بُدْخانة يراجع ج. III - 151

(83) هُنُور (HONAVAR) تقع في إقليم كَانَارَا (KANARA) عند مصب نهر شاراواتي (SHARAVATI).

والغلام ' ولقيتُ بها الفقيه اسماعيل معلم كتاب الله تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضي بها نور الدين علياً والخطيب، ولا أذكر اسمه.

674

ونساء هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبس المخيط، (84) إنما يلبس ثياباً غير مخيطة تحتزم إحداهن بأحد طرفي الثوب وتجعل باقية على رأسها وصدرها، ولهن جمال وعفاف، وتجعل إحداهن خُرص ذهب في أنفها (85). ومن خصائصهن أنهن جميعاً يحفظن القرآن العظيم، ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد ولم أر ذلك في سواها.

ومعاش أهلها من التجار في البحر ولا زرع لهم، وأهل بلاد المليبار يعطون للسلطان جمال الدين في كل عام شيئاً معلوماً خوفاً منه لقوته في البحر، وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجالة

ذكر سلطان هَنُور.

684

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وكبارهم، وهو تحت حكم سلطان كافر يسمى هُرُيبُ، سنذكره (87)، والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة في الجماعة، وعادته أن يأتي إلى المسجد قبل الصبح فيتلو في المصحف حتى يطلع الفجر فيصلي أول الوقت ثم يركب إلى خارج المدينة، ويأتي عند الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ثم يدخل إلى قصره وهو يصوم الأيام البيض (88) وكان أيام إقامتي عنده يدعوني للافطار

(84) هذا الثوب هو الذي يعرف إلى الآن باسم الصَّاري (J.L.SARI)

(85) ما يسمى ناث (NATH) يجعلنه يسار الأنف.

(86) محمد بن حسن شخصية لم نقف لها على ذكر لها فيما توفر لدينا من مصادر وهي تنتسب على ما يترجح لدينا إلى فريق من النواية المسلمين الذين تمكنوا من بعض النقاط الساحلية كُؤا، وهَنُور الخ.

(87) يقول ابن بطوطة هنا أنه سيتحدث عن هُرُيب هذا وهو الوعد الذي لم يتحقق على نحو وعد به قبل عندما وعد بالحديث عن قبر الملك ناصر الدين ابن عين الملك (15. IV)، فهل كانت تلك الفقرات وهذه مما أتت عليه عمليات الإيجاز التي قام بها ابن جزي؟

مهما يكن فإن هذا السلطان الذي لم يذكره مرة أخرى تم التعريف به مع هَارَهَارَا نَرِيْپَالَا (HARHARA-NRIPALA) (1375-1340) حفيد هُنَّارِيْپَا (HONNA-NRIPA) (الذي كان جنرالاً

عند فرابا لا الثالث (VIRA BALALALA III)، سلطان هَارُولا (Hoysala)

Ibn Battuta, voyages, T. III P. 193 Note 87 Trad de l'arabe de D.S. 1858. INTROID, et notes de Stephane Yerasimos, EDIT. la Découverte, PARIS 1990

(88) القصد بالأيام البيض إلى يوم 13-14-15 من الشهر القمري التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصومها

معه فاحضر لذلك ويحضر الفقيه علي والفقيه اسماعيل فتوضع أربع كراسي صفار على الأرض فيقعد على أحدها ويقعد كل واحد منا على كرسي .

69/4

ذكر ترتيب طعامه

وترتيبه أن يوتي بماندة نحاس يسمونها خَوْتَجَة (٨٩) ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطَّالْم، يفتح الطاء المهمل وفتح اللام، وتأتي جارية حسنة ملتحفة بثوب حرير فتقدم قدور الطعام بين يديه، ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتغرف بها من الأرز مغرفة واحدة وتجعلها في الطَّالْم وتصب فوقها السمن، وتجعل مع ذلك عناقيد الفلفل المملوح والزنجبيل الأخضر والليمون المملوح والعنبا، فيأكل الانسان لقمة ويتبعها بشيء من تلك الموالح، فإذا تمت الغرفة التي جعلتها في الطالْم غرفت غرفة أخرى من الأرز وأفرغت دجاجة مطبوخة في سَكْرَجَة فيوكل بها الأرز أيضا فإذا تمت المغرفة الثانية غرفت وأفرغت لونا آخر من الدجاج توكل به، فإذا تمت ألوان الدجاج أتوا بالوان من السَّمْك فيأكلون بها الأرز أيضا، فإذا فرغت ألوان السمك أتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والالبان فيأكلون بها الأرز، فإذا فرغ ذلك كُلُّه أتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبه يختمون إ طعامهم فإذا وُضع عُلْم أنه لم يبق شيء يوكل بعده، ثم يشربون على ذلك الماء السخن لأن الماء البارد يضرُّ بهم في فصل نزول المطر.

70/4

ولقد أقمت عند هذا السلطان في كرة أخرى أحد عشر شهراً لم أكل خبزاً، إنما طعامهم الأرز وبقيت أيضا بجزائر المهل وسيلان وبلاد المعبر والمليبار (٩٠) ثلاث سنين لا أكل فيها إلا الأرز حتى كنت لا استسغيه إلا بالماء.

ولباس هذا السلطان ملاحف الحرير والكتان الرقاق يشد في وسطه فوطه، ويلتحف ملحفين إحداها فوق الأخرى ويعقد شعره ويلف عليه عمامة صغيرة، وإذا ركب لبس قباد والتحف بملحفتين فوقه، وتضرب بين يديه طبول وأبواق يحملها الرجال.

71/4

وكانت إقامتنا عنده في هذه المرة ثلاثة أيام وزودنا وسافرنا عنه، وبعد ثلاثة أيام وصلنا إلى بلاد المليبار بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة

(89) الكلمة بالفارسية (KIHWANTCHEH) واختصرت وعُرِّيت إلى خوان بمعنى الصُّحْن أو السَّمَط وهي العبارة التي اختارتها اليوم الخطوط الملكية المغربية للتعبير عن قائمة الطَّعام (menu) والطَّلم يضم الطاء وتسكين اللام . باللغة العربية ما يبسط عليه الخبر

(90) بلاد المليبار (Moulaihar) المعروفة بإنتاج الأبرار (le poivre) الفلفل الأسود كما يسميه المشاركة. وتتفق اليوم مع ولاية كيرالا إحدى ولايات الهند 22 وتستدل الهند أحيانا على حدودها التاريخية بما يرويه ابن بطوطة .

وألف وراء، وهي بلاد القفل، وضولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور إلى كولم، والطريق في جميعها بين ضلال الأشجار، وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصائر، من مسلم أو كافر وعند كل بيت منها بنر يُشرب منها، ورجل كافر موكل بها، فمن كان كافراً يُسقاها في الأواني ومن كان مسلماً يسقاها في يديه ولا يزال يصب له حتى يشرب له أو يكف. وعادة الكفار ببلاد الملبار أن لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في أنيتهم، فإن طعم فيها كسروها أو أعطوها للمسلمين، وإذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين، فبخوا له الطعام وصبوه له على أوراق الموز وصبوا عليه الإدام، وما فضل عنه يكله الكلاب والظير

72/4

وفي جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزل عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون إليه، ويطلبون لهم الطعام، ولولاهم لما سافر فيه مسلم. وهذا الطريق الذي ذكرنا أنه مسيرة شهرين لبس فيه موضع شبر فما فوق دون عمارة، وكل إنسان له بستانه على حدة وداره في وسطه وعلى الجميع حائط خشب، والطريق يمر في البساتين فإذا انتهى إلى حائط بستان كان هناك درج خشب يصعد عليها ودرج آخر ينزل عليها إلى البستان الآخر، هكذا مسيرة الشهرين

73/4

ولا يسافر أحد في تلك البلاد بدابة ولا تكون الخيل إلا عند السلطان، وأكثر ركوب أهلها في دولة على رقاب العبيد أو المستأجرين، ومن لم يركب في دولة مشى على قدميه كأننا من كان، ومن كان له راحل أو متاع من تجارة وسواها اكترى رجالاً يحملونه على ظهورهم فترى هنالك التاجر ومعه المائة فما دونها أو فوقها يحملون أمتعتهم، ويبد كل واحد منهم عوداً غليظ له زج حديد، وفي أعلاه مخطاف حديد، فإذا أعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حملة منه، فإذا استراح أخذ حملة من غير معين ومضى به.

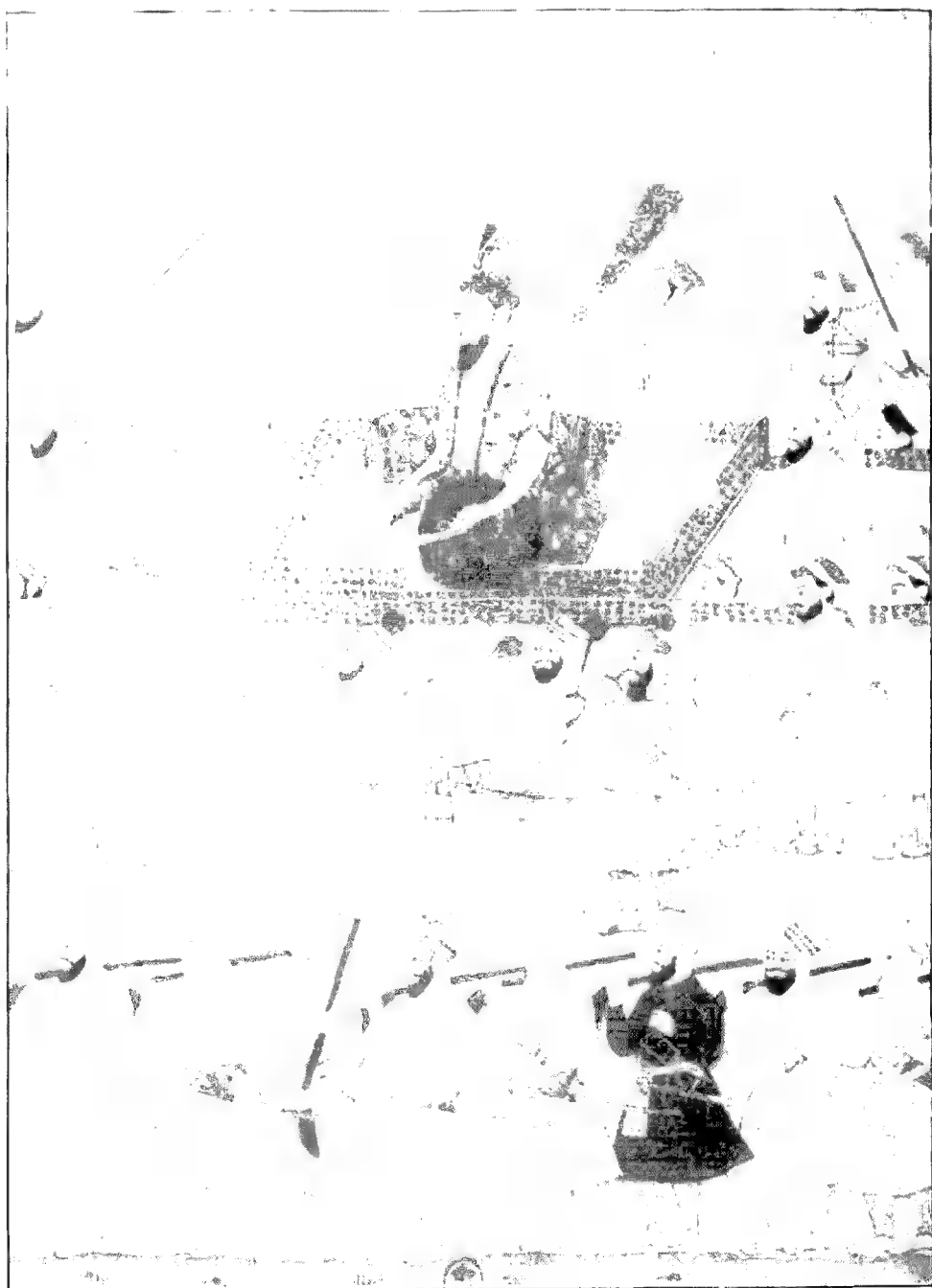
74/4

ولم أر طريقاً أمن من هذا الطريق، وهم يقتلون السارق على الجوزة الواحدة، فإذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى يأخذه صاحبه

وأخبرت أن بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط أحدهم جوزة، وبلغ خبره إلى الحاكم فامر بعود فرُكز في الأرض وبُري طرفه الأعلى وأدخل في لوح خشب حتى برز منه، ومد الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين

ومن هذه العيdan على هذه الصورة بتلك الطرق كثير ليراها الناس فينعظوا، ولقد كنا نلقى الكفار بالليل في هذه الطريق فإذا رأونا تنحوا عن الطريق حتى يجوز، والمسلمون أعز الناس بها غير أنهم كما ذكرناه لا يواكلونهم ولا يدعونهم دورهم.

75/4



كف يحمل الناس على الدولة

وفي بلاد الملبيار اثنا عشر سلطاناً من الكفار⁽⁹¹⁾، منهم القوي الذي يبلغ عسكره خمسين ألفاً، ومنهم الضعيف الذي عسكره ثلاثة آلاف، ولا فتنة بينهم ألبتة، ولا يطمع القوي منهم في انتزاع ما بيد الضعيف، وبين بلاد أحدهم وصاحبه باب خشب منقوش فيه اسم الذي هو مبدأ عمالته، ويسمونه باب أمان فلان، وإذا فرّ مسلم أو كافر بسبب جناية من بلاد أحدهم ووصل باب أمان الآخر أمن على نفسه، ولم يستطع الذي هرب عنه أخذه وإن كان القوي صاحب العدد والجيش. وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الأخت ملكهم⁽⁹²⁾ دون أولادهم، ولم أر من يفعل ذلك إلا مستوفى أهل اللثام وسنذكرهم فيما بعد⁽⁹³⁾، فإذا أراد السلطان من أهل بلاد الملبيار منع الناس من البيع والشراء أمر بعض غلمانه فعلق على الحوائث بعض أغصان الأشجار بأوراقها فلا يبيع أحد ولا يشتري ما دامت عليها تلك الأغصان.

76/4

ذكر الفلفل

وشجرات الفلفل⁽⁹⁴⁾ شبيهة بدوالي العنب، وهم يفرسونها إزاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي إلا أنها ليس لها عسلوح وهو الغزل كما للدوالي، وأوراق شجره تشبه

77/4

(91) في الحقيقة نجد المؤرخين في بلاد المغرب والملبيار التي تقع جنوب جبل دلي (Delly) استطاعوا أن يعدوا - في القرن الثامن عشر - أكثر من ثمانية عشر سلطاناً، الأربعة الأساسيون الذي كانوا في عهد ابن بطوطة واستمروا فيما بعد: ال كولانيري (Kolattiri) أصحاب كاناثور (Cannanore)، شمال قاليقوت، والسامريون Zamorin أصحاب قاليقوت وزل راجا أصحاب كوشان (Cochin) جنوب قاليقوت، وأصحاب كولم التي يسمونها (Quilon) جنوب كوشان، وبين هؤلاء وأولئك وفي أكريات البلاد تلتزم سلسلة إمارات صغيرة أدنى التنافس فيما بينها للتدخل البرتغالي (1495=900)¹ أحمد زين الدين المعبري الملبيري تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين تحقيق محمد سعيد الطريحي مؤسسة الوفاء بيروت 1405=1985

(92) التنظيم الاجتماعي يأخذ بعين الاعتبار الانتساب للام وحده وقد تردد ذكر مثل هذا عند حديث المؤرخين عن بعض قبائل إفريقيا أنظر مادة (عادة) في دائرة المعارف الإسلامية - وأنظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 5، ص 17

(93) مستوفى قبيلة من البربر كانت تتمركز في غرب الصحراء يتميزون بنظامهم الاجتماعي المبني على أن مرجعية النسب إلى الأم وليس إلى الأب على ما يذكر، يراجع (388، IV)، هذا وعوض اللثام الذي هو الصواب نجد في بعض النسخ الشام¹

(94) الفلفل (Poivre) هو بالذات الذي يُخصّ في المغرب باسم الأبرار، ولا يعرف في بلادنا باسم الفلفل، إنما الفلفل هو النبات المعروف، وينعت الفلفل في بعض بلاد المشرق بالفلفل الأسود تمييزاً له عن الفلفل النبات، ومعلوم أن بلاد الأبرار هي الملبيار¹

هذا وكل النسخ تذكر عسلون بالنون وهو تحريف لكلمة عسلوج بالجمع التي تعني نفس ما تعنيه الكلمة العربية (الفزل ج غزول) (Viller) وهي العروق اللينة التي تنطلق من الدالية أو اللوابة أو العليق لتشتبك بنحو الشجرة والجدار وتكون بمثابة خيوط (تغزل) الدالية بما جاورها، والكلمة من دقات اللغة العربية المستعملة من لدن ابن بطوطة - أنظر لسان العرب مادة عسلج - دوري مادة غزل

أذان الخيل، وبعضها يشبه أوراق العُلق، ويثمر عناقيد صفاراً حنّها كحبّ أبي قُنيّة⁽⁹⁵⁾، إذا كانت خُضراً، وإذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس، كما يصنع بالعنب عند تزييبه ولا يزالون يلقّبونه حتى يستحكم ييسه ويسود ثم يبيعهونه من التجار، والعامّة ببلادنا يزعمون أنهم يلقّونه بالنار! وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش، وليس كذلك، وإنما يحدث ذلك بالشمس، ولقد رأيتُ بمدينة قالقوت يصبّ للكيل كالذرة ببلادنا

وأول مدينة دخلناها من بلاد الملبيار مدينة أبي سرور⁽⁹⁶⁾، بفتح السين، وهي صغيرة على خور كبير كثيرة أشجار النارجيل، وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة المعروف بأبي ستة أحد الكرماء، أنفق أمواله على الفقراء والمساكين حتى نفدت.

78/4

وبعد يومين منها وصلنا إلى مدينة فاكنور⁽⁹⁷⁾، وضبط اسمها بفتح الفاء والكاف والنون وآخره راء، مدينة كبيرة على خور، بها قصب السكر الكثير الطيب الذي لا مثّل له بتلك البلاد، وبها جماعة من المسلمين يُسمّى كبيرهم بحسين السلاط، وبها قاضٍ وخطيب، وعمرُ بها حسين المذكور مسجداً لأقامة الجمعة.

ذكر سلطانها

وسلطان فاكنور كافر اسمه باسنو⁽⁹⁸⁾، بفتح الباء الموحدة والسين المهملة والدال المهملة وسكون الواو، وله نحو ثلاثين مركباً حربية، قانداها مسلم يسمى لولا، وكان من المفسدين يقطع بالبحر ويسلب التجار، ولما أرسينا على فاكنور بعث سلطانها إلينا ولده فاقام بالمركب كالرهينة، ونزلنا إليه فاضافنا ثلاثاً بأحسن ضيافة تعظيماً لسلطان الهند وقياماً بحقه ورغبة فيما يستفيد في التجارة مع أهل مراكبنا

79/4

ومن عادتهم هنالك أن كل مركب يمر ببلد فلا بد من إرسائه بها وإعطائه هدية لصاحب البلد يسمونها حق البندر، ومن لم يفعل ذلك خرجوا في اتباعه بمراكبهم وأدخلوه المرسى قهراً وضاعفوا عليه المغرم، ومنعوه عن السفر ما شاعوا

(95) حار المعلقون في البحث عن معنى أبي قنيّة والكلمة معروفة في شمال المغرب الذي ينتسب إليه ابن بطوطة وهو نبات يكثر في المناطق الجبلية يستعمل حبه لعدة أغراض على ماقلناه في المقدمة.

(96) مدينة أبي سرور (BARCELORE) التي تنتج الأرز حسب باربوزا، BARBOSA وقد أنشأ الهولنديون هنا فيما بعد وكالة تجارية ولا وجود للمدينة اليوم

(97) فاكنور هي (BACCANORE) القرية التي تحمل حالياً اسم (BARKUR)

(98) كانت المنطقة في ذلك العهد محكومة من لدن دولة آل ألويا (ALUPA) خليفة هاوولا (HOYSALA) سالفة الذكر، كان السلطان هو كولا سيخارا ألوياندر -دوقا الثاني- (Kulasekhar Alupendra Deva Hoysala) حوالى سنة 1335 - 1354 صاهر هاوولا فيرابالا الثالث - Hoysala Vira Ballala III - هناك نقشٌ بتاريخ 748 = 1345 يثبت حكمه في باراكورو (BARAKUR)

وسافرنا منها فوصلنا بعد ثلاثة أيام إلى مدينة منجُور (99)، وضبط اسمها بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء، وواو وراء ثانية، مدينة كبيرة على خور يسمى خور الذئب، بضم الدال المهمل وسكون النون وياء موحدة، وهو أكبر خور (100) ببلاد الملتيار وبهذه المدينة ينزل معظم تجار فارس واليمن، والفلفل والزنجبيل بها كثير جداً

ذكر سلطانها

وهو من أكبر سلاطين تلك البلاد، واسمه رام نو (101) بفتح الراء والميم والدال المهمل وسكون الواو، وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ريضاً بناحية المدينة، وبما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصلح السلطان بينهم لحاجته إلى التجار، وبها قاض من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب يسمى بدر الدين المغبري وهو يقرئ العلم صعد إلينا إلى المركب ورغب في النزول إلى بلده، فقلنا حتى يبعث السلطان ولده يقيم بالمركب، فقال : إنما فعل ذلك سلطان فأكنور لانه لا قوة للمسلمين في بلده، وأما نحن فالسلطان يخافنا فأبينا عليه إلا إن يبعث السلطان ولده، فبعث ولده كما فعل الآخر، ونزلنا إليهم وأكرمونا إكراماً عظيماً وأقمنا عندهم ثلاثة أيام.

81/4

ثم سافرنا إلى مدينة هيلي (102)، فوصلنا بعد يومين، وضبط اسمها بهاء مكسورة وياء مد ولام مكسورة، وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب الكبار، وإلى هذه المدينة تنتهي مراكب الصين ولا تدخل إلا مرساها ومرسى كؤل، وقالقوط.

(99) منجُور هي (MANGALORE) جنوب كانارا (Kannara) وشمال جبل دلي Delli. وقد ورد ذكرها عند وارثيما (Warthema) عندما قال إنه يوسق منها سنوياً 60 سفينة من الأرز. وقد نص ابن بطوطة على أنها كانت ملتقى تجارياً دولياً كما نرى.

(100) رام نو (Ram Deo) من المعروف أن منجور أو منكالور كانت جزءاً كذلك من ممتلكات آل (ALUPA)، وكانت في أغلب الأحيان عاصمة لفرع من الدولة، ولكنه لا يعرف في تلك الفترة أي شخص كان يحكم في هذه المدينة.

(102) تحدث عدد من المؤلفين عن هيلي (ELI) ويروي ماركو بولو عن الفلفل الأسود (الأبرار) الذي ينبت بها بكثرة وكذا الزنجبيل (GINGEMBRÉ)، كما تحدث عنها نيكولو كونتي N. Conti في القرن 15 أما باربوزا فلم يتحدث في بداية القرن 16 إلا عن جبل إيلي (DELY) ... وأن وصف ابن بطوطة المتعلق بالخور العظيم يمكن من تحديد المكان في مادايي (Madaiy) الواقعة بالخور العظيم حالياً على بعد ثمانية أميال جنوب جبل ديلي (DELY) - P. 364, Note 14, (DELY) Gibb - Ibn Batuta in Asia and Africa

ومدينة هيلي معظمه عند المسلمين والكفار بسبب مسجدھا الجامع، فإنه عظیم البركة مشرق النور (103)، وركاب البحر يندرون له النذور الكثيرة، وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين، وحسن الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد، وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولإطعام الفقراء من المسلمين بها.

ولقيت بهذا المسجد فقيهاً صالحاً من أهل مقدشو (104) يسمى سعيداً، حسن اللقاء والخلق يسرد الصوم، وذكر لي أنه جاور بمكة أربع عشرة سنة ومثلها بالمدينة وأدرك الأمير بمكة أبا نُمى (105)، والأمير بالمدينة منصور بن جمّاز وسافر في بلاد الهند والصين.

ثم سافرنا من هيلي إلى مدينة جُرفُتن (106)، وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الغاء وفتح التاء المعلو وتشديدها وأخره نون، وبينها وبين هيلي ثلاثة فراسخ، ولقيت بها فقيها من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصري (107) نسبة إلى بلدة على مسافة عشرة أميال من بغداد في طريق الكوفة، واسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب، وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال له أولاد صغار أوصى إليه بهم، وتركته أخذاً في حملهم إلى بغداد.

(103) يرجع أصل دول المعبر إلى جد واحد شيرومان بيرومال (Cheruman Perumal) الذي اعتنق الاسلام... ثم قام بأداء مناسك الحج حيث أدركه أجله في مكة، وقبل وفاته بعث برسول من الغز هو دينار مالك ت 1195=591 ليحمل المواطنين على إعتناق الإسلام. فزار دينار الجزر الكبرى لبلاد المعبر وقام رحمه الله - ببناء عدد من المساجد كان منها مسجد مداي (MADAYI) أحد المساجد الثلاثة المعروفة هناك، هذا المسجد الذي يحمل دائماً كتاريخ البناء عام 518=1124 ويتفق في أغلب الظن مع المسجد الذي ذكره ابن بطوطة. هذا ونذكر هنا أن القصد إلى دينار ملك وليس إلى مالك ابن دينار كما ورد عند الشيخ أحمد زين الدين المعبري الملباري المتوفى بعد 991 = في تاليف تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تقديم وتحقيق وتعليق محمد سعيد الطريحي، ص 226-228 دائرة المعارف الاسلامية مادة دينار مالك. د. التازي رسالة إلى محمد سعيد الطريحي مجلة (الموسم) العدد 369 - أكاديمية الكوفة - هولندا.

(104) حول مقدشو - ج II 180-191

(105) حول أبي نُمى، انظر ج I 360.

(106) لعل القصد بجُرفُتن إلى كانور CANNANORE التي يقول عنها وارثيما (WARTHIMA) في بداية القرن السادس عشر إنه بمينائها يتم انزال الخيول التي يؤتى بها من بلاد فارس. انظر الخريطة وانظر ما نقله BICKINGHAM عن يول ومزيك وكيب ج IV 810 تعليق 36

(107) أول المراحل من بغداد نهر صرصر، وعليه مدينة صرصر، تجري فيه السفن، وبين مدينة صرصر وبغداد تسعة أميال، وهي مدينة عامرة. ولها جسر من مراكب يعبر الناس عليه - الادريسي نزهة المشتاق، طبعة نابولي، ج 6، ص 668 أما صرصر المغرب فهو جبل انظر كتاب (المشترك وضماً والمفترق صقلاً) لياقوت الحموي (ت 626) ص 282 (De Wustefeld)

وعادة اهل الهند كعادة السودان لا يتعرضون لمال الميت ولو ترك الألاف، وإنما يبقى ماله بيد كبير المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعاً.

ذكر سلطانها

وهو يسمى بَكْوِيل (108)، بضم الكاف، على لفظ التصغير وهو من أكبر سلاطين المُلبَّار، وله مراكب كثيرة تسافر إلى عُمان وفارس واليمن، ومن بلاده دُهْ فَتْنٌ وبُدْ فَتْنٌ ويسنذكرهما.

وسرنا من جُرْفَتْن إلى مدينة دُهْ فَتْن (109)، بفتح الدال المهمل وسكون الهاء، وقد ذكرنا ضبط فَتْن، وهي مدينة كبيرة على خور كثيرة البساتين، وبها النارجيل والفلل والفوفل والتنبول، وبها القلقاص (110) الكثير، ويطيخون به اللحم، وأماً الموز فلم أر في البلاد أكثر منه بها ولا أرخص ثمناً

وفيها الباي (111) الأعظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالحجارة الحمر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة من الحجر، في كل قبة أربع مجالس من الحجر، وكل قبة يصعد إليها على درج حجارة، وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات في كل طبقة أربع مجالس.

ونذكر لي أن والد هذا السلطان كُوِيل هو الذي عمر هذا الباي، وبازانه مسجد جامع للمسلمين وله أدراج ينزل منها إليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون، وحدثني الفقيه حسين أن

(108) هذه المملكة الأولى للمُلبَّار التي تمتد من الشمال والتي هي نفس هيلي عند ماركو بولو وهي بالذات مملكة آل كولاتري (KOLATRI) إحدى العائلات القوية في الساحل، وبما أننا لا نتوفر على لائحة للملوك الذين تعاقبوا على الحكم هناك فإننا لا نستطيع أن نعرف على اسم السلطان الذي كان يحكم أثناء مرور ابن بطوطة. هذا وتذكر مرة أخرى بأن اللقب الذي كان يعرف به الحاكمون لبلاد المعبر هو لقب السامري (Le Samari).

(109) هذه المدينة عرفت بـ فالاربا طانام (VALARPATTANAM) التي توجد، مع ذلك، على بُعد خمسة أميال شمال كاتاتور على الساحل الجنوبي للوادي الذي يحمل نفس الاسم.

(110) القلقاص ويرسمه ابن البيطار بالسين في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية أروم كولوكازيا (ARUM COLOCASIA) نبات تستعمل أوراقه اللينة كخضرة في الطعام.

(111) الباي (أو WAHN) يعني الصهريج وقد ورد في ترجمة الامبراطور بابور (BABUR) في القرن الخامس عشر بقلمه - بنيت بنرا واسعا مُغطى، مقياسه عشرة على عشرة بدرج في داخله، معروف تحت اسم واين (WA'IN).

الذي عمر المسجد والباين أيضا هو أحد أجداد كُوَيل وأنه كان مسلما (112) وإسلامه خبر عجيب، نذكره.

ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بإزاء الجامع

ورأيت إزاء الجامع شجرة خضراء ناعمة تشبه أوراقها أوراق التين إلا أنها لينة وعليها حانط يطيف بها، وعندها محراب صليت فيه ركعتين، واسم هذه الشجرة عندهم دُرُخْت الشهادة، ودُرُخْت بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلقة، وأخبرت هنالك أنه إذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد أن يستحيل لونها إلى الصفرة، ثم إلى الحمرة ويكون فيها مكتوبا بقلم القدرة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات أنهم عابنوا هذه الورقة، وقرأوا المكتوب الذي فيها، وأخبرني أنه إذا كانت أيام سقوطها قعد تحتها الثقات من المسلمين والكفار، فإذا سقطت أخذ المسلمون نصفها، وجعل نصفها في خزانة السلطان الكافر، وهم يستشفون بها للمرضى.

86/4

وهذه (113) الشجرة كانت سبب إسلام جد كُوَيل الذي عمّر المسجد والباين فإنه كان يقرأ الخط العربي فلما قرأها، وفهم ما فيها أسلم وحسن إسلامه، وحكايته عندهم متواترة. وحدثني الفقيه حسين أن أحد أولاده كفر بعد أبيه وطغى وأمر باقتلاع الشجرة من أصلها فاقتلعت ولم يترك لها أثر، ثم إنها نبتت بعد ذلك وعادت كنحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سريعا.

87/4

ثم سافرنا إلى مدينة بُد قُتْن (114)، وهي مدينة كبيرة على خور كبير وبخارجها مسجد بمقربة من البحر يأوي إليه غرباء المسلمين لأنه لا مسلم بهذه المدينة، ومرساها من

(112) بتعلق الأمر، على ما يظهر بأحد المساجد التي بناها دينار مالك والذي يوجد إلى الآن انظر تاليف الشيخ أحمد ابن زين الدين المعبري المليباري المتوفى بعد سنة 991 هـ تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، سالف الذكر

(113) تتحدث (مالاباركازيتير MALABAR GAZETTEER) عن حالات علاج بالسحر بواسطة نقوش رسمت على أوراق التنبول، وهناك أسطورة تتعلق بشجرة ذات كرامات توجد في جبل دبلي (DULLEY) سالف الذكر والأسطورة ظلت تتردد إلى أواخر القرن التاسع عشر.

(114) بُد قُتْن هي دارماباطنام (DARMAPATTANAM) (مكان الرحمة) الموجودة على جزيرة كونها إلتقاء مجاري نهر تيليشيري (TELLICHERRY) ونهر أنجراكاندي (ANJIRAKANDI)، شمال مدينة تيليشيري (TELLICHERRY)، وحسب ما ورد في أقوال ابن بطوطة فإن هذه المدينة يظهر أنها أيضا كانت ملكا في تلك الفترة لال كولاثيري (KOLLATHIRI) بيد أن أضراف البلاد كانت تكون مملكة كوطايام (KOTTAYAM) التي سيصبح لها فيما بعد منفذ على البحر عن طريق هذه المدينة دارماباطام (DARMAPATTAM) المسجد المتحدث عنه لا شك وأنه كذلك من المساجد التي بناها دينار مالك، ولكنه لا يوجد له أثر الآن. يراجع التعليق 103

أحسن المراسي وماؤها عذب، والفوفل بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معظمون عند الكفار مُبغضون في المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم.

حكاية [مسجد بُدْفَتْن]

88/4

أخبرت أن سبب تركهم هذا المسجد غير مهذوم أن أحد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفا لبيته فاشتعلت النار في بيته فاحترق هو وأولاده ومناعه فاحترموا هذا المسجد ولم يعرضوا له بسوء بعدها وخدّموه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد، وجعلوا على بابه شبكة لنلا يدخله الطير.

ثم سافرنا من المدينة بُدْفَتْن إلى مدينة قُنْدُرِيْنَا (115)، وضبط اسمها بفاء مفتوح ونون ساكن ودال مهمل وراء مفتوحين وياء آخر الحروف، مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأسواق، وبها للمسلمين ثلاث محلات، في كل محلة مسجد، والجامع بها على الساحل وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر، وقاضيه وخطيبها رجلٌ من أهل عُمان وله أخ فاضل، وبهذه البلدة تشنّو مراكب الصين.

ثم سافرنا منها إلى مدينة قَالِقُوط (116)، وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم

(115) قُنْدُرِيْنَا هي (Pantalayini) بانطالاييني الحالية وهي لافلاندرينا La Flandrina التي زارها أودريك دُوبُورْدُونُون في نفس الفترة التي زارها ابن بطوطة، هذا ويلاحظ أن ابن بطوطة قام ابتداءً من دار ماياطانام بطفرة تخطى فيها 40 كم. مكنته من أن يتجاوز مملكتين : مملكة إيروقاليناد (Iruvalnad)، بين تيليشيري (Tellichery) وما هي (Mahé) حيث ستتشا الوكالة التجارية الفرنسية فيما بعد، ومملكة كاناڠاناد Kadattanad بين أودية ماهي (MAHE) وكوڤا (Kotta) حيث كان المركز هو باداكارا (BADAGARA). بيد أنه لا يعرف تاريخ ميلاد هاتين المملكتين اللتين ظلتا خاضعتين لـ كولأثيري (Kollatiri) يمكن أن يكون ذلك ثم بعد مرور ابن بطوطة، بانطالاييني مقر المملكة القديمة پاياناد (Payanad)، كانت جزءاً من هذه الفترة تابعة لممتلكات السامريين (Les Zamorins) حكام قَالِقُوط. المسجد الرئيسي هو من مؤسسات دينار مالك وليس مالك بن دينار. انظر دائرة المعارف الإسلامية دينار مالك وانظر التعليق السابق رقم 103-112-114

(116) قَالِقُوط يعتبر ميناؤها أكثر أهمية في شمال المَلْيَبَار بين بانطالاييني (Pantalayini) وكُولَم. وهناك مملكتان أخريان تابعتان للسامري صاحب قَالِقُوط، يحتلان أطراف البلاد : بايُورَمالا (Payornala) وكُورُمَبَرَانَاد (Kurn M Branad). هذا وعن وصول البرتغاليين في حملتهم الثانية إلى كاليكوت التي كانت أهم موانئ المَلْيَبَار قال ابن ماجد

وجا لكا ليكوت خذ ذي الفائدة	لعمام تسعة وست زائدة
وباع فيها واشترى وحكما	والسامري برطلة وظلما
وصار فيها مبغض الاسلام	والناس في خوف وفي اهتمام
وانقطع المكي عن أرض السامري	وشد جردقون للمسافر
وهو الذي قد قهر المغاربة	واندلس في حكمه مناسب!!

ذ. التازي : ابن ماجد والبرتغال مجلة البحث العلمي العدد 36، 1406-1986.

القاف الثاني وآخره طاء مهمل، وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المَلَبَار، يقصدها أهل الصين والجاوة، وسيلان، والمهل، وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق. ومرساها من أعظم مراسي الدنيا (117).

ذكر سلطانها

وسلطانها كافر يعرف بالسَّامري (118) شيخ السنّ، يخلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم، رأيته بها، وسنذكره إن شاء الله، وأمير التجار بها إبراهيم شاه بَنَدَر (119) من أهل البحرين فاضل ذو مكارم يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطه، وقاضيها فخر الدين عثمان فاضل كريم، وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني، وله تعطى النَّذُور التي ينذر بها أهل الهند والصين للشيخ أبي إسحاق الكازروني (120)، نفع الله به، وبهذه المدينة الناخودة مثقال الشهير الإسم صاحب الأموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس، ولما وصلنا إلى هذه المدينة خرج إلينا إبراهيم شاه بندر، والقاضي والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب السلطان الكافر المسمّى بَقْلَاج، بضم القاف وآخره جيم، ومعهم الأطباء والانفار والأبواق والأعلام في مراكبهم، ودخلنا المرسى في بروز عظيم ما رأيت مثله بتلك البلاد، فكانت فرحةً تتبّعها فرحةٌ، وأقمنا بمرساها وبه يومئذ ثلاثة عشر من مراكب الصين، ونزلنا بالمدينة وجعل كل واحد منا في دار، وأقمنا ننتظر زمان السفر إلى

(117) ورد وصف وارثيما (Warthema) للمدينة بأن البحر يرتطم على منازلها، وأنه لا يوجد فيها ميناء، بيد أن هناك وادياً عند مدخل البحر..

(118) السَّامري ما يسميه البرتغاليون (Le Zamorin)، ربما كانت الكلمة آتية من أصل مالوي، Samutisi ملك البحر، لقب - كما أشرنا - يحمله السلاطين الأكثر أهمية في المليبار، الحكم كان يتعاقب فيما بين الأخوة، وتنتقل السلطة إلى أول ولد من الأخت الكبرى كما قلناه سابقاً (أنظر التعليق 92) هذا وأما السامري في القرآن الكريم (سورة طه 95-87/85) فالقصد إلى رجل ينتمي إلى السامرة أجدي قبائل بني إسرائيل من قوم موسى فتنّ قوم موسى أثناء غيبته وصنع لهم عجلاً تصدّر منه أصوات غريبة بفعل الرياح ودعاهم إلى عبادته فعبدهوا ولما رجع موسى كشف عن حيلته ونفاه. مجمع اللغة العربية (القاهرة) - معجم ألفاظ القرآن 1409=1489.

(119) شاه بندر يعني رئيس الميناء على نحو النواتية (Navaiyats) في كانارا (Kanara) (أنظر تعليق 86)، آل مابَيْلا (Mappila) - وهم مسلمون، وغالباً ما يكونون عرباً مولّدين من أصل هندي - هم الذين يهيمنون شعباً فشيئاً على القوة الاقتصادية في المليبار. عائلة علي رجا تبوات الحكم في كاننور Cannanore ابتداءً من القرن السادس عشر

(120) حول الكازروني - انظر ج 89 II

الصين ثلاثة أشهر ونحن في ضيافة الكافرا (121)، وبحر الصين لا يسافر فيه الا بمراكب الصين ولنذكر تربيبها

ذكر مراكب الصين

ومراكب الصين ثلاثة أصناف : الكبار منها تسمى الجنوك، واحدها جُنْكَ (122)، بجيم معقود مضموم ونون ساكن، والمتوسطة تسمى الرُّو (123)، بفتح الزاي وواو، والصغار تسمى أحدها الككم، (124)، بكافين مفتوحين، ويكون في المركب الكبير منها اثني عشر قلعاً فما دونها إلى ثلاثة، وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر، لا تحط أبداً ويديرونها بحسب دوران الرياح، وإذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الرياح

ويخدم في المركب منها ألف رجل منهم : البحرية ستمائة ومنهم أربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة وأصحاب الذُّرْق والجُرْخِية وهم الذين يرمون بالنفط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفى والثلاثى والربعى، ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الرُّيتون من الصين، أو بصين كلان، وهي صين الصين (125)، وكيفية إنشائها أنهم يصنعون حانطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جداً موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام، طول المسمار منها ثلاث أذرع فإذا النام الحانطان بهذا الخشب صنعوا على أعلاهما فرش المركب الأسفل ودفعوهما في البحر، واتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحانطان موالية للماء، ينزلون إليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم.

وعلى جوانب تلك الخشب تكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلاً ويجذفون وقوفاً على أقدامهم ويجعلون للمراكب أربعة ظهور،

(121) كان على ابن بطوطة أن يصل إلى قالقوط حوالي أوائل جمادى الثانية 742 منتصف نونبر 1341، وقد بقي في قالقوط إذن إلى منتصف يبرابر 1342 يعني إلى بداية شهر رمضان من عام 742 هذا وينبغي أن نقف قليلاً مع الحكمة التي ردها ابن بطوطة والتي تجري مجرى المثل بحر الصين لا يسافر فيه الا بمراكب الصين

(122) جُنْكَ (JONQUE) أصل الكلمة من اللغة الجاوية جُونْكَ Djonk

(123) الرُّو من المحتمل أن تكون الكلمة من أصل صيني (SAO) أو (TSAO) وهي زاو (DHAO) الحالية، أو (DHOA) التي تستعمل ابتداءً من عدن إلى ماليزيا، عبارة عن سفينة لها صاريان وشرعان مثثان في الشكل

(124) الككم الكلمة من أصل صيني هواهانك Hoq Hang ويقترح يول أن يكون ككم تحريفاً لكلمة ايطالية قديمة كوكّا Cucca هذا وكلمة النفط من أصل فارسي، مادة قارية زفتية

(125) صين كلان أو صين الصين Guangzhou (كانطون) على ماسنرى وقد زرتها عام 1988 (256,IV)

ت (36) انظر ملحق المراسلات

ويكون فيه البيوت والمصاري (126) والغرف للتجار، والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس، وعليها المفتاح يسدها صاحبها، ويحمل معه الجواري والنساء، وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا إذا وصلا إلى بعض البلاد، والبحرية يسكنون فيها أولادهم، ويزدرون الخضر والبقول والزنجبيل في أحواض خشب

ووكيل المركب كانه أمير كبير، وإذا نزل إلى البر مشيت الرماة والحيشة بالحرايب والسيوف والأطبال والأبواق والأنفار أمامه، وإذا وصل إلى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم عن جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة إقامته.

94/4

ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاءه إلى البلاد، وليس في الدنيا أكثر أموالاً من أهل الصين

ذكر أخذنا في السفر إلى الصين ومنتهى ذلك.

ولما حان وقت السفر إلى الصين جهز لنا السلطان السامري جنكاً من الجنوك الثلاث عشرة التي بمرسى قالقوت، وكان وكيل الجنك يسمى بسليمان الصفدي الشامي، وبينه معرفة، فقلت له: أريد مصرية لا يشاركني فيها أحد لأجل الجواري، ومن عادتني أن لا أسافر إلا بهن، فقال لي: إن تجار الصين قد أكثروا المصاري ذاهبين وراجعين، ولصهري مصرية أعطيكها لكنها لا سنداس فيها، وعسى أن تمكن معاوضتها، فأمرت أصحابي فأوسقوا ما عندي من المتاع، وصعد العبيد والجواري إلى الجنك، وذلك في يوم الخميس، وأقمت لأصلي الجمعة وألحق بهم، وصعد الملك سنبل وظهر الدين مع الهدية، ثم إن فتى لي يسمى بهلال أتاني غدوة الجمعة، فقال: إن المصرية التي أخذنا بالجنك ضيقة لا تصلح، فذكرت ذلك للنأخودة فقال: ليست في ذلك حيلة، فإن أحببت أن تكون في الككم ففقه المصاري على اختيارك، فقلت: نعم، وأمرت أصحابي فنقلوا الجواري والمتاع إلى الككم واستقروا به قبل صلاة الجمعة.

95/4

وعادة هذا البحر أن يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر فلا يستطيع أحد ركوبه، وكانت الجنوك قد سافرت ولم يبق منها إلا الذي فيه الهدية وجنك عزم أصحابه على أن يشتوا بفنڈرینا، والككم المذكور، فبنتنا ليلة السبت على الساحل لا نستطيع الصعود إلى الككم ولا

96/4

(126) المصاري جمع مصرية، وهي في الاصطلاح المغربي دُوبرة صغيرة تكون ملحقة بالذار الكبرى، والككم نسبة إلى مصر لأن تصميمها الأول أخذه صاحبه، على ما يظهر، عن مصر على نحو الصقلية في المغرب التي يأتي اسمها من الصقلية الذين كانوا يسكنون بها. السنداس في الاصطلاح المغربي يعني المرحاض وما أشبهه. د. سليم النعيمي. ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، مجلة المجمع العلمي العراقي 1974

يستطيع من فيه النزول إلينا، ولم يكن بقي معي إلا بساط أفرشته، وأصبح الجُكّ والككم يوم السبت على بعد من المرسى، ورمى البحر بالجُكّ الذي كان أهله يريدون قنّدينا فتكسر، ومات بعض أهله وسلم بعضهم.

وكانت فيه جارية لبعض التجار عزيزة عليه فرغب في إعطاء عشرة دنانير ذهباً لمن يخرجها وكانت قد التزمت خشبة في مؤخر الجُكّ فانتدب لذلك بعض البحرية الهُرْمُزِين فأخرجها، وأبى أن يأخذ الدنانير، وقال: إنما فعلت ذلك لله تعالى، ولما كان الليل رمى البحر بالجُكّ الذي كانت فيه الهدية فمات جميع من فيه! ونظرنا عند الصباح إلى مصارعهم، ورأيت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه، والملك سنبل قد ضربه مسماراً في أحد صدغيه ونفذ من الآخر، وصلينا عليهما ودفنّاهما!!

ورأيت (127) الكافر سلطان قالقوط، وفي وسطه شقة بيضاء كبيرة قد لفّها من سرّته إلى ركبته، وفي رأسه عمامة صغيرة وهو حافي القدمين، والشطر بيد غلام فوق رأسه، والنار توقد بين يديه في الساحل، وزبانيته يضربون الناس لئلا ينتهبوا ما يرمي البحر.

وعادة بلاد المُلِّيَّار أن كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للمخزن إلا في هذا البلد خاصةً فإن ذلك يأخذه أربابه ولذلك عمرت وكثر تردد الناس إليها (128)، ولما رأى أهل الككم ما حدث على الجُكّ رفعوا قلعهم وذهبوا ومعهم جميع متاعي وغلماي وجواري، وبقيت منفرداً على الساحل ليس معي إلا فتى كنت اعتقته، فلما رأى ما حلّ بي ذهب عني! ولم يبق عندي إلا العشرة الدنانير التي أعطانيها الجُوكي، والبساط الذي كنت أفرشته، وأخبرني الناس أن ذلك الككم لا بد له أن يدخل مرسى كولم فعزمت على السفر إليها وبينهما مسيرة عشر في البر أو في النهر أيضاً لمن أراد ذلك، فسافرت في النهر واكترت رجلاً من المسلمين يحمل لي البساط.

وعادتهم إذا سافروا في ذلك النهر أن ينزلوا بالعشى فيبيتوا بالقرى التي على حافته، ثم يعودوا إلى المركب بالغدو فكنا نفعل ذلك، ولم يكن بالمركب مسلم إلا الذي اكتريته، وكان يشرب الخمر عند الكفار إذا نزلنا ويعربد عليّ فيزيد تغيراً خاطري! ووصلنا

(127) ينبغي أن نقف قليلاً مع هذه المحنة التي اعترضت طريق ابن بطوطة وهو في بداية مهمته الدبلوماسية حيث نراه يشاهد زميله ورفيقه في المهمة - ظهير الدين - وقد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك سنبل يضربه مسمار يدخل من أحد صدغيه ليخرج من الجهة الأخرى، إنه طالع نحس لا يبشر بالخير!!

(128) يشير ابن بطوطة هنا إلى قاعدة أو مبدأ فقهي دولي نص عليه فقهاؤنا في مصنفاتهم، ويتعلق الأمر بحماية تركة الأجانب المتوفى والطريف في استنتاج ابن بطوطة أنه يرى في هذا التشريع ما يشجع الناس على قصد تلك البلاد للاستثمار فيها! التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 5 ص 235 تعليق 3

في اليوم الخامس من سفرنا إلى كُنْجِي كَري، وضبط اسمها بكاف مضموم ونون ساكن وجيم وياء مد وكاف مفتوح وراء مكسور وباء، وهي بأعلى جبل هناك يسكنها اليهود (29) ولهم أمير منهم ويؤدون الجزية لسلطان كولم

ذكر القرفة والبقم

وجميع الأشجار التي على هذا النهر أشجار القرفة (130) والبقم، وهي حطبهم هناك، ومنها كنا نقد النار لطبخ طعامنا في ذلك الطريق.

وفي اليوم العاشر وصلنا إلى مدينة كُولَم (131) وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وبينهما واو، وهي أحسن بلاد المليبار، وأسواقها حسان، وتجارها يعرفون بالصُّوليين (132) بضم الصاد، ولهم أموال عريضة، يشتري أحدهم المركب بما فيه ويوسقه من داره بالسلع، وبها من التجار المسلمين جماعة، كبيرهم علاء الدين الأوجي من أهل أوه، من بلاد العراق (133)، وهو رافضي ومعه أصحاب له على مذهبه، وهم يظهرون ذلك، وقاضيتها فاضل من أهل قزوين (134)، وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر، وله أخ فاضل كريم إسمه تقى الدين، والمسجد الجامع بها عجيب عمره التاجر خواجه مهذب (135)، وهذه المدينة أول ما يوالي الصين من بلاد المليبار، وإليها يسافر أكثرهم والمسلمون بها أعزة محترمون

100/4

(129) عن الجاليات اليهودية في كيرالا يراجع كتاب J.B. Segal : A History of The Jews of cochin, London 1993. حيث يقول الأستاذ سيغال . من المعقول أن تحدد مع قسم من الوادي الذي يحمل اسم

كانجيرا بوزها في شرق جزيرة شينمنكلام Chennamangalam حيث كان هناك اقدم استقرار لليهود (130) يتعلق الأمر بالقرفة البرية في بلاد المعبر وهي من نوعية أقل جودة من القرفة التي توجد في سيلان - والبقم - الشجر المعروف بشجر البرازيل (BRAZIL). فعلا هو شجر من أمريكا الوسطى يحتوي خشبه على مادة ملونة تستعمل في الصباغة. وقد تحدث عنه كذلك ماركو بولو.

(131) كُولَم هي التي تحمل عند الغرب اسم QUIHON . مدينة نعتت أيضا من لدن ماركو بولو على أنها مهمة، وكذلك عند قارثيما Varthema وباربوزا Babosa.

(132) الصُّوليين (CHulia) هو الاسم الذي أعطى سواء في سيلان أو في بلاد المعبر (المليبار) للمسلمين الشيعة ولا ندري أصل هذه التسمية وربما أعطيت للمسلمين بصفة عامة

(133) القصد إلى عراق العجم يعني فارس، هذا ويلاحظ أن معظم سكان المنطقة اليوم من أهل السنة.

(134) قزوين تقع شمال إيران وفي شالوس منها قضيت يوم 15 يونيو عام 1979. ويصادف ذكرى ميلادي

(135) الواقع التاريخي أن الذي عمر كولم بالمسجد هو دينار مالك. ويبدو أن التاجر خواجه انما قام ببعض أعمال ترميمية بالمسجد.

ذكر سلطاتها

وهو كافر يُعرف بالثيروزي (136)، يكسر التاء المعلولة وياء مد وراء وواو مفتوحين وراء مكسور وياء، وهو يعظم المسلمين وله أحكام شديدة على السراق والأغار.

101/4

حكاية [العراقي القتل]

ومما شاهدت بكولم أن بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم، وفر إلى دار الأوجي، وكان له مال كثير وأراد المسلمون دفن المقتول فمنعهم نواب السلطان من ذلك، وقالوا : لا يدفن حتى تدفعوا لنا قاتله فيقتل به، وتركوه في تابوته على باب الأوجي حتى اثنى وتغير فمكتهم الأوجي من القاتل، ورغب منهم أن يعطيهم أمواله ويتركوه حيا فأبوا ذلك وقتلوه وحينئذ دفن المقتول .

102/4

حكاية [رجل قتل بحبة عنب]

أخبرت أن سلطان كولم ركب يوماً إلى خارجها وكان طريقه فيما بين البساتين، ومعه صهره زوج بنته، وهو من أبناء الملوك، فآخذ حبة واحدة من العنب سقطت من بعض البساتين وكان السلطان ينظر إليه فأمر به عند ذلك فوسط وقسم نصفين وعلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر عن يساره وقسمت حبة العنب نصفين فوضع على كل نصف منه نصف منها وترك هنالك عبرة للناظرين (137) !!

حكاية [قتل مغتصب سيفاً]

ومما اتفق نحو ذلك بقالقوط أن ابن أخي النائب عن سلطاتها غصب سيفاً لبعض تجار المسلمين فشكا بذلك إلى عمه فوعده بالنظر في أمره، وقعد على باب داره، فإذا بابن أخيه متقلد ذلك السيف، فدعاه، فقال : هذا سيف المسلم؟ قال : نعم ! قال : اشتريته منه ؟ قال : لا ؟ فقال لأعوانه : أمسكوه، ثم أمر به فضربت عنقه بذلك السيف !

103/4

(136) على نحو ما أشرنا إليه في التعليق 131 فإن كولم Qulon كانت منذ القدم كانت مركزاً تجارياً هاماً لبضائع الصين، وقد ورد ذكرها عند التجار العرب والفرس كذلك منذ القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي تحت اسم كُولم مَلّاي، ولم تلبث أن انهارت كمنافستها قالقوط في القرن السادس عشر. هذا ويرى يول Yule أن الاسم الذي أورده ابن بطوطة لسلطان كولم - الثيروزي يمكن أن يكون من أصل تاميل سنسكريتي (Tiru - pati) بمعنى السيد المقدس Yule : Cathay IV, P. 40 - Holy Land (137) تعتبر السرقة في بلاد الملبيار من الكبائر بعد قتل البrahمة وبعد تناول الخمر.

وأقمتُ بكولم مدةً بزاوية الشيخ فخر الدين ابن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ زاوية قالقوط، فلم أتعرف للككم خبراً، وفي اثنا -مقامي بها دخل اليها أرسال ملك الصين الذين كانوا معنا، وكانوا ركبوا في أحد تلك الجتوك فانكسر أيضاً فكساهم تجار الصين وعادوا إلى بلادهم ولقيتهم بها بعد

104/4

وارادت أن أعود من كولم إلى السلطان لأعلمه بما اتفق على الهدية (138) ثم خفت أن يتعقب فعلي، ويقول: لم فارقت الهدية؟ فعزمت على العودة إلى السلطان جمال الدين الهنوزي وأقيم عنده حتى أتعرف خبر الككم، فعدت إلى قالقوط ووجدت بها بعض مراكب السلطان، فبعث فيها أميراً من العرب يُعرف بالسيد أبي الحسن وهو من البرد دارية (139)، وهم خواص البوابين، بعثه السلطان بأموال يستجلب بها من قدر عليه من العرب من أرض هُرمز والقطيف (140) لمحبه في العرب، فتوجهت إلى هذا الأمير ورأيت عازماً على أن يشتري بقالقوط، وحينئذ يسافر إلى بلاد العرب فشاورته في العودة إلى السلطان، فلم يوافق على ذلك! فسافرت في البحر من قالقوط، وذلك آخر فصل السفر فيه فكنا نسير نصف النهار الأول ثم نرسوا إلى الغد، ولقينا في طريقنا أربعة أجفان مخزونة فخفنا منها ثم لم يعرضوا لنا بشراً!

105/4

ووصلنا إلى مدينة هُرمز (141) فنزلت إلى السلطان وسلمت عليه فأنزلني بدار، ولم يكن لي خديم وطلب مني أن أصلي معه الصلوات، فكان أكثر جلوسي في مسجده، وكنت أختم القرآن كل يوم، ثم كنت أختم مرتين في اليوم، ابتدئ القراءة بعد صلاة الصبح فأختم عند الزوال وأجدد الوضوء وأبتدي القراءة فأختم الختمة الثانية عند الغروب، ولم أزل كذلك مدة ثلاثة أشهر واعتكفت منها أربعين (142) يوماً

142/4

(138) هذا من المواقف الغير المعنادة في حياة وسلوك ابن بطوطة، فقد عودنا على عدم التردد في اتخاذ القرار، وعلى الأخذ بالأحوط في الموضوع. وهكذا فقد كان عليه أن يبلغ الحقيقة في الوقت المناسب للسلطان الذي وضع فيه ثقته، وليكن ما يكون!

(139) البرد دارية أصل العبارة (PARDI-DAR)، الحاجب السلطاني 280 III

(140) يلاحظ أن ابن بطوطة لم يضبط القطيف على نحو ما عند باقوت في معجم البلدان بفتح القاف وقد مرّ بنا أنه ضبطها (247.II) بضم القاف

(141) كان على ابن بطوطة أن يصل - في اتجاه الشمال - إلى هُونُفَر (HONAVAR) حوالي أواسط شهر أبريل 1342 = ذي القعدة 742 حتى يبلغ مجموع أيام مقامه لدى هذا السلطان أحد عشر شهراً على ما يذكره جمال الدين محمد بن حسن - انظر التعليق (186)

(142) ملازمة المسجد والاعتكاف في مثل هذه الظروف تُترجم عن الوضع الدقيق الذي وجد ابن بطوطة نفسه فيه بعد مصرع رفاقه في السفارة وبعد تفريطه في الهدايا الملكية، وبعد أن نصحه الحاجب أن لا يعود لدملي!، وهكذا أخذنا نسمع عن إقطاعه بل وعن التعبير المشامل لمسلكه في الحياة. بعد أن لقته الحبرة ولم يعد يدري ماذا سيكون غده!

ذكر توجهنا إلى الغزو وفتح سندابور

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركباً سفريّة برسّم غزو سندابور، وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف، فكتب ولده إلى السلطان جمال الدين أن يتوجه لفتح سندابور ويُسليم الولد المذكور، ويروجه السلطان أخته (143)، فلما تجهزت المراكب ظهر لي أن أتوجه فيها إلى الجهاد ففتحت المصحف أنظر فيه فكان في أول الصفحة : يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره، فاستبشرت بذلك، وأتى السلطان إلى صلاة العصر، فقلت له : أريد السفر فقال : إذا تكون أميرهم، فأخبرته بما خرج لي في أول المصحف فأعجبه ذلك، وعزم على السفر بنفسه ولم يكن ظهر له ذلك قبل، فركب مركباً منها وأنا معه، وذلك في يوم السبت فوصلنا عشى الاثنين إلى سندابور، ودخلنا خورها فوجدنا أهلها مستعدين للحرب وقد نصبوا المجانيق، فبتنا عليها تلك الليلة.

107

فلما أصبح ضربت الطبول والانفار والأبواق وزحفت المراكب، ورموا عليها بالمجانيق، فلقد رأيت حجراً أصاب بعض الواقفين بمقربة من السلطان، ورمى أهل المراكب أنفسهم في الماء ويأيدهم الترس والسيوف، ونزل السلطان إلى العُكُرى، وهو شبه الشلّير (144)، ورميت بنفسي في الماء في جملة الناس، وكان عندنا طريدتان مفتوحتي المواخر، فيها الخيل، وهي بحيث يركب الفارس فرسه في جوفها ويتدرّع ويخرج ففعلوا ذلك، وأذن الله في فتحها وأنزل النصر على المسلمين، فدخلنا بالسيف ودخل معظم الكفار في قصر سلطانهم، فرمينا النار فيه فخرجوا وقبضنا عليهم، ثم إن السلطان أمّتهم ورد لهم نساءهم وأولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف وأسكنهم بربض المدينة وسكن السلطان القصر وأعطى الديار بمقربة منه لأهل دولته، وأعطاني جاريةً منهن تسمى لَمَكِي فسميتها مباركة (145)، وأراد زوجها فداها فأبیت وكساني فرجية مصرية وجدت في خزان الكافر، وأقامت عنده بسندابور من يوم فتحها وهو الثالث عشر لجمادى الأولى إلى منتصف شعبان (146)، وطلبت منه الإذن في السفر، فأخذ عليّ العهد في العودة إليه !

108

(143) حول سندابور حيث توجد جزيرة (كوا) راجع التعليق السابق رقم 79. يظهر أن خلافاً شَبَّ بين حاكم الجزيرة وبين ولده أدّى إلى استنجد هذا الأخير بالسلطان جمال الدين ضدّ والده، تلقاء أن يسلم الأمير الولد، وأن يتزوج بنت السلطان المسلم - الآية (ولينصرن الله من ينصره) السورة 22/ الآية (40). (144) يذكر دوزي في معجمه أن العكري نوع من السفن الشراعية الكبرى، ويذكر الشلّير على أنه نوع من الفلك.

(145) سمّاها كذلك طلباً للفال الحسن سيما ونحن نعرف عن وضعه الحرج بعد كل الذي تعرض له من محن وفتن.

(146) يعني منذ 15 أكتوبر 1342 إلى منتصف يناير 1343.

وسافرت في البحر إلى هنور ثم إلى فاكَنُور، ثم إلى مُنْجَرور ثم إلى هيلي ثم إلى جُرْفَتْن وِدَة فَتْن، وِد فَتْن وَفَتْدَرِينَا وَقَالْقُوط، وقد تقدم ذكر جميعها ثم إلى مدينة الشاليات، وهي بالشين المعجم والف ولام وياء آخر الحروف والف وطاء معلوة، مدينة من حسان المدن تصنع بها الثياب المنسوية لها (147)، وأقامت بها فطال مقامي فعدت إلى قالقُوط، ووصل إليها غلامان كانا لي بالكَم فأنخبراني أن الجارية التي كانت حاملاً وبسببها كان تغير خاطري توفيت، وأخذ صاحب الجاوة سائر الجواري واستولت الأيدي على المتاع وتفرق أصحابي إلى الصين والجاوة وبنجالة، فعدت لما تعرفت هذا إلى هنُور، ثم إلى سندابور فوصلتها في آخر المحرم وأقامت بها إلى ثاني من شهر ربيع الآخر

وقدم (148) سلطانها الكافر الذي دخلناها عليه برسم أخذها وهرب إليه الكفار كلهم، وكانت عساكر السلطان متفرقة في قرى فانقطعوا عنا، وحصرنا الكفار وضيّقوا علينا، ولما اشتد الحال خرجت عنها وتركتها محصورة (149)، وعدت إلى قالقُوط.

وعزمتُ على السفر إلى ذبية المهل وكنت أسمع بأخبارها فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقالقُوط وصلنا جزائر ذبية المهل، وذبية على لفظ مؤنث الذيب (150)، والمهل بفتح الميم والهاء، وهذه الجزائر إحدى عجائب الدنيا، وهي نحو ألفي جزيرة (151) ويكون منها مائة فما

(147) الشاليات CHALIYAM هي التي كان البرتغال يطلقون عليها شيليات Chiliate أو Chale، وتحمل اليوم اسم بيبُور (Bey pore) على بعد نحو سبعة أميال جنوب قالقُوط، وقد اشتهرت المدينة بمعاملها في النسيج المتنوع الأشكال، وما يزال اسم (الشال) معروفاً عند الناس، حتى في الغرب نسبة إلى المدينة المذكورة.

(148) يعني من 24 يونيو إلى 24 غشت 1343 - يلاحظ أن هذه التواريخ لا تتوافق مع معلوماته الآتية الذكر (164-165-166) التي تفيد أنه غادر مالديف بتاريخ 26 غشت 1344 = 15 ربيع الثاني 745.

(149) لو كان ابن بطوطة ثبت في موقفه وبقي صامداً لحضر نصراً جديداً للسلطان جمال الدين سلطان هونفر (Honavar) وحضر كذلك وفاة السلطان الأخير فيها ..

(150) ذبيت كلمة من أصل سنسكريتي : دُفِيْبَا (DVI PA) ومعناها جزيرة. ومهل هو إسمها، جزيرة مهل أعطت بالصياغة الأوروبية مهل جزيرة : أي مالديف وتقع جزر مالديف جنوب جزر لاكديف التابعة للهند... ويلاحظ أن هذه الإفادات من ابن بطوطة عن جزر مالديف تعتبر أصيلة وفريدة في بابها لم يتقدم عليه أحد فيها ومن هنا وجدنا أن المالديفين لا ينفكون يذكرون الرحالة المغربي بكل خير...

د. التازي : أقدم نقش في مالديف يتحدث عن المغرب - بحث قدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السابعة والخمسين (يبرابر 1991)

هذا وقد كانت أقدم ترجمة لهذا النص الخاص بالمالديف من رحلة ابن بطوطة هي التي قام بها البيروكراي (Albert Gray) معزراً بـ H.C.P. Bell في الملحق A لترجمتهما لحكاية فرانسوا بيراردو لافال البحار الفرنسي الذي حرّث مركبه هناك وأقام في مالديف من عام 1602 إلى 1607 وقد طبعت عام 1887-90 من طرف Hakluyt وقد قدم السيد C.H.B. Reynolds مساعدةً ثمينة إلى Bekmgham بعض في تعليقاته ..

(151) يتكون الأرخبيل من عشرين جزيرة مرجانية حلقية الشكل atolls ومن حوالي ألف ومائتي جزيرة Islands.

دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الأمنة، وإذا وصل المركب إلى أحدها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به إلى سائر الجزائر، وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التي بأحدها عند الخروج من الأخرى، فإن أخطأ المركب سمتها لم يمكنه دخولها وحملت الرياح إلى المغرارة سلالاً (152).

وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون، ذؤوا بآباء وصالح، وهي منقسمة إلى أقاليم، على كل إقليم وال يسمى الكرندي (Kardui)، ومن أهاليه إقليم بالبور (154)، وهو بباين معقودتين وكسر اللام وآخره راء، ومنها كنلوس (155)، بفتح الكاف والنون مع تشديدها وضم اللام وآخره راء، ومنها كنلوس (156)، بفتح الكاف والنون مع تشديدها وضم اللام وواو وسين مهملة، ومنها إقليم المهل (157)، وبه تعرف الجزائر كلها، وبها يسكن سلاطينها، ومنها إقليم تلاديب (158)، بفتح التاء المعلوة واللام والفاء وodal مهملة ويااء مد ويااء موحدة، ومنها إقليم كرايدو (159)، بفتح الكاف والراء وسكون اليااء المسفولة وضم الدال المهملة وواو، ومنها إقليم التيم (160)، بفتح التاء المعلوة وسكون اليااء المسفولة، ومنها إقليم تلدمتي (160)، بفتح التاء المعلوة الأولى واللام وضم الدال المهملة وفتح التيم وتشديدها وكسر التاء الأخرى ويااء

152) ساحل المغرارة جنوب الهند

(153) الكرندي (Kardui) وهو ما يوجد في محضومة الكندي، سماه ابن بطوطة فيما بعد الكرندي بدون اليااء الثانية، بيد أن كلا من الإسمين لا يصح أن يظهر به بخلاف الحقيقة، فإن الكلمة المالديفية هي كرا-فير (Kardui-ven) تعبير قديم يعادل اليوم التعبير العصري (تولو فيري (Atolu Veli) أو (Atoll Chief).

(154) الجزيرة المرجانية الحلقية الشكل بالبور (Palpaur) تقع بين الدرجة السادسة والخامسة من خطوط العرض وهي الجزيرة التي يحمل اسم (Laditoulou) عند (Francois Pyard De Laval) البحار الفرنسي سابق الذكر.

(155) عرفت بأنها جزيرة كينلوس (Kinulos) في الجزيرة المرجانية مالوسمادولو (Malosmadulu) داما بين الدرجة السادسة والسابعة عرب مادمولو (مالبور) ابن بطوطة.

(156) المهل (Male) تتكون جزيرتين مرجانيتين أحدهما تقع في الشمال بين الدرجة 5 و 4، وثانيتهما تقع في الجنوب على الدرجة الرابعة عاصمة سائر الأرخبيل وتسمى أيضاً مالي (Male) توجد على الجزيرة المرجانية الشمالية.

(157) تلاديب (Ladadib) يتعلق الأمر إما بجزيرة تلادو (Ladadu) في الجزيرة المرجانية الجنوبية لمالوسمادولو (Malosmadulu) أو بجزيرة تلاديب التي تقع كل من قسميها شمالاً وجنوباً في الخط الثالث من خطوط العرض.

(158) كرايدو (Kardui) القصد إلى الجزيرة الصغيرة المعروفة (Kardui) تقع على الخط الخامس.

(159) التيم القصد إلى (Orenu) في الخرائط القديمة وهي (Orenu) الحالية، جزيرة شمالية تابعة للجزيرة المرجانية تيلادو (Ladadib) بين الدرجة السابعة والدرجة السادسة من خطوط العرض.

(160) تلدمتي الجزيرة المرجانية (Ladadib) بين الخط السابع والسادس.

ومنها إقليم هَلْدُمَتِي (161)، وهو مثل لفظ الذي قبله إلا أن الهاء أوله، ومنها إقليم بَرِيْدُو (162)، بفتح الباء الموحدة والراء وسكون الباء وضم الدال المهمل وواو، ومنها إقليم كُنْدُكَل (163)، بفتح الكافين والدال المهمل وسكون النون، ومنها إقليم مَلُوك (164)، بضم الميم، ومنها إقليم السُّوَيْد (165) بالسین المهمل وهو أقصاها.

112/4

وهذه الجزائر كلها لا زرع بها إلا أن في إقليم السُّوَيْد منها زرعاً يشبه أُنْلي (166) ويجلب منه إلى المَهْل، وإنما أكل أهلها سَمَك يشبه البُيروُن (167)، يسمونه قَلْب الماس، بضم القاف، ولحمه أحمر، ولا زفر له، إنما ريحه كريح لحم الانعام، وإذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوها يسيراً ثم جعلوه في مكاتيل من سعف النخل وعلقوه للدخان فإذا استحکم يُيسه أكلوه (168) ويحمل منها إلى الهند والصين واليمن ويسمونه قَلْب الماس بضم القاف

113/4

نكر أشجارها

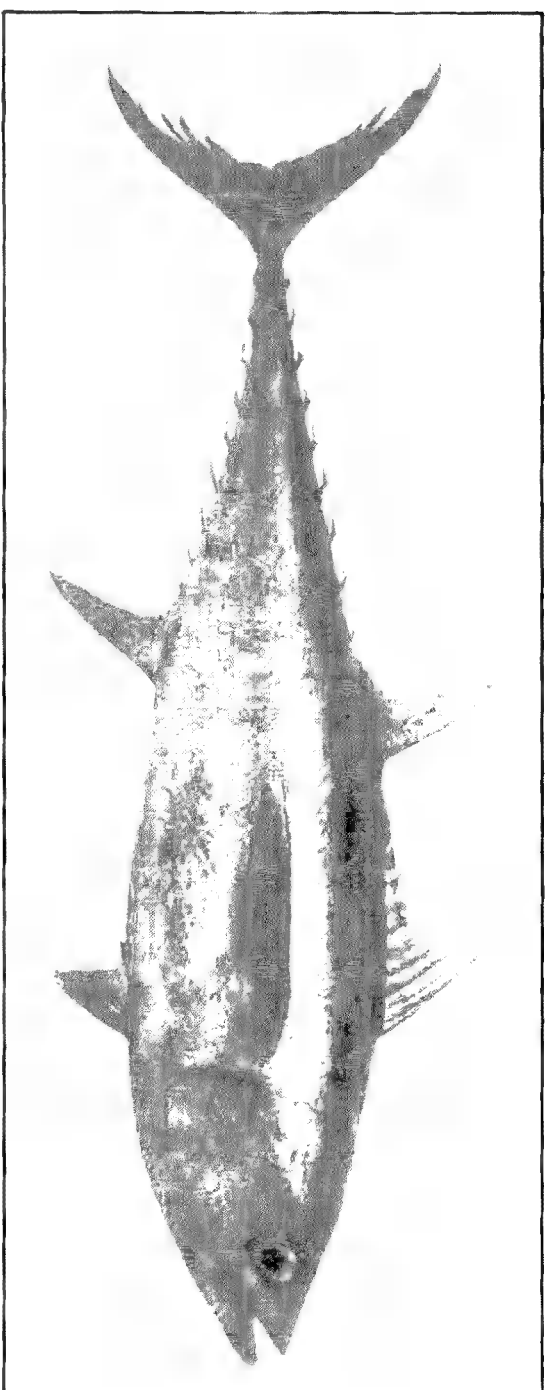
ومعظم أشجار هذه الجزائر الفَارَجِيل (169)، وهو من أقواتهم مع السمك، وقد تقدم ذكره، وأشجار الفارجيل شأنها عجيب وتثمر النخل منها اثني عشر عذقاً في السنة، يخرج في كل شهر عذق، فيكون بعضها صغيراً وبعضها كبيراً وبعضها يابساً وبعضها أخضر، هكذا أبداً ويصنعون منه الحليب والزيت والعسل حسبما ذكرنا في السفر الأول (170) ويصنعون من عسله الحلواء فيأكلونها مع الجوز اليابس منه، وكذلك أكله.

(161) هَدْمَتِي هي (Haddumati) وتقع على الدرجة الثانية - أنظر التعليق الآتي رقم 205
(162) بَرِيْدُو : Braidu كان هذا العلم أصعب الأعلام في مالديف لتحديده والتعريف به، ويمكن أن يكون فوليدو (Falidu) بين الخط الرابع والثالث.
(163) كُنْدُكَل هي التي تسمى (Kaindecolu) في الخرائط القديمة، وهي كيدكولو (Kedidolu) الحالية في الجزيرة المرجانية (Miladummadulu) التي توجد على الخط السادس.
(164) مَلُوك Mulaku تقع على الخط الثالث.

(165) السُوَيْد (Suwaid) أو (Suadiva) بين الدرجة الأولى وخط الاستواء.
(166) أُنْلي : كلمة بربرية تعني الحَب الذي يسمى بالفرنسية Millet . III - 314 - III 130
(167) البُيروُن كما في نسخنا المصححة، أصله أُبَيْرُون لفظ بربري يعني سمك التَن. قلب الماس أصل الكلمة مالديفي : Halu-Bili-Mas، معنى كَالو - أسود، ومعنى بيلي - التُون، ومعنى ماس : سمك، ويظل دائماً هذا النوع من السمك هو المنتج الأساسي لجزر مالديف، وقد أهديت إلينا نماذج منه عند زيارة الجمهورية بمناسبة عيدها الوطني مايو 1990. ويعتبر من أجود الأنواع التي تصدر للخارج
م. شفيق : المعجم العربي الأمازيغي - أكاديمية المغرب
Destaing : Vocabulaires Français Berbères - Paris 1935.

(168) من الطريف أن نعثّر عند بيرار Pyard على وصف دقيق لكيفية تصبير هذا النوع من السمك الذي يُفسي لونه بعد العملية أسود.

(169) الفَارَجِيل هو بالذات ما نسميه جوز الهند ... وهو في الأصل من جزر شيشيل (Seychelles).
(170) يراجع ج II ص 206 وما بعدها ... ومن غريب ما وقع فيه بيكيكام عند الترجمة أنه ترجم السفر بكسر السين على أنه سَفَر بفتحها حيث قال (in the first journey).



يظهر أن هذا النوع من الأسماك الذي شبيهه ابن بطوطة بما يعرف في المغرب بـأَبْرَايْرُون (ABRAIROUN) هو الذي يحمل
في منطقة الخليج اسم قباب الذي عرف في الإنجليزية تحت اسم Yellow fin Tuna
عن أسماك الخليج أعداد بوطرون للمعدات البحرية - أبو ظبي/ مع شكرنا للسيد أحمد ثاني الدوسري

وللسمك الذي يغتزون به قوة عجيبة في الباعة لا نظير لها، ولاهل هذه الجزائر عجب في ذلك، ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن فكنت أطوف على جميعهن كل يوم، وأبيت عند من تكون ليلتها، وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك (171).

114/4

ومن أشجارها الجمون (172) والأترج والليمون والقلقاص (173)، وهم يصنعون من أصوله دقيقاً يعملون منه شبه الإطرية، ويطبخونها بحليب النارجيل وهي من أطيب الطعام كنت أستحسنها كثيراً وأكلها

ذكر أهل هذه الجزائر، وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم

وأهل هذه الجزائر أهل صلاح وديانة وإيمان صحيح ونية صادقة، أكلهم حلال ودعائهم مجاب، وإذا رأى الإنسان أحدهم قال له: الله ربي، ومحمد نبي وأنا أمي مسكين، وأبدانهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة وسلاحهم الدعاء، ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها فغشى على جماعة منهم كانوا بالجلس، ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لأنهم جربوا أن من أخذ لهم شيئاً أصابته مصيبة عاجلة، وإذا أتت أجفان العدو إلى ناحيتهم أخذوا من وجدوا، من غيرهم، ولم يعرضوا لأحد منهم بسوء، وإن أخذ أحد الكفار ولو ليمونة عاقبة أمير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفاً من عاقبة ذلك ولولا هذا لكانوا أهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنياتهم.

115/4

وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة وأكثر عمارتهم بالخشب وهم أهل نظافة وتنزه عن الاقدار وأكثرهم يغتسلون مرتين في اليوم تنظفاً لشدة الحر بها وكثرة العرق، ويكثرون من الأدهان العطرية كالصندلية ويتلطفون بالغالية المجلوبة من مقدشو.

116/4

ومن عاداتهم أنهم إذا صلوا الصبح أتت كل امرأة إلى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد ودهن الغالية (174)، فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الغالية، فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه.

ولباسهم قُوط يشدون القوطة منها على أوساطهم عوض السراويل، ويجعلون على

(171) كلام ابن بطوطة واضح في أنه قضى في مالديف سنة ونصف السنة وقد ناقشه حول هذا المقام بعض الذين علقوا على الرحلة (انظر المقدمة)

(172) (EUGENIA JAMBOLANA) انظر 128 III 191 II

(173) يسمى (Hutaka- Fu) في جزر مالديف، وتعني كلمة (Fu) اللدقيق. انظر تعليق 110

(174) الغالية عطراً مركب من المسك ومن العنبر وهذه المادة كثيرة في الجزر

ظهرهم ثياب الوليان (175)، بكسر الواو وسكون اللام وباء آخر الحروف، وهي شبه الأحاريم، وبعضهم يجعل عمامة، وبعضهم منديلاً صغيراً عوضاً منها، وإذا لقي أحدهم القاضي أو الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضى معه كذلك حتى يصل إلى منزلة. ومن عواندهم أنه إذا تزوج الرجل منهم ومضى إلى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها إلى باب البيت، وجعل عليها عُرفات من الودع عن يمين طريقه إلى البيت وشماله، وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره فإذا وصل إليها رمت على رجله (176) ثوباً يأخذه خدامه، وإن كانت المرأة هي التي تأتي إلى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول إليه الثوب على رجله، وكذلك عاداتهم في السلام على السلطان عندهم، لا بد من ثوب يرمى عند ذلك، وسنذكر.

وبنياتهم بالخشب ويجعلون سطوح البيوت مرتفعة عن الأرض توقياً من الرطوبات لأن أرضهم ندية، وكيفية ذلك أن ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين أو ثلاثة ويجعلونها صفوفاً ويعرضون عليها خشب النارجيل، ثم يضعون الحيطان من الخشب (177) ولهم صناعة عجيبة في ذلك، ويبنون في أسطوان الدار بيتاً يسمونه المالم (178) بفتح اللام، يجلس الرجل به مع أصحابه ويكون له بابان أحدهما إلى جهة الاسطوان يدخل منه الناس والآخر إلى جهة الدار يدخل منه صاحبها، ويكون عند هذا البيت خابية مملوءة ماء، ولها مُسْتَقَى يسمونه الولنج (179)، بفتح الواو واللام وسكون النون وجيم، هو من قشر جوز النارجيل وله نصاب طوله ذراعان، وبه يسقون الماء من الآبار لقربها.

وجميعهم حفاة الأقدام من رفيع ووضيع، وأزقتهم مكنوسة نقية تظللها الأشجار

(175) الوليان، يرى گرای وبل أن الكلمة ربّما كان أصلها مالديفي Feliya وتعني صدرية وتلبس عند بعض المناسبات، وبالنسبة لكلمة الإحرام - انظر 18.1

(176) يتعلق الأمر بشكلين من الزواج يوجدان معا في سيلان القريبة من مالديف، وخاصة عند الجماعة السنهالية، (سيري لانكا) يحمل الشكلان اسم بينا Bina وديكا و (Diga) الزواج على طريقة (Bina) يتم عندما تكون الزوجة تمتلك داراً أو أراضى، الزوج يقصد بيئها الذي يصبح بيتاً للزوجين معاً، أما الزواج على طريقة (Diga) وهو الذي يكون فيه الزوج هو المالك للدار أو الأرض فإن الزوج يسمى كذلك سيد البيت وهذا يشبه التقاليد في جزر لأكاديف (انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (Laccadive) وهي تقع كما قدمنا شمال مالديف انظر التعليق 150 من هذا الفصل وانظر اصطيافان

(177) نفس المعلومات يرددها بيرار (Pyrard)

(178) هذه الكلمة (المالم) لم نهتد لتحديد معناها، هذا وتختص الحجرة الداخلية أو الخاصة باسم إيتيريجي (Belenge) والحجرة الخارجية أو العامة تحمل اسم بيرو - جي (Beru-gé).

(179) حول الولنج، نذكر أن هناك باللغة السنهالية كلمة (فالاندا (Valanda) بمعنى اثناء يصلح للطبخ، الجفن - أو القصعة المعرفة اليوم تحمل اسم ضونى Doni.

فالماشي بها كأنه في بستان، ومع ذلك لا بد لكل داخل إلى الدار أن يغسل رجليه بالماء الذي في الخابية، بالماء ويمسحها بحصير غليظ من اللب (180) يكون هنالك، ثم يدخل بيته، وكذلك يفعل كل داخل إلى المسجد.

119/4

ومن عواندهم إذا قدم عليهم مركب أن تخرج إليه الكنادر (181)، وهي القوارب الصغار، واحدها كُنْدَرَة، بضم الكاف والذال، وفيها أهل الجزيرة معهم التنبول، والكُرْتَبَة (182) وهي جوز النارجيل الأخضر فيعطي الإنسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ويكون نزله ويحمل أمتعته إلى داره كأنه بعض أقربائه، ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوج، فإذا حان سفره طلق المرأة لانهن لا يخرجن عن بلادهن ' ومن لم يتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده إذا سافر وترضى منه في مقابلته بأيسر شيء من الإحسان.

120/4

وفائدة المخزن ويسمونه البندر (183)، أن يشتري من كل سلعة بالمركب حظاً بسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوي ذلك أو أكثر منه ويسمونه : شرع البندر (184)، ويكون للبندر بيت في كل جزيرة من الخشب يسمى البَنْصَار (185)، بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون النون وفتح الصاد المهمل وآخره راء يجمع به الوالي وهو الكردي (186) جميع سلعه ويبيع بها ويشترى، وهم يشترون الفخار إذا جلب اليهم بالدجاج فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست.

وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذي ذكرناه، وجوز النارجيل والقوط والوليان

(180) اللب : مادة تتخذ من أوراق النخيل.

(181) الكنادر : جمع كُنْدَرَة باللغة السنسكريتية (Bhandara) بمعنى المخزن والمستودع وهي غير البندر بمعنى المرسى والميناء - المصادر البرتغالية تتحدث عن كنادر (Gundras) مالديف، والسنيهايون يسمون أيضاً السفن المالديفية باسم كُنْدَرَة.

(182) القصد إلى كوروا (KURUNBA) باللغة المالديفية، وكورومبا (Kurumba) باللغة السنهالية

(183) البندر يعني الميناء بلغة الفرس. وهناك كذلك بُهاندَارَه (Bhandara) بمعنى الخزينة باللغة السنسكريتية على ما تقدم في التعليق 181.

(184) بشرح بيرار (Pyarad) كيف يتصرف السلطان في البضائع التي تعرض على المسؤولين في الجزيرة، ويقع التراضي في البالغ المستحقة وشرع البندر يعني حق الديانة، وقد سمّاه قبل هذا (حق البندر) عندما تحدث عن سلطان فاكثور انظر IV، 78.

(185) يُدعى المستودع فاروجي (Varu-Gi) البنجنصار (Bangasan) أو بنكشال (Bankschal) الذي سيستعمل في فترة لاحقة.

(186) الكردي أنظر التعليق رقم 153، فقد رسمه هناك هكذا كُرْدِي (Kardun)

(187) والعمانم، وهي من القطن ويحملون منها أواني النحاس فانها عندهم كثيرة (188) ويحملون الودع ويحملون القنير، بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء، وهو ليف جوز التارجيل، وهم يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمراب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخيطة المراكب، وتحمل إلى الصين والهند واليمن، وهو خير من القنب وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن، لأن ذلك البحر كثير الحجارة فإن كان المركب مسمرًا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر، وإذا كان مخيطًا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر

وصرف أهل هذه الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر، ويضعونه في حفر هنالك فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض ويسمون المائة منه : سياه، بسين مهمل وياء آخر الحروف، ويسمون السبعمائة منه : الفال، بالفاء، ويسمون الاثنى عشر الفا منه : الكتي، بضم الكاف وتشديد التاء المعلو، ويسمون المائة الف منه بسُتُوا (189) بضم الباء الموحدة والتاء المعلو وبينهما سين مهمل، ويبيع بها بقيمة أربعة بساتي بدينار من الذهب وربما رخص حتى يبيع عشر بساتي منه بدينار ويبيعونه من أهل بنجالة بالأرز، وهو أيضا صرف أهل بلاد بنجالة، ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض الرمل في مراكبهم، وهذا الودع أيضا هو صرف السودان في بلادهم (190)، رأيت يباع بمالي وجوجو (191) بحساب الف ومائة وخمسين للدينار الذهبي.

ذكر نسائها

ونسائها لا يُغطين رؤوسهن ولا سلطانتهم تغطي رأسها ويمشطن شعورهن ويجمعنها إلى جهة واحدة (192)، ولا يلبسن أكثرهن إلا قوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل وساثر أجسادهن مكشوف، وكذلك يمشين في الأسواق وغيرها.

(187) يراجع التعليق السابق رقم 175

(188) العجب من بعض المعلقين يجدون أن من السهل تشكيلك الناس في هذه المعلومات طالما لم يزوها أحد غير ابن بطوطة عوض أن يقولوا إنها مما استأثر بذكره الرحالة المغربي "

(189) هذه الالفاظ التي مرت (Hya) (أو Siya) باللغة السنهالية) فالي (Falé) كوتي (Cotté) ثم باسطا (Basta) كلها بالملايكية كُتِي ج كتاتي ج IV - 147

(190) يتحدث المعلقون هنا عن قيمة الودع كعملة سواء في هذه الجهات أو في بعض أقاليم إفريقيا السوداء، كما أنهم عندما يتحدثون عن الوجود الهولندي في مالديف - بعد فترة ابن بطوطة يقولون إنهم كانوا يمارسون تجارة هامة وكانوا يتقاضون بقاء التجارة هذا الودع .

(191) حول جوجو التي يرسمها أيضا كوكو انظر ج. IV ص 495 - 426 - 435 - 438

(192) نتحدث بعض التعليقات عن الوضع بالنسبة للشعر عند الرجال، وتذكر أنه من غير المسموح للرجال أن يتركوا شعورهم اللهم إذا كان الأمر يتعلق بالضباط أو جنود السلطان أو كبار البلاد فهؤلاء يسمح لهم بإطالة شعرهم . الفرق في توفير الشعر بين النساء والرجال أن الرجال يصفرون شعورهم على قمة رأسهم ولا يرسلونها خلف الرؤوس كما تفعل النساء. هذا ويذكر أن لباس النساء لم يختلف أيام بيرار Pyrad عنه أيام ابن بطوطة في أغلب الحالات..

ولقد جهدتُ لما وليتُ القضاء بها، أن أقطع تلك العادة وامرهن باللباس، فلم أستطع ذلك فكنت لا تدخل إليّ منهن امرأة في خصومة إلا مستترة الجسد، وما عدا ذلك لم تكن لي عليه قدرة، ولباس بعضهن قُمَصُ زائدة على الفوطة، وقمصهن قصارُ الأكمام عراضها، وكان لي جَوَارِ كسوتهن لباس أهل دهلي وغطّين رؤوسهن، فعابهن ذلك أكثر مما زانهن إذ لم يتعودنه!! وحليهن الأساور تجعل المرأة منها جملة في ذراعيها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق وهي من الفضة ولا يجعل أساور الذهب إلا نساء السلطان وأقاربه، ولهن الخلاخيل ويسمونها البابل، بباء موحدة والف وياء آخر الحروف مكسورة وقلائدُ ذهب يجعلنها على صدورهن ويسمونها البُسُزْد، بالباء الموحدة وسكون السين المهمل وفتح الدال المهمل والراء

124/4

ومن عجيب أفعالهن أنهن يستاجرن أنفسهن للخدمة بالديار على عددٍ معلوم من خمسة دنانير فما دونها (193) وعلى مستاجرهن نفقتهن، ولا يرين ذلك عبداً، ويفعله أكثر بناتهم فتجد في دار الإنسان الغنيّ منهن العشرة والعشرين، وكل ما تكسره من الأواني يحسب عليها قيمته، وإذا أرادت الخروج من دار إلى دار أعطاهن أهل الدار التي تخرج إليها العدد الذي هي مرتبهة فيه فتدفعه لأهل الدار التي خرجت منها ويبقى عليها للآخرين وأكثر شغل هؤلاء المستاجرات غزل القُنْبَر (194).

125/4

والتزوج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء، وأكثر الناس لا يسمي صداقاً إنما تقع الشهادة ويعطي صداقاً، مثلها، وإذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء فإذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة (195)، وهن لا يخرجن عن بلادهن أبداً. ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها إلى سواها بل هي تأتيه بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء وتغم رجله عند النوم، ومن عواثدهن ألا تأكل المرأة مع زوجها، ولا يعلم الرجل ما تاكله المرأة، ولقد تزوجت بها نسوة فآكل معي بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تاكل معي ولا استطعت أن أراها تأكل ولا نفعتني حيلة في ذلك!!

126/4

(193) هذا النوع من المساعدات لا يعتبرن رقيقات أبداً ولكنهن خادمت لفترة محدودة وفي مقابلة شروط.

(194) تراجع الصفحة رقم 121 من هذا الجزء.

(195) يظهر أن الرحالة المغربي من أنصار المتعة على نحو ما في (فتاوي ابن رشد) ج 17 ص 153

نكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر وذكر العفريت من الجن التي تضر بها في كل شهر.

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى اليماني، والفقيه المعلم على، والقاضي عبد الله وجماعة سواهم أن هذه الجزائر كانوا كفاراً، وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل، وكانت عاداتهم إذ رأوه أخذوا جاريةً بكراً فزبنوها وأدخلوها إلى بُدْخانة (196)، وهي بيت الأصنام، وكان مبنياً على ضفة البحر، وله طاق يُنظر إليه منها ويتركونها هناك ليلة، ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفتضة ميتة ولا يزالون في كل شهر يقتربون بينهم، فمن أصابته القرعة أعطى بنته!

127/4

ثم إنه قدم عليهم مغربي يسمى بابي البركات البربري وكان حافظاً للقرآن العظيم فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل فدخل عليها يوماً وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في ماتم، فاستفهمهن عن شأنهن، فلم يفهمن فأتى ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها، وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت، فقال لها أبو البركات: أنا أتوجه عوضاً من بنتك بالليل، وكان سبباً لا لحية له، فأحتملوه تلك الليلة وأدخلوه إلى بُدْخانة وهو متوضي وأقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر، وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عاداتهم فيحرقوها، فوجدوا المغربي يتلوا فمضوا به إلى ملكهم وكان يسمى شُورازة (197)، بفتح الشين المعجم وضم النون وواو وراء وألف وزي وهاء، وأعلموه بخبره، فعجب منه وعرض المغربي عليه الإسلام ورغبه فيه، فقال له: أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت، فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته، ثم حمل المغربي لما دخل الشهر إلى بُدْخانة ولم يات العفريت فجعل يتلو حتى الصباح، وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة فكسروا الأصنام وهدموا بُدْخانة وأسلم أهل الجزيرة،

128/4

(196) تقدم 1 - 151 تعليق 88 أن كلمة بُدْخانة أصلها بوداخانة أي معبد بودا الإله عند بعض الهنود. هذا ويحكون مثل القصة عن الفتاة التي تلقى في النيل حتى يجري الماء إلى أن أرسل عمر بن الخطاب رسالة للنيل ج 1 - 78 - 109 - القزويني عجائب المخلوقات تحقيق فاروق سعد، بيروت 1973 ص 226.

(197) شُورازة يظهر أن هذا اللقب يعني وظيفة سامية في الدولة، وهو بهجي على عدة أشكال منها شونورجا (Shano Raja)، وجميعها أت في الأصل من اللغة السنهالية والكلمة تعني القائد الأعلى للجيش، وقد ورد ذكر شُور مرتين في اللوحة الخشبية المنقوشة التي وقفنا عليها في المتحف الوطني لمالديف، هذا وقد كان حاكم الجزيرة بودياً على نحو ما كان عليه سكان البلاد قاطبة.

د التازي أقدم نقش عربي في مالديف يتحدث عن المغرب، مصدر سابق.

ويعثوا إلى سائر الجزائر فأسلم أهلها وأقام المغربي عندهم معظماً وتمذهبوا بمذهبه سنة
الامام مالك رضي الله عنه، وهم إلى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه، وبني مسجداً له
معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشاً في الخشب : أسلم السلطان أحمد
شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي

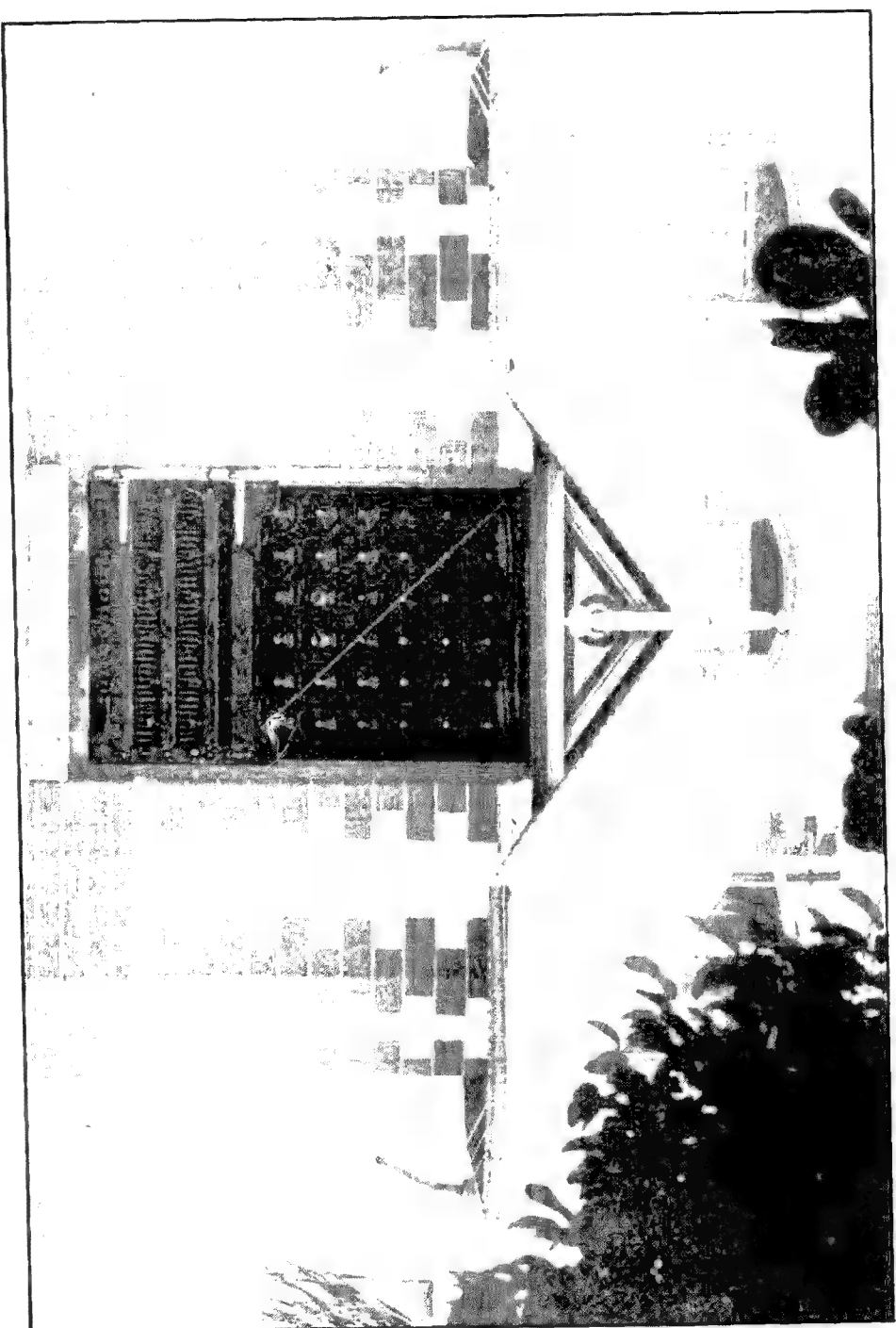
وجعل ذلك السلطان ثلث مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل إذ كان إسلامه
بسببهم، فسمى على ذلك حتى الآن (1981)، وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير
قبل الإسلام. ولما دخلناها لم يكن لي علم بشأنه، فبينما أنا ليلة في بعض شاتي إذ سمعت
الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ورأيت الأولاد وعلى رؤوسهم المصاحف والنساء في
الطسوت، وأواني النحاس فجبت من فعلهم وقلت : ما شأنكم؟ فقالوا : ألا تنظر إلى البحر ؟
فنتظرت فإذا مثل المركب الكبير، وكأنه مملوء سرجاً ومشاعل فقالوا : ذلك العفريت، وعادته
أن يظهر مرة في الشهر فإذا فعلنا ما رأيت إنصرف عنا ولم يضرنا '

130/4

(198) بالوقوف على اللوحة التأسيسية الخشبية (وليس النحاسية المنتسخة محرقة من الخشبية) التي
ترسم بكل وضوح (البربري) وليس التبريزي كما وهم القاضي حسن تاج الدين (د 1139=1726) في
تأليفه تاريخ إسلام ديبا محل الذي حققه د. هيكاويتش ياجيما طوكيو - 1982 - وقد كانت الحروف
أربعة : بربر وليست خمسة : تبريز فليس هناك كونفزيون Confusion كما توهم ' وهكذا فإن النما
الذي تم اسلام الجزر على يديه سيظل مغرباً عكس ما قاله بيرازيموس من أنه تبريزي ' وعكس ما فعله
هريك من أنه صومالي ' على ما أوضحته أمام أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة (يبرابر 1994)
وأمام أكاديمية المملكة المغربية (مايه 1991) في بحث ترجم ملخصه للفرنسية والانجليزية وبعث
(الخارجية) المغربية إلى نظيرتها في مالديف عن طريق ممثل هذه الدولة في نيويورك بتاريخ 1991/8/8
وقد شهدت رحاب القصر الملكي في 19 رمضان 1413 (13 مارس 1993) لقاء محاضرة رغبة السيد
القاهي فخافة السيد رئيس الجمهورية المالديفية مأمون عبد القيوم بمحضر جلالة الملك الحسن الثاني
وحضور رجال الدولة وأعضاء السلك الدبلوماسي المسلمين تناولت هذا الموضوع وقد تضمنت النص
الذي أصدرته وزارة البريد 1996 جانباً من النقوش

AN HRBEK - Ibn Battuta and The maldives Islands, The Oriental Insitu tePrague
1991 - P.56

C. I. Beckingham : The Travels of Ibn Battuta The Hakluyt Society - London 1994
P. 550.



ضريح أبي البركات البربري في عاصمة مالي

ذكر سلطنة هذه الجزائر

ومن عجائبها أن سلطانتها امرأة، وهي خديجة (199) بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي (200)، وكان الملك لجدها ثم لأبيها، فلما مات أبوها ولي أخوها شهاب الدين (201) وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وغلّب عليه، وهو الذي تزوج أيضا هذه السلطنة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين، كما سنذكره (202)، فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه إلى جزائر السويد، واستقل بالملك واستقرّر أحد مواليه ويسمى علي كلكي (203) ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه إلى السويد (204)، وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور أنه يختلف إلى حُرْم أهل دولته وخواصه بالليل ! فخلعوه لذلك ونفوه إلى إقليم هلدنّي (205) وبعثوا من قتله بها، ولم يكن بقي في بيت الملك إلا أخواته خديجة الكبرى

131/4

(199) تملك السلطنة خديجة عام 740=1340، بعد إقصاء أخيها شهاب الدين عن الحكم في أعقاب فضيحة أخلاقية. شهاب الدين هذا هو الذي يوجد اسمه منقوشا على اللوحة التأسيسية كأمير - خلد الله أعماله - بعمارة المسجد سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة ... وفي أيام سلطنتها زار ابن بطوطة مالديف مرتين متواليتين وكان يتحدث عنها حديث الموظف السامي الذي يعرف السلطنة معرفة جيدة حتى لسجل عبارة دعاء الخطيب لها يوم الجمعة - ولهذا فإن الاعتماد على إفادة ابن بطوطة، وهو شاهد عيان ينبغي أن يُعطي الأسبقية على ما كتب بعد أربعة قرون من لدن القاضي حسن تاج الدين مما يفيد أن السلطنة إنما حكمت ابتداء من عام 748=1347 أي بعد مغادرة ابن بطوطة للمالديف ببضع سنوات. !!

زينب فواز . الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، طبعة أولى، 1312 ص 182.

(200) جلال الدين عمر هذا ورد ذكره في اللوحة الخشبية التأسيسية الشاخصة إلى الآن في المتحف الوطني بمالديف على أنه والد السلطان شهاب الدين أحمد الذي عمّر المسجد عام 738=1339 قبل زيارة ابن بطوطة بسنوات، هذه اللوحة هي التي وقف عليها ابن بطوطة بمحضر عليه القوم في الجزيرة. يلاحظ أن شهاب الدين هذا الذي نُقش اسمه على اللوحة المذكورة كسلطان في العام المذكور 738=1339 لم يكن سلطانا عند القاضي حسن تاج الدين إلا عام 741=1340 !!

- تراجع الدراسة التي قام بها د. التازي للوحة التأسيسية. والمشار إليها أثناء هذا البحث .

(201) حسب اللوحة التأسيسية المعاصرة فإن شهاب الدين هو السلطان الذي جدد بناء الجامع عام 738=1339 ودعى له في اللوحة المذكورة بكلمة - خلد الله أعماله، وليس عام 1340 كما عند القاضي حسن تاج الدين وتبعه بعض الناس ...

(202) يُراجع IV، 132 - 143 - 149 - 165

(203) كلكي : (Kalege) : لقب (Quilague) يعني الضابط العام للسلطان ..

(204) راجع التعليق السابق رقم 165 ...

(205) هلدنّي هي التي دعيت سابقا هلدمتي (أنظر التعليق 161)

ومريم وفاطمة (206)، فقدموا خديجة سلطنة وكانت متزوجة لخطيبهم جمال الدين (207)، فصار وزيراً وغالباً على الأمر. وقدم ولده محمد (208) للخطابة عوضاً منه، ولكن الأوامر إنما تنفذ باسم خديجة، وهم يكتبون الأوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون في الكاغد إلا المصاحف وكتب العلم، ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول: اللهم انصر أمتك التي اخترتها، على علم، على العالمين وجعلتها رحمةً لكافة المسلمين ألا وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين.

132/4

ومن عاداتهم إذا قدم الغريب عليهم ومضى إلى المشور وهم يسمونه الدار، فلا بد له أن يستصحب ثوبين فيخدم لجهة هذه السلطنة ويرمي بأحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرمي بالثاني. وعسكرها نحو ألف إنسان من الغرباء، وبعضهم بلديون ويأتون كل يوم إلى الدار فيخدمون وينصرفون، ومرتبهم الأرض يعطاهم من البندر (209)، في كل شهر، فإذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا، وقالوا للوزير: بلغ عنا الخدمة، وأعلم بأننا أتينا نطلب مرتبنا، فيؤمر لهم بها عند ذلك. ويأتي أيضاً إلى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون، ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون.

133/4

■ ذكر أرباب الخطط وسيرهم

وهو يسمون الوزير الأكبر النائب عن السلطنة كلّي بفتح الكاف الأولى واللام، ويسمون القاضي قنّديارقالوا (210)، وضبط ذلك بفاء مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح وياء آخر الحروف وألف وراء وقاف والف ولام مضموم، وأحكامهم كلها راجعة إلى القاضي، وهو أعظمهم من الناس أجمعين. وأمره ممثّل كأمير السلطان وأشد، ويجلس على بساط في الدار، وله ثلاث جزائر يأخذ مجئها لنفسه عادةً قديمة أجراها السلطان أحمد شنورازة، ويسمون الخطيب هُنْدِيَجَرِي (211)، وضبط ذلك بفتح الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مد

134/4

(206) حسب تاريخ القاضي حسن تاج الدين فإن هناك اختاً تحمل اسم راذافاتي ستتولى الحكم عام 781=782=1379/1380 وهو إسم محلي لمريم آتية الذكر

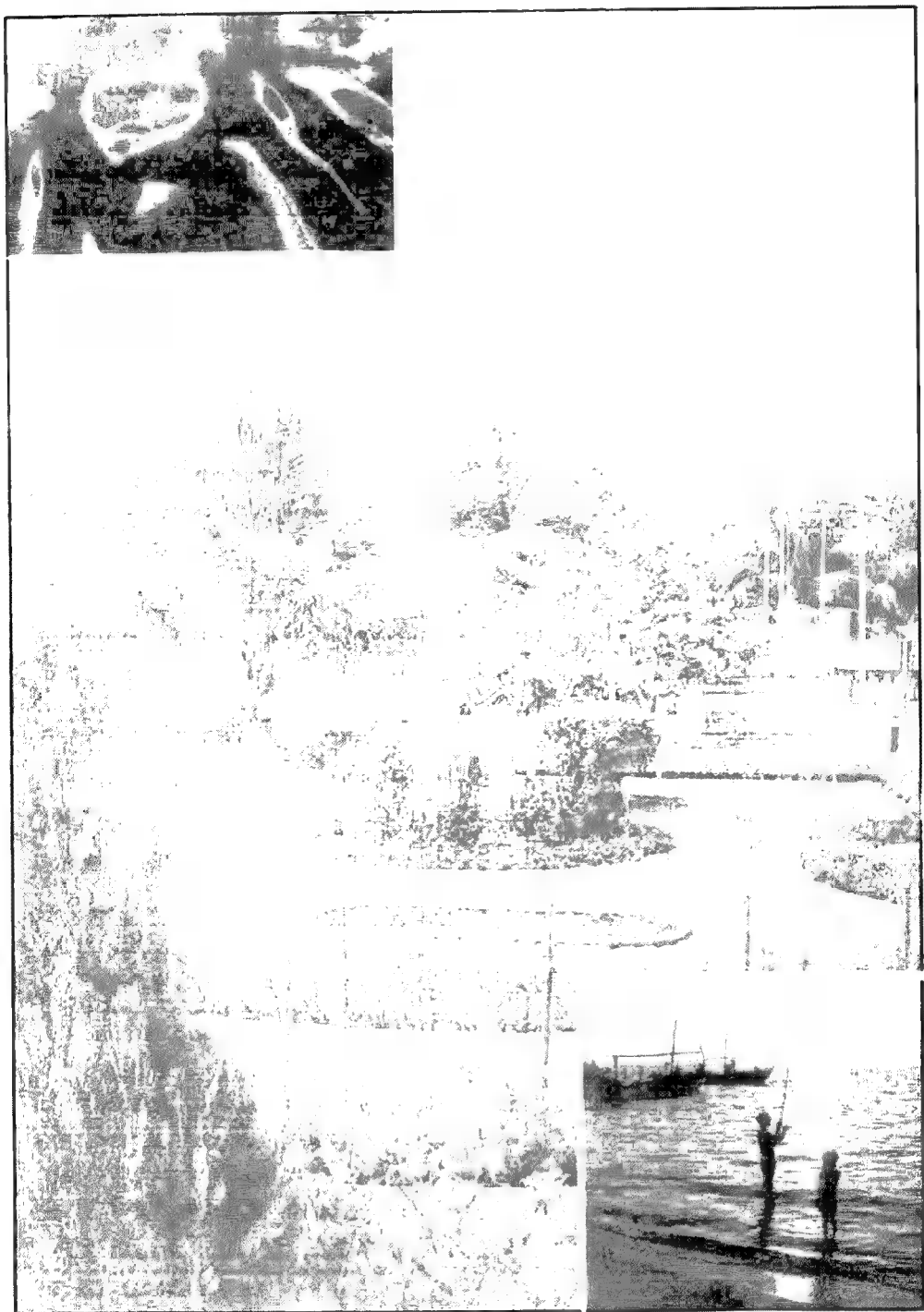
(207) أنظر التعليق 199

(208) حسب تاريخ القاضي حسن تاج الدين فإن محمد هذا سيتزوج راذافاتي وسيخلفها في الحكم عام 781=1379 وسيظل في الحكم إلى عام 1383 = 785 حسب التاريخ المذكور

(209) راجع التعليق السابق رقم 183

(210) حول كلمة كلّي أنظر التعليق 203 - القاضي يدعي فاديوارو (Fadiyaru Kaloge-Fanu) حسب نص يرجع لعام 1834م. في عهد بيرار Byrard.

(211) هُنْدِيَجَرِي (Hadeğiri) حسب نص يرجع لتاريخ 1834 ويعني مستشار خاص عام 1334، رئيس الخزانة في القرن التاسع عشر



مجموعة صور من مالديف عندما زرتها 1990

وجيم مفتوح وراء ويا، ويسمون صاحب الديوان القاملدّاري، بفتح الفاء والميم والدال المهمل، ويسمون صاحب الاشغال مافاكُلُوا، بفتح الميم والكاف وضم اللام، ويسمون الحاكم فيتثايك، بكسر الفاء وسكون التاء المعلو وفتح النون والفاء ويا، آخر الحروف مفتوحة أيضاً وكاف ويسمون قائد البحر مَنايَك (212)، بفتح الميم والنون والياء، وكل هؤلاء يسمى وزيراً، ولا سجن عندهم بتلك الجزائر، وإنما يحبس أرباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لا متعة التجار، ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عندنا بأساري الروم (213)

135/4

ذكر وصولي إلى هذه الجزائر وتنقل حالي بها.

ولما وصلت إليها نزلت منها بجزيرة كَنُلُوس (214)، وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة، ونزلت بدار رجلٍ من صلحائها، وأضافني بها الفقيه علي، وكان فاضلاً له أولاد من طلبة العلم، ولقيت بها رجلاً اسمه محمد، من أهل ظفار الحُمُوض (215)، فأضافني، وقال لي: إن دخلت جزيرة المَهل أُمسِكْكَ الوزير بها فإنهم لا قاضي عندهم، وكان غرضي أن أسافر منها إلى المعبر وسرنديب (216) وبنجالة، ثم إلى الصين، وكان قدومي عليها في مركب الناخودة عمر الهنّوري، وهو من الحجاج الفضلاء، ولما وصلنا كَنُلُوس أقام بها عشرًا ثم اُكْتَرى كندرة يسافر فيها إلى المَهل بهدية للسلطنة. وزوجها، فأردت السفر معه، فقال: لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك، فإن شئت السفر منفرداً عنهم فدونك، فأنبت ذلك

136/4

وسافر فلعبت به الريح وعاد إلينا بعد أربعة أيام وقد لقي شداًد! فاعتذر لي وعزم عليّ في السفر معه بأصحابي، فكُنّا نرحل غدوةً فننزل في وسط النهار لبعض الجزائر، ونرحل فنبيت بأخرى، ووصلنا بعد أربعة أيام إلى إقليم التَّيْم (217)، وكان الكروي يسمى

(212) هناك مصادر أخرى تعطي لائحة لهذه الوظائف العليا حيث نجد فيها بعض هذه الألقاب التي يذكرها ابن بطوطة - هند يجري بمعنى رئيس الخزينة المالية في مالداري. شخصية سامية - مافاكالو. مستشار ماناساك قائد عسكري كبير.

The Voyage of Francois Pyrard I, P. 210-11 C.F. Beckingham - p. 833 N. 40.

(213) لقطة تاريخية هامة حول الطريقة التي كان الأسرى الأفرنج يعيشون عليها أيام عهد بني مرين أثناء احتكاكاتهم بجيرانهم في الجزيرة الإيبيرية، الخشبة المشار إليها كانت بمثابة فلق ... تربط فيها الأرجل. إضافة إلى الأيدي على ما أوقفني عليه الزميل الأستاذ محمد لطفي. البحث العلمي عدد 40 ...

(214) كان على ابن بطوطة أن يصل إلى جزر مالديف في بداية شهر دجنبر 1343

(215) يراجع ج 1، 205، 11، 196-214

(216) القصد إلى ساحل المعبر وساحل سيلان اللذين سيزورهما الرحالة المغربي

(217) راجع التعليق 159

بها هلالاً، فسلم عليّ وأضافني، وجاء إليّ ومعه أربعة رجال، وقد جعل إثنان منهم عوداً على أكتافهما وعلقا منه أربع دجاجات (218)، وجعل الآخران عوداً مثله وعلقا منه نحو عشر من جُوز النَّارجيل، فعجبت من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير فأخبرت أنهم صنعوه على جهة الكرامة والاحلال !

137/4

ورحلنا عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزيرة عثمان. وهو رجل فاضل من خيار النَّاس فآكرمنا وأضافنا، وفي اليوم الثامن نزلنا بجزيرة لوزير يقال له التَّمدي، وفي اليوم العاشر وصلنا إلى جزيرة المهل حيث السلطنة وزوجها، وأرسلنا بمرسأها، وعادتهم أن لا ينزل أحد عن المرسى إلا بإذنهم، فاذنوا لنا في النزول، وأردت التوجه إلى بعض المساجد فممنني الخُدام الذين بالساحل، وقالوا : لا بد من الدخول إلى الوزير، وكنت أوصيت الناخودة أن يقول إذا سئل عني لا أعرفه، خوفاً من إمساكهم إياي. ولم أعلم أن بعض أهل الفضول قد كتب إليهم معرفاً بخبري واني كنت قاضياً بدلهي.

فلما وصلنا إلى الدار وهو المشور نزلنا في سقائف على الباب الثالث منه، وجاء القاضي عيسى اليميني فسلم عليّ وسلمت على الوزير، وجاء الناخودة ابراهيم (219) بعشرة أثواب فخدم لجهة السلطنة ورمى بثوب منها، ثم خدم للوزير ورمى بثوب آخر كذلك ورمى بجميعها، وسئل عني فقال : لا أعرفه. ثم أخرجوا إلينا التنبول وماء الورد وذلك هو الكرامة عندهم، وأنزلنا بالدار ويُعث إلينا الطعام وهو قصعة كبيرة فيها الأرز وتُدور بها صحافٌ فيها اللحم الخليع والدجاج والسمن والسمنك.

138/4

ولما كان بالغد مضيت مع الناخودة وقاضي عيسى اليميني لزيارة زاوية في طرف الجزيرة عمرها الشيخ الصالح نجيب (220) وعدنا ليلاً، وبعث الوزير إليّ صبيحة تلك الليلة كسوةً وضيافةً فيها الأرز والسمن والخليع، وجوز النَّارجيل والعسل المصنوع منها وهم يسمونه القُرْباني، بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء الموحدة والـف ونون وياء، ومعنى ذلك ماء السكر، وأتو بمائة الف ودعة للنفقة.

139/4

(218) كانت هذه عادة عندهم للتشهير بالتكريم للرجال المهدي اليهم، هذا ويوجد لهذا الغود اسم خاص في العربية الفصحى الموسعة

(219) يظهر أنه هو نفسه الناخودة الذي سماه ابن بطوطة قيل هذا بغير

(220) زاوية الشيخ نجيب توجد في منطقة لُونُوزيار Lonu Ziyare بالعاصمة مالي MALL كانت البناية شيدت ذكرى للشيخ، لكنها اختفت اليوم ولعلها تحولت إلى مسجد
- القُرْباني (Hakurpani) كلمة سينهالية - أو انها Gurapanya من أهل سنكريتي، وتعني ماء السكر الاسم الغير المكرر.

وبعد عشرة أيام قدم مركبٌ من سيلان فيه فقراء من العرب والعجم يعرفونني، فعرفوا خدام الوزير بنمري، فزاد إعتباطاً بي وبعث عني عند استهلال رمضان، (221) فوجدت الأمراء والوزراء وأحضروا الطعام في موائد، يجتمع على المائدة طائفة، فأجلسني الوزير إلى جانبه ومعه القاضي عيسى والوزير الفاملداري والوزير عمر دهرّد ومعناه مقدم العسكر (222)، وطعامهم الأرز والدجاج والسمن والسّمك والخليع والموز المطبوخ، ويشربون بعده غسل التّارجيل مخلوطاً بالأفاويه، وهو يهضم الطعام.

وفي التاسع من رمضان مات صهر الوزير زوج بنته، وكانت قبله عند السلطان شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منهما لصغرهما، فردّها أبوها لداره، وأعطاني دارها وهي من أجمل الدور، واستأذنته في ضيافة الفقراء القادمين من زيارة القدّم (223)، فأذن لي في ذلك، وبعث إليّ خمساً من الغنم، وهي عزيزة عندهم لأنها مجلوبة من المعبر والمليبار ومقدّشوّ، وبعث الأرز والدجاج والسمن والابازير، فبعثت ذلك كلّهُ إلى دار الوزير سليمان مانايك (224)، فطبخ لي بها فأحسن في طبخه وزاد فيه، وبعث الفرش وأواني النحاس، وأفطرنا على العادة بدار السلطنة مع الوزير، واستأذنته في حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة، فقال لي : وأنا أحضر أيضاً فشكرته وانصرفت إلى داري، فإذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة، فجلس في قبة خشب مرتفعة، وكان كل من يأتي من الأمراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمي بثوب غير مخيط حتى اجتمع مائة ثوب أو نحوها فأخذها الفقراء.

1-40/4

1-41/4

وقدّم الطعام فاكلوا ثم قرأ القراء بالآصوات الحسان ثم أخذوا في السماع والرّقص وأعدت النار فكان الفقراء يدخلونها ويطأونها بالأقدام ومنهم من يأكلها كما تؤكل الحلواء إلى أن خمدت !

ذكر بعض إحسان الوزير إلي

ولما تمت الليلة إنصرف الوزير ومضيت معه فمررنا ببستان للمخزن، فقال لي : هذا البستان لك، وسأعمر لك فيه داراً لسكنائك فشكرت فعله، ودعوت له ثم بعث لي من الغد بجارية وقال لي خديمه : يقول لك الوزير إن أعجبتك هي لك وإلّا بعث لك جارية مرهتية،

1-42/2

(221) كان مبدأ رمضان يوافق 16 يناير 1344.

(222) لم يضبط ابن بطوطة هذا العَلَم، وكان ذلك على خلاف عادته، فهل المقصود بيل داهزا أحد الوزراء الثلاثة ...

(223) القصد إلى قدم آدم في سيلان، على ماسياتي

(224) المانايك يعني الاميرال

وكانت الجواري المُرَهَّيات تُعجبني، فقلت له : إنما أريد المُرَهَّية ! فبعثها لي وكان إسمها قُل سَتَان، ومعناه زهر البستان، وكانت تعرف اللسان الفارسي فأعجبني، وأهل تلك الجزائر لهم لسان لم أكن أعرفه (225)، ثم بعث إلي في غد ذلك بجارية مُعَبَّية تسمى عنبري (226).

ولما كانت الليلة بعدها جاء الوزير إلي، بعد العشاء الأخيرة، في نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران، فسلمت عليه، وسألني عن حالي فدعوت له وشكرته، فألقى أحد الغلامين بين يديه لُقْشَةً وهي شبه السَّبَّيَّة (227)، وأخرج منها ثياب حرير وحقاً فيه جوهر وذهبي، فأعطاني ذلك وقال لي : لو بعثته لك مع الجارية، لقلت : هو مالي جئت به من دار مولاي والآن هو مالك فأعطه إياها ! فدعوت له وشكرته وكان أهلاً للشكر رحمه الله.

143/4

ذكر تغييره وما أردته من الخروج ومقامي بعد ذلك

وكان الوزير سليمان مَنَّاك قد بعث إلي أن أتزوج بنته، فبعثتُ إلى الوزير جمال الدين مستأذناً في ذلك فعاد إلي الرسول وقال : لم يعجبه ذلك، وهو يحب أن يزوجك بنته إذا إنقضت عدتها، فأبيتُ أنا ذلك وخفت من شؤمها لأنه مات تحتها زوجان قبل الدخول ! وأصابني أثناء ذلك حُمَّى مرضت بها، ولا بد لكل من يدخل تلك الجزيرة أن يُحْمَ (228)، فقوى عزمي على الرحلة عنها، فبعث بعض الحلي بالودع، واكترت مركبا أسافر فيه لبنجاله.

144/4

فلما ذهبتُ لوداع الوزير خرج إلي القاضي، فقال : الوزير يقول لك : إن شئت السفر فأعطينا ما أعطيناك وسافر ! فقلت له : إن بعض الحلي اشتريت به الودع، فشأنكم وإياه، فعاد إلي فقال : يقول إنما أعطيناك الذهب ولم نعطك الودع ! فقلت له : أنا أبيعته وأتيكم بالذهب، فبعثتُ إلى التجار ليشتروه مني فأمرهم الوزير أن لا يفعلوا، وقصده بذلك كله أن لا أسافر عنه !!

ثم بعث إلي أحد خواصه، وقال : الوزير يقول لك : أقيم عندنا ولك كل ما أحببت، فقلت في نفسي : أنا تحت حكمهم، وإن لم أقم مختاراً أقمت مضطراً فالإقامة باختيار أولي!

145/4

(225) اللغة الوطنية الأساسية المالديف الآن تدعى الديفيهي (Divehi) أما في الماضي فكانت هناك لغة الأيلو وهو اللفظ الذي كانت تعرف به اللغة السنهالية القديمة (لغة سريلانكا) واللغة السنسكريتية أيضاً، ومع دخول الإسلام إلى المالديف بواسطة أبي البركات المغربي تأثرت اللغة المالديفية باللغتين العربية والفارسية ... والجدير بالذكر أن اللغة الرسمية الآن للدولة هي الديفيهي. عن الوثائق الوطنية المالديفية.

(226) تكثر تسمية الجواري بالعنبر على ما كان معروفاً في المغرب في بداية القرن .

(227) لقشة أو بقشة وهو الصنّاب كلمة فارسية : قطعة مربعة من الثوب توضع فيها الملابس وتسد من أطرافها الأربع تماماً على نحو السبينة عندنا في المغرب نسبة إلى سبن محلّة ببغداد تنسج فيها أرز سود للنساء، كنما يقول القاموس. التعميمي : ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، مجلة المجمع العراقي

(228) يتعلق الأمر بالحمى المعروفة هكذا بحمي المالديف التي تسمى (Male Ons) لغة (Una) بالسنيالية تعني حمى.

وقالت لرسوله : نعم : أنا أقيم معه فعاد إليه ففرح بذلك واستدعاني، فلما دخلت إليه، قام إليّ وعانقني، وقال : نحن نريد قربك وأنت تريد البعد عنا ! فاعتذرتُ له، فقبل عذري، وقلت له : إن أردتم مقامي فأننا أشتراط عليكم شروطاً، فقال : نقبلها فاشتراط، فقلت له : أنا لا أستطيع المشي على قدمي، ومن عادتهم أن لا يركب أحد هناك إلا الوزير، ولقد كنت لما أعطوني الفرس فركبته يتبعني الناس رجالاً وصبياناً يعجبون مني حتى شكوت له، فضربت الدُّنْقَرَةَ، وبرَّح في الناس أن لا يتبعني أحد، والدُّنْقَرَةُ بضم الدال المهمل وسكون النون وضم القاف وفتح الراء شبه الطست من : النحاس، تضرب بحديدة فيُسمع لها صوت على البعد، فإذا ضربوها حينئذٍ يبرَّح في الناس بما يراد، فقال لي الوزير : إن أردت أن تركب الدولة وإلا فعندنا حصان ورمكة، فاختر أيهما شئت، فاخترت الرمكة، فأتوني بها في تلك الساعة وأتوني بكسوة فقلت له : وكيف أصنع بالودع الذي إشتريته؟ فقال : ابعت أحد أصحابك لبيعه لك ببئالة، فقلت له : على أن تبعث أنت من يعينه على ذلك، فقال : نعم، فبعثت حينئذ رفيعي أبا محمد بن فرحان، وبعثوا معه رجلاً يسمى الحاج علياً، فاتفق أن هال البحر فرموا بكل ما عندهم حتى الزاد والماء والصاري والقُرَيَّة (229) ! وأقاموا ست عشرة ليلة لا قلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا إلى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد وقدم على صاحبي أبو محمد بعد سنة وقد زار القدم وزارها مرة ثانية معي.

146/4

147/4

ذكر العيد الذي شاهدته معهم.

ولما تم شهر رمضان بعث الوزير إلي بكسوة وخرجنا إلى المصلى، وقد زينت الطريق التي يمر الوزير عليها من داره إلى المصلى وفُرشت الثياب فيها وجُعِلَت كَتَاتِي الودع يميناً ويسرة، وكل من له على طريقه دار من الأمراء والكبار قد غرس عندها النخل الصغار من النارجيل وأشجار الفوقل والموز، ومدَّ من شجرة إلى أخرى شرانط، وعلَّق منها الجوز الأخضر، ويقف صاحب الدار عند بابها فإذا مر الوزير رمى على رجليه توثباً من الحرير أو القطن فيأخذها عبده مع الودع الذي يجعل على طريقه أيضاً، والوزير ماشٍ على قدميه وعليه فرجية مصرية من المرعز، وعمامة كبيرة وهو متقلد فوطة حرير وفوق رأسه أربعة شطور، وفي رجليه النعل وجميع الناس سواه حفاة والأبواق والأنفار والأطبال بين يديه، والعساكر أمامه وخلفه، وجميعهم يكبرون حتى أتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتى بمحفة فركب فيها الوزير وخدم له الأمراء والوزراء ورموا بالثياب على العادة، ولم يكن ركب في المحفة قبل ذلك لأن ذلك لا يفعله إلا الملوك

148/4

(229) القرية على وزن الهدية (وليس القرية بالباء كما قرأه جميع الناشرين . عود يجعل في عرض الشراع من أعلاه (انظر لسان العرب ويرد ذكر القرية عند الحديث عن قطع الاسطول.

ثم رفعه الرجال وركبته فرسي ودخلنا القصر فجلس بموضع مرتفع وعنده الوزراء والامراء ووقف العبيد بالترسة والسيوف والعصى، ثم أتى بالطعام ثم الفوفل والتنبول ثم أتى بصفحة صغيرة فيها الصندل المقاصري (230)، فإذا أكلت جماعة من الناس تلخّخوا بالصندل.

149/4

ورأيت على بعض طعامهم يومئذ حوتاً من السردين مملوحاً غير مطبوخ، أهدي لهم من كؤلّم، وهو ببلاد الملبّار كثير، فأخذ الوزير بسردينة وجعل يأكلها، وقال لي : كلّ منه فإنه ليس ببلادنا ! فقلت : كيف أكله وهو غير مطبوخ ؟ فقال : إنه مطبوخ، فقلت : أنا أعرف به فإنه ببلادي كثير !!

ذكر تزوجي ولايتي القضاء

وفي الثاني من شوال (231) اتفقت مع الوزير سليمان ماثايك على تزوج بنته، فبعث إلى الوزير جمال الدين أن يكون عقد النكاح بين يديه بالقصر فأجاب إلى ذلك، وأحضر التنبول على العادة والصندل، وحضر الناس وأبطأ الوزير سليمان، فاستدعي فلم يات، ثم استدعي ثانية فاعتذر بمرض البنت، فقال لي الوزير سرّاً : إن بنته إمتنعت وهي مالكة أمر نفسها، والناس قد اجتمعوا فهل لك أن تتزوج بربيبة السلطنة زوجة أبيها وهي التي ولده متزوج بنتها؟ فقلت له : نعم، فاستدعي القاضي والشهود ووقعت الشهادة، ودفع الوزير الصداق، ورفعت إليّ بعد أيام، فكانت من خيار النساء، وبلغ حسن معاشرتها أنها كانت إذا تزوجت عليها تطيئني وتبخّر أثوابي وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغير (232).

150/4

ولما تزوجتها أكرهني الوزير على القضاء وسبب ذلك اعتراضه على القاضي لكونه يأخذ العُشُر من التركات إذا قسمها على أربابها، فقلت له : إنما لك أجرة تتفق بها مع الورثة، ولم يكن يحسن شيئاً، فلما وليت اجتهدت جهدي في إقامة رسوم الشرع، وليس هنالك خصومات كما هي ببلادنا ! فأول ما غيرت من عوائد السوء مكث المطلقات في ديار المطلّين، وكانت إحداهن لا تزال في دار المطلّق حتى تتزوج غيره، فحسمت علة ذلك، وأوتى إليّ بنحو خمسة وعشرين رجلاً ممن فعل ذلك فضربتهم وشهّرتهم بالأسواق وأخرجت النساء عنهن ثم اشتدّدت في إقامة الصلوات وأمرت الرجال بالمبادرة إلى الأزقة والأسواق إثر

151/4

152/4

(230) حول الكتاني ج ٢ كُتبي انظر ج. ١٢٢، IV وحول المقاصري يراجع ج. III 250-319

(231) هذا التاريخ يوافق 6 يراير 1344

(232) أخطأ التراجمة عندما ترجموا (تزوجت عليها) بما يقتضي (تزوجت بها) المقدمة

صلاة الجمعة فمن وجدوه لم يصل ضربته وشهرته، وألّمت الأئمة والمؤذنين أصحاب المرتبات المواظبة على ما هم بسبيله، وكتبت إلى جميع الجزائر بنحو ذلك وجهدت أن أكسو النساء فلم أقدر على ذلك !

نكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي الذي نفاه السلطان شهاب الدين إلى السويد وما وقع بيني وبينه.

وكنّت قد تزوجت ربيبتة : بنت زوجته، وأحببتها حباً شديداً، ولما بُعث الوزير عنه وردّه إلى جزيرة المهل، بعثتُ له التَّحَف وتلقّيته ومضيت معه إلى القصر فسلم على الوزير، وأنزله في دار جيدة فكنت أزوره بها، واتَّفَق أن اعتكفتُ في رمضان فزارني جميع الناس إلا وهو، وزارني جمال الدين فدخل هو معه، بحكم الموافقة، فوقعتُ بيننا الوحشة فلما خرجت من الاعتكاف شكّا إليّ أحوال زوجتي : ربيبتة، أولاد الوزير جمال الدين السنجري، فإن أباهم أوصى عليهم الوزير عبد الله وأن مالهم باقٍ بيده وقد خرجوا عن حجره بحكم الشرع وطلبوا إحضاره بمجلس الحكم.

153/4

وكانت عادي إذا بعثت عن خصم من الخصوم أبعث له قطعة كاغد مكتوبة أو غير مكتوبة، فعندما يقف عليها يبادر إلى مجلس الحكم الشرعي، وإلا عاقبته، فبعثت إليه على العادة، فاغضبه ذلك وحقدّها لي، وأضمر عداوتي، ووكل من يتكلّم عنه، وبلغني عنه كلام قبيح!

وكانت عادة الناس من صغير وكبير أن يخدموا له كما يخدمون للوزير جمال الدين. وخدمتهم أن يوصلوا السبابة إلى الأرض ثم يقبلونها ويضعونها على رؤوسهم، فأمرت المنادي فنأدى بدار السلطان على رؤوس الأشهاد أنه من خدم للوزير عبد الله كما يخدم للوزير الكبير لزمه العقاب الشديد، وأخذت عليه أن لا يترك الناس لذلك، فزادت عداوته.

154/4

وتزوجت أيضاً زوجةً أخرى بنت وزير معظم عندهم كان جده السلطان داود (233) حفيد السلطان أحمد شنورازة، ثم تزوجت زوجةً كانت تحت السلطان شهاب الدين وعمرت ثلاث ديار بالبستان الذي أعطانيه الوزير وكانت الرابعة وهي ربيبة الوزير عبد الله تسكن في دارها. وهي أحبهن إليّ فلما صاهرت من ذكرته هابني الوزير وأهل الجزيرة وتخوفوا مني لأجل ضعفهم وسعوا بيني وبين الوزير بالنمائم وتولّى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تمكنت الوحشة.

155/4

(233) السلطان داود من المحتمل أن يكون القصد إلى السلطان داود بن يوسف الذي تملك من عام 701-706=1301-1306 والذي أشار إليه تاريخ مالديف.

ذكر انفصالي عنهم وسبب ذلك.

واتفق في بعض الأيام أن عبداً من عبيد السلطان جلال الدين شكته زوجته إلى الوزير واعلمته أن عنده سريرة من سراري السلطان يزني بها، فبعث الوزير الشهود ودخلوا دار السرية فوجدوا الغلام نانماً معها في فراش واحد وحبسوهما، فلما أصبحت وعلمت بالخبر توجهت إلى المشور وجلست في موضع جلوسي ولم أتكلم في شيء من أمرها، فخرج إلي بعض الخواص، فقال، يقول لك الوزير أنك حاجة فقلت لا، وكان قصده أن أتكلم في شأن السرية والغلام إذ كانت عادتني أن لا تقع قضية إلا حكمت فيها، فلما وقع التغير والوحشة قصرت في ذلك، فأنصرفت إلى داري بعد ذلك. وجلست بموضع الأحكام، فإذا ببعض الوزراء، فقال لي الوزير يقول لك إنه وقع البارحة كيت وكيت لقضية السرية والغلام فاحكم فيهما بالشرع. فقلت له هذه قضية لا ينبغي أن يكون الحكم فيها إلا بدار السلطان، فعدت إليها، واجتمع الناس وأحضرت السرية والغلام فأمرت بضربهما للخلوة. وأطلقت سراح المرأة وحبست الغلام وأنصرفت إلى داري، فبعث الوزير إلي جماعة من كبار ناسه في شأن تسريح الغلام، فقلت لهم أتشفعون في غلام زنجي يهتك حرمة مولاه وأنتم بالأمس خلعتكم السلطان شهاب الدين وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام؟ وأمرت بالغلام عند ذلك فضرب بقضبان الخيزران وهي أشد وقعا من السياط وشهرته بالجزيرة وفي عنقه حبل.

156/4

157/4

فذهبوا إلى الوزير فأعلموه، فقام وقعد واستشاط غضباً وجمع الوزراء ووجوه العسكر وبعث عني فجئته وكانت عادتني أن أخدم له فلم أخدم. وقلت سلام عليكم ثم قلت للحاضرين. أشهدوا علي أنني قد عزلت نفسي عن القضاء لعجزني عنه، فكلمني الوزير فصعدت وجلست بموضع أقابله فيه وجاوبته أغلظ جواب، وأذن مؤذن المغرب، فدخل إلى داره وهو يقول: ويقولون أنني سلطان وما أنا ذا طلبته لأغضب عليه فغضب علي.

158/4

وإنما كان اعتزازي عليهم بسبب سلطان الهند لأنهم تحققوا مكانتي عنده وإن كانوا على بعد منه، فخوفه في قلوبهم متمكن، فلما دخل إلى داره بعث إلي القاضي المعزول وكان جرئ اللسان، فقال لي إن مولانا يقول لك كيف هتكت حرمة على رؤوس الأشهاد ولم تخدم له؟ فقلت له: إنما كنت أخدم له حين كان قلبي طيباً عليه، فلما وقع التغير تركت ذلك، وتحية المسلمين إنما هي السلام (234)، وقد سلمت فبعثته إلي ثانية فقال: إنما غرضك السفر عنا فأعط صدقات النساء وديون الناس وأنصرفت إذا شئت، فخدمت له على هذا

159/4

(234) يعني قول السلام عليكم

القول، وذهبت إلى داري فخلّصت ممّا علي من الدّين، وكان قد أعطاني في تلك الايام فرش دارٍ وجهازها من أواني نحاس وسواها وكان يعطيني كلّ ما أطلبه ويحبنى ويكرمنى، ولكنه غيرَ خاطره وخوّف مني! فلما عرف أنّي قد خلّصت الدين وعزمت على السفر ندم على ما قاله وتلكا في الإذن لي في السفر، فحلفت بالآيمان المغلظة أن لا بدّ من سفري ونقلت ما عندي إلى مسجدٍ على البحر وطلّقت إحدى الزوجات وكانت إحداهن حاملاً فجعلت لها أجلاً تسعة أشهر إن عدت فيها، وإلا فأمّرها بيدها، وحملت معي زوجتي التي كانت امرأة السلطان شهاب الدين لأسلمها لأبيها بجزيرة ملوك (235)، وزوجتي الأولى التي بنتها أخت السلطنة، وتوافقت مع الوزير عمر دهرّد والوزير حسن، قائد البحر على أن أمضي إلى بلاد المعبر. وكان ملكها سلّفي (236)، فاتى منها بالعساكر لترجع الجزائر إلى حكمه وأنوب عنه فيها وجعلت بيني وبينهم علامة رفع أعلام بيض في المراكب، فإذا رأوها ثاروا في البر !!

160/4

ولم أكن حدثت نفسي بهذا قط حتى وقع ما وقع من التغيّر، وكان الوزير خائفاً مني، يقول للناس : لا بدّ لهذا أن يأخذ الوزارة، إما في حياتي أو بعد موتي، ويكثر السؤال عن حالي، ويقول : سمعت أن ملك الهند بعث إليه الأموال ليثور بها عليّ، وكان يخاف من سفري لتلاّ أتى بالجيوش من بلاد المعبر، فبعث إليّ أن أقيم حتى يُجهز لي مركباً فانييت، وشكت أخت السلطنة إليها بسفر أمها معي، فأرادت منعها فلم تقدر على ذلك ! فلما رأت عزمها على السفر قالت لها : إن جميع ما عندك من الحلي هو من مال البندر، فإن كان لك شهود بأن جلال الدين وهبه لك وإلا فردّيه ! وكان حلياً له خطر، فردّته إليهم، وأتاني الوزراء والوجوه وأنا بالمسجد وطلبوا مني الرجوع، فقلت لهم : لولا أنّي حلّفت لعدت، فقالوا : تذهب إلى بعض الجزائر ليبرّ قسمك وتعود، فقلت لهم : نعم، إرضاءً لهم.

161/4

فلما كانت اللّيلة التي سافرت فيها أتيت لوداع الوزير فعانقني وبكى حتى قطرت دموعه على قدمي، وبات تلك اللّيلة يحترس الجزيرة بنفسه خوفاً أن يثور عليه أصهاراي وأصحابي ! ثم سافرت ووصلت إلى جزيرة الوزير عليّ، فأصابت زوجتي أوجاع عظيمة وأحبّت الرجوع، فطلّقتها وتركتها هنالك، وكتبت للوزير بذلك لانها أمّ زوجة ولده، وطلّقت التي كنت ضربت لها الأجل، وبعثت عن جارية كنت أحبها، وسرنا في تلك الجزائر من إقليم إلى إقليم "

162/4

(235) أنظر التعليق 164 حول جزيرة MALUKKU

(236) سلّفي كما نقول في المغرب سلّيفي أي متزوج أخت زوجتي، هذا وقد كان ابن بطوطة سمّى الوزير حسن باسم سليمان...

ذكر النساء نوات الثدي الواحد

وفي بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدي واحد في صدرها، ولها بنتان - إحداهما كمثلها ذات ثدي واحد والأخرى ذات ثدين إلا أن أحدهما كبير فيه اللبن والآخر صغير لا لبن فيه، فعجبت من شأنهن¹

ووصلنا إلى جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليس بها إلا دار واحدة - فيها رجل حائك له زوجة وأولاد ونخيلات نارجيل، وقارب صغير يصطاد فيه السمك، ويسير به إلى حيث أراد من الجزائر، وفي جزيرته أيضاً شجيرات موز، ولم نر فيها من طيور البر غير غرابين خرجا إلينا لما وصلنا الجزيرة وطافا بمركبنا فغيبطت - والله - ذلك الرجل ووددت أن لو كانت تلك الجزيرة لي فانقطعت فيها إلى أن ياتيني اليقين²

163/4

ثم وصلت إلى جزيرة ملوك حيث المركب الذي لناخودة إبراهيم وهو الذي عزمت على السفر فيه إلى المعبر فجاء الي ومعه أصحابه وأضافوني ضيافة حسنة، وكان الوزير قد كتب لي أن أعطى بهذه الجزيرة مائة وعشرين بُسْتُوراً (237) من الكودة وهي الودع، وعشرين قدهاً من الأطوان وهو عسل - النارجيل وعدداً معلوماً من التنبول والفوفل والسمك في كل يوم.

164/4

وأقمت بهذه الجزيرة سبعين يوماً وتزوجت بها امرأتين، وهي من أحسن الجزائر. خضيرة نضيرة، رأيت من عجائبها أن الفصن يقطع من شجرها ويركز في الأرض أو الحائط فيورق ويصير شجرة، ورأيت الرمان بها لا ينقطع، له ثمر بطول السنة.

وخاف أهل هذه الجزيرة من لناخودة إبراهيم أن ينهبهم عند سفره فآرادوا امساك ما في مركبه من السلاح حتى يوم سفره، فوقعت المشاجرة بسبب ذلك وعدنا إلى المهل ولم ندخلها، وكتبت إلى الوزير معلماً بذلك، فكتب أن لا سبيل لأخذ السلاح، وعدنا إلى ملوك وسافرنا منها في نصف ربيع الثاني عام خمسة وأربعين (238) وفي شعبان من هذه السنة (239) توفي الوزير جمال الدين رحمه الله، وكانت السلطانة حاملاً منه فولدت أشر وفاته. وتزوجها الوزير عبد الله.

165/4

وسافرنا، ولم يكن معنا رايس عارف، ومسافة ما بين الجزائر والمعبر ثلاثة أيام. فسرنا نحن تسعة أيام وفي التاسع خرجنا إلى جزيرة سيلان، ورأينا جبل سرنديب

(237) انظر ج. IV - 122 - تعليق 189 - حول ظاهرة النساء ذوات الثدي الواحد انظر المقدمة.

(238) يوافق 26 غشت 1344، ويتعلق الأمر بالتاريخ الأول المضبوط الذي أعطاه منذ مغادرته لدلهي. وعليه فإن الأحداث الواقعة بين هذين التاريخين تقتضي على الأقل سنة تكميلية

(239) توافقت دجنبر 1344، انظر أيضاً التعليق رقم 202

ففيها ذاهبا في السماء، كانه عمود دخان (240)، ولما وصلتاها قال البحرية: إن هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل الشجار إلى بلاده آمين، إنما هذا مرسى في بلاد السلطان أيزي شكروتي، وهو من العتاة المفسدين، وله مراكب تقطع في البحر فخفا أن تنزل بمرساده، ثم اشتدت الريح فحفنا العرق، فقلت للناخودة: أنزلني إلى الساحل وأنا أخذ لك الأمان من هذا السلطان⁹ ففعل ذلك وأنزلني بالساحل، فأتانا الكفار، فقالوا: ما أنتم؟ فأخبرتهم أنني سلف سلطان المعبر وصاحبه، جئت لزيارته، وإن الذي في المركب هدية له فذهبوا إلى سلطانهم فأعلموه بذلك فاستدعاني فذهبت له إلى مدينة بطالة (241)، وضبط اسمها بفتح الباء، الموحدة والطاء. المهمل وتشديدها، وهي حضرته مدينة صغيرة حسنة عليها سور خشب وأبراج خشب وجميع سواحلها مملوءة بأعواد القرفة تأتي بها السيول فتجتمع بالساحل كأنها الروابي ويحملها أهل المعبر والمليبار دون ثمن إلا أنهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوه (242)، وبين بلاد المعبر وهذه الجزيرة مسيرة يوم وليلة، وبها أيضا

(240) جبل سرنديب هو الذي يوجد فيه أثر قدم سيدنا آدم، وسنديب هو الاسم العربي الفارسي القديم لسيلان (المأخوذ من أصل سنسكريتي Sinhaladivipa ثم عوض بكلمة سيلان أو سيلون Ceylon). وقد كانت جزيرة سيلان على ذلك العهد موزعة على عدة ممالك: مملكة التاميل في الشمال - مملكة جفنة وتمتد نحو الجنوب والساحل الغربي، و(مملكة سنهالة) التي كانت تتجه نحو وسط الجزيرة - أريا شكر شارتي (Arya Chakravarti) الذي يسميه ابن بطوطة (أيزي شكروتي) هو ملك للتاميل عرف عنه الشيء القليل وكان على قيد الحياة عام 769=1368 وفي تعليق لي بعنوان (ابن بطوطة في سيريلانكا) بمناسبة حركات التاميل أكدت حضور الرحالة المغربي في أثناء الاصطدامات التي كانت تنشب بين الفترة والأخرى بين مملكة (جفنة) التاميلية وبين مملكة سنهالة، وهو ما يؤكد أن مذكرات ابن بطوطة على ما أسلفنا أصبحت حجة لاصول الخلافت الدولية المصروحة اليوم¹⁰

Vernon L.B. Mendis: Currents Of Asian History / Colombo 1981 P. 172-182-337

- د. التازي: ابن بطوطة في سيرلانكا، جريدة العلم المغربية، 8 نونبر 1988

(241) بطالة، القصد إلى بوتالام (Putalam) على الساحل الغربي الشمالي لجزيرة سيلان. انظر الخريطة

(242) كانت القرفة المنتج الأساس الذي تصدره سيلان على ذلك العهد فقد كانت مطلوبة جدا في أوروبا وكذلك في بلاد الشرق الأوسط ومن هنا قرأنا عند تتبع التاريخ الدولي للإسلام عن السفارة التي توجه بها العاهل السنهالي يهو قانيكا باهو الأول (BHUVANEKABAHU) (683هـ-1284م) إلى ملك مصر للاطمئنان على استمرار تزويد البلاد بهذا المنتج من مملكة سنهالا (يلاحظ ذكر اسم ملك مصر محرّفا) - مصدر سابق B. Mendis: Currents Of Asian History P. 422

Stephane L. III P. 255 Note 242

من خشب البقم كثير، ومن العود الهندي المعروف بالكُخِي إلا أنه ليس كالقماري والفاقلي (243) وسنذكره.

167/4

ذكر سلطان سيلان

واسمه أيزي شَكْرُوتِي، بفتح الهمزة وسكون الياء وكسر الراء ثم ياء وشين معجم مفتوح فكاف مثله وراء مسكنة وواو مفتوح وتاء مغلوة مكسورة وياء، وهو سلطان قوي في البحر، رأيت مرة وأنا بالمعبر مائة مركب من مراكبه بين صفار وكبار، وصَلْتُ إلى هناك، وكانت بالمرسى ثمانية مراكب للسلطان برسم السفر إلى اليمَن فأمر السلطان بالاستعداد وحشد الناس لحماية أجفانه، فلما ينسوا من إنتهاز الفرصة فيها قالوا : إنما جئنا في حماية مراكب لنا تسير أيضاً إلى اليمن !

ولما دخلت على هذا السلطان الكافر قام إلي وأجلسني إلى جانبه وكلمني بأحسن كلام، وقال : ينزل أصحابك على الأمان ويكونون في ضيافتي إلى أن يسافروا، فإن سلطان المعبر بيني وبينه الصعبة، ثم أمر بإنزالي، فأقمت عنده ثلاثة أيام في إكرام عظيم متردٍ في كل يوم، وكان يفهم اللسان الفارسي، ويعجبه ما أحدثه به عن الملوك والبلاد.

168/4

ودخلت عليه يوماً وعنده جواهر كثيرة أتى بها من مغاص الجواهر الذي ببلاده، وأصحابه يميزون النفيس منها من غيره، فقال لي : هل رأيت مغاص الجواهر في البلاد التي جئت منها؟ فقلت له : نعم، رأيته بجزيرة قيس، وجزيرة كيشم التي لابن السَّوَاملي (244)، فقال: سمعت بها، ثم أخذ حبات منه فقال : أكون في تلك الجزيرة مثل هذه ؟ فقلت له : رأيته ما هو دونها، فأعجبه ذلك ! وقال : هي لك، وقال لي : لا تستحي وأطلب مني ما شئت، فقلت له : ليس مرادي منذ وصلت هذه الجزيرة إلا زيارة القدم الكريمة : قدم آدم عليه

169/4

(243) يتعلق الامر بعود البخور (Bois D'Aloès) الذي يعرفه المغاربة جيداً، والذي يُعرف برانحة الطيبة. وهو في الأصل إفرازة من : (Aloexylum Agallochum) أو (CAY DO) ناتجة عن مرض ! ويُستورد من آسيا الجنوبية الشرقية، وقد نص بعضهم على نوعية العود القماري والعود الفاقلي رابطاً الاتصال بين قمار (الكامبودج) وبين قاقلة (ماليزيا) انظر ج IV - 240 هذا وإن تسمية الكُخِي يحتمل أنها أتت من الكلمة الاغريقية (Agalocon) ؟ يراجع IV 242.

(244) أولاً ينبغي قراءة كيشم بدل كش وهو ما يوجد في مخطوطة 2399 - عز الدين عبد العزيز بن ابراهيم السواملي، خلف والده كسيّد على جزره : قيس والبحرين وكشم (Kishm) على ضفاف الخليج الفارسي حوالي 710=1310 - ممتلكات هذا السيد ستؤول إلى قطب الدين تهمش سلطان هرمز الذي احتلها بين الزيارة الأولى والثانية لابن بطوطة لهذه الجزيرة - حول جزيرة قيس يراجع ج 244-237.11

السلام يسمونه : بابا، ويسمون حواء ماما (245)، فقال : هذا هيئ ! تبعث معك من يوصلك، فقلت : ذلك أريد، ثم قلت له : وهذا المركب الذي جئت فيه يسافر أمناً إلى المعبر وإذا عدت أنا بعثتني في مراكبك، فقال : نعم.

فلما ذكرت ذلك لصاحب المركب قال لي : لا أسافر حتى تعود ولو أقمت سنة بسببك، فأنخبرت السلطان بذلك، فقال : يقيم في ضيافتي حتى تعود، فأعطاني دولة يحملها عبيده على أعناقهم، وبعث معي أربعة من الجوكية الذين عادتهم السفر كل عام إلى زيارة القدم، وثلاثة من البراهمة، وعشرة من سائر أصحابه وخمسة عشر رجلاً يحملون الزاد، وأما الماء فهو بتلك الطريق كثير.

ونزلنا ذلك اليوم على وادٍ جزناه في معدية مصنوعة من قصب الخيزران، ثم رحلنا من هنالك إلى منار مندلي، وضبط ذلك بفتح الميم والنون وألف وراء مسكنة وميم مفتوح ونون مسكن ودال مفتوح ولام مكسور وياء، مدينة حسنة هي آخر عمالة السلطان (246)، أضافنا أهلها ضيافة حسنة، وضيافتهم عجول الجواميس يصطادونها بغابة هنالك يأتون بها أحياء ويأتون بالارز والسمن والحوت والدجاج واللب.

ولم نر بهذه المدينة مسلماً غير رجل خراساني انقطع بسبب مرضه فسافر معنا، ورحلنا إلى بندر سلاوات (247)، وضبطه بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهمل وسكون الراء وفتح السين المهمل واللام والواو، والف وطاء معلولة، بلدة صغيرة، وسافرنا منها في أوعار كثيرة المياه، وبها القيلة الكثيرة إلا أنها لا تؤذي الزوار والغرباء وذلك ببركة الشيخ أبي عبد الله بن خفيف، رحمه الله، وهو أول من فتح هذا الطريق إلى زيارة القدم، وكان هؤلاء الكفار يمنعون المسلمين من ذلك ويؤذونهم ولا يؤاكلونهم ولا يبايعونهم، فلما اتفق للشيخ أبي عبد الله ما ذكرناه في السفر الأول (248) من قتل القيلة لأصحابه وسلامته من بينهم وحمل الفيل له على ظهره، صار الكفار من ذلك العهد يعظمون المسلمين ويدخلونهم نورهم ويطعمون معهم، ويطمننون لهم بأهلهم وأولادهم، وهم إلى الآن يعظمون الشيخ المذكور أشد تعظيم ويسمونه الشيخ الكبير.

(245) يعني آدم وحواء.

(246) منار مندلي (Minnar Mandel)، وتقع على طرف لسان شمال بوتالام (Pottalam) على بعد نحو عشرة أميال.

(247) القصد إلى (Chilam) دانما في اتجاه الجنوب على الساحل.

(248) انظر ج. 491 - 79 - 80 - 82 - هذا وما يزال هذا التعاطف ظاهراً إلى اليوم حيث نجد أن السكان يساعدون التجار العرب ويؤثرونهم على إخوانهم التجار البوذيين في الصين ! وقد ترجم بيكنكام السفر الأول بكسر السين على أنه السفر الثاني (بفتح السين - انظر التعليق (170))

ثم وصلنا بهد ذلك إلى مدينة كُنْكَار (249)، وضبط اسمها بضم الكاف الأولى وفتح النون والكاف الثانية وآخره راء وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد، وبنائها بين جبلين على خور كبير يسمى خور الياقوت، لأن الياقوت يوجد به، وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشاوش (250) بشينين بينهما واو مضموم. وسلطان هذه المدينة وأهلها يزورونه ويعظمونه وهو كان الدليل إلى القَدَم فلما قطعت يده ورجله صار الأدلاء أولاده وغلماته، وسبب قطعه أنه ذبح بقرة ! وحكم كفار الهنود أنه من ذبح بقرة ذبح كمثلها أو جعل في جلدها وحرق، وكان الشيخ عثمان معظما عندهم فقطعوا يده ورجله وأعطوه مجبى بعض الأسواق .

172/4

173/4

ذكر سلطان [كُنْكَار]

وهو يعرف بالكُنْكَار (251) بضم الكاف وفتح النون وألف وراء، وعنده القبل الأبيض، لم أر في الدنيا فيلاً أبيض سواه، يركبه في الأعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة، واتفق له أن قام عليه أهل دولته وكحلوا عينيه وولوا ولده وهو هناك أعمى.

ذكر الياقوت

والياقوت العجيب البهرمان (252) إنما يكون بهذه البلدة، فمنه ما يخرج من الخور، وهو عزيز عندهم، ومنه ما يحفر عنه. وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها، وهي مملكة فيشتري الانسان القطعة منها، ويحفر عن الياقوت فيجد أحجاراً بيضاء مشعّبة، وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها . فيعطيهما الحكّائين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار

174/4

(249) كُنْكَار رثما كان القصد إلى (Kurungala) تقع في داخل البلاد، وهي عاصمة دولة السنهالين منذ تاريخ 1248 . 683 وفيها كان يقيم ملوكهم.

(250) الشاوش كلمة تركية تعني الحارس أو المساعد.

(251) كُنْكَار ربما كان الأمر يتعلق بلقب من أصل سنسكريتي (Kunwar) (أمير) .. وعن السلطان الذي سملوا عينيه فإن القصد إلى فيجاياباهو الخامس (Vijayabahu V) الذي تملك من عام 1333 إلى 1344 ولده هو بهو فانايكاباهو الرابع (Bhuvanaikabahu IV) 1344-1553 = 745-754 وهو الذي حوّل عاصمته إلى كامبولا (Gampola) التي تقع أيضا في داخل الجزيرة. كان على ابن بطوطة أن يزور كورونجالا (Kurunegala) حوالي منتصف شهر شتنبر 1344 أوائل جمادى الأولى 745.

(252) البهرمان (L. Escarbouches) نوع من الياقوت الأحمر الفاتح، ويوجد في هذه الجزيرة الياقوت الجيد الذي لا يوجد مثله في العالم كله. وكذلك يوجد هنا النوع الأصفر الذي يسمى في الاصطلاح، الطوباز Topazes والنوع الأزرق الذي يسمى SAPHIR

الفيل الأبيض نقلًا عن الفريسي في كتابه عجائب المخلوقات - الجمعية الملكية الآسيوية -

الياقوت، فمنه الأحمر ومنه الأصفر ومنه الأزرق ويسمونه النِّيلم (253)، بفتح النون واللام وسكون الياء آخر الحروف.

وعادتهم أن ما بلغ ثمنه من أحجار الياقوت إلى مائة فَنَم، بفتح الفاء والنون، فهو للسلطان يُعطي ثمنه ويأخذه وما نقص عن تلك القيمة فهو لأصحابه، وصرف مائة فَنَم ستة دنانير من الذهب.

وجميع النساء بجزيرة سيلان لهن القلائد من الياقوت الملون ويجعلنه في أيديهن وأرجلهن عوضاً من الأسورة والخلاخيل (254)، وجواري السلطان يصنعن منه شبكة يجعلنها على رؤوسهن، ولقد رأيتُ على جبهة الفيل الأبيض (255) سبعة أحجار منه، كل حجر أعظم من بيضة الدجاجة، ورأيتُ عند السلطان أُثْرِي شُكْرُوتِي سُكْرُجَة على مقدار الكف من الياقوت، فيها دهن العود فجعلتُ أعجبُ منها فقال إن عندنا ما هو أضخم من ذلك.

175/4

ثم سافرنا من كُنْكَار (256) فنزلنا بمفارة تعرف باسم أسطا محمود اللّوري، بضم اللام، وكان من الصالحين، واحتفر تلك المفارة في سفح جبلٍ عند خورٍ صغير هناك، ثم رحلنا عنها ونزلنا بالخور المعروف بخور بُورُنة (257)، بالباء الموحدة وواو ونون وهاء، وبُورُنة هي القُرود.

نكر القُرود

والقُرودُ بتلك الجبال كثيرة جداً وهي سود الألوان لها أذنان طوال ولذكورها لحى كما هي للآداميين (258)، وأخبرني الشيخ عثمان وولده وسواهما أن هذه القُرود لها مقدم تتبعه

176/4

(253) إذن هناك البهرمان (الأحمر) والاصفر الطوّار، والأزرق السفير، وهو النِّيلم وهذا تعبير سنسكريتي يعني الأزرق.

(254) يختص اسم الخلاخيل بالحلي الذي يجعل عند عراقيب الأرجل ج خلال.

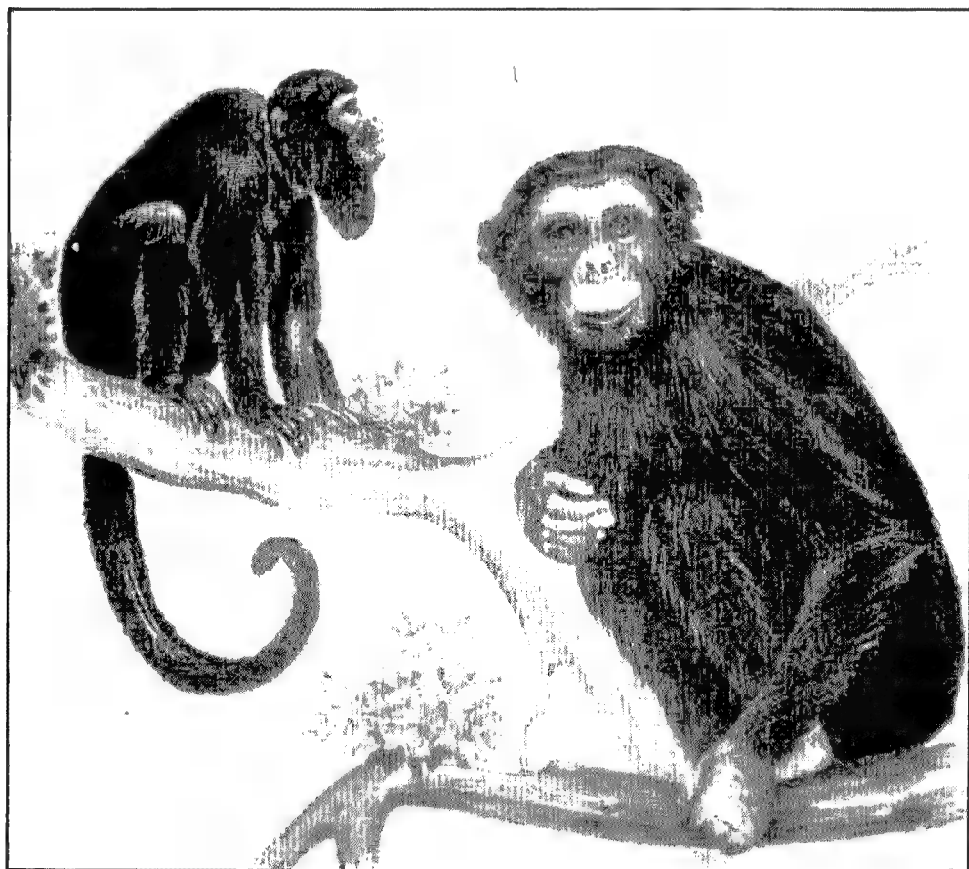
(255) الفيل الأبيض رمز للسلطة العليا في تلك الأيام

S. Paranavitana in University of Ceylon History of Ceylon I. PT 2, P. 640

(256) إبتداء من كُورُونْغالا (Kurunegala) إلى جبل قَدَم آدم فإن المسافة تصبح سهلة الاتباع.

(257) بُورُنة يعني بالفارسية القرد. المسافة بين كُورُونْغالا (Kurunegalla) وبين جبل آدم، تتم في قلب الجزيرة، وهناك انحراف يمر عبر خور يظهر أنه يصعب احتماله. ينبغي أن نفهم أن كلمة خليج تعني منفذاً أو صهريجاً على ما يظهر.

(258) يتعلق الامر بنوع من القردة يعرف بالقردة المقدسة للهند، وهي كثيرة في سيلان، لها شعر رمادي فضي، لكن قوائنها ووجوهها سود، تعيش جماعات جماعات وهي تحترم جداً الهيرارشية فيما بينها¹ وأذكر أنني كلّفت بترجمة هذه القطعة يوم 9 يناير 1952 وأنا طالب بمعهد الدراسات العليا.



أنواع من القرد

كأنه سلطان يشد على رأسه عصا من أوراق الأشجار ويتوكأ على عصا ويكون عن يمينه ويساره أربعة من القروء لها عصى بأيديها وأنه إذا جلس القرد المقدم تقف القروء الأربعة على رأسه وتأتي أنثاه وأولاده فتقعد بين يديه كل يوم، وتأتي القروء فتقعد على بعد منه ثم يكلمها أحد القروء الأربعة فتتصرف القروء كلها، ثم يأتي كل قرد منها بموزة أو ليمونة أو شبه ذلك فيأكل القرد المقدم وأولاده والقروء الأربعة.

وأخبرني بعض الجوكية أنه رأى القروء الأربعة بين يدي مقدمها وهي تضرب بعض القروء بالعصى ثم تنفت وبره بعد ضربه، وذكر لي الثقات أنه إذا ظفر قرد من هذه القروء بصبي لا تستطيع الدفاع عن نفسها، جامعها، وأخبرني بعض أهل هذه الجزيرة أنه كان يداره قرد منها فدخلت بنت له بعض البيوت فدخل عليها فصاحت به فغلبها، قال ودخلنا عليها وهو بين رجلها فقتلناه!

177/4

ثم كان رحيلنا إلى خور الخيزران، ومن هذا الخور أخرج أبو عبد الله بن خفيف الياقوتين اللتين أعطاهما لسلطان هذه الجزيرة حسبما ذكرناه في السفر الأول (259).

ثم رحلنا إلى موضع يعرف ببيت العجوز وهو آخر العمارة، ثم رحلنا إلى مغارة بابا طاهر، وكان من الصالحين، ثم رحلنا إلى مغارة السبكي، بفتح السين المهمل وكسر الباء الموحدة وباء مد وكاف، وكان السبكي من سلاطين الكفار وانقطع للعبادة هناك.

178/4

ذكر العلق الطيار

وبهذا الموضع رأينا العلق الطيار ويسمونه الزؤل (260)، بضم الزاي واللام، ويكون بالأشجار والحشائش التي تقرب من الماء فإذا قرب الإنسان منه وثب عليه، فحيثما وقع من جسده خرج منه الدم الكثير! والناس يستعدون له الليمون، ويعصرونه عليه فيسقط عنهم ويجربون الموضع الذي يقع عليه بسكين خشب معد لذلك.

ويذكر أن بعض الزوار مرَّ بذلك الموضع فتعلقت به العلق فاظهر الجلد ولم يعصر

(259) راجع II 80-81 - بيكينغام يترجم السفر بالسفر¹⁴

(260) الزؤل: الكلمة فارسية، ويتعلق الامر بنوع صغير من العلق الذي يعيش في سيلان، ويعرف Mzik هذا العلق باسم Haemodella Ceylanica قائلا أن هذا العلق أصفر وأشهر علق يمكن أن يكون خطيراً Beckingham T.N P. 352 - Note 16. وهذا غير العلق الطبي (Sangsue) الذي تستعمله المستشفيات الأوروبية، والذي نجد له ذكراً في المواد التي تصدر من المغرب إلى إنجلترا مثلاً - انظر د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج. 65، 10 حول المكى القباچ الذي كان له حق احتكار هذه التجارة.

عليها الليمون فنزف دمه ومات، وكان اسمه بابا خوزي بالخاء المعجم المضموم والزاي، وهناك مغارة تنسب إليه.

ثم رحلنا إلى السبع مغارات ثم إلى عقبة إسكندر، ثم مغارة الاصفهانى وعين ماء وقلعة غير عامرة، تحتها خور يعرف بغُوطَة كاه عارفان، وهناك مغارة النارنج، ومغارة السلطان وعندها دُرُوازَة الجبل أي بابيه.

[79/4]

ذكر جبل سرنديب (261).

وهو من أعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر، وبيننا وبينه مسيرة تسع، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا، قد حال بيننا رؤية أسفله وفيه كثير من الأشجار التي لا يسقط لها ورق، والأزاهير الملونة، والورد الأحمر على قدر الكف، ويزعمون أن في ذلك الورد كتابةً يقرأ منها إسم الله تعالى وإسم رسوله عليه الصلاة والسلام، وفي الجبل طريقان إلى القَدَم : أحدهما يعرف بطريق بابا والآخر بطريق ماما يعنون آدم وحواء عليهما السلام، فاما طريق ماما فطريق سهل، عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر وأما طريق بابا فصعب وعَر المرتقى. وفي أسفل الجبل، حيث دروازته، مغارة تنسب أيضاً لاسكندر وعين ماء.

[80/4]

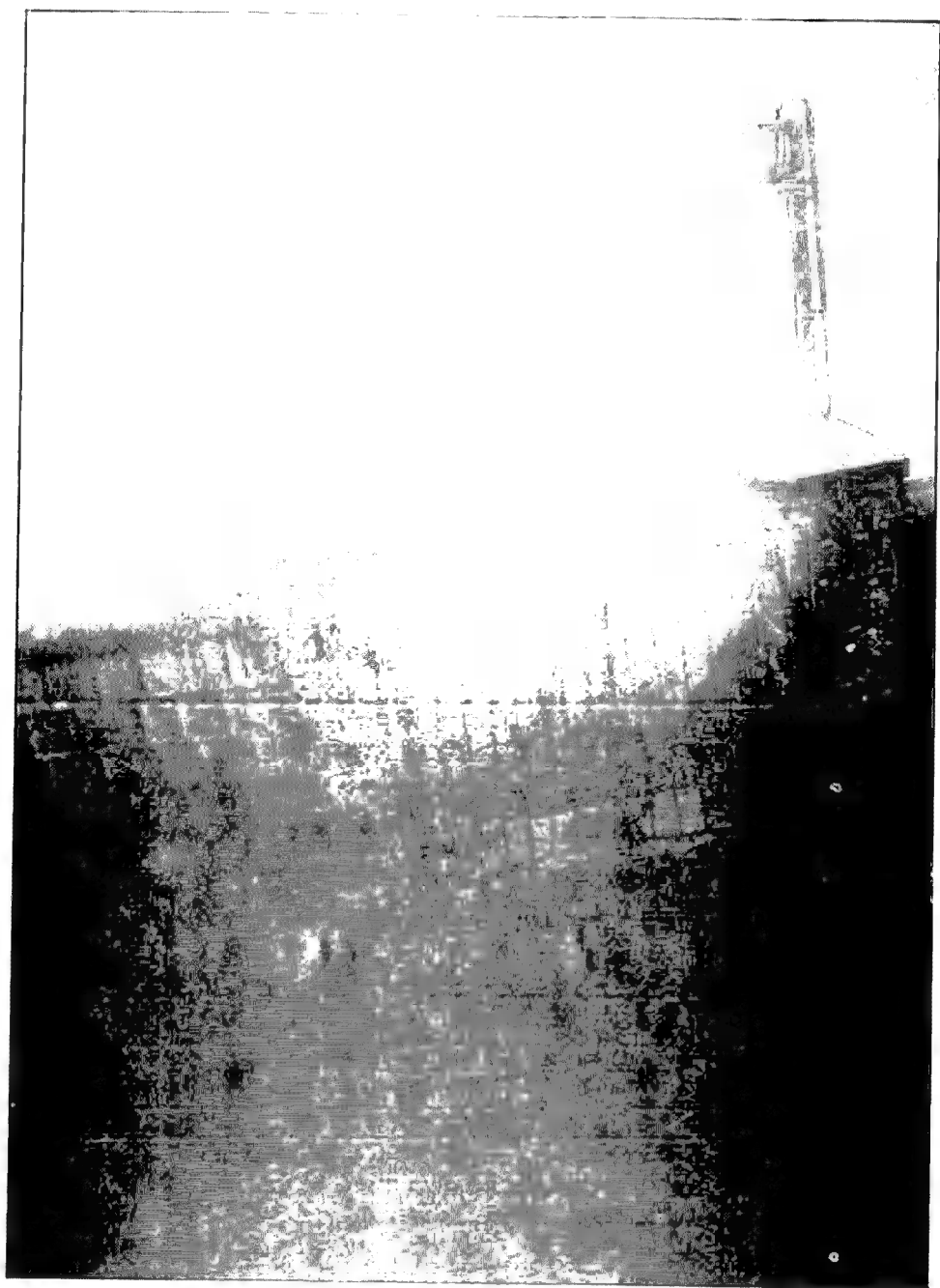
ونحت الأولون في الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها أوتاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسك بها من يصعده (262)، وهي عشر سلاسل : ثنتان في أسفل الجبل حيث الدوروازة، وسبع متوالية بعدها، والعاشرة هي سلسلة الشهادة لأن الانسان إذا وصل إليها ونظر إلى أسفل الجبل أدركه الوهم فيتشهد خوف السقوط، ثم إذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقاً مهملاً، ومن السلسلة العاشرة إلى مغارة الخُصير (263) سبعة أميال، وهي في

[81/4]

(261) قمة جبل آدم التي تبلغ 2.243 متر ليست هي أعلى جبال في سيلان، هذا وإن الطابع المقدس الذي اتخذته الجبل جعله معتبراً سواء عند البوذيين الذين يرون فيه أثراً لقدم بوذا أو عند المسلمين الذين يرون فيه أثراً لآدم الذي هبط من الجنة على هذا الجبل ويذكر أن حواء زوجة آدم نزلت في جدة بالجزيرة العربية وقد ورد في أخبار الصين والهند التي جمعت سنة 237. وفي أرضها جبل يدعى الزهن وعليه هبط آدم عليه السلام وقدمه في صفا رأس هذا الجبل منقصة في الحجر في رأس هذا الجبل قدم واحدة. وحول هذا الجبل معدن الجوهر. وفي هذه الجزيرة ملكان. نشر هذا الكتاب J. Sauvaget باريز BECKINGHAM IV.P 854 N 22.1948.

(262) السلاسل ما تزال إلى الآن موجودة. وقد ادى ماركو پولو وصفاً للموضوع على هذا النحو.

(263) حول الخُصير، انظر ج. 1 - 195 - 234 و.ج. II - 19 - 232 - 349 - 369 و.ج. IV - 61



موضع فسيح، عندها عين ماء تنسب إليه، ملأى بالحوث ولا يصطاد أحد، وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق، وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين إلى أعلى الجبل حيث القدم.

ذكر القدم

وأثر القدم الكريمة قدم أبينا آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضاً، وطولها أحد عشر شبراً، وأتى إليها أهل الصين قديماً فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام وما يليه (264) وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من أقصى البلاد.

182/4

وفي الصخرة حيث القدم، تسعُ حفر منحوتة يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب والياقوت والجواهر، فترى الفقراء إذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لأخذ ما بالحفر! ولم نجد بها إلا يسير حُجيرات وذهب أعطيناها الدليل.

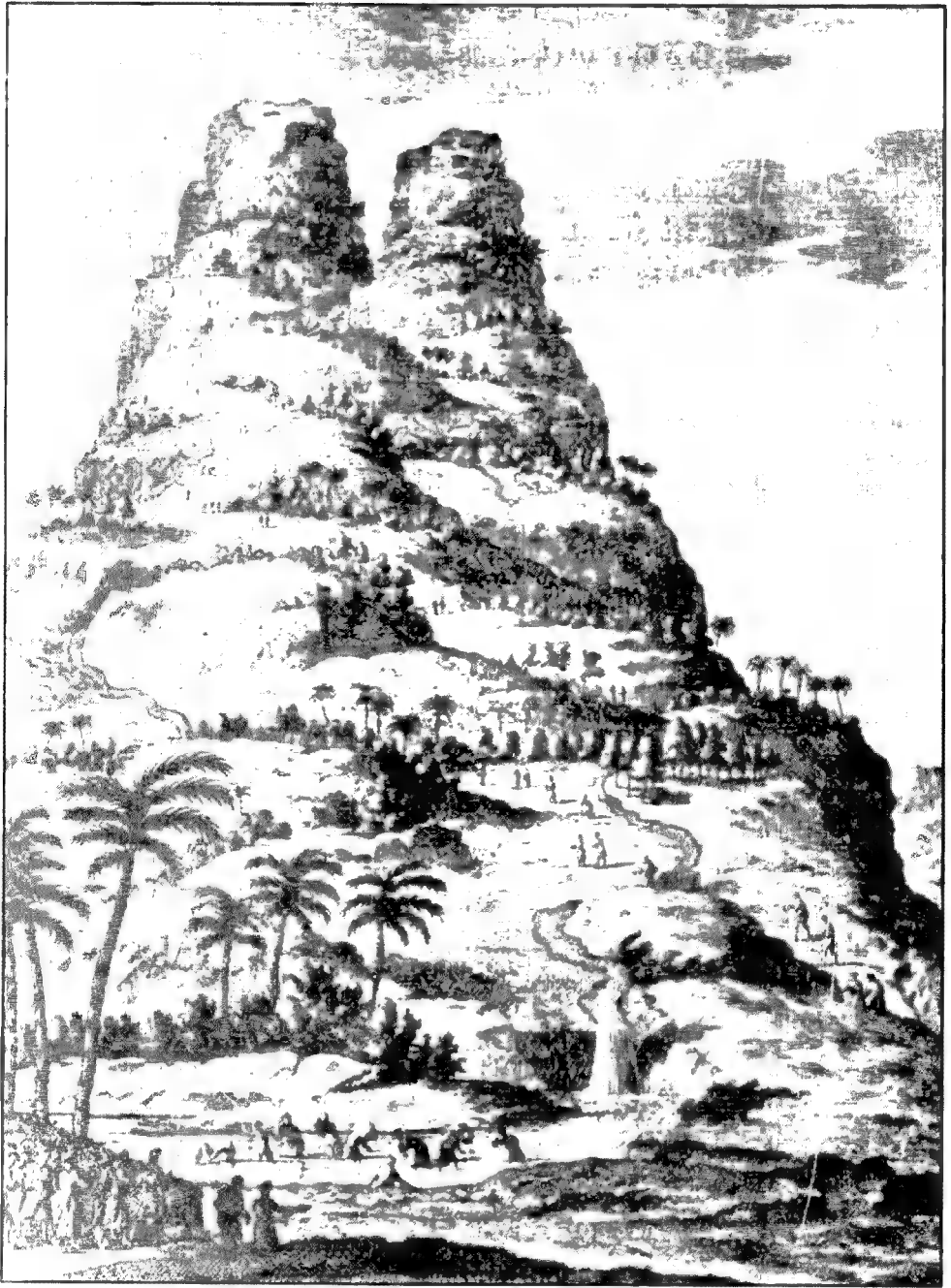
والعادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام ياتون فيها إلى القدم غدوة وعشيا، وكذلك فعلنا.

ولما تمت الأيام الثلاثة عدنا على طريق ماما، فنزلنا بمغارة شيم، وهو شيت بن آدم عليهما السلام، ثم إلى خور السمك، ثم إلى قرية كُرملة، بضم لكاف وسكون الراء وضم الميم، ثم إلى قرية جَبْرُكاوان، بفتح الجيم والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون 1 ثم إلى قرية دِلْ دينوه، بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن وياء مد ونون مفتوح وواو مفتوح وتاء تانيث، ثم إلى قرية أَثْ قَلْنَجْ (265)، بهمزة مفتوحة وتاء مثناة مسكنة وقاف ولام مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح، وهناك يشتي الشيخ أبو عبد الله بن خفيف.

183/4

(264) حسب ما رواه ماركو پولو عام 1284 فإن الخان الأعظم بعث بسفارة إلى سيلان نجحت في أن تنقل معها إلى خان باليك (بيكين) ضرسين وشعرات. وبعض المواد وأنية خضراء منحوتة من حجر محفوظ في الجبل، ويعتقد أن هذه المواد كانت ملكاً لبودا أو آدم هذا وسنرى أن ابن بطوطة يخط بين شيم ولد نوح وشيت ولد آدم.

(265) لم تُمكننا استشارة خريطة لسيلان Cylon ولو أنها من مقياس 1/63000 من تحديد مضبوط لهذه الامكنة المذكورة من قبل ابن بطوطة، قرية كُرملة - جَبْرُكاوان - دِلْ دينوه - أَثْ قَلْنَجْ. اللهم إذا قلنا أن (ادل دِينوه) تعني دينايا (Denyaya) في إقليم الجنوب، وقلنا إن (أَثْ قَلْنَجْ) يمكن أن تكون أَنتَلُو (Antenluwo) في الخريطة التي وضعها فرانسوا فالانتيجنس (François Valentijn's) حوالي عام 1686...



المكان المقصود من سائر التزيينات

وكل هذه القرى والمنازل هي بالجبل وعند أصل الجبل في هذا الطريق دَرَحَتْ رَوَان، ودَرَحَتْ هي بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلولة، ورَوَان بفتح الراء والواو وألف ونون، وهي شجرة عادية لا يسقط لها ورق، ولم أر من رأى ورقها، ويعرفونها أيضا بالماشية (266) لأن الناظر اليها من أعلى الجبل يراها بعيدةً منه قريبة من أسفل الجبل، والناظر اليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك !

ورأيت هناك جملةً من الجوكيين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهي بحيث لا يمكن التوصل اليها ألبتةً ولهم أكاذيب في شأنها من جملتها أن من أكل من أوراقها عاد له الشباب إن كان شيخاً وذلك باطل ! وتحت هذا الجبل الخور العظيم الذي يخرج منه الياقوت، وماؤه في رأى العين شديد الزرقة.

184/4

ورحلنا من هناك يومين إلى مدينة دينُور، وضبط اسمها بدال مهمل مكسور وياء مد ونون وواو مفتوحين وراء، مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجار (267)، وبها الصنم المعروف بدينُور في كنيسة عظيمة فيها نحو الآلف من البراهمة والجوكية ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود، ويفنن كل ليلة عند الصنم ويرقصن، والمدينة ومجاهاها وقف على الصنم وكل من بالكنيسة، ومن يرد عليها، يأكلون من ذلك، والصنم من ذهب على قدر الأدمي، وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أخبرت أنهما تضيئان بالليل كالقنديلين.

185/4

ثم رحلنا إلى مدينة قالي (268)، بالقاف وكسر اللام، وهي صغيرة على ستة فراسخ من دينُور، وبها رجل من المسلمين يعرف بالناخودة إبراهيم أضافنا بموضع، ورحلنا إلى مدينة كَلْبُوب (269)، وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وسكون النون وضَم الباء الموحدة وواو، وهي من أحسن بلاد سرنديب وأكبرها، وبها يسكن الوزير حاكم البحر جَالَسْتِي (270)، ومعه نحو خمسمائة من الحبشة.

(266) يعني التي تمشي : تتقلب العين عند النظر إليها...

(267) دينُور القصد إلى دُونُورَه وليس إلى المدينة الشهيرة (دينور) الموجودة في كردستان، جنوب شرقي كرمان شاه حيث كان الصنم المعروف قِشْنُو (Vishnu) الذي هدم عام 1587 من لدن البرتغاليين

انظر ج II، ص 105

Gibb : Ibn Battūta in Asia and Africa P. 365 - Bechingham P. 855 - Note 27.

(268) قالي (Galle) توجد على الساحل في غرب دُونُورَه سالفة الذكر ميناء نشيط على ذلك العهد، وهو معروف بتصدير الأحجار الكريمة. انظر الخريطة

(269) كَلْبُوب (Colombo) على الساحل الغربي، وهي العاصمة الحالية للجزيرة، ونحن مدينون لابن بطوطة في معرفة ضبط النطق بها على ذلك العهد على نحو ما نرى بالنسبة للنطق بدلهي بدال دلهي الحالية - وأن وجود جالية إسلامية بالمدينة يرجع بدون شك لدورها كمركز لتصدير القرفة، وستصبح بعد سنوات خاضعة للتأميل ولكنها سترجع عام 1368=770 للمسلمين

(270) كلمة جالاستي ليست علماً شخصياً ولكنها - كما يرى أحد المعلقين من المنطقة لقب تشريف ووظف أمير قائد

ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام إلى بَطالة، وقد تقدم ذكرها، ودخلنا إلى سلطانها الذي تقدم ذكره، ووجدت الناخودة ابراهيم في انتظاري، فسافرننا بقصد بلاد المعبر، وقويت الريح وكاد الماء يدخل في المراكب ولم يكن لنا ريس عارف.

ثم وصلنا إلى حجارة كاد المركب ينكسر فيها، ثم دخلنا بحراً قصيراً فتجلّس المركب، ورأينا الموت عياناً، ورمى الناس بما معهم وتوادعوا وقطعنا صاري المركب فرمينا به وصنع البحرية معدية من الخشب، وكان بيننا وبين البر فرسخان، فأردت أن أنزل في المعدية، وكان لي جاريتان وصاحبان من أصحابي فقالا : أنزل وتتركنا ؟ فآثرتهما على نفسي وقلت : انزلا انتما والجارية التي أحبها، فقالت الجارية : إني أحسن السباحة، فأتعلق بحبل من حبال المعدية وأعووم معهم، فنزل رفيقاي وأحدهما محمد بن فرحان التوزري، والآخر رجل مصري، والجارية معهم والأخرى تسبح، وربط البحرية في المعدية حبالاً وسبحوا بها، وجعلت معهم ما عرّ علي من المتاع والجواهر والعنبر، فوصلوا إلى البر سالمين لأن الريح كانت تساعدهم.

186/4

187/4

وأقمت بالمركب ونزل صاحبه إلى البر على الدّفة وشرع البحرية في عمل أربع من المعادي فجاء الليل قبل تمامها ودخل معنا الماء فصعدت إلى المؤخر وأقمت به حتى الصباح، وحينئذ جاء إلينا نفر من الكفار في قارب لهم، ونزلنا معهم إلى ساحل ببلاد المعبر، فأعلمناهم أنّا من أصحاب سلطانهم وهم تحت ذمته، فكتبوا إليه بذلك، وهو على مسيرة يومين في الغزو، وكتبنا أنا إليه أعلمه بما اتفق علي، وأدخلنا أولئك الكفار إلى غيضة فأتونا بفاكهة تشبه البطيخ يثمرها شجر المقل (271)، وفي داخلها شبه قطن فيه عسيلة يستخرجونها ويصنعون منها حلواء يسمونها التّل (272) وهي تشبه السكر وأتوا بسمك طيب.

188/4

وأقمنا ثلاثة أيام ثم وصل من جهة السلطان أمير يعرف بقمر الدين معه جماعة فرسان ورجال وجاءوا بالدولة وبعشرة أفراس فركبت وركب أصحابي وصاحب المركب وإحدى الجاريتين، وحملت الأخرى في الدولة، ووصلنا إلى حصن هُرْكَاتو (273)، وضبط اسمه بفتح الهاء وسكون الراء وفتح الكاف وألف وتاء معلولة مضمومة وواو.

(271) المقل ثمر شجر الدوم أو شجر المقل، والدوم من فصيلة النّخلات ساقه مشعبة يستخرج من ثماره نوع من الدبس.

(272) تِل : كلمة من أصل سنسكريتي (Tala) وهو يطلق على الشجر كما يطلق على ثمرها (Hyphaena Thebaica)

(273) باللغة التاميلية نجد أن كلمة (aru-Kadu) وتعني ست غابات ولا يمكن أن يكون القصد إلى Arcote كما تصوّرها الناشران الفرنسيان (188,4).

- Gibb Selec. P. 365 Chap IX N° 1

ويتنا به وتركت فيه الجواري وبعض الغلمان والاصحاب ووصلنا في اليوم الثاني إلى محلة السلطان.

ذكر سلطان بلاد المعبر

وهو غياث الدين الدامغاني، وكان في أول أمره فارساً من فرسان الملك مجير (274) بن أبي الرجا أحد خدام السلطان محمد، ثم خدم الأمير حاجي بن السيد السلطان جلال الدين ثم ولي الملك، وكان يدعى سراج الدين قبله، فلما ولي تسمى غياث الدين، وكانت بلاد المعبر تحت حكم السلطان محمد ملك دهلي، ثم ثار بها صهري الشريف جلال الدين أحسن شاه (275)، وملك بها خمسة أعوام، ثم قُتل ووُلِّيَ أحدُ أمرائه، وهو علاء الدين أُدَيُّجِي (276) بضم الهمزة وفتح الدال المهمل وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم، فملك سنة ثم خرج إلى غزو الكفار فأخذ لهم أموالاً كثيرة وغنائم واسعة وعاد إلى بلاده، وغزاهم في السنة الثانية فهزهم وقتل منهم مقتلة عظيمة.

واتفق يوم قتله لهم أن رفع المغفر عن رأسه ليشرب فأصابه سهمٌ غرب، فمات من حينه فولوا صهره قطب الدين (277) ثم لم يحمدا سيرته فقتلوه بعد أربعين يوماً وولي بعده السلطان غياث الدين (278) وتزوج بنت السلطان الشريف جلال الدين التي كنت متزوجاً أختها بدهلي.

(274) هو الملك مجير بن أبي الرجا، يرجع إلى ج. III - 230 - 318 وج. IV - 5 - 6

(275) من المهم أن نسجل هنا أنه لا يعرف التاريخ الغابر لسلطنة مُثَرَّة (Madura) إلا من خلال هذه المعلومات الاصلية التي أوردها ابن بطوطة والتي تؤيدها بعض القطع النقدية. جلال الدين أحسن ثار عام 734=1334 (دائماً حسب إفادة ابن بطوطة) ويعد الحركة الغير الموقفة لحمد ابن ثَقَلُج نَجح في تكوين سلطنة في أقصى الجنوب الهندي وحكم إلى سنة 739=1339 - تزوج ابن بطوطة بابنته عندما كان في دهلي - حول مُثَرَّة (Madura) أنظر (V.L.B. Mendis) في كتابه (Currents) ص 453/219/84/70 سالف الذكر.

(276) علاء الدين أُدَيُّجِي حكم - ودائماً حسب مرويات ابن بطوطة - من عام 739=1339 إلى سنة 741=1341. وكان عليه أن يتقاتل مع آل بانديا (Pandya)، الدولة المحلية القديمة التي تحتفظ دائماً بقبسٍ من البلاد. Beckingham IV, P. 858 N° 2.

(277) حسب القطعة النقدية التي ظهرت في وقته فإن السلطان هو قطب الدين فيروز شاه.

(278) غياث الدين محمد شاه الدغمانِي 1341-1344.

نكر وصولي إلى السلطان غياث الدين

ولما وصلنا إلى قرب من منزله بعث بعض الحجاب لتلقينا وكان قاعداً في برج خشب وعادتهم بالهند كلها أن لا يدخل أحد على السلطان بون خُفْ، ولم يكن عندي خف، فأعطاني بعض الكفار خفاً، وكان هنالك من المسلمين جماعة فعجبت من كون الكافر كان أتم مروءة منهم! (279) ودخلت على السلطان فأمرني بالجلوس ودعا القاضي الحاج صدر الزمان بهاء الدين، وأنزلني في جواره في ثلاثة من الأخبية، وهم يسمونها الخيام وبعث بالفرش ويطعامهم، وهو الأرز واللحم.

191/4

وعادتهم هنالك أن يسقوا اللبن الراثب على الطعام كما يفعل بيلادنا، ثم اجتمعت به بعد ذلك، وألقيت له أمر جزائر ذبية المهل وأن يبعث الجيش إليها فأخذ في ذلك بالعزم وعين المراكب لذلك، وعين الهدية لسلطانيتها والخلع للوزراء والأمراء والعطايا لهم وفوض إلي في عقد نكاح مريم (280) أخت السلطانة وأمر بوسق ثلاثة مراكب بالصدقة لفقراء الجزائر، وقال لي يكون رجوعك بعد خمسة أيام، فقال له قائد البحر خُواجه سَرُوك : لا يمكن السفر إلى الجزائر إلا بعد ثلاثة أشهر من الآن، فقال لي السلطان : أما إذا كان الأمر هكذا فامض إلى فتن حتى (281) حتى نقضي هذه الحركة ونعود إلى حضرتنا مُترة (282) ومنها تكون الحركة فأقمت معه بخلاف ما بعثت عن الجوّاري والأصحاب.

192/4

(279) ذكرني هذا يوم 13 / 5 / 1963 وقد طلب الوزير أحمد بلافريج من مولاي الأمين ابن زيدان أن يعبرني طربوشه لأتسلم أوراق اعتمادي سفيراً إلى بغداد وكنت أنسبته، أي الطربوش !

(280) عوض (مريم) توجد كلمة (جميع) في النسخ الباريزية جميعها، وفي مخطوطة تونسية كذلك ولا نرى لها معنى ظاهراً، والصواب ما ورد في مخطوطة مولاي العباس (الخزانة الملكية، رقم 3030 ص 612)، وما ورد في مخطوطة (الخزانة العامة رقم 2399) والوارد فيهما كلمة (مريم) وهو بالفعل اسم أخت السلطانة التي تعرف أيضاً باسم (Radafati)، راجع التعليق رقم 206 سالف الذكر.

(281) نظراً لوفرة المواقع التي تحمل اسم فتن (بيطنام Patano) فإنه من الصعب أن يحدد المرء موقع فتن هذه، وإن الميناء الرئيسي للمعبر حتى بداية القرن الرابع عشر كان هو كافيريبطنام (Kaveripattanam) الواقع على أحد أطراف وادي كافيري (Kaveri)، وقد هدم بفعل طوفان وقع على هذا العهد، يتعلق الأمر إما بهذه المدينة أو بمدينة ناكاباثنام (Nagappattinam) الواقعة أكثر إلى الجنوب أنظر الخريطة - راجع التعليق 275 - ويستغرب السير كيب من عدم ذكر ابن بطوطة ميناء كايل Kayal (ماركو بولو : كايل Cail) الذي يقع جنوب توتيكورين (Tuticorin) والذي كان أهم محطة تجارية على ذلك العهد - أنظر الخريطة.

(282) حول مُترة التي تحمل في الخرائط اسم (Madura) راجع التعليق 275 والتعليق 281 وقد قلنا أن افادات ابن بطوطة عن هذه المملكة، ولو أنها لم تعمر طويلاً، كانت افادات أصيلة.

ذكر ترتيب رحيله وشنيع فعله في قتل النساء والولدان.

وكانت الأرض التي نسلكتها غيضةً واحدة من الأشجار والقصب بحيث لا يسلكها أحد فأمَرَ السلطان أن يكون مع كل واحدٍ من في الجيش من كبير وصغير قاذوم لقطع ذلك، فإذا نزلت المحلة ركب إلى الغابة والناس معه فقطعوا تلك الأشجار من عدوة النهار إلى الزوال، ثم يوتي بالطعام فيأكل جميع الناس طائفة بعد أخرى، ثم يعودون إلى قطع الأشجار إلى العشي وكل من وجوده من الكفار في الغيضة أسروه، وصنعوا خشبةً محددة الطرفين فجعلوها على كتفيه يحملها ومعه امرأته وأولاده ويوتي بهم إلى المحلة !

193/4

وعادتهم أن يصنعوا على المحلة سوراً من خشب يكون له أربعة أبواب ويسمونه الكُتْكُر، يفتح الكافين وسكون التاء المعلولة وآخره راء، ويصنعون على دار السلطان كُتْكُرًا ثانياً يصنعون خارج الكُتْكُر الأكبر مصاطب ارتفاعها نحو نصف قامة ويوقدون عليها النار بالليل ويبيت عندها العبيد والمشائون، ومع كل واحدٍ منهم حزمة من رقيق القصب، فإذا أتى أحد من الكفار ليضربوا على المحلة ليلاً أوقد كل واحد منهم الحزمة التي بيده، فعاد الليل شبه النهار، لكثرة الضياء وخرجت الفرسان في اتباع الكفار، فإذا كان عند الصباح، قُسم الكفار الماسورون بالأمس أربعة أقسام وأوتى إلى كل باب من أبواب الكُتْكُر بقسم منهم فركزت الخشب التي كانوا يحملونها بالأمس عنده ثم ركزوا فيها حتى تنفذهم، ثم تذبج نساؤهم ويربطن بشعورهم إلى تلك الخشب ويذبح الأولاد الصغار في حجورهم ويتركون هنالك وتنزل المحلة ويستغلون بقطع غيضة أخرى يصنعون بمن أسروه كذلك !

194/4

وذلك أمرٌ شنيع ما علمته لأحدٍ من الملوك وبسببه عجل الله حَيْثَهُ ! ولقد رأيتُه يوماً والقاضي عن يمينه وأنا عن شماله وهو يأكل معنا وقد أوتي بكافر معه امرأته وولده سنُّه سبع فأشار إلى السيفين بيده أن يقطعوا رأسه، ثم قال لهم وَزْنُ أَوْ وَبَسِيرُ أَوْ (283) معناه : وابنه وزوجته فقطعت رقابهم، وصرفت بصري عنهم فلما قُمت وجدت رؤوسهم مطروحة بالأرض ! وحضرت عنده يوماً وقد أتى رجل من الكفار فتكلم بما لم أفهمه فإذا بجماعة من الزبانية قد استلوا سكاكينهم، فبادرت القيام، فقال لي : إلى أين ؟ فقلت : أصلي العصر، ففهم عني وضحك، وأمر بقطع يديه ورجليه، فلما عدت وجدته متسطحاً في دمانه !

195/4

ذكر هزيمته للكفار وهي من أعظم فتوحات الإسلام

وكان في ما يجاور بلاده سلطان كافر يسمى بلال ديو (1284)، بفتح الباء الموحدة ولام وألف ولام ثانية ودال مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة وواو مسكن، وهو من كبار سلاطين الكفار يزيد عسكره على مائة ألف، ومعه نحو عشرين ألفاً من المسلمين أهل الذعارة وذوى الجنائيات والعبيد الفارين، فطمع في الاستيلاء على بلاد المغبر، وكان عسكر المسلمين بها ستة آلاف منهم النصف من الجياد والنصف الثاني لا خير فيهم ولا غناء عندهم فلقوه بظاهر مدينة كُبان (285) فهزموهم ورجعوا إلى حضرة مُثَرَّة، ونزل الكافر على كُبان وهي من أكبر مدنتهم وأحصنها وحاصرها عشرة أشهر ولم يبق لهم من الطعام إلا قوت أربعة عشر يوماً، بعث لهم الكافر أن يخرجوا على الأمان ويتركوا له البلد، فقالوا له : لا بد من مطالعة سلطاننا بذلك، فوعدهم إلى تمام أربعة عشرة يوماً، وكتبوا إلى السلطان غياث الدين بأمرهم فقرأ كتابهم على الناس يوم الجمعة، فبكوا، وقالوا : نبيع أنفسنا ۞ من الله، فإن الكافر إن أخذ تلك المدينة انتقل إلى حصارنا، فالموت تحت السيوف أولى بنا ! فتعاهدوا على الموت وخرجوا من الغد ونزعوا العمائم عن رؤوسهم وجعلوها في أعناق الخيل، وهي علامة من يريد الموت، وجعلوا نوى النجدة والأبطال منهم في المقدمة، وكانوا ثلاثمائة، وجعلوا على الميمنة سيف الدين بها دور، وكان فقيهاً ورعاً شجاعاً، وعلى المسيرة الملك محمد السكحدار (286)، وركب السلطان في القلب ومعه ثلاثة آلاف، وجعل الثلاثة الآلاف الباقين ساقية لهم، وعليهم اسد الدين كَيْخَسْرُو الفارسي، وقصدوا محلة الكافر عند القايلة، وأهلها على غرة، وخيلهم في المرعى فأغاروا عليها، وظن الكفار أنهم سُرَّاق ۞ فخرجوا اليهم على غير تعبئة وقاتلوهم، فوصل السلطان غياث الدين فانهزم الكفار شرَّ هزيمة، وأراد سلطانهم أن يركب وكان ابن ثمانين سنة، فأدركه ناصر الدين بن أخي السلطان الذي ولي الملك بعده، فأراد قتله، ولم يعرفه، فقال له أحد غلمانه : هو السلطان، فأسره وحمله إلى عمه فأكرمه في الظاهر حتى جَبَى منه الأموال والفيلة والخيل، وكان يعده السراح، فلما استصفى ما عنده ذبحه وسلخه، وملئ جلدُه بالتبن، فعلق على سور مُثَرَّة، ورايته بها معلقاً !

196/

197/

198/4

199/4

ولنعد إلى كلامنا فنقول : ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة قَتْن، بفتح القاء والتاء المثناة المشددة ونون وهي كبيرة حسنة على الساحل، ومرساها عجيب قد صنعت فيه قبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخام ۞ يصعد إليها على طريق خشب مسقف، فإذا جاء

(284) بلال ديو الثالث (BALLALA III) آخر سلطان لَهْوَزَلا Hoysala سنة 1342-1992=691-742.

(285) القصد إلى Konnanur - Koppam كُونَانُور كُوبَان وتقع في أقصى جنوب ولاية أندرا براديش (AN- DRA PRADESH) أنظر الخريطة.

(286) ظابط مكلف بحراسة الأسلحة.

العدو ضموا إليها الأجفان التي تكون بالمرسى، وصعدوا الرجال والرماة فلا يصيب العدو فرصة

وبهذه المدينة مسجدٌ حسن مبني بالحجارة، وبها العنب الكثير والزمان الطيب، ولقيت بها الشيخ الصالح محمد النيسابوري أحد الفقراء المولَّهين الذين يسدلون شعورهم على اكتافهم، ومعه سُبُعُ ربَّاه يأكلُ مع الفقراء ويقعد معهم، وكان معه نحو ثلاثين فقيراً، لأحدهم غزالة تكون مع الأسد في موضع واحد فلا يعرض لها!

وأقيمت بمدينة فتن، وكان السلطان غياث الدين قد صنع له أحدُ الجوكية حبوباً للقوة على الجماع. وذكروا أن من جملة أخلاطها بُرادة الحديد، فاكل منها فوق الحاجة فمرض ووصل إلى فتن فخرجت إلى لقائه وأهديت له هدية فلما استقر بها بعث عن قائد البحر خوجة سرور، فقال له: لا تشتغل بسوى المراكب المعينة للسفر إلى الجزائر، وأراد أن يعطيني قيمة الهدية، فأبيت، ثم ندمت! لانه مات فلم أخذ شيئا ' وأقام بفتن نصف شهر ثم رحل إلى حضرته.

2000/4

وأقيمتُ أنا بعده نصف شهر، ثم رحلت إلى حضرته، وهي مدينة مُثَرَّة، بضم الميم وسكون التاء المعلو وفتح الراء، مدينة كبيرة متسعة الشوارع، وأولُ من اتخذها حضرة صهرى السلطان الشريف جلال الدين أحسن شاد وجعلها شبيهة بدهلي، وأحسن بناها، ولما قدمتها وجدت بها وباء يموت منه الناس موتاً ذريعاً فمن مرض مات من ثاني يوم مرضه، أو ثالثه (2871) وإن أبناً موته فإلى الرابع، فكنت إذا خرجت لا أرى إلا مريضاً أو ميتاً واشترت بها جارية على أنها صحيحة فماتت في يوم آخر، ولقد جاءت إلي في بعض الأيام امرأة كان زوجها من وزراء السلطان أحسن شاه ومعها ابن لها سنَّة ثمانية أعوام نبيل كَيْس فطن فشكت ضعف حالها فاعطيتها نفقة، وهما صحيحان سويَّان، فلما كان من الغد جاءت تطلب لولدها المذكور كَفْناً، وإذا به قد توفي من حينه.

2011/-

وكنت أرى بمشور السلطان حين مات، المني من الخدم اللاتي أوتى بهن لدق الأرض المعمول منه الطعام لغير السلطان وهن مريضات قد طرحن أنفسهن في الشمس

2026/

ولما دخل السلطان مُثَرَّة وجد أمه وامراته وولده مرضى فأقام بالمدينة ثلاثة أيام، ثم خرج إلى نهر على فرسخ منها كانت عليه كنيسة للكفار وخرجت إليه في يوم خميس فأمر بانزاله إلى جانب القاضي فلما ضربت لي الأخبية رأيت الناس يسرعون ويموج بعضهم في بعض، فمن قائل إن السلطان مات ومن قائل: إن ولده هو الميت، ثم تحققنا ذلك، فكان

(2871) يتعلق الأمر على ما يظهر بالطاعون الذي ظهر في المنطقة على ذلك العهد

الولد هو الميت ولم يكن له سواه فكان موته مما زاد في مرضه وفي الخميس بعده توفيت أم السلطان !

ذكر وفاة السلطان وولاية ابن أخيه وانصرافي عنه

وفي الخميس الثالث توفي السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول إلى المدينة خوف الفتنة، ولقيت ناصر الدين بن أخيه الوالي بعده خارجاً إلى المحلة قد وجّه عنه، إذ ليس للسلطان ولد، فطلبني في الرجوع معه فأنبت، وأثر ذلك في قلبه وكان ناصر الدين هذا خديماً بداهلي قبل أن يملك عمه فلما ملك عمه هرب في زي الفقراء إليه فكان من القدر ملكه بعده.

203/4

ولما بويع مدحّته الشعراء فأجزل لهم العطاء وأول من قام منشداً القاضي صدر الزمان فأعطاه خمسمائة دينار وخلعة. ثم الوزير المسمّى بالقاضي فأعطاه ألفي دينار دراهم، وأعطاني أنا ثلاثمائة دينار وخلعة، وبث الصدقات في الفقراء والمساكين، ولما خطب الخطيب أول خطبة خطبها باسمه نثرت عليه الدنانير والدراهم في أطباق الذهب والفضة، وعمل عزاء السلطان غياث الدين فكانوا يختمون القرآن على قبره كل يوم، ثم يقرأ العشرون (288)، ثم يوتي بالطعام فيأكل الناس ثم يعطون الدراهم كل إنسان على قدره، وأقاموا على ذلك أربعين يوماً ثم يفعلون ذلك في مثل يوم وفاته من كل سنة.

204/4

وأول ما بدأ به السلطان ناصر الدين أن عزل وزير عمه وطلبه بالأموال، وولي الوزارة الملك بدر الدين الذي بعثه عمه إلي وأنا بفتح ليتلقاني، فتوفي سريعاً فولى الوزارة خواجة سرور قائد البحر، وأمر أن يخاطب بخوافة جهان، كما يخاطب الوزير بداهلي، ومن خاطبه بغير ذلك غرم دنانير معلومة.

ثم إن السلطان ناصر الدين قتل ابن عمته المتزوج بنت السلطان غياث الدين وتزوجها بعده، وبلغه أن الملك مسعوداً زاره في محبسه قبل موته فقتله أيضاً، وقتل الملك بهادور، وكان من الشجعان الكرماء الفضلاء.

205/4

وأمر لي بجميع ما كان عيّن عمه من المراكب برسم الجزائر، ثم أصابني الحمى القاتلة هنالك، فظننت أنها القاضية، وألهمني الله التمر الهندي، وهو هنالك كثير فأخذت نحو

(288) لا يعرف شيء أزيد عن ناصر الدين المذكور هنا - كل ما نعرف أن قطع العملة الأولى لخلفه عادل، شاء ترجع لتاريخ 1356=757 - كلمة (العشارين) تعني الذين يتلون عشرة أحزاب من القرآن الكريم. ويلاحظ هنا عادة إقامة الذكرى كل سنة للمتوفى.

رطل منه وجعلته في الماء ثم شربته، فأسهلني ثلاثة أيام، وعافاني الله من مرضي، فكرهت تلك المدينة، وطلبت الإذن في السفر، فقال لي السلطان كيف تسافر ولم يبق لآيام السفر إلى الجزائر غير شهر واحد ؟ أقم حتى نعطيك جميع ما أمر لك به خوند عالم، فأبيت، وكتب لي إلى قنن لأسافر في أي مركب أردت، وعدت إلى قنن فوجدت ثمانية من المراكب تسافر إلى اليمن، فسافرت في إحداها، ولقينا أربعة أجفان فقاتلتنا يسيراً ثم انصرفنا، ووصلنا إلى كؤلّم وكان في بقية مرض فأقمت بها ثلاثة أشهر (289) ثم ركب في مركب يقصد السلطان جمال الدين الهنّوري فخرج علينا الكفار بين هنّور وفاكنور.

206/4

نكر سلب الكفار لنا

ولما وصلنا إلى الجزيرة الصغرى بين هنّور وفاكنور (290) خرج علينا الكفار في إثني عشر مركباً حربية، وقاتلونا قتالاً شديداً، وتغلبوا علينا فأخذوا جميع ما عندي مما كنت أدخره للشدائد وأخذوا الجواهر واليواقيت التي أعطانيها ملك سيلان، وأخذوا ثيابي والزّوائد التي كانت عندي مما أعطانيه الصالحون والأولياء ولم يتركوا لي ساتراً خلا السراويل ' وأخذوا ما كان لجميع الناس ' وأنزلونا بالساحل، فرجعت إلى قالقوط فدخلت بعض المساجد، فبعث إلي أحد الفقهاء بثوب وبعث القاضي بعمامة، وبعث بعض التجار بثوب آخر.

207/4

وتعرفت هناك بتزوج الوزير عبد الله بالسلطنة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين، وبأن زوجتي التي تركتها حاملاً ولدت ولداً ذكراً فخطر لي السفر إلى الجزائر، وتذكرت العداوة التي بيني وبين الوزير عبد الله، ففتحت المصحف فخرج لي : تنتزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا (291)، فاستخرت الله وسافرت، فوصلت بعد عشرة أيام إلى جزائر ذيبة المهل، ونزلت منها بكنلوس (292)، فأكرمني واليها عبد العزيز المقدشاوي، وأضافني

208/4

(289) كان علي ابن بطوطة أن يصل إلى كؤلّم (Qulom) في بداية شهر يناير 1345 وهو التاريخ الذي يصادف بداية شهر رمضان 745 ولذلك فقد كان عليه أن يمضي رمضان وعيد الفطر والأضحى وهذا العيد الأخير كان يوافق أبريل من نفس السنة.

(290) القصد إلى نيطران Nitran جزيرة الحمام أو Pigeon Island بين هنّور Honavar وباركور Bac-canore، ويقول بول Yule إنها على بعد 25 ميلاً جنوب أوبور Onore التي هي هنور (Hinawr) ولا ننسى أنه سلب مرة أولى بين حدود السند والهند...

(292) التاريخ اللاحق يدفع بنا إلى التفكير في الوصول لذبية المهل (مالديف) حوالي منتصف ربيع الثاني 746 غشت 1345 الأمر الذي يستدعي مقاماً لفترة شهرين ونصف في قالقوط.



Fig. 1. The cliff face.

وجهاز لي كندرة، ووصلت بعد ذلك إلى هُلِّي (293) وهي الجزيرة التي تخرج السلطنة وأخواتها إليها برسم التفرج والسباحة. ويسمون ذلك التبحر. ويلعبون في المراكب وبيعت لها الوزراء والأمراء بالهدايا والتحف متى كانت بها. ووجدت بها أخت السلطنة وزوجها الخطيب محمد بن الوزير جمال الدين وأمها التي كانت زوجتي فجاء الخطيب إلي وأتوا بالطعام.

ومرّ بعض أهل الجزيرة إلى الوزير عبد الله فأعلموه بقدومي، فسأل عن حالي وعمّن قدم معي، وأخبرني جئت برسم حمل ولدي، وكانت سنة نحو عامين (294)، وأتته أمه تشكو من ذلك، فقال لها: أنا لا أمنعه من حمل ولده، وأذن لي في دخول الجزيرة، وأنزلني بدار تقابل بُرج قصره ليتطلّع على حالي، وبعث إلي بكسوة كاملة وبالثبول وماء الورد على عادتهم، وجئت بثوبي حرير للرمي عند السلام فأخذهما، ولم يخرج الوزير إليّ ذلك اليوم، وأتي إليّ بولدي فظهر لي أن تعجيل السفر أولى، فطلبت الإذن في ذلك فاستدعاني الوزير ودخلت عليه وأتوني بالتوبين الذين أخذوهما مني فرميتهما عند السلام على العادة، وأجلسني إلى جانبه، وسألني عن حالي، وأكلت معه الطعام وغسلت يدي معه في الطست، وذلك شيء لا يفعله مع أحد، وأتوا بالثبول، وانصرفت، وبعث إلي بأثواب وبساتي (295) من الودع، وأحسن في أفعاله وأجمل.

209/4

210/4

وسافرت فأقمنا على ظهر البحر ثلاثاً وأربعين ليلة، ثم وصلنا إلى بلاد نُجَالَة، وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم معقود وألف ولام مفتوح، وهي بلاد متسعة كثيرة الأرز، ولم أر في الدنيا أرخص أسعاراً منها لكنها مظلمة، وأهل خراسان يسمونها نُورُخَسْت بور نعمت (296) معناه: جهنم ملأى بالنعم، رأيت الأرز يباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلاً دهلية بدينار فضي (297)، والدينار الفضي هو ثمانية دراهم، ودرهمهم كالدرهم النقرة سواء، والرطل الدهلي عشرون رطلاً مغربية، وسمعتهم يقولون أن ذلك غلاء عندهم.

(293) هُلِّي هي بالذات الجزيرة التي أصبحت مطاراً دولياً للجمهورية، وفيه نزلت العاصمة مالي ومنه أقلعت - د التازي أقدم نقش عربي في مالديف، مصدر سابق

(294) يلاحظ على الرحالة المغربي أنه - إذا ما قبلنا هذا التأكيد منه فيما يتصل بالعامين - سيجب علينا أن نتصرف في تاريخ زيارته الثانية لمالديف على الأقل بسنة واحدة وهو الأمر الذي يضع ليس فقط مشكلة استعمال الزمن طوال هذه السنة الإضافية بين السفر الأول والثاني بل سيجعل السفر إلى الصين من المستحيل، سيما ونحن نعلم أن الرجوع إلى الجزيرة العربية حدد في شهر أبريل 1347 ذي الحجة STEPHANE - HEP 280 - 747.

(295) بساتي جمع بُسْتُو وهو مبلغ مائة ألف من الودع الذي نعرف أنه عملة أهل مالديف راجع التعليق رقم 189

(296) تهجئة هذه العبارة بالحروف اللاتينية (Duzakhasi PUR NF MA)

(297) انظر ج - III - 106 - 167 وانظر كذلك ج - III - 290 رطل واحد لدهلي يعادل عشرين رطلاً مغربياً أي ثمانية كيلو غرام.

وحدثني محمد المصمودي المغربي، وكان من الصالحين، وسكن هذا البلد قديماً، ومات
عندي بدهلي، أنه كانت له زوجة وخادم فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم،
وأنه كان يشتري الأرز في قشره، بحساب ثمانين رطلاً دهلية (298)، بثمانية دراهم، فإذا دقه
خرج منه خمسون رطلاً صافية وهي عشرة قناطير، ورأيت البقرة تباع بها للحلب بثلاثة
دينانير فضة، وبقروهم الجواميس، ورأيت الأجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد،
وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم، ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين، ورطل
السكر بأربعة دراهم، وهو رطل دهللي، ورطل الجلاب بثمانية دراهم، ورطل السمن بأربعة
دراهم، ورطل السيرج بدرهمين، ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي زرعه ثلاثون ذراعاً
يبيع بدينارين، ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار من الذهب واحد وهو ديناران
ونصف من الذهب المغربي (299) واشترت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة، وكان لها
جمال بارع واشترى بعض أصحابي غلاماً صغير السن حسناً اسمه لؤلؤ بدينارين من الذهب.

وأول مدينة دخلناها من بلاد بنجالة مدينة سُدْكاوان، وضبط اسمها بضم السين
وسكون الدال المهملين وفتح الكاف والواو وآخره نون وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر
الأعظم (300)، ويجتمع بها نهر الكُكُ الذي يحج إليه الهنود ونهر الجون (301) ويصبان في
البحر، ولهم في النهر مراكب كثيرة يقاتلون بها أهل بلاد اللُكنوتي (302).

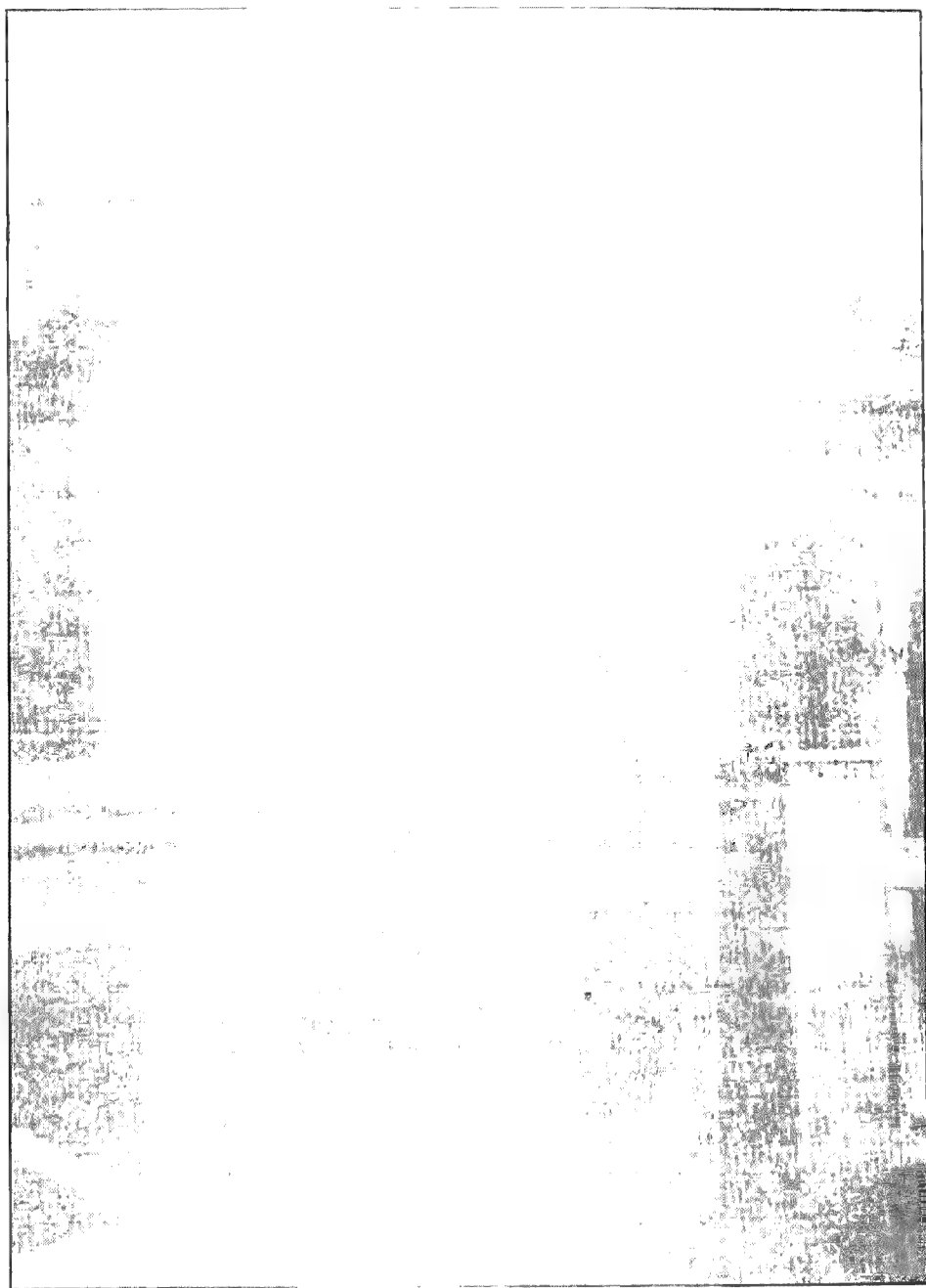
(298) إذا قمنا بمقارنة بين المحاصيل، فنسجد أن البقرة تعادل 600 ك.غ من الأرز، و 192 دجاجة و 12
خروفا و 48 ك.غ، سكر و 48 ك.غ سمن، و 96 ليتر زيت و 5، 22 متر من القطن، وهكذا نلاحظ الفرق
بين المنتجات الأولية (الرز - اللحم - بالنسبة للسكر والزبد)

(299) إذا كان الأمر يتعلق بتكة فإنها تساوي دينارين ذهبيين في المغرب، هذا وقد ظل ابن بطوطة يردد
الحديث عن الرغبة الجنسية التي لم يكن في استطاعته أن يحمي نفسه من الاشتغال بها في غربته " -
د. التازي - ابن بطوطة والحاسة الجنسية - ضمن المحاضرة التي ألقى بطنجة يوم 1981/4/10
بدعوة من الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر المتوسط

(300) هناك مدينتان تقيبان من هذا الاسم : الأولى (SATGAON) على نهر هو غلي (Hooghly) في
الجهة الغربية للدلتا جنوب كالكوئا (Calcutta) - ميناء هندوسي إسلامي لكنه ترك في القرن
السادس عشر الميلادي، والمدينة الثانية (Chittagong) في الجهة الشرقية للدلتا جنوب شرق
داكا (DHAKA) وهناك مبررات ترجح كفة المدينة الثانية (شبيطاً غونك) فهي المدينة الوحيدة التي
تقع في خليج البنغال على ساحل البحر الأعظم (المحيط الهندي) - أنظر خريطة بنغلاديش الحالية
Beckingham IV P. 868 - Note 3.

(301) نهر الجون (Jon) - جومنا (DJUMNA) يمثل هنا (BRAHMAPUTRA). وفي الحقيقة أن التقاء
مجرى الكانج والجون يتحقق أكثر في الشمال الغربي، ولكن من أن تكون هذه النقطة قريبة من
ساطكاوان - انظر التعليق السابق.

(302) اللكنوتي (La Khanouti) الاسم القديم لمدينة كُورْ Gaur، عاصمة المسلمين حكام البنغال بعد فتحها
عام 600=1204، خرابتها ما تزال على مقربة من ملده Maldah هذا الاسم يرجع لأحد الأقاليم الثلاثة
للبنغال يغطي المساحة بين الكانج وبين براهما بوثرا Brahmaputra - ج. III - 174 - 210



ذكر سلطان بنجالة

213/4 وهو السلطان فخر الدين (303) الملقب بفخرّة، بالفاء والخاء المعجم والراء، سلطان فاضل محب في الغرباء، وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن وهو الذي ولي ولده معز الدين الملك بداهلي، فتوجه لقتاله والتقى بالنهر، وسُمي لقاؤهما لقاء السعدين، وقد ذكرنا ذلك (304) وأنه ترك الملك لولده وعاد إلى بنجالة فأقام بها إلى أن توفي.

214/4 وولي ابنه شمس الدين إلى أن توفي فولى ابنه شهاب الدين، إلى أن غلب عليه أخوه غياث الدين بها دور فاستنصر شهاب الدين بالسلطان غياث الدين تغلق فنصره وأخذ بهادور بور أسيراً، ثم أطلقه ابنه محمد لما ملك على أن يقاسمه ملكه، فنكت عليه فقاتله حتى قتله، وولى على هذه البلاد صهره له فقتله العسكر، واستولى على ملكها علي شاه (305)، وهو إذ ذاك ببلاد اللكنوتي، فلما رأى فخر الدين أن الملك قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو مؤلى لهم، خالف بسدكاوان وبلاد بنجالة واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه علي شاه، فإذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار فخر الدين على بلاد اللكنوتي في البحر لقوته فيه، وإذا عادت الأيام التي لامطر فيها أغار على شاه علي بنجالة في البر لقوته فيه.

حكاية [الفقير شيدا]

215/4 وانتهى حب الفقراء بالسلطان فخر الدين إلى أن جعل أحدهم نائباً عنده في الملك بسدكاوان، وكان يسمى شيدا، بفتح الشين المعجم والdal المهمل بينهما باء آخر الحروف - وخرج إلى قتال عدو له فخالف عليه شيدا وأراد الاستبداد بالملك، وقتل ولداً للسلطان فخر الدين لم يكن له ولد غيره (306) ففعل بذلك فكر عائداً إلى حضرته ففر شيدا ومن تبعه إلى

(303) بعد قمع ثورة غياث الدين بهادر، ضل بهرام خان الغلام المتبني لمحمد بن تغلق كحاكم على بلاد البنغال الشرقية في سوناركاون (Sonargaon) إلى أن توفي حوالي عام 737=1337 وقد أعلن خلفه الاستقلال عام 738=1338 تحت اسم فخر الدين مبارك شاه 1338-1349 - ولده وخلفه اختيار الدين غازي أقصى عن الحكم عام 1352 من لدن شمس الدين إلياس الذي وحد سائر بلاد البنغال.

(304) راجع - الجزء III، 175، 177، 178.

(305) أنظر التعليق السابق رقم 302. في الحقيقة فخر الدين علي قام بالثورة على الأقل سنة قبل علاء الدين علي.

(306) مع ذلك فإنه يظهر أنه هو ولده الذي خلفه عام 1349=750 - أنظر التعليق رقم 303.

مدينة سُنْدُكَوَاوَان، وهي منيعة (307)، فبعث السلطان بالعساكر إلى حصاره فخاف أهلها على أنفسهم فقبضوا على شَيْدَا وبعثوه إلى عسكر السلطان، فكتبوا إليه بأمره، فأمرهم أن يبعثوا له رأسه فبعثوه، وقتل بسببه جماعة كبيرة من الفقراء.

ولما دخلتُ سُنْدُكَوَاوَان، لم أر سلطانها ولا لقيته لأنه مخالف على ملك الهند فخفت عاقبة ذلك، فسافرت من سُنْدُكَوَاوَان بقصد جبال كَامُرُو، وهي بفتح الكاف والميم وضم الراء، وبينها وبين سُنْدُكَوَاوَان مسيرة شهر (308).

216/2

وهي جبال متسعة متصلة بالصين وتتصل أيضا ببلاد التُّبَّت (309) حيث غزلان المسك.

وأهل هذا الجبل يشبهون الترك، ولهم قوة على الخدمة، والغلام منهم يساوي أضعاف ما يساويه الغلام من غيرهم، وهم مشهورون بمعاناة السَّحَر، والاشتغال به، وكان قصدي بالمسير إلى هذه الجبال لقاء وليٍّ من الأولياء بها، وهو الشيخ جلال الدين التُّبْرِيْزِي (310).

ذكر الشيخ جلال الدين.

وهذا الشيخ من كبار الأولياء وأفراد الرجال، له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة، وهو من المعمرين أخبرني، رحمه الله، أنه أدرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين قتله (311)، وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة أنه مات ابن مائة وخمسين، وأنه

217/2

(307) سونُوركاوَان أو سُونَاركاوَان أو سُونِير كُونَك ، مدينة في البنغال على بعد 15 ميلا جنوب داكَّا كانت إحدى العواصم الإسلامية وقد أعطت اسمها لأحد الأقاليم الثلاث للبنغال Satgan، وفيها سيجد المركب الذي سيوصله إلى جارة بعد 40 يوما من السفر.

(308) كَامُرُو، الكلمة من أصل سنسكري KAMARUPA، قسّم من ولاية أصَام ASSAM يقع بين بهوتان وبنغلاديش. ألحقت أصَام بمملكة الهند عام 653 هـ 1256 م

(309) بلاد التُّبَّت (Tibet) تتصل فعلاً بالصين تقع بينها وبين بُهوتان (Bhutan) وهي كما نعرف دولة من آسيا الوسطى تحيط بها الجبال الشامخة. وهي دولة دينية عاصمتها لاسا يراجع ج III ص439.

(310) يظهر أن ابن بطوطة - وقد طال به العهد - خلط بين الشيخ جلال الدين التبريزي المتوفى عام 642=1244، ولم يزر أصام (ASSAM)، وبين الشيخ شاه جلال الذي هو من أصل تركستاني وهو الذي شارك على ما ترويهِ الأخبار في افتتاح سيلهت (Sylhet) الواقعة في الشمال الشرقي من البنغال الحالية المحتلة عام 1304، هذا الشيخ توفي عام 747=1347 ولم يكن ابن بطوطة وحده ممن التفتت عليه الشخصيات فان البنغاليين بدورهم يقعون في هذا الخطأ.

Ross E. Dunn - The Adventur Es of IBN Battuta London 1986 - P. 293 Note 26.

(311) يعني سنة 656=1258 عندما اجتاحت المغول بغداد.

كان له نحو أربعين سنة يسرد الصوم ولا يفطر، إلا بعد مواصلة عشر، وكانت له بقرة يفضر على حليبها، ويقوم الليل كله وكان نحيف الجسم طوالاً خفيف العارضين، وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم.

كرامة له

أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم: إني أسافر عنكم غداً إن شاء الله وخلفتني عليكم الله الذي لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها، ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبراً محفوراً عليه الكفن والحنوط، فغسلوه وكفنوه وصلّوا عليه ودفنوه به رحمه الله

218/4

كرامة له أيضا

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه، فأخبروني أن الشيخ قال للفقراء الذين معه: قد جاعكم سائح المغرب فاستقبلوه، وأنهم أتوا لذلك بأمر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمري، وإنما كوشف به.

وسرت معهم إلى الشيخ فوصلت إلى زاويته خارج الغار ولا عمارة عندها، وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته، ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل منها الفقراء والواردون، وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه، ولما دخلت عليه قام إلي وعانقني وسألني عن بلادي وأسفاري، فأخبرته، فقال لي: أنت مسافر العرب! فقال له من حضر من أصحابه: والعجم ياسيدنا! فقال: والعجم، فآكروهم فاحتملوني إلى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام (312).

219/4

حكاية عجيبة في ضمنها كرامات له.

ولما كان يوم دخولي إلى الشيخ رأيت عليه فرجية مرعز، فأعجبنتني وقلت في نفسي ليت الشيخ أعطانيها، فلما دخلت عليه للوداع، قام إلى جانب الغار وجرّد الفرجية وألبسنيها مع طاقية من رأسه ولبس مرقعة، فأخبرني الفقراء أن الشيخ لم تكن عادته أن يلبس تلك الفرجية وإنما لبسها عند قدومي، وأنه قال لهم: هذه الفرجية يطلبها المغربي، ويأخذها منه سلطان كافر ويعطيها لأخيها برهان الدين الصّاغرجي، وهي له وبرسمه كانت، فلما أخبرني

312/4

(312) يلاحظ شعور ابن بطوطة بالاعتزاز والفخر - حول الشيخ الصّاغرجي يراجع ج III ص 220

الفرجانية بذلك، قلت لهم قد حصلت لي بركة الشيخ بأن كساني لباسه وأنا لا أدخل بهذه الفرجانية على سلطان كافر ولا مسلم، وانصرفت عن الشيخ.

فاتفق لي بعد مدة طويلة أنني دخلت بلاد الصين وانتهيت إلى مدينة الخنسا فافترق على أصحابي لكثرة الزحام، وكانت الفرجانية عليّ فبينما أنا في بعض الطرق إذا بالوزير في ذلك عظيم موقع بصره عليّ فاستدعاني، وأخذ بيدي، وسألني عن مقدمي ولم يفارقني حتى وصلت إلى دار السلطان معه، فأزدت الانفصال، فمنعني وأدخلني على السلطان فسألني عن سلاطين الإسلام فأنجبتة ونظر إلى الفرجانية فاستحسنها، فقال لي الوزير جرّدها ! فلم يسكنني خلاف ذلك، فأخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة، وتغيّر خاطري لذلك، ثم ذكرت قول الشيخ إنه يأخذها سلطان كافر، فطال عجبني من ذلك^١

ولما كان في السنة الأخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالي، فقصدت زاوية الشيخ برهين الدين الصاغرجي فوجدته يقرأ والفرجانية عليه بعينها فعجبت من ذلك وقلبتها بيدي، فقال لي لم تقلّبتها وأنت تعرفها ؟ فقلت له نعم هي التي أخذها لي سلطان الخنسا، فقال لي هذه الفرجانية صنعها أخي جلال الدين برسبي، وكتب إليّ أن الفرجانية تصلك على يد فلان، ثم أخرج لي الكتاب، فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ، وأعلمته بأول الحكاية، فقال لي أخي جلال الدين أكبر من ذلك كله، هو يتصرف في الكون، وقد انتقل إلى رحمة الله، ثم قال لي بلغني أنه كان يصلي الصبح كلّ يوم بمكة وأنه يحجّ كلّ عام لانه كان يغيب عن الناس يومي عرفة والعيد فلا يُعرف أين ذهب.

ولما وادعت الشيخ جلال الدين سافرت إلى مدينة خينق (313)، وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وسكون النون وقاف، وهي أكبر المدن وأحسنها يشقها النهر الذي ينزل من جبال كامرو، ويسمى النهر الأزرق (314) ويسافر فيه إلى بنجالة وبلاد اللكنوتي، وعليه النواكير والبساتين والقرى يمنة ويسرة - كما هي على نيل مصر وأهلها كفار تحت الذمة يؤخذ منهم نصف ما يزدعون ووظائف سوى ذلك.

وسافرنا في هذا النهر خمسة عشر يوماً بين القرى والبساتين فكانما نمشي في سوق من الأسواق وفيه من المراكب ما لا يحصى كثرة، وفي كلّ مركب منها طبل فإذا التقى

(313) خينق هي التي تسمى اليوم هافانك تولا (Havang Tula) وقد خربت، تقع على بعد عشرة أميال تقريباً جنوب (Habigan) في سيليت (Syhet).

(314) النهر الأزرق يظهر أنه نهر مغنا (Maghna) الذي يمر على مقربة من داكا. انظر الخريطة هذا : كلمة النول الأتمة من المفردات الحضارية التي استعملها ابن بطوطة بمعنى (حق المرور) Nolis.

الركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على بعض، وأمر السلطان فخر الدين المذكور أن لا يوخذ بذلك النهر من الفقراء نول، وأن يعطي الزاد لمن لا زاد له منهم وإذا وصل الفقير إلى مدينة أعطى نصف دينار.

وبعد خمسة عشر يوماً من سفرنا في النهر كما ذكرناه وصلنا إلى مدينة سنركاوان (315)، وسنر بضم السين المهمل والنون وسكون الراء، وهي المدينة التي قبض أهلها على الفقير شيداً عندما لجأ إليها، ولما وصلناها وجدنا بها جنكاً يريد السفر إلى بلاد الجاوة (316)، وبينهما أربعون يوماً، فركبنا فيه، ووصلنا بعد خمسة عشر يوماً إلى بلاد البرهنتكار (317)، الذين أفواهم كافواه الكلاب، وضبطها بفتح الباء الموحدة والراء والنون والكاف وسكون الهاء، وهذه الطائفة من الهمج لا يرجعون إلى دين الهند ولا إلى غيره، وسكناهم في بيوت قصب مسقفة بحشيش الأرض على شاطئ البحر، وعندهم من أشجار الموز والفول والتنبول كثير.

224/4

225/4

ورجالهم على مثل صورنا إلا أن أفواهم كافواه الكلاب ' وأما نساؤهم فلسن كذلك ولهن جمالٌ بارع ورجالهم عرايا لا يستترون إلا أن الواحد منهم يجعل ذكره وأنثيه في جعبة من القصب منقوشة معلقة من بطنه، ويستتر نساؤهم بأوراق الشجر، ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجالة، والجاوة ساكنون في حارة على حدة، أخبرونا أنهم يتناكحون كالبهائم لا يستترون بذلك، ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فما دون ذلك أو فوقه (318)، وأنهم لا يزنون وإذا رنا أحد منهم فحد الرجل أن يصلب حتى يموت ! أو يأتي صاحبه أو عبده فيصلب عوضاً منه ويسرح هو، وحد المرأة أن يأمر السلطان جميع خدامه فينكحونها واحداً بعد واحد بحضرتها، حتى تموت ويرمون بها في البحر ' ولأجل ذلك لا يتركون أحداً

(315) حول سنركاوان أنظر التعليق السابق رقم 307.

(316) ليس القصد إلى جاوة ولكن إلى سومطرة كما هو الغالب في الاستعمال الجغرافي العربي أما جاوة فهي التي عبر عنها بمُلْ جاوة = Beekingham IVP 873 N 18.

(317) البزّه نكار (Barah Nakar) من الجائر أن يكون القصد إلى جزر أندامان (Andaman) نيكوبار Nicobar فهاته الجزر هي الرئيسية في أراكان (ARAKAN) التابعة لبورما على مقربة من أو جزيرة نيكري Negaras بيدان كلام ابن بطوطة يفهم منه أن البزّه نكار اسم لشعب وليس إسماً لموقع جغرافي كما يعتقد كثير من المعلقين.

Gibb Selec 367 - Becknham p. 874 Not L.

(318) في حديثه عن المنطقة قال الادريسي (ق 1 ص 78) : وإذا أراد الرجل أن يتزوج امرأة لم يزوجهأ له أهلها حتى يقتل رجلاً ويأتي يقحف رأسه! ولو قتل خمسين رجلاً زوج خمسين امرأة وشهد له أهل بلده بالباس والنجدة . وهم عراة لا يستترون... وكذلك نساؤهم... وهم لا يستترون في النكاح بل يأتونه جهاراً ولا يرون بذلك بأساً وهؤلاء قوم مناكير الوجوه مشوهون جداً.

من أهل المراكب ينزل إليهم إلا إن كان من المقيمين عندهم، وإنما يبايعون الناس ويشارونهم على الساحل ويسوقون إليهم الماء على الفيلة لأنه بعيد من الساحل ولا يتركونهم لاستقائه خوفاً على نساءهم لأنهن يطمحن إلى الرجال الحسان^١ والفيلة كثيرة عندهم، ولا يبيعها أحد غير سلطانهم ثم تشتري منه بالآثواب، ولهم كلام غريب لا يفقه إلا من ساكنهم وأكثر التردد إليهم، ولما وصلنا إلى ساحلهم أتوا إلينا في قوارب صغار، كل قارب من خشبة واحدة منحوتة، وجاءوا بالموز والتنبول والفوفل والسمك.

ذكر سلطانهم

وأتى إلينا سلطانهم راكباً على فيل عليه شبه بردعة من الجلود، ولباس السلطان ثوب من جلود المعزى، وقد جعل الوبر إلى خارج، وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات، وفي يده حربة من القصب ومعه نحو عشرين من أقاربه على الفيلة، فبعثنا إليه هدية من الغفل والزنجبيل والقرفة والحوث الذي يكون بجزائر نيبه المهل وآثواباً بنجالية وهم لا يلبسونها، إنما يكسونها الفيلة في أيام عيدهم^٢.

ولهذا السلطان على كل مركب ينزل ببلاده جارية ومملوك وثياب لكسوة الفيل وحلي ذهب تجعله زوجته في مخزنها وأصابع رجليها، ومن لم يُعط هذه الوظيفة صنعوا له سحراً يهيج به البحر فيهلك أو يقارب الهلاك^٣.

حكاية كيف يعاقب الزناة

واتفق في ليلة من ليالي إقامتنا بمرساهم أن غلاماً لصاحب المركب ممن تردد إلى هؤلاء الطائفة نزل من المركب ليلاً وتواعد مع امرأة أحد كبارهم إلى موضع شبه الغار على الساحل، وعلم بذلك زوجها فجاء في جمع من أصحابه إلى الغار فوجدهما به، فحُملا إلى سلطانهم فامرر الغلام ففُطعت اثنياه وصلب^٤ وأمر بالمرأة فجامعها الناس حتى ماتت^٥ ثم جاء السلطان إلى الساحل فاعتذر عما جرى، وقال إنا لا نجد بداً من إمضاء أحكامنا، وذهب لصاحب المركب غلاماً عوض الغلام المصلوب.

الفصل الخامس عشر

آسيا - الجنوب الشرقي - والصين

ـ من بلاد البرهمنكار إلى الجاوة

ـ في بلاد الصين

ـ من الزيتون إلى الخنسا

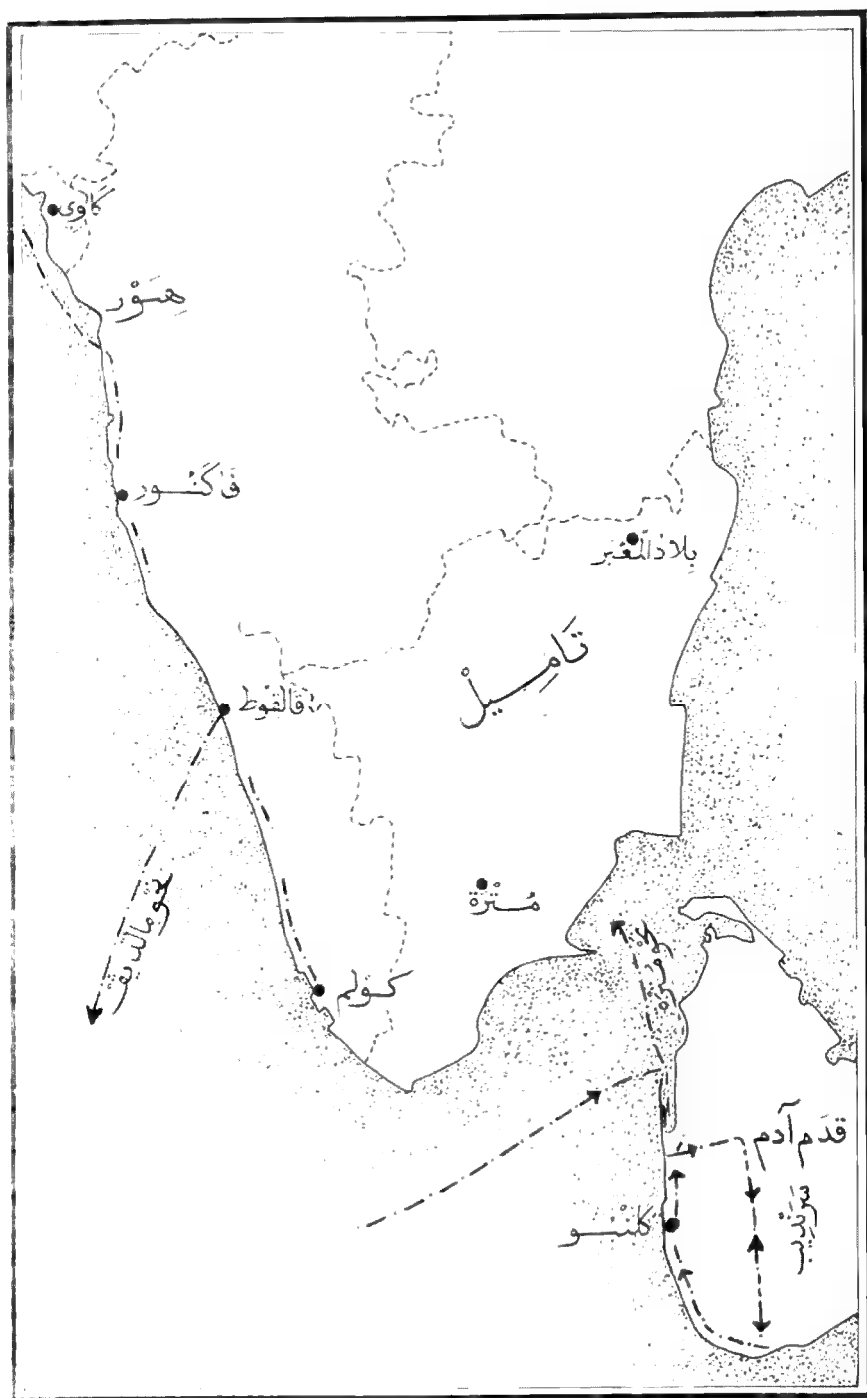
ـ مدينة الخنسا

ـ بلاد الخطا ومصرع القان واختيار قراقُرم عاصمةً

ـ العودة على بلاد طوالسي

ـ الحديث عن الرّخ

ـ حضوره إعراس ولد الملك الظاهر



ثم سافروا عن هؤلاء، وبعد خمسة وعشرين يوماً وصلنا إلى جزيرة الجاوة (1)،
بالجيم، وهي التي ينسب إليها اللبان الجاوي (2)، رأيناها على مسيرة نصف يوم وهي
خضرة نضرة، وأكثر أشجارها النارجيل (3)، والفلفل والقرنفل والفود الهندي (4)، والشكبي
والتركي (5)، والغنية والجنون (6)، والبارنج الطويل، فحصب الكفور، وبيع أهلها وشراهم
بقطع قصدير، وبالذهب الصبي النير عبر السيوك والكثير من أغاوية الطيب التي بها إنما
هو ببلاد الكفار حنفاً وأما ببلاد المسلمين فهو أقل من ذلك

229/4

ولما وصلنا المرسى خرج لنا أهلاً في مراكب صغار ومعهم جوار النارجيل والموز
والغنية والسك، وعادتهم أن يهبطوا على أشجار فيكافهم كل إنسان على قدره، وصعد إلينا
أيضاً نائب صاحب البحر (7)، وشاهد من معنا من التجار وأذن لنا في النزول إلى البر فنزلنا
إلى البندر، وهي قرية كبيرة على ساحل البحر به توارس بسموتها السرخي (8) بفتح السين
المهمل وسكون الراء وفتح الحاء المهمل، وبها بين البلد أربعة أميال.

ثم كتب بهرؤز نائب صاحب البحر إلى السلطان فعرّفه بقدمي، فأمر الأمير تولى
بلقائي والقاضي الشريف أمر سيد الشراري وشاخ الدين الاصبغاني وسواهم من الفقهاء،
فخرجوا لذلك، وجاءوا بفارس من مراكب السلطان وأغراس سواد، فركبت وركب أصحابي
ودخلنا إلى حضرة السلطان وهي مدينة منسطرة ضد السين المهمل والميم وسكون الطاء
وفتح الراء مدينة حسنة كبيرة عليها سدر حسنة وإبراج خشب

230/4

(1) يطلق اسم الجاوة عموماً على أرخبيل الملايو وهناك الدعوة الصغيرة التي هي منسطرة المحاذية للجاوة
الكبرى أو الجاوة بنون معبد، بمعنى أن اسم منسطرة يصل هذه الناحية في يناير 1346 - 1347 هـ وأن حسين
عزمي، د هارون الدعوة الإسلامية في بلاد الملايو، 1987، ص 141، د القاري، ص 311-7

(2) سيأتي الحديث عن اللبان IV ص 231

(3) ويرغ السّمطريون في استعمال لقب نواز النارجيل على ما نقرأه عند ويليام مارستين (W. Marsden)
في كتابه (Histoire de Sumatra)

(4) حول القرنفل ترقب IV، 240، حول الفود السبي أيضاً ترقب كذلك IV، 241

(5) ورد ذكر الشكبي والتركي عند الأميرسي في سفره (ص 154) وقد تقدم الحديث عنها III، 126-127

(6) يعرفها كيب هكذا Exrema lambolana، فكيفه صعبه الحجد حلوة المذاق وقد انتقد ترجمة
الناشرين الفرنسيين

(7) يعلق فيران على أن الحديث عن سيد البحر إلى سيد بحر المكاف بالمثل، والذي يتوصل بالواجبات ويقدم
الواردين إلى الحاكم Relations de voyages et textes géographiques, arabes, persans et autres relatifs à l'Extrême-orient, II p. 492, 1914

(8) لم يتمكن من تحديد معنى اللفظ، ولكن كما أنه ربما كان هناك تحريف لأن حرف الحاء لا يوجد في
الملايا - معلوم أن دولة الإسلام الصغير، في شمال منسطرة قبل نهاية القرن السابع الهجري، حيث
كانت تحتوي على مدينة قسري (Cassari) أطلقوا عليها بعد ذلك الاسم الثاني وأعطى أخيراً إلى الجزيرة
بكاملها

ذكر سلطان الجاوة

وهو السلطان الملك الظاهر (9)، من قُضلاء الملوك وكرمائهم، شافعي المذهب، محب في الفقهاء، يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة، وهو كثير الجهاد والغزو، ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه، وأهل بلاده شافعية محبون في الجهاد، يخرجون معه تطوعاً، وهم غالبون على من يليهم من الكفار، والكفار يعطونهم الجزية على الصلح.

231/4

ذكر دخولنا إلى داره وأحسانه إلينا

ولما قصدنا إلى دار السلطان وجدنا بالقرب منه رماحاً مركوزةً عن جانبي الطريق هي علامة على نزول الناس فلا يتجاوزها من كان راكباً، فنزلنا عندها ودخلنا المشور فوجدنا نائب السلطان وهو يسمى عُمدة الملك، فقام إلينا وسلّم علينا وسلامهم بالمصافحة، وقعدنا معه، وكتب بطاقةً إلى السلطان يعلمه بذلك وختمها ودفعها لبعض الفتيان، فأتاه الجواب على ظهرها، ثم جاء أحد الفتيان ببُقْشَة، والبُقْشَة : بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجم، هي السَّبْنية، فآخذها النائب بيده وأخذ بيدي وأدخلني دويرة يسمونها فَرْدَخانة على وزن زُرْدَخانة (10)، إلا أن أولها فاء وهي موضع راحته بالنهار، فإن العادة أن يأتي نائب الساطان إلى المشور بعد الصبح ولا ينصرف إلا بعد العشاء الآخرة، وكذلك

232/4

(9) السلطان المسلم الأول لِسُمْطرة هو الملك الصالح الذي توفي عام 696=1297، وابتداءً من هذا التاريخ، وفي أثناء القرن الرابع عشر تولّى عددٌ من الأمراء الذين خَلَقُوا الملك الصالح... ومن أبرز هؤلاء يوجد الملك الظاهر ملك سُمْطَرَه الذي أقام عنده الرحالة المغربي سنة 1345 أو 1346 والذي اقتبس لقبه على ما يظهر من الملك الظاهر بَنِيْرَس

Sumatra, Histoire des Rois de Pasey, Traduite du Malay et annotée par Aristide Marre, PARIS, 1974, p. 8-9.

Rapporten van den oudheidkundiger dienst in Nederlandsch-Indie. 1913. Beekingham vol 4 p. 877.

وأشكر بهذه المناسبة زميلي المستشرق الهولندي فان كونيْنكسفيلد (Van Koningsveld) على مساعدته حول ما كتبه الهولنديون الذين كانوا بتلك الجهات... - الإسلام في أرخبيل الملايو، تأليف د. رُؤُوف شلبي 1395=1975 صفحة 92.

(10) البُقْشَة : كلمة تركية، والسَّبْنية نسبة إلى سَبْن محلّة ببغداد تصنع فيها الثياب انظر ج IV - 142 تعليق 227 وفردخانة : كلمة فارسية، فسرها ابن بطوطة أما عن زُرْدَخانة فستاتي IV، 404.

الوزراء والأمراء الكبار، وأخرج من البُقشة ثلاث فوط إحداها من خالص الحرير والأخرى حرير وقطن والأخرى حرير وكتان، وأخرج ثلاثة أثواب يُسمونها الثُخانيات من جنس القوط، وأخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الاجناس تسمى الوسطانيات، وأخرج ثلاثة أثواب من الأرمك أحدها أبيض، وأخرج ثلاث عمانم فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم، وثوباً من كل جنس، وأخذ أصحابي ما بقي منها.

233/4

ثم جاءوا بالطعام أكثره الأرز، ثم أتوا بنوع من الفقاع، ثم أتوا بالتنبول وهو علامة الانصراف، فأخذناه وقمنا، وقام النائب لقيامنا، وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأتوا بنا إلى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دارٌ بناؤها بالخشب، مفروشة بقطائف قُطن يسمونها المُخملات، بالميم والخاء المعجم، ومنها مصبوغٌ وغير مصبوغ، وفي البيت إرسرة من الخيزران، فوقها مَضْرِبَات من الحرير، ولحف خفاف ومخاد يسمونها البَوَالِشْت، فجلسنا بالدار ومعنا النائب، ثم جاء الأمير دُولْسَة بجاريتين وخادمين، وقال لي : يقول لك السلطان : هذه على قَدْرنا لا على قدر السلطان محمد (12) ! ثم خرج النائب وبقي الأمير دُولْسَة عندي وكانت بيني وبينه معرفة لأنه كان ورد رسولاً على السلطان بدلهي، فقلت له : متى تكون رؤية السلطان؟ فقال لي : إن العادة عندنا أن لا يسلم القادم على السلطان إلا بعد ثلاث ليذهب عنه تعب السفر، ويثوب اليه ذهنه، فأقمنا ثلاثة أيام يأتي إلينا الطعام ثلاث مرات في اليوم وتأتينا الفواكه والطرف مساءً وصباحاً، فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة أتاني الأمير دولسة، فقال لي : يكون سلامك على السلطان بمقصورة الجامع بعد الصلاة فأتيت المسجد، وصليت به الجمعة مع حاجبه قَيْرَان، بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء.

234/4

235/4

ثم دخلت إلى السلطان فوجدت القاضي أمير سيّد والطلبة عن يمينه وشماله، فصافحني وسلّمت عليه، وأجلسني عن يساره، وسألني عن السلطان محمد، وعن أسفاري فأجبتّه، وعاد إلى المذاكرة في الفقه على مذهب الشافعي، ولم يزل كذلك إلى صلاة العصر، فلما صلاها دخل بيتنا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه، وهي ثياب الفقهاء وبها يأتي المسجد يوم الجمعة ماشياً ثم لبس ثياب الملك وهي الأقبية من الحرير والقطن.

ذكر انصرافه إلى داره وترتيب السلام عليه

ولما خرج من المسجد وجد الفيلة والخيول على بابه، والعادة عندهم أنه إذا ركب

236/4

(11) المخملات : تعني على ما يبدو نوعاً من الزرابي الوثيرة - بالشت كلمة فارسية تعني الوسادة وسيمرُّ بنا استعمال كلمة بالشت بمعنى 25 قطعة نقدية ترقب ج 260، IV تعليق 43
(12) القصد إلى العامل الهندي محمد شاه ابن تغلق سلطان دهلي سالف الذكر...

السلطان الفيل ركب من معه الخيل وإذا ركب الفرس ركبوا القيلة، ويكون أهل العلم عن يمينه، فركب ذلك اليوم على الفيل وركبنا الخيل وسرنا معه إلى المشور، فنزلنا حيث العادة ويدخل السلطان راكباً وقد اصطف في المشور الوزراء والأمراء والكتاب وأرباب الدولة ووجوه العسكر صفوفاً، فأول الصفوف صف الوزراء والكتاب، ووزراؤه أربعة فسلموا عليه وانصرفوا إلى موضع وقوفهم، ثم صف الأمراء فسلموا ومضوا إلى مواقفهم، وكذلك تفعل كل طائفة، ثم صف الشرفاء والفقهاء، ثم صف الأئمة والحكام والشعراء، ثم صف وجوه العسكر ثم صف الفتيان والماليك، ووقف السلطان على فيله إزاء قبة الجلوس، ورفع فوق رأسه شطر مرصع، وجعل عن يمينه خمسون فيلاً مزينة، وعن شماله مثلهما وعن يمينه أيضاً مائة فرس وعن شماله مثلهما، وهي خيل النوبة، ووقف بين يديه خواص الحجاب، ثم أتى أهل الطرب من الرجال، فغنّوا بين يديه وأتى بخيل مجللة بالحرير لها خلاخيل ذهب وأرسان حريز مزرکشة فرقصت الخيل بين يديه ! فعجبت من شأنها، وكنت رأيت مثل ذلك عند ملك الهند، ولما كان عند الغروب دخل السلطان إلى داره وانصرف الناس إلى منازلهم.

237/-

ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك.

وكان له ابن أخ متزوج بنته فولاه بعض البلاد، وكان الفتى يتعشق بنتاً لبعض الأمراء ويريد تزوجها، والعادة هناك أنه إذا كانت لرجل من الناس : أمير أو سوقى أو سواه، بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا بد أن يستأمر السلطان في شأنها، ويبعث السلطان من النساء من تنظر إليها فإن أعجبه صفتهما تزوجها وإلا تركها يزوجها أولياؤها ممن يشاؤن، والناس هناك يرغبون في تزوج السلطان بناتهم لما يحوزون به من الجاه والشرف، ولما استأمر والد البنت التي تعشقها ابن أخى السلطان بعث السلطان من نظر إليها وتزوجها واشتد شغف الفتى بها، ولم يجد سبيلاً إليها.

238/-

ثم إن السلطان خرج إلى الغزو وبينه وبين الكفار مسيرة شهر فخالفه ابن أخيه إلى سُمطرة ودخلها إذ لم يكن عليها سور حينئذ ودعى الملك وبايعه بعض الناس وامتنع آخرون، وعلم عمه بذلك فقفل عانداً إليها فأخذ ابن أخيه ما قدر عليه من الأموال والذخائر وأخذ الجارية التي تعشقها وقصد بلاد الكفار بمَلْ جاوة، ولهذا بنى عمه السور على سُمطرة، وكانت (١٣) إقامتي عنده بسُمطرة خمسة عشر يوماً ثم طلبت منه السفر

(١٣) قد يكون من المقيد أن يقوم المرء بمقارنة هذا النص مع الذي ورد في كرونك ملك فاساي (PASAI) الذي حسب ما ورد فيه، نجد أن السلطان أحمد قتل، بدافع الغيرة اتنين من أولاده كانا يتنافسان على التزوج من أميرة جاوة^١ في أعقاب هذا الحادث انتحرت الأميرة المذكورة، وقام والدها بتخريب العاصمة سُمطرة. وحول (مل جاوة) انظر التعليق آتي رقم ١٥.

إذ كان أوانه (14)، ولا يتهيأ السفر إلى الصين في كل وقت، فجَهَرْنَا جُنُكاً وزَوَّدْنَا وأحسن وأجمل جزاءه الله خيراً، وبعث معنا من أصحابه من يأتي لنا بالضيافة إلى الجُنك، وسافرنا بطول بلاده إحدى وعشرين ليلة.

ثم وصلنا إلى مَلْ جَاوَة (15) بضم الميم، وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الأفاويه العطرة، والعود الطيب القاقلي (16) والقماري، وقاقلة، وقمارة من بعض بلادها، وليس ببلاد السلطان الظاهر بالجاوة إلا اللبان والكافور وشيء من القرنفل وشيء من العود الهندي وإنما معظم ذلك بمَلْ جَاوَة ولَنذكر ما شاهدناه منها ووقفنا على أعيانه وحققناه.

240/4

ذكر اللبان

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الإنسان إلى ما دون ذلك وأغصانها كإغصان الخَرْشَف وأوراقها صفارٌ رِقَاق، وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة، واللبان صمغية تكون في أغصانها، وهي في بلاد المسلمين أكثر منها في بلاد الكفار (18).

241/4

ذكر الكافور

وأما شجر الكافور فهي قصب كقصب بلادنا إلا أن الأنايب منها أطول وأغلظ، ويكون الكافور في داخل الأنايب، فإذا كُسرت القصبه وُجد في داخل الأنبوب مثل شكله من الكافور، والسرُّ العجيب فيه أنه لا يتكون في تلك القصب حتى يُذْبَح عند أصولها شيء من الحيوان وإلا لم يتكون شيء منه!!

والطيبُ المتناهي في البرودة الذي يقتل منه وزن الدرهم بتجميد الروح، وهو المسمى

(14) الإشارة إلى الريح الموسمية التي لها وقت خاص ينبغي التحرك فيه

(15) (مَلْ جَاوَة) استوقف هذا العلم الجغرافي معظم المهتمين بخط سير ابن بطوطة... ويرى بول أن مَلْ جَاوَة تعني شبه جزيرة مالاي MALAY (ماليزيا) لكن تبيُّط دحض هذا الرأي Tibbetts : Astudy of Malay (Arabe Text, Leiden and London 1979).

(16) قاقلة ورد ذكر هذا الموقع عند الجغرافيين العرب ويرى مصدر صيني أنها تقع في ساحل إقليم Tenasserim. المفترض أن ابن بطوطة زاره وهو في طريقه إلى سُمطرة.

(17) قمارة (خمير) تعني في الغالب كامبوديا، تاريخها في هذا العهد غير معروف كما ينبغي، ولهذا فانه من المتعذر القول : هل أنها تابعة لجاوة أو جزيرة ملّاي، ويرى تبيُّط أن الحكم الجاوي على إقليم تيناسيريم (Tenasserim) وكامبوديا هو تخيل - كما يحتمل - من البلاد الجاوي وقد تصادف سفر ابن بطوطة مع هذا الامتداد الجاوي في المنطقة - نذكر أخيراً أننا في المغرب نعيش مع تردب اسم (قمار) كلما بخرنا بالعود القماري !.

(18) انظر التعليق 98، 214 II

عندهم بالخرذالة (19) هو الذي يُذبح عند قصبة آدمي، ويقوم مقام آدمي في ذلك الفيلة الصغار

ذكر العود الهندي

وأما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء، ولا ثمر له وشجرته لا تعظم كل العظم وعروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة، وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها، وكل ما يبلاد المسلمين من شجره فهو متملك وأما الذي في بلاد الكفار فأكثره غير متملك، والمتملك منه ما كان بقاقلة وهو أطيب العود، وكذلك القماري هو أطيب أنواع العود ويبيعهون لأهل الجاوة بالاثواب، ومن القماري صنف يطبع عليه كالشمع، وأما العطاس فإنه يقطع العرق منه ويدفن في التراب أشهراً فتبقى فيه قوته وهو من أعجب أنواعه .

242/4

243/4

ذكر القرنفل

وأما أشجار القرنفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الإسلام، وليست بمتملكة لكثرتها ! والمجلوب إلى بلادنا منها هو العيدان، والذي يسميه أهل بلادنا نُوَار القرنفل هو الذي يسقط من زهره، وهو شبيه بزهر النارج، وثمر القرنفل هو جوز بُوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب، والزهر المتكون فيها هو البسباسة، رأيت ذلك كله وشاهدته (20).

(19) هنا في معظم النسخ بياض بعد كلمة الخرذالة تأتي بعده جملة تبتدئ هكذا هو الذي يذبح . وقد حذفت هذه الجملة من بعض النسخ الأخرى - الخرذالة من أصل هندي . HARTAL وتعني الرهج الأصفر

هذا وقد ورد تعليق علمي كتبه مارسدن (MARSDEN) يصحح المعلومات التي أتى بها ابن بطوطة، ويتلخص التعليق في أن الشجرة التي تنتج الكافور (CAMPHOR)، تعادل في طولها وعظمها أكبر الأشجار... بما أن الكافور له طبيعة يابسة، فإنه لا يخرج من الشجرة على نحو ما يخرج الصمغ. وأن العلماء بخبرتهم الطويلة يعرفون عن إمكانية احتواء الشجرة لمادة الكافور بضربها بعصى، وفي حالة ما إذا وجدوا أنها تتوفر على المادة، شقوها قطعاً صغيرة بنحو إسفين واستخرجوا الكافور من بين الفجوات والفرج... هذا وفي طريقي من كوالا لامبور إلى ملاكا 15 مارس 1988 وقفتُ عند غابة كثيرة لأشجار الكافور حيث استمتعت بما تحدث به ابن بطوطة عن الكافور في هذه المناطق.

(20) معلومات ابن بطوطة تحتاج إلى مراجعة في نظر بعض المعلقين وهكذا فإن الاعتقاد الشعبي في الهند الشمالية ينسب القرقة ونُوَار القرنفل وجوز الطيب - ونذكر هذا أولاً بأول - إلى القشرة، وإلى الزهرة، وإلى الثمر لنفس الشجرة الواحدة ، فالبسباسة إذن ليست هي الزهر ولكنها غشاء الجوزة - هذا وهناك قشر لشجرة قريبة من شجرة القرنفل تدعى قرقة لأن لها رائحة قريبة من القرنفل تستعمل أيضاً كتوابل من التوابل... تذكرني هذه التعقيبات في مقدمة منتقي النبلوني وهي تقول : وبعض ما نقله قد يخالف ما ذكره غيره كما في وصفه بعض ما شاهده من عقاير الهند فإن بعضه مخالف لما ذكره الأطباء . في وصفها والظن بالشيخ الصدوق

ووصلنا إلى مرسى قاقله فوجدنا به جملة من الجنوك معدة للسرقة، ولمن يستعصى عليهم من الجنوك، فإن لهم على كل جنك وظيفة، ثم نزلنا من الجنك إلى مدينة قاقلة وهي بقافين أخرهما مضموم ولامها مفتوح، وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة منحوتة، عرضه بحيث تسير فيه ثلاثة من الفيلة، وأول ما رأيت بخارجها الفيلة عليها الأحمال من العود الهندي يُوقدونه في بيوتهم، وهو بقيمة الحطب عندنا، أو أرخص ثمنًا، هذا إذا ابتاعوا فيما بينهم، وأما للتجار فيبيعون الحمل منه بثوب من ثياب القطن، وهي أغلى عندهم من ثياب الحرير.

244/4

والفيلة بها كثيرة جداً، عليها يركبون ويحملون، وكل إنسان يربط فيلته على بابه وكل صاحب حانوت يربط فيله عنده، ويركبه إلى داره وتحمل، وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب (21) .

245/4

ذكر سلطان مل جاة

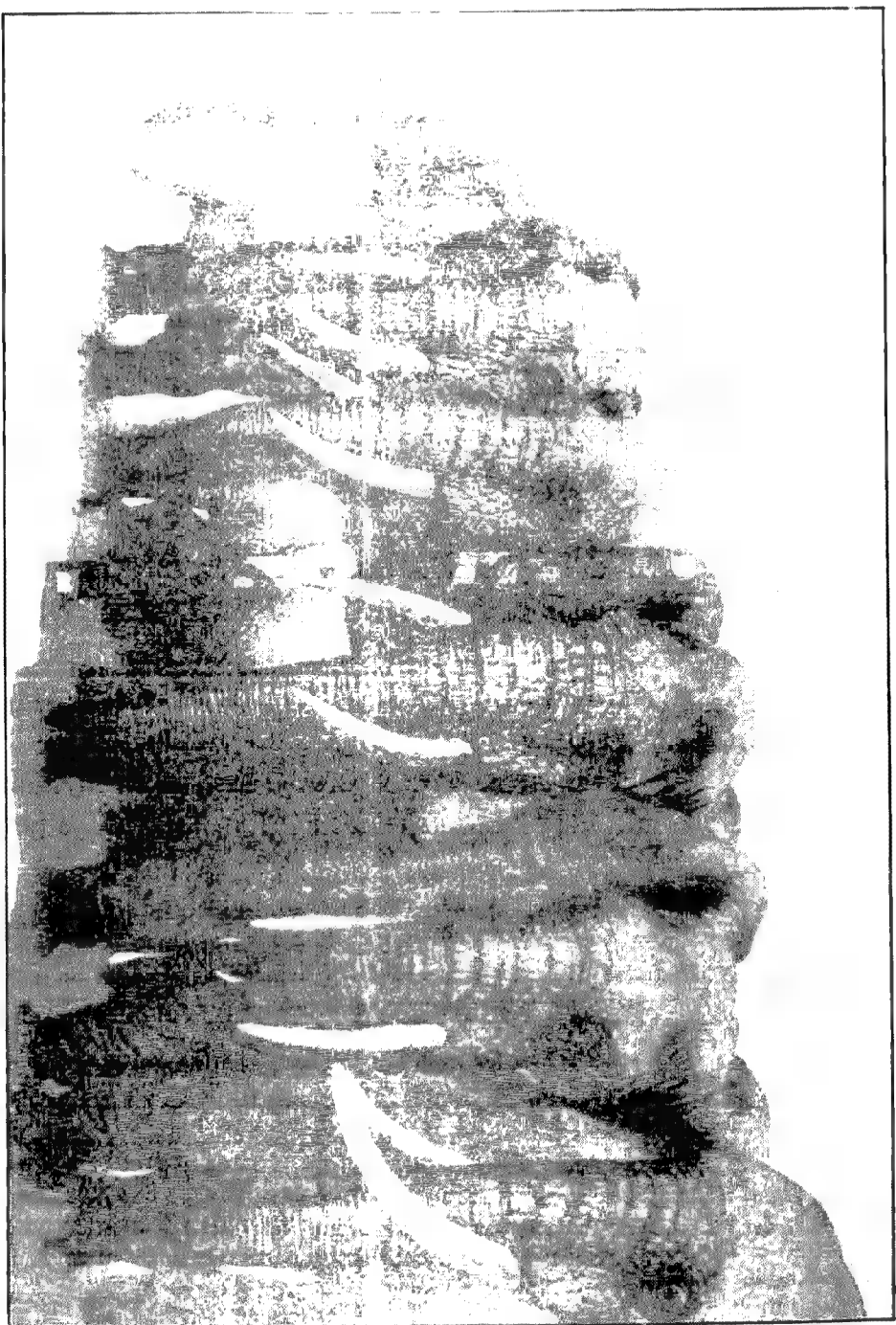
وهو كافر رأيت خارج قصره جالساً على قبة ليس بينه وبين الأرض بساط، ومعه أرباب دولته والعساكر يُعرضون عليه مُشاة، ولا خيل إلا عند السلطان، وإنما يركبون الفيلة، وعليها يقاتلون، فعرف شائي، فاستدعاني فجنّت وقلت : السلام على من اتبع الهدى، فلم يفقهوا إلا لفظ السلام ! فرحّب بي، وأمر أن يُفرش لي ثوب أقعد عليه، فقلت للترجمان : كيف أجلس على الثوب والسلطان قاعد على الأرض؟ فقال : هكذا عادته يقعد على الأرض تواضعاً، وأنت ضيف، وجنّت من سلطان كبير، فيجب إكرامك، فجلست وسألني عن السلطان، فأوجز في سؤاله، وقال لي : تقيم عندنا في الضيافة ثلاثة أيام، وحينئذ يكون انصرافك.

246/4

ذكرى عجيبة رأيته بمجلسه

ورأيت في مجلس هذا السلطان رجلاً بيده سكين شبه سكين المسفر قد وضعه على رقبة نفسه، فوق رأسه لحة السكين وشدة امساكه بالأرض، فعجبت من شأنه، وقال لي السلطان : أيفعل أحد هذا عندكم؟ فقلت له : ما رأيت هذا قط ! فضحك، وقال : هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم في محبتنا !! وأمر به فرفع وأحرق، وخرج لإحراقه النواب وأرباب الدولة

(21) حديث ابن بطوطة عن استعمال أهل الصين والخطا للفيل على نحو ما هو في الهند، حرك بعض المعلقين الذين قالوا : أن الفيل إنما يستعمله المغول (الحكام في الصين) للأغراض الحربية وأحياناً في بعض الجهات الجنوبية، بلاد الخطا (Cathey) التي تعني شمال الصين لم تكن تابعة لحكم دولة سونك إلى أن اتم قوبيلاي Qubilai فتحه للبلاد كلها - السرقة هنا تعني القرصنة.



عن القلعة بمرسى قاقلة

247/4 والعساكر والرعايا وأجرى الرزق الواسع على أولاده وأهله وأخوانه وعظموا لشخصه وأخبرني من كان حاضراً في ذلك المجلس أن الكلام الذي نكلم به كان تقريراً مختصراً في السلطان، وأنه يقتل نفسه في حبه كما قتل أبوه نفسه في حب أبيه، وجده نفسه في حب جدّه

ثم انصرفت عن المجلس وبعث إلي بضافه ثلاثة أباد وسافرت في البحر فوصلت بعد أربعة وثلاثين يوماً إلى البحر الكاهل (22)، وهو الراكد، وفيه حصرة رعمداً أنبأني ثوبه ربح تجاوره، ولا ربح فيه ولا موج ولا حركة مع إتساعه، ولأجل هذا البحر سبى كل جُتْكَ من جُتْكَ الصين ثلاثة مراكب كما ذكرناه. تجذب به فتجرده، ويكون في الجُتْكَ مع ذلك نحو عشرين مجدافاً كباراً كالصناري يجتمع على المجداف منها ثلاثون رجلاً أو نحوهم، ويقومون فيه صنفين كل صفٍّ بقابل (23) الآخر، وفي المجداف حبلان عظيمان كالخواسب (24) فيصير أحدهما الضائقين الحبل ثم تتركه وتجذب الطائفة الأخرى، وهم يغتادون عند ذلك بدمهم الحسان، وأكثر ما يقولون لغلى لغلى

وأقمنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوماً، وعجبت البحارة من السهولة فأنهم يقيمون فيه خمسين يوماً إلى أربعين وهي أنبى ما يكون من التسيير عنده

ثم وصلنا إلى بلاد طوالسي، وهي بفتح الطاء المهمل والواو وكسر الهمزة المهمل وملكها هو المسمى بطوالسي (25)، وهي بلادٌ عريضة، وملكها نضاهي ملك الصين، وله

(22) نعت ابن بطوطة هذا البحر بالكاهل وهو نعت فارسي يعني الراكد كما فعل والفصحى في سائر البحار المحيط الهادي كما نعتة الجغرافيون فيما بعد. وقد يحدث الأديبي في هذه النعته عن البحر الهادي لأن ماءه كدر

(23) يراجع 92-91-19

(24) (الخواسب) بالنون عوض الياء التي يستشكلها دوزي، والمخاسب يعني الخواسب

(25) تحديد بلاد طوالسي (Chauliye) كانت وما تزال محلّ لغس عند مسلمين الهند في بلاد الهند وفي رأي نيكولاس زافرا (N. Zafra) ومن قسم التاريخ بجامعة الفلبين أن هناك قوماً يسمى شامباً (Champa) بالهند الصينية، ومن يذكر في هذا الصدد أن كلمة طوال (Chauliye) تعني شامباً للامراء والسلاطين، وفي الباحثين كهنري بول (H. B. Pol) من يرى أنها دولة في جنوب غربي الفلبين، ومنهم كالاستاذ جوزي ريزال (Jose Rizal) من يرى كذلك، من جهة أخرى في جوزي لوزون (Luzon) بالفلبين وفي الباحثين من قال أن (طوالسي) كانت توجد بالهندان وذلك بنعتة المسمى أن الوزير الأول العربي السيد أحمد عصمان فوجي وهو بربر العاد عام 1900 عندما سافر إلى اليابان السيد طاكبو ميكي (Miki) أ برحباً به قايلاً: سيد الناس أن سيقبل في سجنك معربي الثاني بعد الزيارة التاريخية التي قام بها مسيو ابن بطوطة لبلادنا

وأرجو بهذه المناسبة أن أشكر الرميل الفلبيني الأخ فيكتور ألساندرو خيلو (USAR ALIB) من جامعة الفلبين على مراسلته منذ تاريخ 11 يونيو 1990 التي أوضحت لي بعض الجوانب التي أن يقال في هذا الصدد. د. الهادي تاريخ دخول الإسلام للفلبين محدثه كتب في 11 فبراير 1980 وكانت أرافق في هذه الرحلة المستشار أحمد ابن سودة

الجنوك الكثيرة يقاتل بها أهل الصين حتى يصلحوه على شيء. وأهل هذه البلاد عبدة أوثنان، حسان الصورة، أشبه الناس بالترك في صورهم، والغالب على ألوانهم الحمرة، ولهم شجاعة ونجدة، ونساؤهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ويقاتلن كالرجال سواء، وأرسينا من مراسيهم بمدينة كيْلوكْري، وضبطها بكاف مفتوح وباء آخر الحروف مسكنة ولام مضموم وكاف مفتوح وراء مكسور، وهي من أحسن مدنها وأكبرها (26) وكان يسكن بها ابن ملكهم (27)، فلما أرسينا بالمرسي جاءت عساكرهم ونزل الناخوذة إليهم، ومعه هدية لابن الملك، فسألهم عنه، فأخبروه أن أباه ولأه بلداً غيره، وولى بنته بتلك المدينة وإسمها أُرْدْجَا (28) بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهمل وجيم .

250/4

ذكر هذه الملكة

ولما كان اليوم الثاني من حلولنا بمرسي كيْلوكْري استدعت هذه الملكة الناخوذة صاحب المركب، والكراني (29) وهو الكاتب، والتجار والرؤساء، والتنديل وهو مقدم الرجال (30)، وسياه سالار وهو مقدم الرماة، لضيافة صنعتها لهم على عاداتها ورغب الناخوذة مني أن أخضر معه، فأبيت لأنهم كفار لا يجوز أكل طعامهم فلما حضروا عندها، قالت لهم : هل يبقى أحد منكم لم يحضر ؟ فقال لها الناخوذة : لم يبق إلا رجل واحد بخشي،

(26) تتبع كلام ابن بطوطة عن التنافس المستمر بين ملك طوالسي وبين ملك الصين الذي يوحى ربما بأن بلاد طوالسي تعني بلاد اليابان الحالية، وحديثه عن إحدى مراسي طوالسي كذلك يعبر عن وجود طائفة من المراسي يكثر مرسى كيْلوكْري (Kaylukari) إحداها... وعلى نحو ما قلناه في التعليق السابق وجدنا أن عدداً من البلاد ترشح لكي تدخل في إطار طوالسي وهكذا فعلاوة على ما ذكر قبل، هناك سيليبس (Celebes) وطونكان والكامبودج الخ ومن حق الباحثين أن يزيروا الموضوع دراسة وتنقياً وإن يدخلوا في الاعتبار عدد الأيام والليالي التي تذكر كأمد لقطع المسافات...

Gibb : Selections p. 366 Beckingham 385.

(27) اختلفت الآراء كذلك حول موقع كيْلوكْري في الجنوب الشرقي لآسيا، ويجعلها الاستاذ ياما موطو Yamamots وكأنها نقل عربي لكلمة Klaung Garai التي لها علاقة بما شيده ملك شامباً مما يحمل هذا الاسم.

C.F. Beckingham : The Travels : IV P. 885 N° 27.

(28) تعليقا على الاميرة أُرْدْجَا يسلك المعلقون طرائق قديداً، سيما وقد ورد في أوصافها ولغة حديثها ما سنقف عليه سيما أيضا وقد مر هذا الاسم بنا عندما كان ابن بطوطة يتحدث عن الملكة رقم 4 من زوجات السلطان أوزبك خان ... ويرى بعض المعلقين أن الكلمة آتية من لقب أهل بروناي : (Urdana) ونحن نعرف عن الوجود النسوي المتميز في تلك المناطق التي لا تخلو من سلطنة أو حاكمة أو فارسة إلى الآن على ما رأيته رؤياعين وأنا ألقى محاضرتي على جمع كبير من فضليات السيدات في مانيلا يوم الأربعاء 11 يونيو 1980 كما قلت في التعليق 25 - Times Journal 12-6-1980 .

(29) الكراني، تقدم هذا التعبير (II. 198) وهو يؤدي إلى الآن في البنغال معنى كاتب المصالح العمومية.

(30) التنديل : ربما كان القصد إلى عريف الملاحين والنوتية لأن كلمة تنديل (Tindal) تستعمل في الهند بهذا المعنى والرُّجَال ج. راجل : المشاة ، عبارة سبه سلاز كلمة فارسية تعني قائد الجيش.

وهو الفقيه بلسانهم (31)، وبخشي يفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمين، وهو لا يأكل طعامكم، فقالت : ادعوه ! فجاء جنادرتها وأصحاب الناخوذة، فقالوا : أجب الملكة ! فأتيتها وهي بمجلسها الاعظم وبين يديها : نسوة بأيديهن الأزمّة يعرض ذلك عليها، وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلس تحت السرير على كراسي الصندل وبين يديها الرجال ومجلسها مفرشٌ بالحريز وعليه ستور حرير وخشب من الصندل، وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مساطب خشب منقوش عليها أواني ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابي والقلال والبواقيل أخبرني الناخوذة أنها مملوذة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالأفاويه يشربونه بعد الطعام، وأنه عطر الرائحة حلو المطعم يفرج ويطيب النكهة ويهضم ويعين على الباءة.

251/4

فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية : حَسَن مِسَن يَخْشِي مِسَن معناه : كيف حالك كيف أنك ؟ وأجلستني على قرب منها، وكانت : تحسن الكتاب العربي، فقالت لبعض خدامها : دَوَاة وَبَنَكْ كَاثُور، معناه : الدواة والكاغد، فأُتي بذلك فكتبت : بسم الله الرحيم الرحين، فقالت : ما هذا ؟ فقلت لها تَنْضَرِي نَامْ، وتَنْضَرِي بفتح التاء المملوذة وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء، ونَامْ بنون وألف وميم ومعنى ذلك : اسم الله، فقالت خُشْن (32)، ومعناه جيد. ثم سألتني من أي البلاد قدمت؟ فقلت لها : من بلاد الهند، فقالت : بلاد الفلفل؟ فقلت : نعم ! فسألتنني عن تلك البلاد وأخبارها، فأجبتها، فقالت : لا بد أن أغزوها وأخذها لنفسني، فاني يعجبني كثرة مالها وعساكرها ! فقلت لها : افعلي ! وأمرت لي بأثواب وحمل فيلين من الأرز وبيجاموستين وعشر من الضان وأربعة أرتال جلاب وأربعة مرطبانات (33)، وهي : آوان ضخمة مملوذة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا، كل ذلك مملوح مما يستعد للبحر.

252/4

253/4

(31) بخشي (Bakshi) : إذا انطلقنا من الاصل السنسكري فإن الكلمة كانت هي الاسم الذي يعطي من لدن الترك والمغول للرهبان البوذيين. توجد في المخطوطة المصححة عندنا كلمة الفقيه واضحة عوض القاضي في النسخة المترجمة - الأزمّة ج زمام، السجل - العبارة التي قالتها الأميرة أوردجا سبق وأن قيلت له من لدن السلطان طرمشرين III، 33.

(32) كلمة تَنْضَرِي محرفة غالباً من كلمة تَنْرِي (TANRI) وكلمة خُشْن تحريف لكلمة خُوش (HOS) (33) مرطبان : أواني خزفية تصنع في بيرمانيا، وقد ورد في كتابات باربوزا (BARBOSA) التعريف بهذه المرطبانات التي يقول عنها إنها جرار من الخزف المتين والجميل، وأن المسلمين يفضلونها. وهم يصدرونها من هذا المكان في مقابلة بخور جاوة

وأخبرني الناخودة أن هذه الملكة لها في عسكرها نسوة وخدم وجوارٍ يقاتلن كالرجال وأنها تخرج في العساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الأبطال، وأخبرني أنها وقع بينها وبين بعض أعدائها قتالٌ شديد وقُتل كثير من عسكرها وكادوا يهزمون، فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش حتى وصلت إلى الملك الذي كانت تقاتله فطعنته طعنة كان فيها حشفه فمات وانهزمت عساكره، وجاءت برأسه على رمح فافتتته أهله منها ٢٥٤/٤ بمالٍ كثير، فلما عادت إلى أبيها، ملكها تلك المدينة التي كانت بيد أخيها. وأخبرني أن أبناء الملوك يخطبونهم فتقول : لا أتزوج إلا من يبارزني فيغلبني فيتحامون مبارزتها خوف المعرة إن غلبتهم !

ثم سافرنا عن بلاد طولاسي

فوصلنا بعد سبعة عشر يوماً، والريح مساعدة لنا، ونحن نسير بها أشد السير وأحسنه إلى بلاد الصين، وإقليم الصين متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض ويخترقه النهر المعروف بأب حياة (34)، معنى ذلك ماء الحياة، ويسمى أيضاً نهر السبر، كاسم النهر الذي بالهند، ومنبعه من جبال بقرب مدينة خان باليق تسمى كوه بوزنه ٢٥٥/٤ معناه جبل القروء، ويمر في وسط الصين مسيرة ستة أشهر إلى أن ينتهي إلى صين الصين وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والأسواق كثيل مصر إلا أن هذا أكثر عمارةً، وعليه النواكير الكثيرة.

(34) يلاحظ أن ابن بطوطة في هذه الأخبار من رحلته لم يبق على النسق الذي عهدناه منه في معظم تنقلاته السابقة من ذكر للتواريخ وتدقيق للموقع الجغرافي، لا ندري هل لما أخذ يحسه من رغبة في العودة إلى وكره أم لأن ذاك الرحالة خائنه بعد تلك السنوات الطوال في زيادة هذه البلاد التي لم يعرف لسان قومه ولم يكن يشعر فيها بما كان يشعر به وهو في البلاد الأخرى مما يعبر عنه قوله "إن خاطره كان شديد التغيير... فكان يلزم بيته ولا يخرج إلا للضرورة" (282، IV) أم وهذا مهم إن الأمر يتعلق بابن جزى الذي كان على ما عرفنا - على حال من الاستعجال يقسره لنا أنه لم يتجاوز ثلاثة شهور في جمع الرحلة التي استمرت زهاء ثلاثين سنة ! مهما يكن فقد دفع ذلك "الصنيع" من ابن بطوطة بعض المعلقين إلى القول بأنه لم يضع قدمه على أرض الصين بل إن ما حكاه عنها ربما كان يعتمد فيه على حكايات بعض التجار !! لقد لا حظوا عليه منذ البداية حديثه عن النهر الذي قال إنه يخترق إقليم الصين وقال إنه يحمل اسم أب حياة أو السرو على نحو اسم النهر الذي في الهند (437، 355 III-6، II) يضاف إلى هذا أنهم لا يعرفون جبلاً قرب بيكين يحمل اسم جبل القروء إلى آخر ما قيل... ومع كل ذلك فأننا لم نعدم باحثين أمثال هاميلتون كيب ممن اتسعت أفاقهم للدفاع عن ابن بطوطة... وكل الذين تحدثوا من أهل الصين عن ابن بطوطة لم يخامروهم الشك في أنه زار بلادهم... ولعل من الطريف أن نسمع أن الرئيس شوان لاي عندما قام بزيارة المغرب أواخر 1963 أعرب عن الرغبة في زيارة ابن بطوطة باعتباره من أبرز الشخصيات التي يرجع لها الفضل في تقديم الصين لعالم الإسلام والعروبة.

وببلاد الصين السكر الكثير مما يضاهي المصري بل يفضله ! والأعشاب والإجاص وكنت أظن أن الإجاص العثماني الذي بدمشق لا نظير له حتى رأيت الإجاص الذي بالصين، وبها البطيخ العجيب، يشبه بطيخ خوارزم وأصفهان، وكل ما ببلادنا من الفواكه فإن بها ما هو مثله وأحسن منه، والقمح بها كثير جداً ولم أر قمحا أطيب منه وكذلك العدس والحمص .

256/4

ذكر الفخار الصيني

وأما الفخار الصيني فلا يصنع منها إلا بمدينة الزيتون (35) وبصين كلان (36)، وهو من تراب جبال هناك تقد فيه النار كاللحم، وسنذكر ذلك، ويضيفون إليه حجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام، ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع تراباً، ثم يخمرونه فالجيد منه ما خمر شهرأ كاملاً ولا يُزاد على ذلك، والدون ما خمر عشرة أيام وهو هناك بقيمة الفخار ببلادنا أو أرخص ثناً، ويحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتى يصل إلى بلادنا بالمغرب وهو أبداع أنواع الفخار!

ذكر دجاج الصين

ودجاج الصين وديوكها ضخمة جداً أضخم من الإوز عندنا (37) وبيض الدجاج عندهم أضخم من بيض الإوز عندنا، وأما الإوز عندهم فلا ضخامة لها، ولقد اشترينا دجاجة فأردنا طبخها فلم يسع لحمها في برمة واحدة فجعلناه في برمتين.

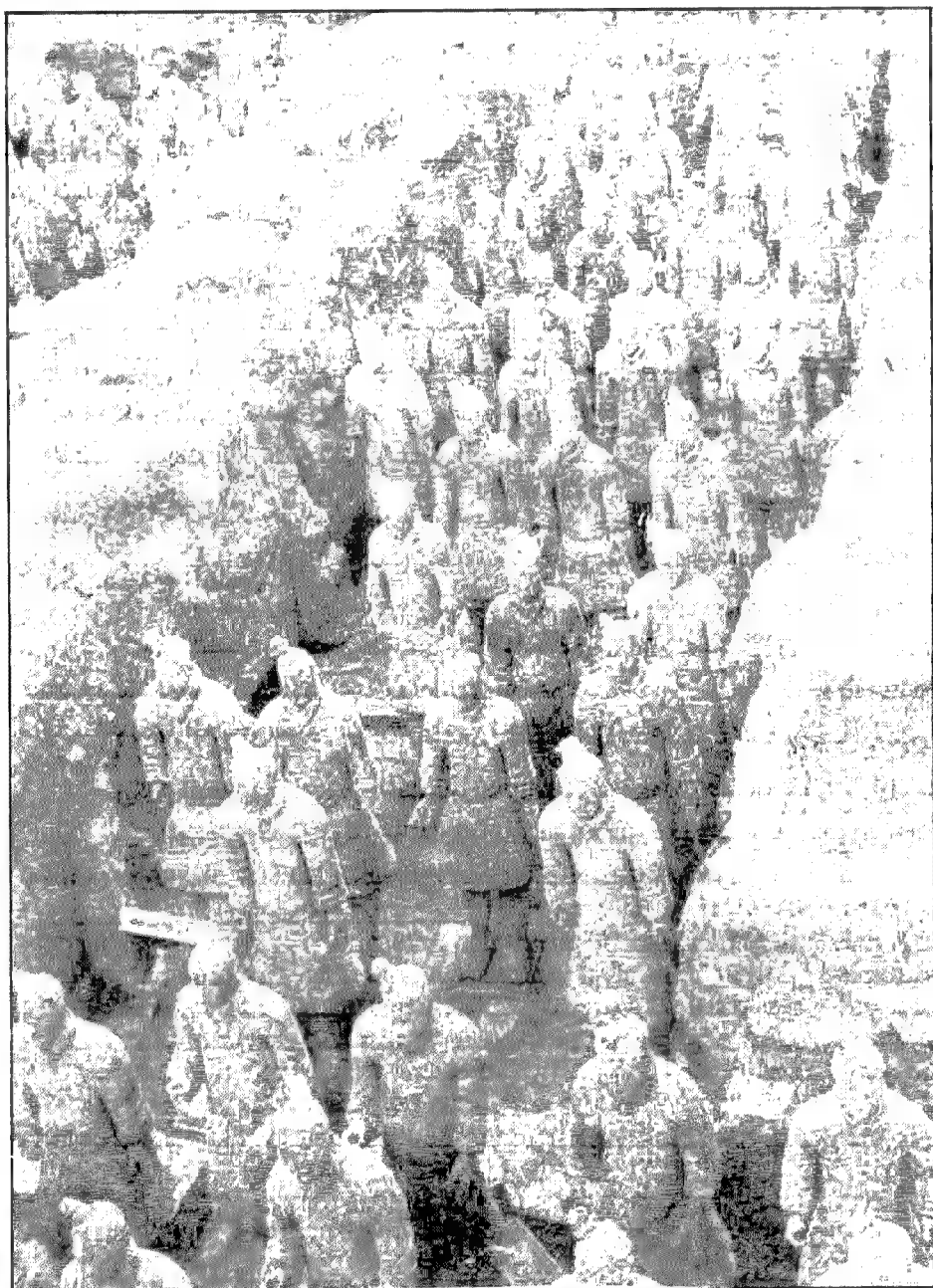
257/4

ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما انتف ريشه فيبقى بضعة حمراء، وأول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كولم، فظننته نعامة وعجبت منه، فقال لي صاحبه : إن ببلاد الصين ما هو أعظم منه، فلما وصلت إلى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك.

(35) الزيتون كان هذا الموقع في صدر الأعلام الجغرافية التي استندت فيها بزملائي أعضاء الوفد الصيني في المؤتمر العالمي لتنميط الأعلام الجغرافية (نيويورك) وقد بعث إلى البروفيسور دوكسيانغمينك Du Xiangming مدير معهد البحث الطوبوغرافي في بكين بالمعلومات التالية : الزيتون : التي عرفت عند بعض المعلقين تحت اسم تسوتونك (Tseu-Thoung) هي التي تحمل اليوم اسم : قانز هو Quanz-hou، وقد ترجم الاسم الذي استعمله المعلقون المشار اليهم في كلمة صينية يمكن تهجيتها هكذا Citong الذي هو الاسم المتحل لقانز هو... انظر ملحق المراسلات

(36) كلمة صين كلان - وهي بالذات صين الصين : كان جواب الأستاذ المذكور عنها بما يلي : صين كلان مرادف لكلمة Guangzhou وهي كانتون Canton... هذا و اذكر أن سليمان التاجر يسمى هذا العلم الجغرافي باسم (خانفو) الذي كان يترجم إلى كانتون. اخبار الصين والهند جمعت سنة 237 باريز 1948.

(37) معلومات يعززها ما سجله أودوريك أوف بوردنين (Odoric of Prodenone) معاصر ابن بطوطة Beckingham IV p. 889 - Not 5.



منحرف كيشيهوانك تقف على هذه الصور من الفخار

ذكر بعض من أحوال أهل الصين.

وأهل الصين كفارٌ يعبدون الاصنام ويُحرقون موتاهم كما تفعل الهند (38)، وملك الصين تَتْرِي من ذرية تنكيز خان (39)، وفي كل مدينة من مدن الصين مدينةٌ للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجُمُعات وسواها، وهم معظّمون محترمون، وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكِلَاب ويبيعونها في أسواقهم، وهم أهل رفاةٍ وسعة عيش إلا أنهم لا يحتفلون في مطعمٍ ولا ملبسٍ، وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرةً وعليه جبة قطنٍ خَشِنة.

258/4

وجميع (40) أهل الصِّين إنما يحتفلون في أواني الذهب والفضة، ولكل واحدٍ منهم عَكَاز يعتمد عليه في المشي، ويقولون : هو الرَّجُلُ الثالثة!!

والحرير عندهم كثيرٌ جداً لأن الدود تتعلق بالثمار وتأكُل منها فلا تحتاج إلى كثير مؤنةٍ ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين بها، ولو لا التُّجار لما كانت له قيمة، ويبيع الثوب الواحد من القطن عندهم بالاثواب الكثيرة من الحرير.

259/4

وعادتهم أن يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه، ويجعل ذلك على باب داره، ومن كان له خمس قطع منها جعل في أصبعه خاتماً، ومن كانت له عشر جعل خاتمين، ومن كان له خمس عشرة سَمُوهُ : السَّيِّي، بفتح السين المهمل وكسر التاء المعلو، وهو بمعنى الكارمي بمصر (41)، ويسمون

(38) في الفصلة التي تحمل عنوان (أخبار الصِّين والهند التي أشرتُ إليها في التعليق 36) والتي ترجمتها وعلق عليها جان سوفاجي باريز 1948، حديث عن أن أهل الصين يُدفنون في اليوم الذي ماتوا في مثله من قابل إلى آخر ما ذكروه ولم يتحدث عن عادة الإحراق التي تحدث عنها ماركوبولو في منطقة هانكز هو : الخنساء عند ابن بطوطة...

(39) كان الامبراطور الذي يحكم الصين على ذك العهد يحمل اسم طوغون تيمور Toghon Temur الذي تملك من عام 1333-733 - 1370-771، وهو الامبراطور الأخير من الدولة المغولية (Yuan) كان هذا الثامن من المنحدرين من جنكيزخان وقد أقصى عن الصين بتاريخ 1368 - بدر الدين العلقاش بين الغرب والصين طبعة أولى 1950 القاهرة ص 207. جامع التواريخ لرشيد الدين. DeC.ingham : The Travels... P. 889 N° 7.

(40) يبدو أن ابن بطوطة كان يتحدث عن محيط معين من الصين والافقد عرف أهل الصين بمطبخهم التري الرفيع... كما عرفوا بأناعتهم في اللباس وتميزهم...

ques Gernet : la vie quotidienne en Chine à la veille de l'invasion mongole 1960 - P 138-52.

(41) الاسم سَيِّي من أصل هندي (Chetty) وتعني أحد أعضاء طبقة اجتماعية تهتم بالتجارة جنوب الهند وحول الكارم انظر تعليقتنا ج. 49، IV.



حاسب عن سوقهم في بكن حيث نباع كل شي .

القطعة الواحدة منها بوزن 1000 ، يفتح الباب ، لوحده يسكون الراب ، وفتح الكاف واللام .

ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون

وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم ، وجميع ما يحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه وإنما يبيعهم وشراهم بقطع كاغد ، كل قطعة منها قدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت (141) ، بيا ، موحدة وألف ولام مكسور وشين معجم مسكن وتاء معلولة ، وهو بمعنى الدينار عندنا (144) ، وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جُذداً ودفع تلك ، ولا يعطي على ذلك أجره ولا سواها (145) ، لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان ، وقد وكل بذلك الدار أصراً في كبار الأمراء ، وإذا غشى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء ، لم يؤخذ منه ولا بلغت إليه حتى بصرفه بالبالشت ويشترى به ما أراد (261/4)

ذكر التراب الذي يُوقدونه مكان الفحم

وجميع أهل الصين (146) والخطا (147) أيضاً فحسبهم تراب عندهم منعقد كالطفل عندنا

(142) الكلمة من أصل فارسي (PAKOLAN) تعني الفضة والبر

(143) بالشت كلمة فارسية وتعني في الأصل التماسه أو التمسك وقد استعملت للفضة الذهبية أو الفضية ، ويلاحظ من الآن انتشار اللغة الفارسية في الأسماء العربية الفارسية وفي البلاط كذلك ، وقد خصص ماركو بولو فصلاً للحديث عن العملة

(144) البالشت - كنت مضطراً إلى أن أكتب بالشت - (145) سفارتنا في بكين بعد أن استغذت كل الوسائل وقد قام صديقنا الأستاذ السفير عبد الرحيم بن عبد الجليل باستنارة المخصصين من أمثال الأستاذ الجامعي تشوكاي Zhenkai وذكر التقرير الذي توصلت به شاكرنا أن العملة الورقية الوحيدة التي كانت متداولة في الفترة التي مضى فيها الرحلة المغربي في الصين أي في عهد دولة يوان (Yuan) نوعان BAOCHAO و HAOCHAO - وقد تكون كلمة بالشت تحريفاً لـ BAOCHAO التي تعني النقد النفيس (يذكر أن بالشت في اصطلاح الممول قطعة ذهبية معينة المقدار كما في (فرهنگ أنندراج)

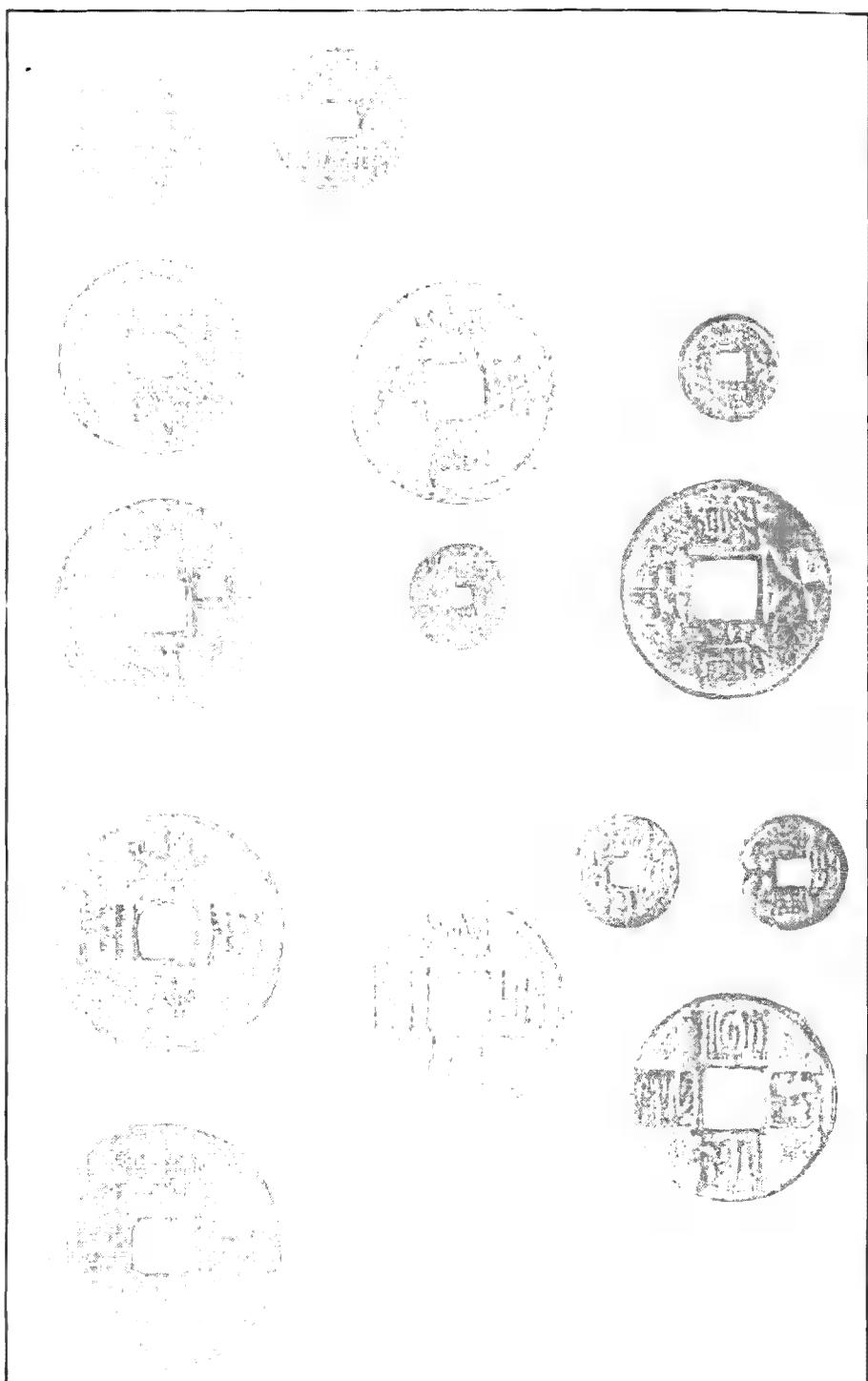
ويقول التقرير - أن الاسم الكامل لهذه العملة ZHI YUAN TONG XING BAOCHAO بمعنى نقد نفيس متداول في عهد الامبراطور - سراج الملاحق

وقد زدنا السفير بأحسن صورة لهذه العملة عن كتاب جدول سراج المقد بالـصين

(145) نفس المعلومات يرددها ماركو بولو - إضافة أن كلغة الممول نقضي دفع ثلاثة في المائة

(146) يقصد بالصين هنا القسم الجنوبي من البلاد في سفلة القسم الشمالي الذي يحمل اسم بلاد الخطا وهكذا فكلما ذكر الصين مجردة فإن قصده إلى الجنوب

(147) كلمة الخطا (Cathay) التي تعني للصين الشمالي كما قلنا - كلمة مستعملة من لدن الأوروبيين في القرن الثالث عشر إلى السادس عشر الميلادي - بعد شت اسم من إمارة برعطو مونغول (Proto mongole) المنتهين إلى Chiao التي حكمت من عام 1122 إلى عام 1279 ، وفي الروسية نجد أن الصين تسمى دائماً قشاي (Khai)





نماذج من العملة الصينية على عهد زيارة ابن بطوطة للصين

ولونه لون الطُّفل، تأتي الفيلة بالأحمال منه فيقطعونه قطعاً على قدر قطع الفحم عندنا ويشعلون النار فيه فيقد كالفحم وهو أشد حرارة من نار الفحم، وإذا صار رماداً عجنوه بالماء ويُسّوه وطبخوا به ثانية، ولا يزالون يفعلون به كذلك إلى أن يتلاشى، ومن هذا التُّراب يصنعون أواني الفخار الصيني ويضيفون إليه حجارةً سواء كما ذكرناه (48).

ذكر ما خصوا به من إحكام الصناعات

262/4

وأهل الصين أعظم الأمم إحكاماً للصناعات، وأشدّهم إتقاناً فيها (49)، وذلك مشهور من حالهم، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه، وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه من الروم ولا من سواهم. فإن لهم فيه اقتداراً عظيماً، ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أنني ما دخلت قط مدينةً من مدنها ثم عدت إليها إلا ورأيت صورتها وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الأسواق!

263/4

ولقد دخلت إلى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت إلى قصر السلطان مع أصحابي، ونحن على زِيّ العراقيين فلما عدت من القصر عشيّاً مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتها وصور أصحابي منقوشة في كواغد قد ألصقوه بالحائط، فجعل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تخطئ شيئاً من شبهه، وذكر لي أن السلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا إلى القصر ونحن به فجعلوا ينظرون إلينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك، وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم وتنتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب قراره عنهم بعثوا صورته إلى البلاد ويبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ.

قال ابن جزّي: هذا مثل ما حكاه أهل التاريخ من قضية سناپور ذي الاكتاف ملك الفرس، حين دخل إلى بلاد الروم متنكراً، وحضر وليمة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الأواني فنظر إليها بعض خدام قيصر فانطبعت على صورة سناپور، فقال للملك: إن

(48) يخلط ابن بطوطة هنا بين تراب الفحم وبين الصلصال الذي يصنع منه البورسلين، والحقيقة - على ما يلاحظ - أن المادتين تمتازان حتى تصنع منهما المادة التي تصمد للاحتراق.

(49) وردت مثل هذه الشهادة لدى تاجر عربي من أهل القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي. اقرأ الاستطراء الذي ذكره ياقوت في معجم البلدان (مادة الصين) عن رحلة أبي دلف مسعود بن مهلهل الخرجي (ت 390 = 1000 م) لبلاد الترك والصين والهند معجم البلدان تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية بيروت 1410 هـ 1990 م

هذه الصورة تخبرني أن كسرى معنا في هذا المجلس، فكان الأمر على ما قاله، وجرى فيه ما هو مسطور في الكتب (50).

ذكر عاداتهم في تقييد ما في المراكب

وعادة أهل الصين إذا أراد جنك من جنوكهم السُّفْر صعد إليه صاحب البحر وكتبابه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية، وحينئذ يباح لهم السفر فإذا عاد الجنك إلى الصين صعدوا إليه أيضاً وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس فإن فقدوا أحداً ممن قيده طلبوا صاحب الجنك به، فإما أن يأتي ببرهان على موته أو قراره أو غير ذلك مما يحدث عليه، وإلا أخذ فيه، فإذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب أن يملئ عليهم تفسيراً بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه، ويجلس حُفَاط الديوان لمشاهدة ما عندهم، فإن عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للمخزن (51)، وذلك نوع من الظلم مارأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين إلا بالصين اللهم إلا أنه كان بالهند ما يقرب منه، وهو أن من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمها أغرم أحد عشر مغرمًا، ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم.

265/4

ذكر عاداتهم في منع التجار عن الفساد.

وإذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خُيِّر في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معيّن، أو في الفندق، فإن أحب النزول عند التاجر حُصِر ماله وضُمّته التاجر المستوطن، وانفق عليه منه بالمعروف، فإذا أراد السفر بُحِث عن ماله، فإن وُجد شيء منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضُمّته، وإن أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضُمّته، وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه، فإن أراد التَّسْري اشترى له جاريةً وأُسكنه بدار يكون بابها في الفندق، وانفق عليهما.

266/4

(50) يتعلق الامر بالعاهل الساساني شابور الثاني SHAPUR II (309-379م) المعروف بصراعاته ضد ملوك الرومان أصحاب القسطنطينية. الحكاية التي رواها ابن بطوطة توجد في تاريخ الساسانيين الذي ألفه المؤرخ الفارسي ميرخوند. وتنتمى الحكاية هي أن شابور خيط إلى جلد حمار وأودع في السجن¹ وقد لقب بذي الاكتاف لأنه كان يتقّب أكثاف معارضيه ويلقّهم منها بجبل حتّى لا يعود أحد للمعارضة !! (51) يقدم لنا أودوريك دوبرودون (O. DE PRODENONE) إشارات مماثلة هذا ويلاحظ استعمال كلمة (المخزن) بمعنى الدولة والحكومة على ما هو المصطلح المغربي...

267/4

والجواري رخيصات الأثمان إلا أن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيباً عندهم، غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضاً منه إن اختاروه، وكذلك إن أراد التزوّج تزوّج، وأما إنفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له إليه! ويقولون: لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا فأنها أرض فساد وحسن فانت!

ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق

268/4

وبلاد الصين أمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافر، فإن الإنسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها، وترتيب ذلك أن لهم في كل منزل ببلادهم فندقاً عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال، فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من بيت به من المسلمين وختم عليها، وأقفل باب الفندق عليهم فإذا كان بعد الصبح، جاء ومعه كاتبه فدعا كل إنسان باسمه، وكتب بها تفسيراً، وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثاني له ويأتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه، وإن لم يفعل طلبه بهم، وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين إلى خان بالق.

وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج إليه المسافر من الأزواد وخصوصاً الدجاج والإوز، وأما الغنم فهي قليلة عندهم.

269/4

ولتعد إلى ذكر سفرنا فنقول: لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا إليها مدينة الزيتون (52)، وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند، ولكنه اسم وضع عليها، وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكتّخا، والأطلس (53)، وتعرف بالنسبة إليها، وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبايقية، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا

(52) نلاحظ أن ابن بطوطة على نحو الأسلوب الذي اتبعه عندما قدم بلاد الهند، قبل أن يفصل حركته فيها قام منا بتقديم للصين قبل أن تنزل مراكبه بها. وهكذا فقد تحرك من طوالسي وسار سبعة عشر يوماً في اتجاه الجنوب الشرقي للصين حيث وجدناه ينزل ميناء مدينة الزيتون (Quanzhou) حالياً في إقليم Fujian) بمضيق طايبوان على الخط 53. 24 شمالاً والخط 118.13 شرقاً مقابلة لهذه الجزيرة ومن المعلوم أن هذه المدينة تعتبر نقطة الانطلاق التجاري البحري مع المحيط الهادئ - تعليق 35 (ملاحق)

(53) يذكر بول أن كلمة ساتان Satin وأردة أصلاً من زيتون، من خلال الكلمة الإيطالية القديمة ZETTANI.

(54) يلخص ابن بطوطة المسالك المانية الصينية كلها في النهر الأعظم الذي هو مزيج متخيل بين النهر الأصفر Yellow River وبين القناة الكبرى التي تربط بكين مع الخنساء Hangzhou أما نهر جينجيانك (Jinjiang)، فهو قليل الأهمية ومصبه عند مدينة (Quanshow)، يراجع التعليق السابق رقم 34.

أو هو أعظمها، رأيتُ به نحو مائة جُنك كبار، وأما الصغار فلا تحصى كثرةً، وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الأعظم

وهذه (54) المدينة وجميع بلاد الصين يكون للإنسان بها البستان والأرض، وداره في وسطها كمثل ما هي بلدة سجلماسة ببلاونا (55) وبهذا عظمت بلادهم، والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة، وفي يوم وصولي إليها رأيتُ بها الأمير الذي توجه إلى الهند رسولاً بالهدية، ومضى في صحبتنا وغرق به الجُنك، فسلم علي وعرف صاحب الديوان بي (56) فأنزلني في منزل حسن، وجاء إلي قاضي المسلمين تاج الدين الأرتوولي وهو من الأفاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبد الله الإصفهاني، وهو من الصلحاء وجاء إلي كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استدنتُ منهم حين قدومي على الهند وأحسنهم معاملةً، حافظُ القرآن مكثر للتلاوة.

270/4

وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار إذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح، وقالوا: جاء من أرض الإسلام، وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنياً كواحد منهم.

271/4

وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني، له زاوية خارج البلد (57)، وإليه يدفع التجار النذور التي يذرونها للشيخ أبي إسحاق الكازروني (58)، ولما عرف صاحب

(55) الحديث عن المقارنة بين نظام (الغلات) في الصين وسجللماسة حيث الدار وسط الحديقة يدعوننا إلى الالتفات للعلاقات المغربية الصينية، وهو الموضوع الذي عالجه الندوة التي حضرناها في بيكين في يونيو 1988. ن. رضوان ليولين روى (جامعة بيكين) العلاقات الصينية المغربية في العصور القديمة، - د. التازي في العلاقات المغربية الصينية، هل كانت زيارة ابن بطوطة لبيكين رداً على زيارة وانغ دايوان لطنجة؟ جريدة العلم المغربية، 7 غشت 1988. - التاريخ الدبلوماسي للمغرب (6) ص 247

(56) نلاحظ أن ابن بطوطة هنا أخذ يستعيد ذكرياته ويتفقد أصحابه فيما يتصل بالمهمة التي عهد بها إليه سلطان الهند لدى ملك الصين، ويتجلى واضحاً أن مدينة الزيتون كانت بالفعل ملتقى دولياً على مضيق طاويوان هذا وإن مجموع الشخصيات التي ذكرها ابن بطوطة هنا في مدينة الزيتون (Quanzhou) من أصل فارسي، هذا وامتاز إلى الآن قرية بضواحي المدينة تحمل اسم قرية الفُرس. ونعلم من خلال المصادر التاريخية الصينية بأن المدينة كانت تتوفر على جالية فارسية قوية، ولذلك فإن اللغة الفارسية بالصين على ذلك العهد كانت سائدة على ما قلناه، ولا بد أن تستوقفنا هنا كلمة الديوان المستعملة في المغرب وخاصة عند الموانئ المفتوحة في وجه المراكب التجارية الأجنبية - الكلمة يقال إنها من أصل إيطالي Dogane أو فرنسي Douane، ويقصد بها مكتب الجمارك (ومن هنا جاءت التوضيحية بـابن بطوطة!) وقد تحدثنا عن هذه المصطلحات في التاريخ الدبلوماسي للمغرب

(57) لا بد أن نذكر هنا بما ورد في (1، 37 - 38) من أن برهان الدين الأعرج قال لابن بطوطة وهو ما يزال بالاسكندرية: أراك تحب السياحة، فقال نعم ولم يكن حينئذ خطر بخاطره زيارة الهند والصين، فقال له برهان الدين: لا بد لك أن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند وأخي برهان الدين بالصين وإذا بلغتهم فسلم عليهم... ولم أزل أجول، يقول ابن بطوطة، حتى لقيت الثلاثة.

(58) يعتبر هذا الشيخ عند العامة ممن يتوسل بهم عند الخوف من أخطار البحار كما سلف في الجزء II، 90. على نحو الشيخ البائري بمدينة الرباط - د. التازي مؤتمر بايرة (البرتغال) 1982



العمود الخشبي ، الخندق على نهر سوان

الديوان أخباري كتب إلي القان، وهو ملكهم الأعظم (59)، يخبره بقدومي من جهة ملك الهند فطلبت منه أن يبعث معي من يوصلني إلى بلاد الصين وهم يسمونها صين (60) كلان، لأشاهد تلك البلاد، وهي في عمالته بخلاف ما يعود جواب القان، فأجاب إلى ذلك، وبعث معي من أصحابه من يوصلني.

وركب في النهر في مركب يشبه أجفان بلادنا الغزوية إلا أن الجذأفين يجذفون فيه قياماً، ومعهم، في وسط المركب الركاب في المقدم والمؤخر، ويظللون على المركب بثياب تصنع من نبات ببلادهم يشبه الكتان، وليس به، وهو أرق من القنب.

272/4

وسافرنا في هذا النهر سبعة وعشرين يوماً (61) وفي كل يوم ترسو عند الزوال بقرية نشترى بها ما نحتاج إليه ونصلي الظهر ثم ننزل بالعشي إلى أخرى وهكذا إلى أن وصلنا إلى مدينة صين كلان بفتح الكاف، وهي مدينة صين الصين، وبها يصنع الفخار، وبالزيتون أيضاً، وهناك يصب نهر أب حياة في البحر، ويسمونه مجمع البحرين (62)، وهي من أكبر المدن وأحسنها أسواقاً، ومن أعظم أسواقها سوق الفخار، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الصين، وإلى الهند واليمن، وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب أسطوان ومصاطب يقعد عليها الساكنون بها، وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها الغميان وأهل الرمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة، وكذلك فيما بين الأبواب كلها وفي داخلها المارستان للمرضى والمطبخ لطبخ الاغذية وفيها الأطباء والخدام.

273/4

وذكر لي أن الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة، وكذلك الأيتام والأرامل ممن لا حال له، وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وما إليها من القرى والبساتين وقفاً عليها، وصورة ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة، وهم يعبدونها.

(59) كان الحاكم الأعظم في ذلك العهد طوكون تيمور (Togon Timur) انظر التعليق 39. هذا وكلمة القان تؤدي في التركية معنى لقب (الخاقان)...

(60) صين كلان وصين الصين Guangzhou كانطون انظر ملحق المراسلات

(61) يلاحظ بعض المعلقين على سفر ابن بطوطة من مدينة الزيتون التي تقع كما قلنا على مضيق طايوان. إلى مدينة صين كلان (كانطون) فيذكرين بأن المحطات التي ذكرها على ذلك النهر لفترة 27 يوماً غير صحيحة، القناة الكبرى غير موجودة في المنطقة فهل هناك فوات من مذكراته؟ أو تساهل في تلخيصها؟ راجع التعليق 34.

(62) الواقع أن الأمر لا يتعلق بالنهر الأصفر، ولكن يتعلق بنهر بي جيانك Bei Jiang راجع التعليق رقم 34.



كاسيون في اللون الساج عثير

وفي بعض جهات هذه المدينة (63) بلدة المسلمين، لهم بها المسجد الجامع والرواية والسوق ولهم قاض وشيخ، ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام يحقن أمور المسلمين كلها راجعة إليه، وقاض يقضي بينهم وكان نزولي عند أوجد الدين السنجاري، وهو أحد الفضلاء الأكابر ذوي الاموال الطائلة، وأقامت عنده أربعة عشر يوماً، ونُحِفَ الفاضل وسائر المسلمين تتوالى عليّ، وكلّ يوم يصنعون دعوة جديدة ويأتون إليها بالعشرين (64) الحسان والمغنين وليس وراء هذه المدينة مدينة لا للكفار ولا للمسلمين، وبينها وبين ياجوج وماجوج (65) ستون يوماً فيمّا ذكر لي، يسكنها كفار رخالة ياكلون بني آدم إذا ظفروا بهم (66)، ولذلك لا تسلك بلادهم ولا يسافر إليها ولم أر بتلك البلاد من رأى السد ولا من رأى من رآه

274/4

275/4

حكاية عجيبة

ولما كنت بصين كلان سمعت أن بها شيخاً كبيراً قد أناف على عاصي سنة، أنه لا ياكل ولا يشرب، ولا يُحدث، ولا يباشر النساء مع قوته التامة، وأنه ساكن في غار ضارجهما

(63) تعرضت (كانطون) لعدة تغييرات ولذا غاب لا يوجد أثر لهذه الكنيسة التي كانت موجودة (64) السنجاري نسبة إلى سنجار التي تقع ضمن الجزيرة الفراتية، وقد كانت عاصمة الخوارج في القرنين الثامن والتاسع من عام 1170 إلى 220م - انظر III، 241، 42 أما العشرون فهم القراء الذي عرفت، بلأول القرآن على عشرة أقساط كما أسلفنا التعليق 288 الفصل الرابع عشر ولا أرى وجهاً لتعسف التراجع (65) تذكر الرواية أن سدّ ياجوج وماجوج شيد من لدن ذي القرنين لحبس العلم المفسد من حكام الشمال ويقع هذا السد حسب مذكرات المعاصرين اليوم على مقربة من التبريد DLRBNI التي يقع على الخط 42.03 شمالاً والخط 18.18 شرقاً غرب بحر قزوين، وقد سمعنا فيه بعض القديسة ما يزيرة لياكو التي تقع جنوباً ويحكى ابن خردادبة في المسالك، الممالك أن العنيفة الدافق مائة بعد سفيره سلام الترجمان ليقف على حقيقة هذا السد وأنه أي السد سادس بعد أن ساد عدد من السريين بتقرير إلى الخليفة حول الموضوع، ومن المهم أن نذكر هنا أن هذا السد المسمى على كنهه من الناس ومنهم ابن بطوطة بسور الصين العظيم (La grande Muraille) الذي يفاد السري في هذا المكان تي مؤسس الامبراطورية الصينية عام 221 - 211 قبل الميلاد، وقد وُرد في سنة 1988 - ومن ثم الفائدة أن نحيل على تفسير (التحرير والتنوير) للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (تونس 1984) وحسب إفادة زميلنا في أكاديمية الملكة المغربية نيل أرمسترونغ الذي صعد القمر قبل سحر الصين هو السري، الوحيد من صنع الإنسان الذي ظهر لهم من القمر

(66) يتحدث ماركو بولو عن أن شعب مملكة فوجو Fujou ياكل لحم البشر، بسبب هذا عاكس إلى الفيل البدائية بيد أن هذا لا يغفوا أن يكون زعماء النسبة لاهل الصين والمغول والغائب ولا بد مع هذا أن نلاحظ أن نمط المطبخ الصيني الذي يحتوي على بعض المواد الغذائية التي لا يستعملها الشرق الأوسط والتي قد تكون محرمة على المسلمين في بعض الأحيان من شأن كل تلك أن تسهل عملية بعض أكل الصين في الماضي إلى أكلة لحوم البشر انظر ج IV، 128 حول أكل البشر في إفريقيا



يتعبد فيه، فتوجهت إلى الغار. فرأيت على بابه وهو نحيف شديد الحمرة، عليه أثر العبادة ولا حياة له فسلمت عليه فأمسك بيدي وشمها، وقال للترجمان: «هذا من طرف الدنيا كما نحن من طرفها الآخر» ثم قال لي: «لقد رأيت عجباً، أتذكر يوم قدومك الجزيرة التي فيها الكنيسة والرجل الذي كان جالساً بين الأصنام وأعطاك عشرة دنائير من الذهب» فقلت:

276/4

نعم! فقال: «أنا هو! فقبلت يده، وفكر ساعة، ثم دخل الغار فلم يخرج إلينا، وكأنه ظهر منه الندم على ما تكلم به، فتعجبنا ودخلنا الغار عليه فلم نجده ووجدنا بعض أصحابه ومعه جملة بوالش من الكاغد (67)، فقال: «هذه ضيافتكم، فانصرفوا فقلنا له: ننتظر الرجل، فقال: لو أقمتم عشر سنين لم تروه، فإن عادته إذا أطلع أحد على سرٍّ من أسرارهِ لا يراه بعده، ولا تحسب أنه غاب عنك بل هو حاضر معك، فعجبت من ذلك وانصرفت، فاعلمت القاضي وشيخ الاسلام وأوحد الدين السنجاري بقضيته، فقالوا: كذلك عادته مع من يأتي إليه من الغرباء ولا يعلم أحد ما ينتحله من الأديان! والذي ظننتموه أحد أصحابهِ هو هو. وأخبروني أنه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمسين سنة ثم قدم عليها منذ سنة، وكان السلاطين والأمراء والكبراء يتونونه زائرين فيعطيه التُخف على أقدارهم، ويأتيه الفقراء كل يوم فيعطي لكل أحد على قدرهِ، وليس في الغار الذي هو به ما يقع عليه البصر! وأنه يحدث عن النسنين الماضية، ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: لو كنت معه لنصرته، ويذكر الخليفين عُمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بأحسن الذكر ويثنى عليهما ويلعن يزيد ابن معاوية ويقع في معاوية.

277/4

وحدثوني (68) عنه بأمور كثيرة، وأخبرني أوحد الدين السنجاري قال: دخلت عليه بالغار فأخذ بيدي فخيل لي أنني في قصرٍ عظيم وأنه قاعد فيه على سريرٍ فوق رأسه تاج وعن جانبيه الوصائف الحسان والفواكه تتساقط في أنهار هناك وتخللت أنني أخذت تفاحة لأكلها. فإذا أنا بالغار وبين يدي، وهو يضحك مني وأصابني مرض شديد لازمني شهوراً فلم أعد إليه.

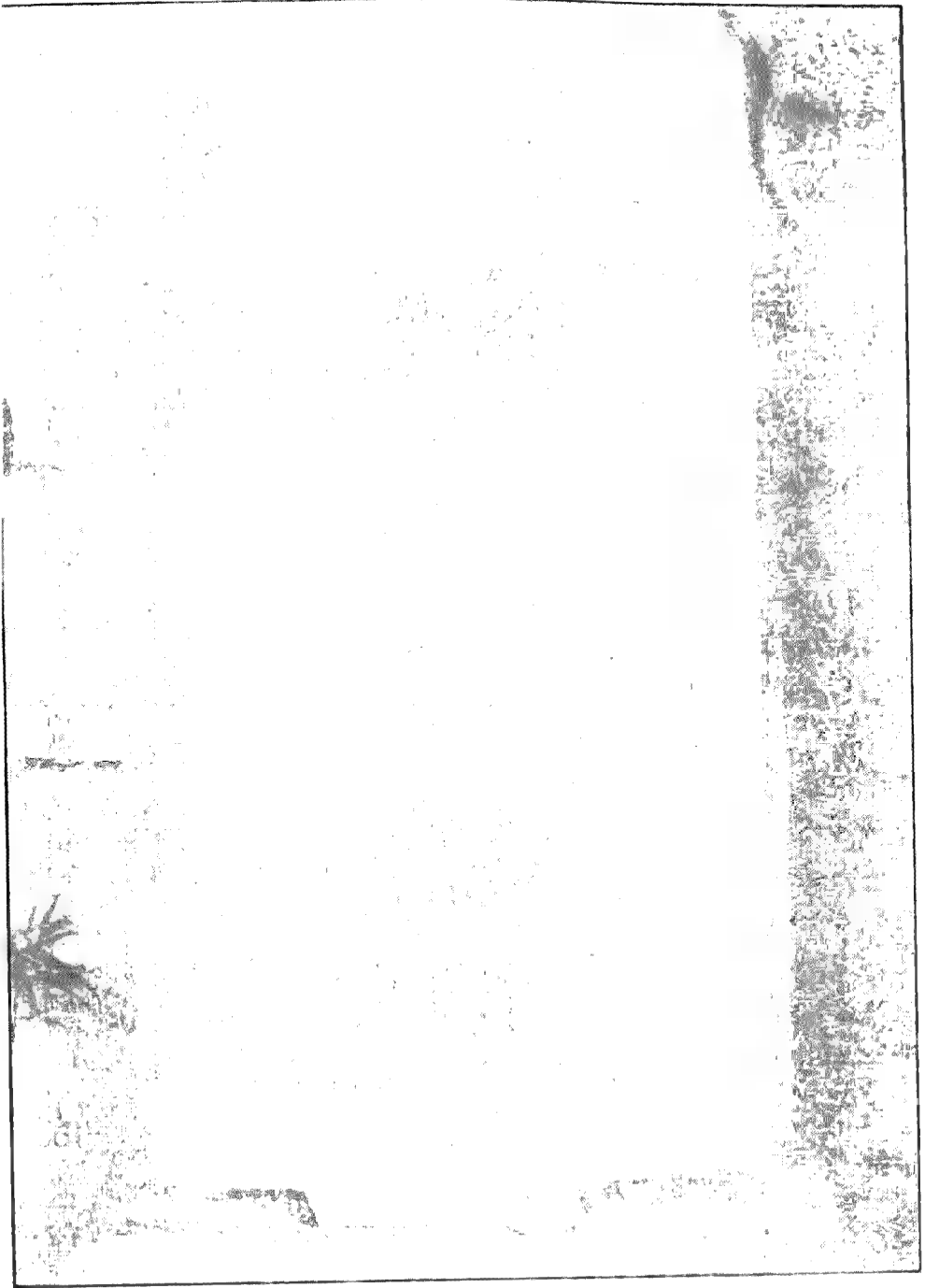
278/4

وأهل تلك البلاد يعتقدون أنه مسلم، ولكن لم يرد أحد يصلي، وأما الصيام فهو صائم أبداً، وقال لي القاضي ذكرت له الصلاة في بعض الأيام، فقال لي: «أندري أنت ما أصنع» إن صلاتي غير صلاتك! وأخبارُ كُلِّها غريبة، وفي اليوم الثاني من لقائه سافرتُ راجعاً إلى مدينة الزيتون، وبعد وصولي إليها بأيام جاء أمر القان بوصولي إلى حضرته على النهر

279/4

(67) راجع التعليق رقم 43 - 44 من هذا الفصل

(68) تشير هذه الخصوصيات التي أشار إليها ابن بطوطة في حديثه عن شيخ صين كلان إلى موقف «س» بين الشيعة والسنة، فهو أي الشيخ يذكر الخليفين عمر، وعلي بأحسن الذكر. وهذا «عن البزاز» Beckingham IV, p.898. Gibb's Travels LP. 46 N. 140.



شكر محمد ومجال النعمة الإسلامية للحسن

والكرامة (69) إن شئتُ في النهر والآ ففي البر فاخترت السفر في النهر فجهزوا لي مركبا حسنا من المراكب المعدة لركوب الأمراء، وبعث الأمير معنا أصحابه ووجه لنا الأمير والقاضي والتجار المسلمون أزواداً كثيرة، وسرنا في الضيافة نتعدى بقرية ونتعشى بأخرى، فوصلنا بعد سفر عشرة أيام الى مدينة فُتْجِنْفُو (70)، وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الجيم وسكون النون الآخر وضم الفاء وواو. مدينةٌ كبيرةٌ حسنةٌ في بسيطٍ أقيح، والبساتين محدقةٌ بها فكانها غوطَةٌ دمشق، وعند وصولنا خرج إلينا القاضي وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الأعلام والطبول والأبواق والأنفار وأهل الطرب. وأتونا بالخيول فركبنا ومشوا بين أيدينا، لم يركب معنا غير القاضي والشيخ، وخرج أمير البلد وخدامه، وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم، ودخلنا المدينة ولها أربعة أسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسُمارها ويسمون البصوانان (71)، بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهمل وواو وألف ونون وألف ونون، ويسكن ما بين السور الثاني والثالث الجنودُ المركبون والأمير الحاكم على البلد، ويسكن داخل السور الثالث المسلمون وهناك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القُرْلاني، بضم القاف وسكون الراء، ويسكن داخل السور الرابع الصينيون، وهو أعظم المدن الأربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة أميال وأربعة ولكل إنسان كما ذكرناه بستانه وداره وأرضه.

280/4

281/4

حكاية [قوام الدين السبتي]

وبينما أنا يوماً في دار ظهير الدين القُرْلاني إذا بمركب قوام الدين السبتي، فعجبت من اسمه! ودخل إليّ، فلما حصلت المؤانسة بعد السلام سنج لي أني أعرفه، فأنظرت اليه

(69) يلاحظ بعض المعلقين أنه من البعيد أن تكون الدعوة قد وجهت إلى ابن بطوطة لأنه لا يملك أية صلة على أنه يحمل صفة سفير. وتعتقد أن تقديم ابن بطوطة من لدن السفير الصيني الذي كان في الهند والذي صادفه في مدينة الزيتون يمكن أن يكون حجة على أنه مبعوث من ملك الهند

(70) كما فعلتُ في الأعلام الجغرافية الصينية الأخرى التي أشكلت عليّ، فقد استجذبت بالمركز الوطني الصيني للخريطة فتلقيت من زميلي الأستاذ دوشيان مينك Du Xiangming مدير المركز ما يلي: قان جان فو لا تتفق الآراء حول موقعها في الصين بيد أن الرأي السائد أنها تقع بين مدينتي Quanzhou وبين الخنسا (Hangzhou) أنظر ملحق المراسلات

(71) حراس الليل والكلمة فارسية (Pashanam) نلاحظ مرة أخرى هيمنة اللغة الفارسية في المصطلحات الصيني

إليه فقال : أراك تنظر إلي نظر من يعرفني، فقلت له : من أي البلاد أنت ؟ فقال من سبتة¹ فقلت له : وأنا من طنجة ! فجدد السلام عليّ وبكى حتى بكيت لبيكانه² فقلت له : هل دخلت بلاد الهند ؟ فقال لي : نعم دخلت حضرة دهلي، فلما قال لي ذلك : تذكّرت له، وقلت : أنت البشري؟ قال : نعم³ وكان وصل الى دهلي مع خاله أبي القاسم المرسى وهو يومئذ شاب لا نبات بعرضيه، من حذاق الطلبة، يحفظ الموطأ (72) وكنت أعلمت سلطان الهند بأمره فأعطاه ثلاث آلاف دينار وطلب منه الإقامة عنده فأبى، وكان قصده بلاد الصين فعظم شأنه بها واكتسب الأموال الطائلة.

أخبرني أن له نحو خمسين غلاماً، ومثلهم من الجواري وأهدى إلي منهم غلامين وجاريتين وتُحفاً كثيرة، ولقيت أخاه بعد ذلك ببلاد السودان، (73) فبأ بعد ما بينهما⁴ وكانت إقامتي بقُنْجُنْفُو خمسة عشر يوماً، وسافرت منها، وبلاد الصين على ما فيها من الحسن لم تكن تُعجبني، بل كان خاطري شديد التغير بسبب غلبة الكفر عليها، فمتى خرجت عن منزلي رأيت المناكير الكثيرة، فأقلقني ذلك حتى كنت ألزم المنزل فلا أخرج إلا لضرورة، وكنت إذا رأيت المسلمين بها فكأنني لقيت أهلي وأقاربي !

283/-

ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشري أن سافر معي لما رحلت عن قُنْجُنْفُو أربعة أيام حتى وصلت إلى مدينة بِيُوم قُطْلُو (74)، وهي بباء موحدة مفتوحة وباء آخر الحروف ساكنة وواو مفتوحة وميم وقاف مضموم وطاء مسكنة ولام مضموم وواو، مدينة صغيرة يسكنها الصينيون من جند وسوقة، وليس بها للمسلمين إلا أربعة من الدور، وأهلها من جهة الفقيه المذكور، ونزلنا بدار أحدهم وأقمنا عنده ثلاثة أيام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت النهر على العادة نتعدى بقرية ونتعشى بأخرى إلى أن وصلنا بعد سبعة عشر يوماً منها إلى

284/4

(72) إذا ما استثنينا مجموع الفقه للإمام الشهيد زيد بن علي فإنا لموطأ هو أول كتاب في الفقه الاسلامي من تأليف الامام مالك بن أنس عمدة المذهب المالكي على ما هو معلوم.

(73) انظر ج. IV، 376 - 377

(74) يبدو أن الامر لا يتعلق باسم لموقع جغرافي ولكنه علم على اسم لقائد تركي تترى (بيان Bayan) قطلو، أي بيان (المحظوظ) ، وهو أي (بيان) الذي استعمل عند ابن بطوطة وكأنه علم على مكان (كيب مختارات ص 371 تعليق 1) اسم لأحد الجزلات الأساسيين الذين اسهموا في فتح جنوب الصين. وهناك (بيان) آخر كان وزيراً للإمبراطور طوغون تيمور الذي كانت زيارة ابن بطوطة تصادفه - Beckingham IV, P. 900.

مدينة الخنسا (75)، واسمها على نحو إسم الخنساء الشاعرة، ولا أدري أعربي هو أم وافق العربي؟ وهذه المدينة أكبر مدينة رأيتها على وجه الأرض، طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل، وهي على ما ذكرناه من ترتيب عمارة الصين، كلُّ أحد له بستانه وداره، وهي منقسمة إلى ست مدن سنذكرها، وعند وصولنا إليها خرج إلينا قاضيها أفخر الدين وشيخ الاسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصري، وهم كبار المسلمين بها (76) ومعهم علم أبيض والاطبال والأنفار والابواق وخرج أميرها في موكبها. ودخلنا المدينة وهي ست مدن على كل مدينة سور، ومحدد بالجميع سور واحد، فأول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم، حدثني القاضي وسواه أنهم اثنا عشر ألفاً في زمام العسكرية وبتنا ليلة دخولنا في دار أميرهم.

285/4

وفي اليوم الثاني دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود (77)، ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس، وهم كثير وأمير هذه المدينة من أهل الصين، وبتنا عنده الليلة الثانية.

(75) يذكر الناشران الفرنسيان أن القصد حالياً إلى (Hang-Tchou-fou) ويقتصر ببيكينكام على كلمة (Hang-Chou)، وقد أفادني الزميل البروفسور دوكسيانكينك بأن مدينة الخنسا، هي بالذات التي تعرف حالياً باسم هانكز هو HANGZHOU، ويفيد الأستاذ المذكور في مراسلته بتاريخ 11 غشت 1994 أن اسم الخنسا، ترجم عن كلمة صينية قديمة يمكن تهجيتها هكذا جينكشي، وهو الاسم المتحلل لكلمة هانكز هو HANGZHOU... انظر ملحق المراسلات أما عن الشاعرة الخنساء فهي تماضر بنت عمر الرياحية السلمية... أكثر شعرها رثاء وكان لها أربعة أبناء شهدوا القادسية فقتلوا جميعاً أدركها أجلها عام 24 هـ 645.

(76) حديث ابن بطوطة عن حضور الإسلام بالصين يذكرنا بما ورد في مذكرات الرحالة البندقي ماركوبولو الذي أقام كما قيل في الصين سنوات عديدة، فقد تحدث طويلاً عن تأثير العرب والمسلمين وهو الذي روى قصة الأمير العربي أحمد Aemat وكان هو الذي يلي الامبراطور في نفوذه الواسع وكانت الجالية العربية والاسلامية المقيمة في العاصمة (Cambaluc) تتمتع بنفوذ عظيم إلى آخر الحديث الطويل الذي أورده ماركوبولو.

MARCO Polo : le devisement du monde (la découverte 1994)

T - P. 219 - 220 - 121 - 222 - 223 - 224

(77) من خلال الحديث عن باب اليهود في مدينة الخنساء يظهر أنه كانت هناك جالية لليهود وهذه من المعلومات التي يظهر أن ابن بطوطة يستأثر بها دون المصادر الأولى لتاريخ الصين، هذا وحول وصف ابن بطوطة لهذه المدينة نلاحظ أن بعض المعلقين كانوا يجدون أن في تلك الشهادة غرابة ! وقد قال روسي دان Rosse Dun على الخصوص إنها شهادة فيها خلل وإن ابن بطوطة لم يستطع وصف هذه المدينة هذا علاوة على اجتيازه القناة واستطاعته أداء مهمته الدبلوماسية التي عهد بها إليه لدى الامبراطور طوغون تيمور...

Ross E. Dum : The Adventures of IBN Battuta p. 260 - Beckingham : The travels T VI P 901 N°45.

وفي اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة، ويسكنها المسلمون، ومدينتهم حسنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها في بلاد الإسلام، وبها المساجد والمؤذنون، سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار أولاد عثمان بن عفان المصري، وكان أحد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها، وعُرفت بالنسبة اليه وأورث عقبه بها الجاه والحرمة، وهم على ما كان عليه أبوهم من الإيثار على الفقراء والإعانة للمحتاجين، ولهم زاوية تعرف بالعثمانية، حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة، وبها طائفة من الصوفية، وبني عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة، ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافاً عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت إقامتنا عندهم خمسة عشر يوماً فكنا كل يوم وليلة في دعوة جديدة، ولا يزالون يحفلون في أطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة في أقطار المدينة.

286/

وركبوا معي يوماً فدخلنا إلى المدينة الرابعة وهي دار الإمارة وبها سكنى الأمير الكبير قُرطى، ولما (78) دخلنا من بابها ذهب عني أصحابي ولقيني الوزير وذهب بي إلى دار الأمير الكبير قُرطى فكان من أخذه الفرجية التي أعطانيها ولي الله جلال الدين الشيرازي (79) ما قد ذكرته.

287/

وهذه المدينة منفردة لسكنى عبيد السلطان وخدامه وهي أحسن المدن الست، ويشقها أنهار ثلاثة . أحدها خليج يخرج من النهر الأعظم وتأتي فيه القوارب الصغار إلى هذه المدينة بالمرافق من الطعام وأحجار الوقود، وفيه السفن للنزهة، والمشور في وسط هذه المدينة، وهو كبير جداً، ودار الإمارة في وسطه وهو يحف بها من جميع الجهات، وفيه سقائف فيها الصناع يصنعون الثياب النفيسة وآلات الحرب. وأخبرني الأمير قُرطى أن عددهم ألف وستمئة معلم، كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والأربعة من المتعلمين وهم أجمعون عبيد القان، وفي أرجلهم القيود، ومساكنهم خارج القصر، ويباح لهم الخروج إلى أسواق المدينة دون الخروج على بابها، ويُعرضون كل يوم على الأمير مائة مائة، فإن نقص أحدهم طُلب به أميره!

288/

وعادتهم أنه إذا خدم أحدهم عشر سنين فكأنه قبيده، وكان يخيّر النظيرين إما أن يُقيم في الخدمة غير مقيد، وإما أن يسير حيث شاء من بلاد القان ولا يخرج عنها، وإذا بلغ سنه خمسين عاماً أعتق من الأشغال وأنفق عليه، وكذلك ينفق على من بلغ هذه السن أو

(78) قُرطى يعرف على أنه هولا طاي (Hu-la-Tai) الذي كان قد عين نائب مستشار لاقليم شيانك شي Chiang-che عام 1329 بعد أن كان فيما قبل في نفس المنصب في هوكوانك Hu-Kuang Beckingham IV, 902 N° 47

(79) يلاحظ أن الذي اعطاه الفرجية كان سمي جلال الدين التبريزي وليس الشيرازي 219. IV. وما بعدها..

نحوها من سواهم، ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصيني فلم تجر عليه الاحكام (80) والشيوخ بالصين يعظمون تعظيماً كثيراً ويسمى أحدهم اُطاً، ومعناه الوالد

289/4

ذكر الامير الكبير قُرطَي

وضبط اسمه بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهمل وسكون الياء، وهو أمير أمراء الصين أضاقنا بداره وصنع الدعوة ويسمونها الطوى (81)، بضم الطاء المهمل وفتح الواو، وحضرها كبار المدينة وأتى بالطباخين المسلمين فذبخوا وطبخوا الطعام، وكان هذا الامير على عظمتهم يناولنا الطعام بيده ويقطع اللحم بيده، وأقمنا في ضيافته ثلاثة أيام، وبعث ولده معنا إلى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحرافقة، وركب ابن الامير في أخرى ومعه اهل الطرب وأهل الموسيقى، وكانوا يغنون بالصيني والعربي وبالفارسي وكان ابن الامير معجباً بالغناء الفارسي فغنوا شعراً منه وأمرهم بتكريره مراراً حتى حفظته من أفواههم (82) وله تلحين عجيب وهو

290/4

تادلُ بمهرتُ دادِه اُمُ درُ بحرِ فِكرِ اُفتادِه اُمُ

جُونُ درنمارُ ايسْتادِه كويي بمخرابم دري (82)

واجتمعتُ بتلك الخليج من السفن طائفة كبيرة لهم القلاع الملونة ومظلات الحرير وسفنهم منقوشة أبدع نقش، وجعلوا يتحاملون ويترامون بالنارنج والليمون، وغدنا بالعشى الى دار الامير فبتنا بها وحضر اهل الطرب فغنوا بأنواع من الغناء العجيب.

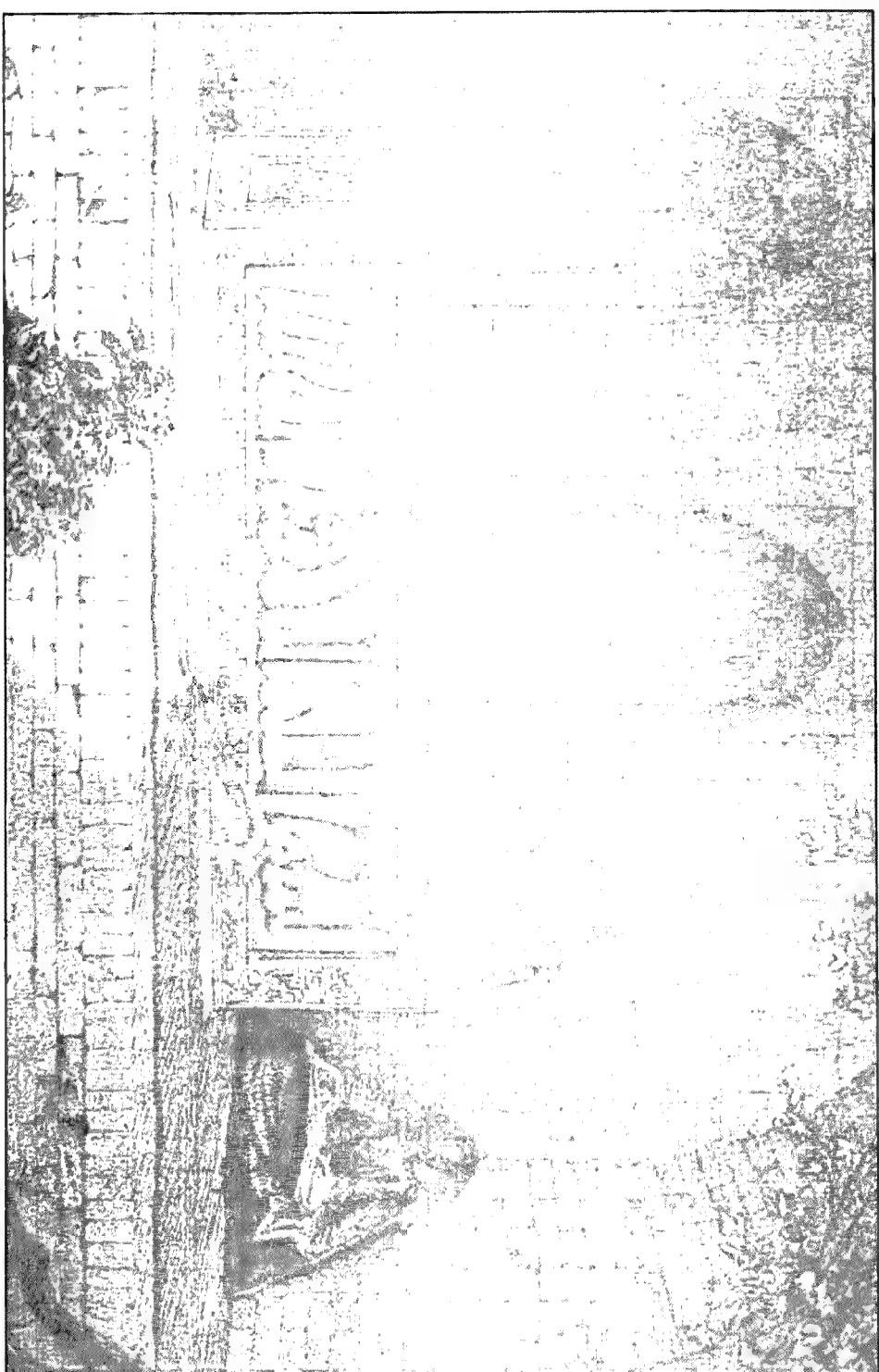
(80) ورد في اخبار الصين والهند التي جمعت سنة 237 سألقة الذكر أن المرء اذا بلغ ثمانين سنة لم تؤخذ منه جزية وأجرى عليه من بيت المال وهم يقولون أخذنا منه شاباً ونجري عليه شيخاً " J. Sauvaget - Relation de la Chine et de l'Inde Paris 1948 p. 21.

(81) لفظ الطوى بمعنى الضيافة تقدم ج. III ص 40 ولعل الكلمة صينية كما يقول النعمي

(82) هذا بيت واحد وليس بيتين كما تصور الساسخ قاصبةً وتبعهم طبعاً سائر الناشئين، والشعر لسعدى الشيرازي (ت 621 291) من قصيدة مشهورة له ومطلعها
اخرُ بكاهي بارُكن وقتي كهُ برُما بگذري

يا كبرُ منعتُ ميكندُ كرُئوسْتانُ باذِ اوري

ايرج افشار بادا شتْهاي قزويني، تهران 1337 - محمد علي فروغي - كليات سعدي تهران 1346 - بدر الدين حيي حسيني الصيني العلاقات بين العرب والصين 1370=1950 ص 302 محمود حقيقت كاشاني - پابه باي ابن بطوطة ، كرديش - اشكر بهذه المناسبة معالي د علي أكبر ولايتي - ود هادي شريفى و د جعفر شهيدى - ومكتبة جامعة طهران وسفارة إيران بالمغرب



القطعات من ضريح سعدى فى شيراز عن مجموعة آثار حفصارى - سازمان جغرافيا نیروهای مسلم

حكاية المشعوذ

وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوذ، وهو من عبيد القان، فقال له الأمير أرنا من عجائبك ! فأخذ كرة خشب لها ثقب، فيها سيور طوال فرمى بها إلى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الأبصار، ونحن في وسط المشور أيام الحر الشديد، فلما لم يبق من السير في يده إلا يسير أمر متعلماً له فتعلق به وصعد في الهواء إلى أن غاب عن أبصارنا، فدعاه فلم يجبه ثلاثاً فأخذ سكيناً بيده كالمتعاط وتعلق بالسير إلى أن غاب أيضاً ثم رمى بيد الصبي إلى الأرض، ثم رمى برجله ثم بيده الأخرى ثم بجسده ثم برأسه، ثم هبط وهو ينفخ وثيابه ملطخة بالدم، فقبل الأرض بين يدي الأمير، وكلمه بالصيني، وأمر له الأمير بشيء، ثم إنه أخذ أعضاء الصبي فألصق بعضها ببعض وركضه برجله فقام سويّاً ! فعجبت منه، وأصابني خفقان القلب كمثّل ما كان أصابني عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك، فسقوني دواءً أذهب عني ما وجدت.

291/4

292/4

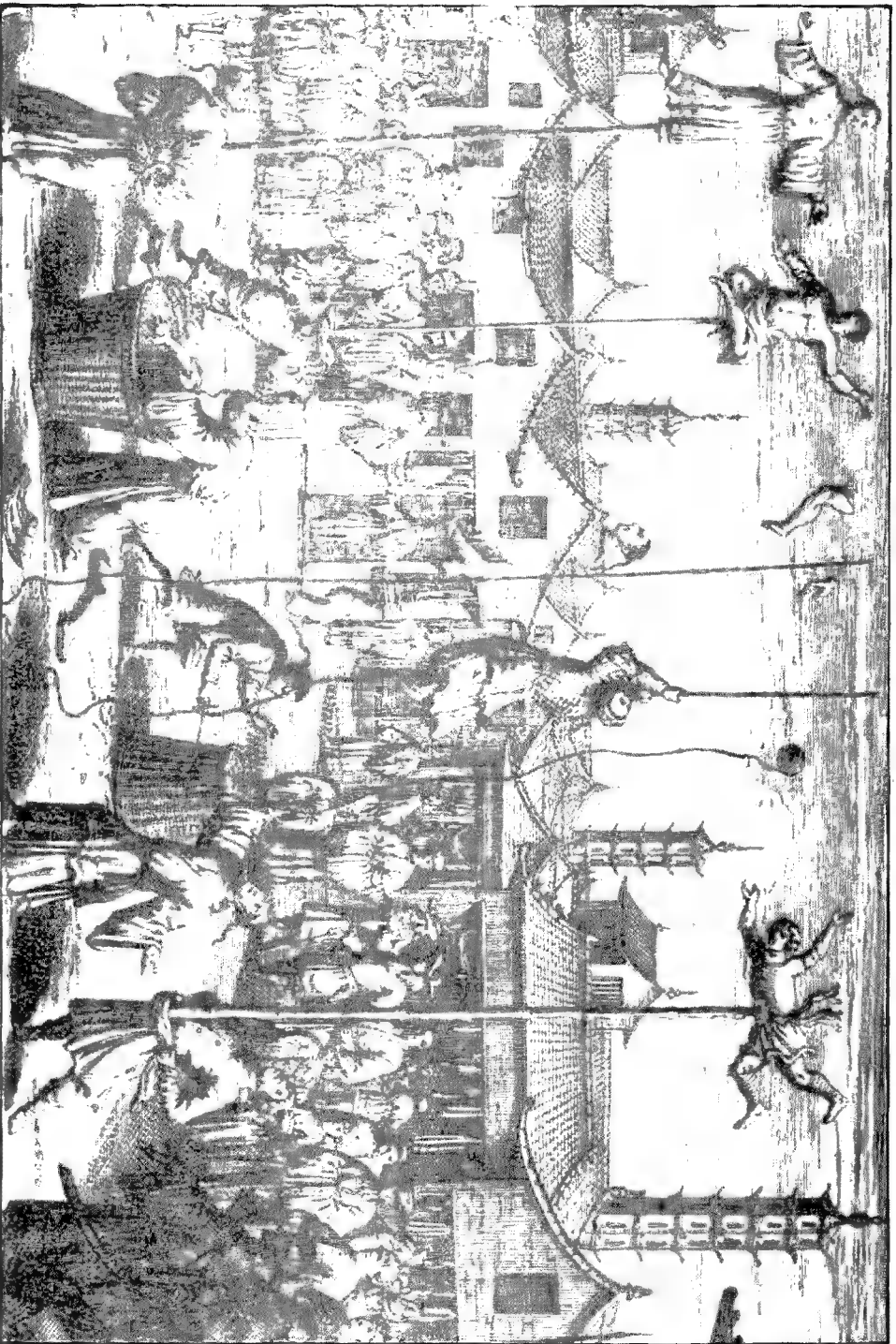
وكان القاضي أقهر الدين إلى جانبي فقال لي : والله ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو، وإنما ذلك شعوذة !

وفي غد تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي أكبر المدن يسكنها عامة الناس، وأسواقها حسان وبها الحذاق بالصنائع وبها تصنع الثياب الخنساوية، ومن عجيب ما يصنعون بها أطباقاً يسمونها الدست (83)، وهي من القصب وقد ألصقت قطعه أبدع إلصاق ودهنت بصبغ أحمر مشرق، وتكون هذه الأطباق عشرة واحداً في جوف آخر رقبتها تظهر لرائيها كأنها طبق واحد ويصنعون غطاء يغطي جميعها ويصنعون من هذا القصب صحافاً، ومن عجائبها أن تقع من العلوّ فلا تنكسر ويجعل فيها الطعام السخن فلا يتغير صباغها ولا يحول، وتُجلب من هنالك إلى الهند وخراسان وسواها.

293/4

ولما دخلنا هذه المدينة بتنا ليلة في ضيافة أميرها، وبالغد دخلنا من باب يسمى كشتي بانان إلى المدينة السادسة، ويسكنها البحرية والصيدون والجلافة والنجارون، ويدعون دأد

(83) إحالة على 187. نقول ... من معاني الدست أيضاً، واللفظ فارسي، رقعة الشطرنج، ويقولون فلان حسن الدست شطرنجي حاذق، وإذا خاب أحدهم قيل تم عليه الدست، قال ابن شرف القيرواني
خَلَّتِ الدُّسُوتُ مِنَ الرِّخَا * خ ففرزنت فيها البيادق
ويذكر دوزي من معاني الكلمة العرش والبساط - د النعيمي الفاظ من رحلة ابن بطوطة مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 24-1974.



رسم للمسرحة بالصين عام 1681 عن نيكولاس في العهد الرابع للترجمة الإنجليزية

كاران والإصباكية وهم الرُّمّة والبيّادة، وهم الرُّجّال (84)، وجميعهم عبيد السلطان، ولا يسكن معهم سواهم، وعددهم كثير

وهذه المدينة على ساحل النهر الأعظم بتنا بها ليلة في ضيافة أميرها، وجيّهز لنا الأمير قُرطى مركباً، بما يحتاج إليه من زاد وسواه، وبعث معنا أصحابه برسم التّصنيف، وسافرنا من هذه المدينة، وهي آخر أعمال الصين، ودخلنا إلى بلاد الخطا (85)، بكسر الخاء المعجم وطاء مهمل وهي أحسن بلاد الدنيا عمارةً، ولا يكون في جميعها موضع غير معمر فإنه إن بقي موضع غير معمر طُلب أهله أو من يواليهم بخراجه، والبساتين والقرى والمزارع منتظمة بجانب هذا النهر من مدينة الخنسا إلى مدينة خان بالق، وذلك مسيرة أربعة وستين يوماً، وليس بها أحد من المسلمين إلا من كان خاطراً غير مقيم، لأنها ليست بدار مقام، وليس بها مدينة مجتمعة (86)، وإنما هي قرى وبساتين فيها الزرع والفواكه والسكر، ولم أر في الدنيا مثلاً غير مسيرة أربعة أيام من الأنبار إلى عانة وكنا كل ليلة ننزل بالقرى لأجل الضيافة حتى وصلنا إلى مدينة خان بالق، وضبط اسمها بخاء معجم والـف ونون مسكن وباء معقودة والـف ولا م مكسور وقاف، وتسمى أيضاً خانقو (87)، بخاء معجم ونون مكسور وقاف وواو، وهي حضرة القان، والقان هو سلطانهم الأعظم الذي مملكته بلاد الصين والخطا، ولما وصلنا إليها أرسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم، وكتب إلى أمراء البحر

294/4

295/4

(84) يلاحظ أن كل هذه المفردات ليست صينية ولكنها فارسية كشتي بانان، دود كاران، وإصباكية وبياده، وهذا ما يؤكد هيمنة الفرس على الشارع الصيني. كما يلاحظ أن ترجمة ابن بطوطة لهذه الكلمات في محلّها ومع هذا فإن من المفيد أن نعرف أن الضرب بالرمح أهم عنصر في الحياة الحربية بالنسبة للمغول والتتر. وقد علق البروفيسور فرانك على باب المدينة البحرية بما يفيد أن ابن بطوطة يستأثر بهذه المعلومات

Beckingham P. 205 N. 55.

(85) الخطا شمال الصين، ويذكر أن الصين في القرن العاشر للميلاد كانت موزعة على قسمين الجنوب الذي كان يحكمه ابتداء من الخنساء Hang-Zhou، من لدن دولة سونك (Sung)، والقسم الثاني الشمال المحكوم على التوالي من لدن ليا و Liao ثم دولة الصين وقد اتّم المغول احتلالهم للصين عام 1234 ولدولة سونك عام 1279 - وعن استعمال ابن بطوطة لكلمة الصين نلاحظ أنه أحياناً يقصد بها الامبراطورية الصينية كلها وأحياناً يقصد إلى الجنوب فقط.

(86) كانت حكاية ابن بطوطة المتعلقة بعدم وجود أية مدينة على طول ضفاف هذا النهر من مدينة الخنسا (Hang-Zhou) إلى يكين على مدّة 64 يوماً. كانت مدعاة للشك من قبل بعض المعلقين وكانهم يحكمون بالحاضر على ما كان في الغابر !!

(87) ورد في الرسالة التي توصلنا بها من المركز الوطني الصيني للخرائط أن خان بالق هو بالذات بيكين وأصل الكلمة (هانبلي) وهو الاسم التاريخي ليكين في القرن الرابع عشر. هذا ولا أدري عن صلة كلمة خانقو بكلمة خانقو التي وردت في أخبار الصين والهند التي جمعت سنة 237 يراجع التعليق رقم 36 - اما الأنبار وعانة فمدينتان على نهر الفرات بينهما نحو 120 ميلاً.

بخبيرنا، فأذنوا لنا في دخول مرساها فدخلناه، ثم نزلنا إلى المدينة، وهي من أعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين في كون البساتين داخلها، وإنما هي كساتر البلاد والبساتين بخارجها، ومدينة السلطان في وسطها كالقصب، حسبما نذكره.

296/4

ونزلت عند الشيخ برهان الدين الصاغري، وهو الذي بعث إليه ملك الهند بأربعين ألف دينار واستدعاه، فأخذ الدنانير وقضى بها دينه، وأبى أن يسير إليه (88) ! وقدم على بلاد الصين فقدمه القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وخاطبه بصدر الجهان.

ذكر سلطان الصين والخطا الملحق بالقان.

والقان عندهم سمة لكل من يلي الملك : ملك الأقطار، كمثل ما يسمى كل من ملك بلاد اللور باتابك (89)، واسمه باشاي (90) بفتح الباء المعقودة والشين المعجمة وسكون الياء، وليس للكفار على وجه الأرض مملكة أعظم من مملكته .

297/4

ذكر قصره [القان]

وقصره في وسط المدينة المختصة بسكنائه، وأكثر عمارته بالخشب المنقوش، وله ترتيب عجيب، وعليه سبعة أبواب فالباب الأول منها يجلس به الكُتوال، وهو أمير البوابين وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره، وفيها الممالك البردانية، وهم حفاظ باب القصر، وعددهم خمسمائة رجل، وأخبرت أنهم كانوا فيما تقدم ألف رجل، والباب الثاني يجلس عليه الرُزّارية، بالنون والزاي، وهم أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة، والباب الرابع يجلس عليه التُّغذارية بالتاء المثناة والغين المعجم، وهم أصحاب السيوف والترسة. والباب الخامس فيه ديوان الوزارة، وبه سقائف كثيرة، فالسَّقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة، ويسمون ذلك الموضع المسند، وبين يدي الوزير دواة عظيمة من الذهب، وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السر، وعن يمينها سقيفة كتاب الرسائل، وعن يمين الوزير سقيفة كتاب الأشغال، وتقابل هذه السقائف سقائف أربع إحداها تسمى ديوان الإشراف يقعد بها المشرف، والثانية سقيفة ديوان المُستخرج وأميرها من كبار الأمراء، والمستخرج هو ما يبقى قبل العمال، وقبل الأمراء من إقطاعاتهم، والثالثة ديوان الغوث، ويجلس فيها أحد الأمراء

298/4

(88) (راجع III ص 255) الحديث عن برهان الدين الصاغري

(89) (راجع II ص 31 دالة أتابك كل من يلي بلاد اللور .

(90) يظهر أن الكلمة تحريف للفارسية بادشاه Padshah الامبراطور المغولي على ذلك العهد كما نعرف هو طوغون تيمور (Foghon Temür).



بنایات مسینة

الكبير ومعه الفقهاء والكتات عن لحقته مظلمة استغاث بهم، والرابعة ديوان البريد يجلس فيها أمير الإخباريين، والباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجنادرية وأميرهم الاعظم، والباب السابع يجلس عليه الفتيان، ولهم ثلاث سقاف - إحداها سقيفة الحبشان منهم، والثانية سقيفة الهنود والثالثة سقيفة الصينيين، ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين (٩١).

ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله

ولما وصلنا حضرة خان بالق وجدنا القان غائبا عنها إذ ذاك وخرج للقاء ابن عمه فيروز (٩٢) القادم عليه بناحية قراقرم وبش بالغ من بلاد الخطا (٩٣) وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر عامرة

وأخبرني صدر الجهان برهان الدين الصاغرجي أن القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود، اجتمع عليه من الفرسان مائة فوج، كل فوج منها عشرة آلاف فارس، وأميرهم يسمى أمير طومان (٩٤) وكان خواص السلطان وأهل دخلته خمسين ألفاً زانداً إلى ذلك، وكانت الرجالة خمسمائة ألف، ولما خرج خالف عليه أكثر الأمراء واتفقوا على خلعه لأنه كان قد غير أحكام التيساق (٩٥)، وهي الأحكام التي وضعها تنكيز خان جدّهم الذي خرب بلاد الإسلام، فمضوا إلى ابن عمه القانم، وكتبوا إلى القان أن يخلع نفسه وتكون مدينة الخنسا إقطاعاً له فأبى ذلك وقتلهم فانهزم وقتل (٩٦).

وبعد أيام من وصولنا إلى حضرته ورد الخبر بذلك، فزيتت المدينة وضربت الطبول والابواق والأنفار وأستعمل اللعب والطرب مدة شهر ثم جيى بالقان المقتول وبنحو مائة من

(٩١) كل هذه التفاصيل الدقيقة يتشتمل عليه من كلمات فارسية معروفة المعنى، وكل تلك الافادات التي قدمها الرجل عن الصين كانت محل تعقيب من بعض المعلقين الذين هم - ابن بطوطة بأنه أطلق العنان لخياله، وكأنني بهم يكررون الموقف الذي اتخذه ابن خلدون عندما قصد الوزير بن ودرار وأراه إنكار أخبار ابن بطوطة لما استفاض في الناس من تكذيبه. لقد قال له الوزير المذكور - إياك أن تستنكر مثل هذا لمجرد أنك لم بره !!

(٩٢) يعلّق بعضهم على هذه المعلومة بأنه لا يوجد اسم الامبراطور في دولة يوان Yuan ولا في خانات المغول بحمل اسم فيروز الذي هو اسم فارسي ونحن نقول - هذه معلومة استأثر بها ابن بطوطة فلتسمع !

(٩٣) حول قراقرم عاصمة المغول يُراجع III، 50.

(٩٤) يُراجع III، 404.

(٩٥) يُراجع III، 40.

(٩٦) يبدو أن هذا التصرّد المتشدد - منه على أنه وقع من فيروز، يبدو أنه التبس على ابن بطوطة بأخذ الالتباسات التي وقعت بين الأمراء المغول وبعض الزعماء - السبوات التي عاصب الدولة

301/4

المقتولين بني عمه وأقاربه وخواصه فحُفِر للقان ناوُوس (97) عظيم، وهو بيتٌ تحت الأرض. وفُرش بأحسن الفرش، وجعل فيه القان بسلاحه وجعل معه ما كان في داره من أواني الذهب، والفضة وجعل معه أربع من الجواري، وستة من خواص الممالك، ومعهم أواني شراب، وبُني باب البيت وجعل فوقه التراب حتى صار كالقَلِّ العظيم، ثم جاءوا بأربعة أفراس فأجاروها عند قبره حتى وقفت ونصبوا خشباً على القبر وعلقوها عليه بعد أن دخلوا في دُبر كل فرس خشبة حتى خرجت من فمه، وجُعِل أقارب القان المذكورين في نواويس ومعهم سلاحهم وأواني دورهم وصلُّبوا على قبور كبارهم، وكانوا عشرة، ثلاثة من الخيل على كل قبر، وعلى قبور الباقيين فرساً (98) فرساً.

302/4

وكان هذا اليوم يوماً مشهوداً لم يتخلف عنه أحد من الرجال ولا النساء المسلمين والكفار، وقد لبسوا أجمعين ثياب العزاء وهي الطيالة البيض للكفار والثياب البيض للمسلمين، وأقام خواتين القان وخواصه في الأخبية على قبره أربعين يوماً، وبعضهم يزيد على ذلك إلى سنة، وصُنعت هناك سوقٌ يباع فيها ما يحتاجون إليه من طعام وسواه.

303/4

وهذه الأفعال لا أذكر أمةً تفعلها سواهم في هذا العصر فأما الكفار من الهنود وأهل الصين فيُحرقون موتاهم، وسواهم من الأمم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحداً، لكن أخبرني الثقات ببلاد السودان أن الكفار منهم إذا مات ملكهم صنعوا له ناوُوساً، وأدخلوا معه بعض خواصه وخدامه وثلاثين من أبناء كبارهم وبناتهم بعد أن يكسروا أيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني الشراب.

وأخبرني بعض كبار مسوِّفة ممن يسكن بلاد كُوَير مع (99) مع السودان واختصه سلطانهم، أنه كان له ولد، فلما مات سلطانهم أرادوا أن يدخلوا ولده مع من أدخلوه من أولادهم قال : فقلت لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولدكم وفديته منه بمال عريض ! ولما قتل القان كما ذكرناه واستولى ابن عمه فيروز على الملك اختار أن تكون حضرته مدينة قَرَأْرُم، وضبطها بفتح القاف الأولى والراء وضم الثانية وضم الراء الثانية.

(97) الناووس كلمة اغريقية يستعملها العرب كذلك للتعبير عن المقابر الخفية.

(98) من الممكن أن تكون هذه الحكاية تتعلق بجنازة أحد الوشيين المغول.

(99) سياتي الحديث مفصلاً عن مسوِّفة الملشين IV - 378-387-430 وحول كُوَير كذلك ترقب ما يأتي IV - 441



صورة لطير خيالي يحمل الإنسان^١

لقربها من بلاد بني عمه ملوك تركستان وما وراء النهر، ثم خالفت عليه الامراء من بني
يحضر لقتل القان وقطعوا الطرق وعظمت الفتن (100).

ذكر رجوعي إلى الصين ثم إلى الهند

ولما وقع الخلاف وتسعّرت الفتن أشار عليّ الشيخ برهان الدين وسواه ان اعود إلى
الصين قبل تمكّن الفتن، ووقفوا معي إلى نائب السلطان فيروز قبعث معي ثلاثة من اصحابه
وكتب لي بالضيافة، وسرنا منحدرين في النهر الى الخنسا ثم إلى قُنْجُفُو، ثم إلى الراس
فلما وصلتها وجدت الجنوك على السفر الى الهند (101)، وفي جملتها جنك للملك الامير
صاحب الجاوة، أهله مسلمون وعرفني وكيله، وسُرُّ بقدومي، وصادفنا الريح الطيبة عشرة
أيام، ولما قاربنا بلاد طوالسي تغيرت الريح، وأظلم الجو وكثر المطر، وأقمنا عشرة ايام
نرى الشمس، ثم دخلنا بحراً لا نعرفه وخاف أهل الجنك فزادوا الرجوع إلى الصين ثم
يتمكن ذلك وأقمنا اثنين وأربعين يوماً لا نعرف في أي البحار نحن¹ 305/4

ذكر الرُّخ

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيتنا وبيد
نحو عشرين ميلاً والريح تحملنا الى صوبه، فعجب البحرية، وقالوا: لسنا بقرب من البر
يعهد في البحر جبل، وان اضطرتنا الريح اليه هلكنا، فلجأ الناس الى التضرّع والاحلاس
وجددوا التوبة، وابتهلنا الى الله بالدعاء وتوسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم، ونذر الصدقات
الكثيرة، وكتبتها لهم في زمامٍ بخطي، وسكنت الريح بعض سكون، ثم رأينا ذلك 306/4

(100) يلاحظ أنه طوال القرن الرابع عشر فان آسيا الوسطى - فيما بين الصين وبين الفرس - كانت تحت
موحدة تحت حكم الخانات المنحدرين من شاغاتاي (Chaghatay) الولد الثاني لحنكيز خان ووالده
كانت موزعة بين اثنين أو ثلاثة من الامراء غالباً في تلك الأسرة.
وعن تركستان التي ذكرها ابن بطوطة فإنه يقصد إلى موغولستان - هذا وأبداء من عام 1363
1363 فإن هذه كانت محكومة من لدن تغلق تيمور الذي يدعى أنه تنحدر من شاغاتاي الثاني
طرانسو كسانيا - لم يكن أحد من هؤلاء الامراء ابناً لآخي طوغون تيمور الامبراطور المغولي لـ
ابن عم لفيروز

Lehmann IX p.910 N. 72

(101) نرى ابن بطوطة يعود إلى مضيق طابوان ليأخذ طريق البحر مرة أخرى عابداً من حيث أتى
خلاف العادة التي كان اعلن عنها في بداية الرحلة وهو في عبادان (III, 21) من أنه لا يعود على
سلوكها ما أمكنه ذلك عاد إلى بلاد الهند، وهامو يصادف جنكا لتلك الظاهر سالف الذكر IV
وسنلاحظ من الآن ان الرحالة المغربي لا يكرر الحديث ولا التعريف بالمواقع التي سبق له ان غلق

الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فعجبنا من ذلك. ورأيت البحرية ييكون، ويودع بعضهم بعضا فقلت: ما شأنكم؟ فقالوا: إن الذي تخيلناه جبلا هو الرّخ، وإن رأنا أهلكنا، وبيننا إذ ذاك وبينه أقل من عشرة أميال، ثم إن الله تعالى من علينا بريح طيبة صرقتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته (102). وبعد شهرين من ذلك اليوم، وصلنا إلى الجاوة، ونزلنا إلى سُمطرة فوجدنا سلطانها الملك الظاهر قد قدم من غزاة له وجاء بسبي كثير فبعث لي جاريتين وغلامين، وأنزلي على العادة وحضرت إعراس ولده مع بنت أخيه (103).

ذكر أعراس ولد الملك الظاهر

وشاهدت يوم الجلوة، فرأيتهم قد نصبوا في وسط المشور منبراً كبيراً وكسوة بثياب الحرير، وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها بادية الوجه ومعها نحو أربعين من الخواتين يرفعن آذيالها من نساء السلطان وأمرائه ووزرائه وكلهن باديات الوجوه ينظر اليهن كل من حضر من رفيع أو ضيع. وليست تلك بعادة لهن إلا في الأعراس خاصة

وصعدت العروس المنبر وبين يديها أهل الطرب رجالاً ونساء يلعبون ويغنون، ثم جاء الزوج على فيل مزين، على ظهره سرير وفوقه قبة شبيهة البوجة (104)، والتاج على رأس العروس المذكور، عن يمينه ويساره نحو مائة من أبناء الملوك والامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزيّنة، وعلى رؤوسهم الشواشي المرصعة وهم أتراب العروس ليس فيهم ذو حية ونشرت الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله.

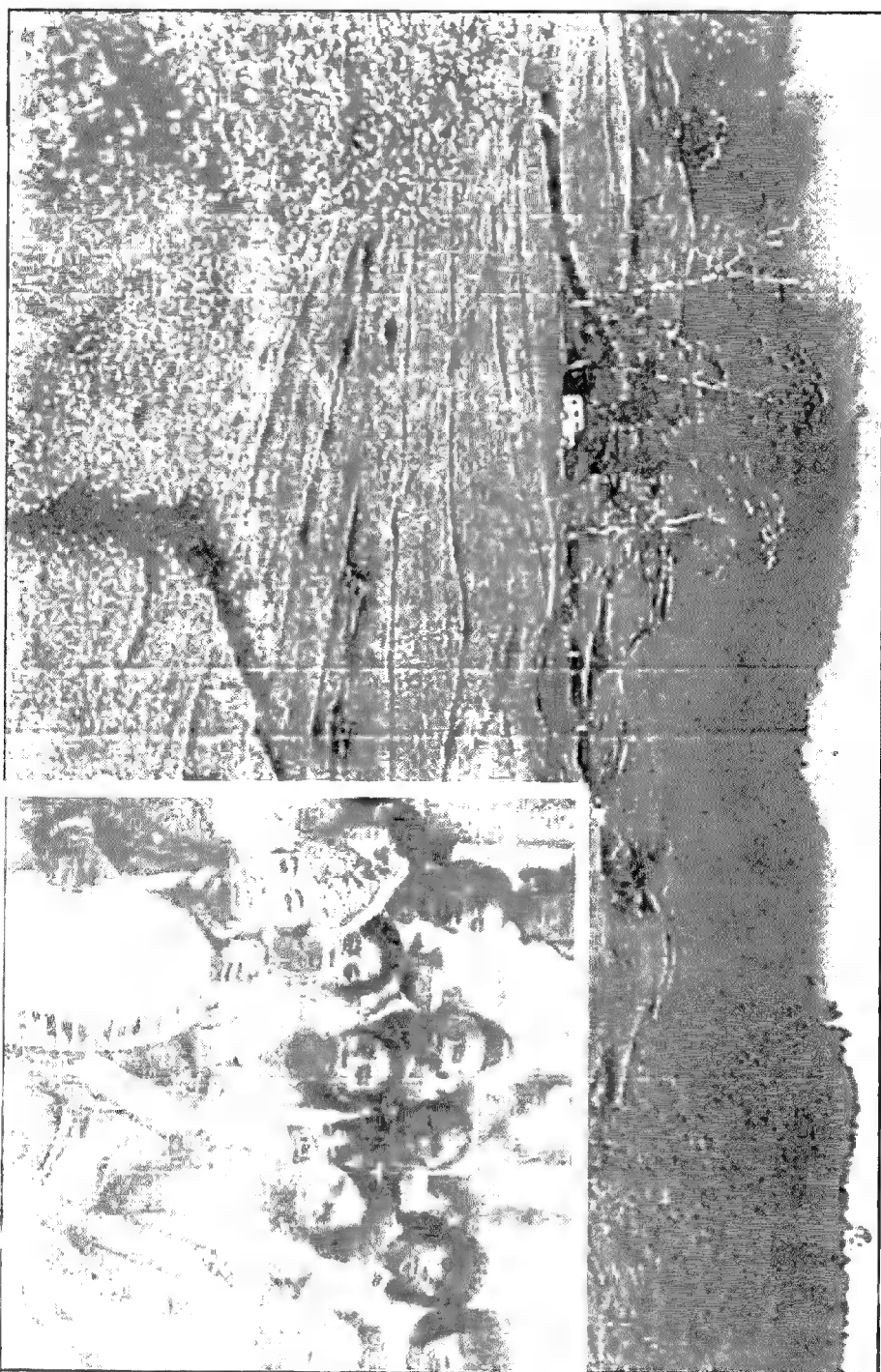
وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك ونزل ابنه فقَبَّلَ رجله وصعد المنبر إلى العروس فقامت إليه وقَبَّلَت يده (105)، وجلس إلى جانبيها والخواتين يروحن عليها، وجاءوا بالفوقل

(102) الحديث عن الرّخ يذكرنا كثيرا فيما يُحكى عن العنقاء التي قال عنها القزويني في عجائب المخلوقات إنها أعظم الطيور جثّة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحداة الفارس. خطفه ذات يوم عروسا مجلوة فتوصل الناس إلى الله الذي أجلاه إلى بعض جزائر البحر المحيط. وهي جزيرة لا يصل إليها الناس. وقد ورد في خريدة العجائب لابن الوردي (ت 749 هـ) ص 102 حديث عن جزيرة الرخ يقول: إن أحد المغاربة يحمل اسم عبد الرحمن المغربي، ويعرف بالصيني لأنه أقام به مدة طويلة، أحضر معه قصبية ريشة من جناح فرخ الرخ فكانت تلك القصبية تسع قرية ماء إلى آخر ما ذكره ابن الوردي ص 102.

(103) ينسب تاريخ ملوك فاساي (Paser) للسلطان أحمد ثلاثين ولداً منهم زين العابدين الذي خلفه عام 1360-1389 = 761-791 انظر بيرازيموس III ص 346 تعليق 107

(104) البوجة - تعني بالمغرب محفة العروس ويوجد باب من أبواب القصر الملكي بفاس يحمل اسم باب البوجات لأنه باب خاص بدخول الحريم والنسوة.

(105) يتعلق الأمر بعادة ماليزية تهدف للاعراب عن التقدير المتبادل بين الزوجين أو بالحرى عن عدم الكلفة بين الطرفين



والتنبول، فأخذه الزَّوج بيده وجعل منه في قمها ثم أخذت هي بيدها وجلتُ في قمه، ثم أخذ الزوج بقمه ورقة تنبول وجعلها في قمها، وذلك كله على أعين الناس، ثم فعلت هي كفعله، ثم وُضع عليها الستر ورفع المنبر وهما فيه إلى داخل القصر وأكل الناس وانصرفوا.

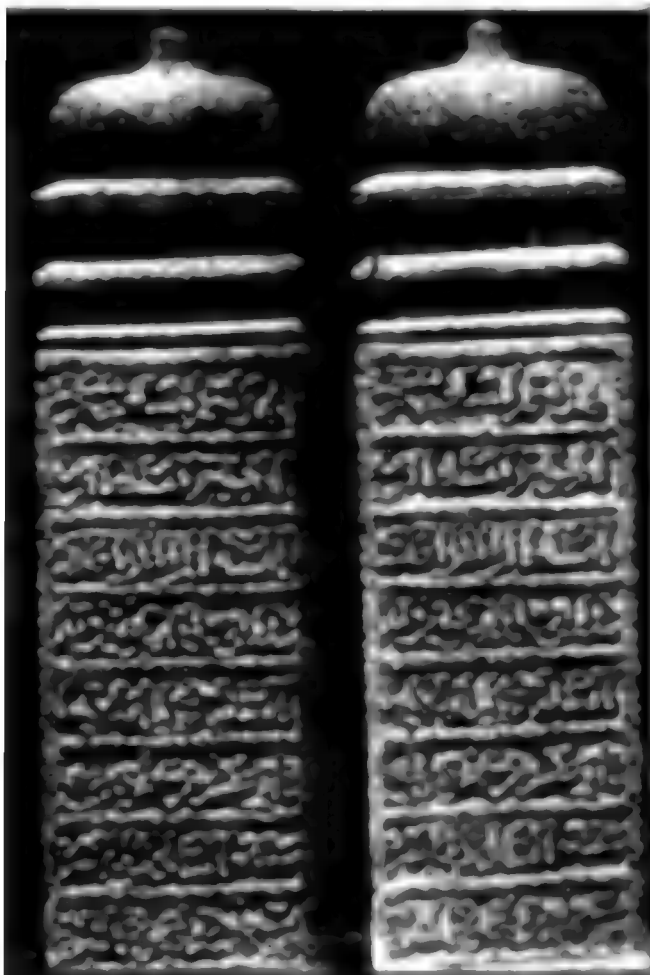
ثم لما كان في الغد جَمَعَ الناس وجدَّ له أبوه ولاية العهد وباعه الناس وأعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب.



لقطات من جادة مع شكرنا لأم سليمان...



لقطات من سميرة



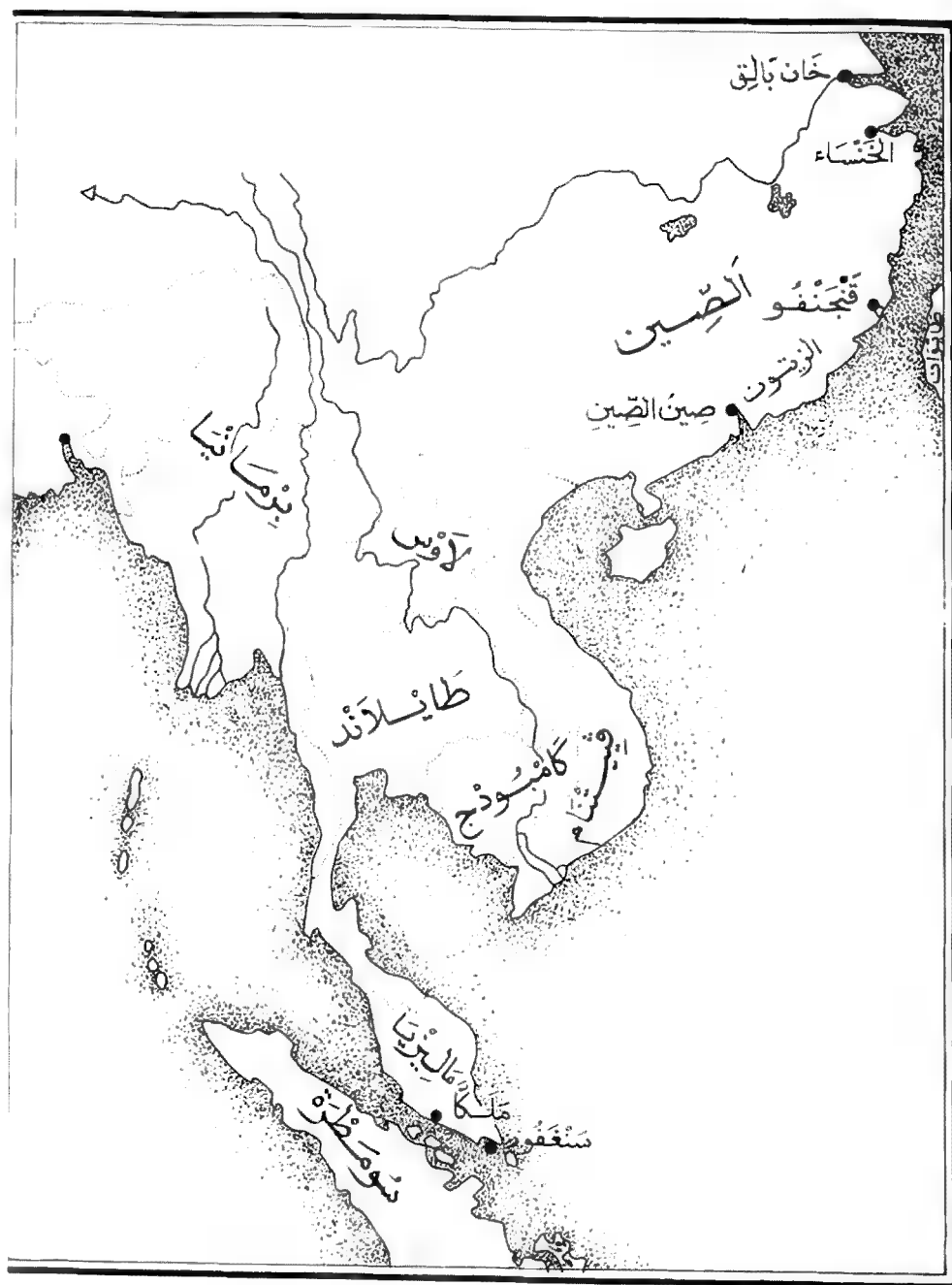
رسم لقبرية السلطان الملك محمد الظاهر^(٩) وهذا نص ما فيها :

«هذا قبر السعيد الشهيد المرحوم السلطان بن السلطان الملك الظاهر شمس الدنيا والدين محمد بن الملك الصالح، توفي ليلة الأحد ثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة السادس والعشرين وسبعمئة من الهجرة النبوية» وبهذه المناسبة نجدد شكرنا للزميل فان كوينكسفيلد ... عن الأصل من مكتبة (Bijgewerkte) جزء IV ص 230-307

الفصل السادس عشر

العودة إلى المغرب

- من الجاوة إلى قالقوط
- العدول عن فكرة الرجوع للهند
- أخذ الطريق إلى ظفار محرم 748 = يناير 1347
- من البصرة إلى دمشق
- من دمشق إلى القاهرة
- من القاهرة إلى الحجاز لأداء الحجة السادسة
- من الحجاز إلى مصر فتونس
- من تازة إلى فاس والمثول بين يدي السلطان أبي عنان
- ذكر بعض مآثر ومناقب أبي عنان



وأقيمت بهذه الجزيرة (الجاوة) شهرين ثم ركبت في بعض الجنوك وأعطاني السلطان كثيراً من العود والكافور والقرنفل والصندل، وزودني وسافرت عنه، فوصلت بعد أربعين يوماً إلى كُولم، فنزلت بها في جوار القَرْوِيني قاضي المسلمين، وذلك في رمضان، وحضرت بها صلاة العيد (1) في مسجدها الجامع، وعادتهم أن يأتوا المسجد ليلاً فلا يزالون يذكرون الله إلى الصبح، ثم يذكرون إلى حين صلاة العيد ثم يصلون ويخطب الخطيب وينصرفون.

310/4

ثم سافرنا من كُولم إلى قالقوت وأقمنا بها أياماً وأردت العودة إلى دهلي، ثم خفت من ذلك (2)، فركبت البحر فوصلت بعد ثمان وعشرين ليلة إلى ظفار، وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين (3) ونزلت بدار خطيبها عيسى بن طائطاً.

ذكر سلطانها [ظفار]

ووجدت سلطانها في هذه الكرة الملك الناصر بن الملك المغيث الذي كان ملكاً بها حين وصولي إليها فيما تقدم (4) وثابته سيف الدين عمر أمير جَنْدَر (5) التركي الأصل. وأنزلني هذا السلطان وأكرمني.

ثم ركبت البحر فوصلت إلى مسقط، بفتح الميم، وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بـ بَقْبُ الماس (6) ثم سافرنا إلى مرسى القَرْيَات، وضبطها بضم القاف وفتح الراء

311/4

(1) يعني من عام 747 الموافق 15 يناير 1347.

(2) كان ابن بطوطة يخاف من السلطان محمد بن تغلق الذي قد يتهمه بالتقصير في أداء المهمة، وقد ذكرني حاله بحال الطبيب الصيدلي المعروف ابن البيطار الذي أقدم على الانتحار وقد خاف من بطش الملك الصالح الذي كان عهد إليه بمهمة علمية في مقابلة أموال سلمها إليه على ما يقوله الغُمري فوق ابن البيطار في حب نصرانية اسمها مريم ببيت المقدس أنسته مهمته وصرف كل الأموال عليها حتى فوجئ ذات يوم بأن الملك الصالح يقوم بزيارة للمنطقة!!!

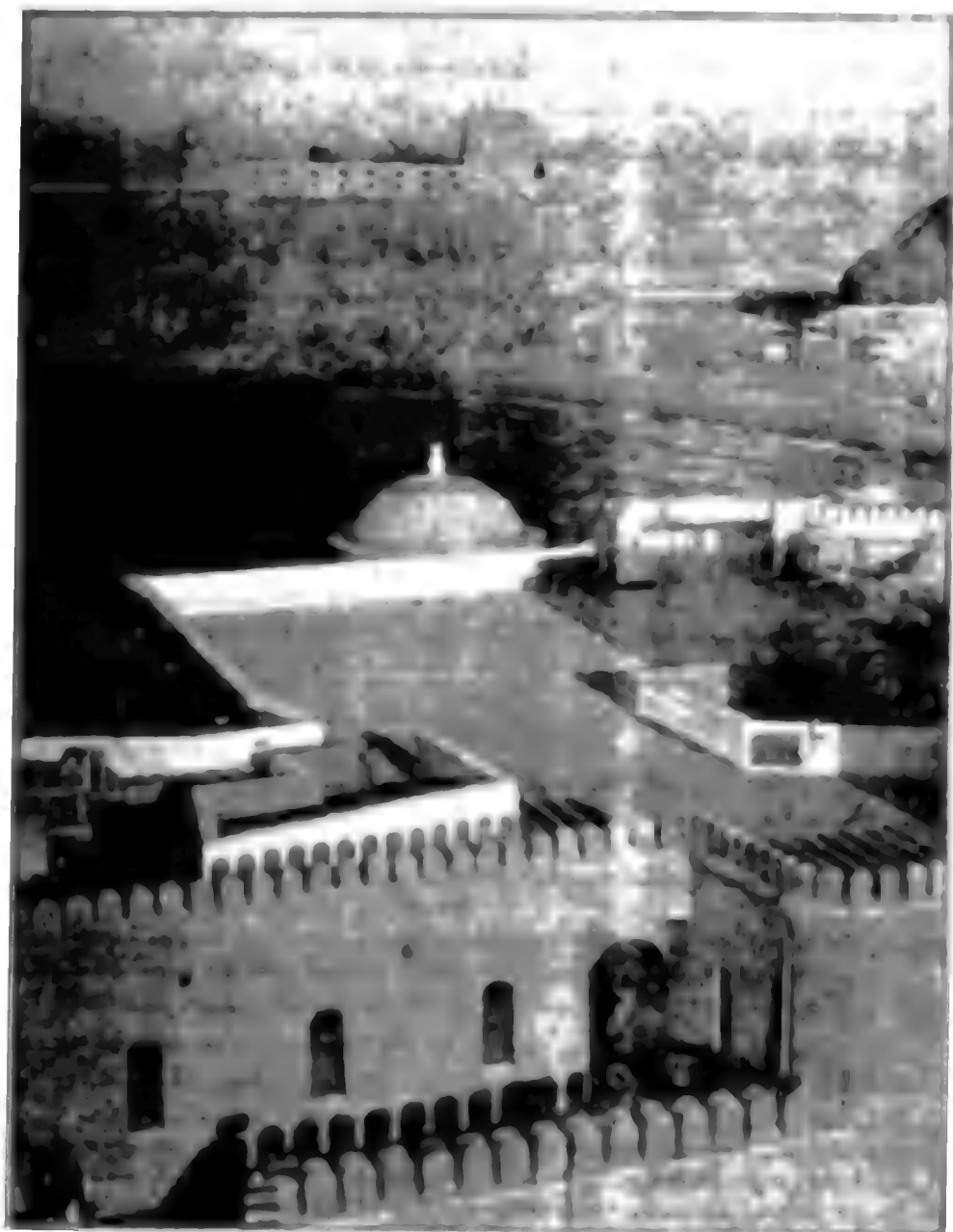
د. التازي: حياة ابن البيطار، بحث ألقى بجامعة حلب بمناسبة اسبوع العلم الثالث والثلاثين بتاريخ 12-6 نونبر 1993 وصدر ضمن أعمال المجلس الأعلى - مطبعة دار الكتاب - سوريا 1995.

(3) أول محرم 748 يوافق 13 أبريل مايو 1347.

(4) حول سلطان ظفار يراجع الجزء II 211-212.

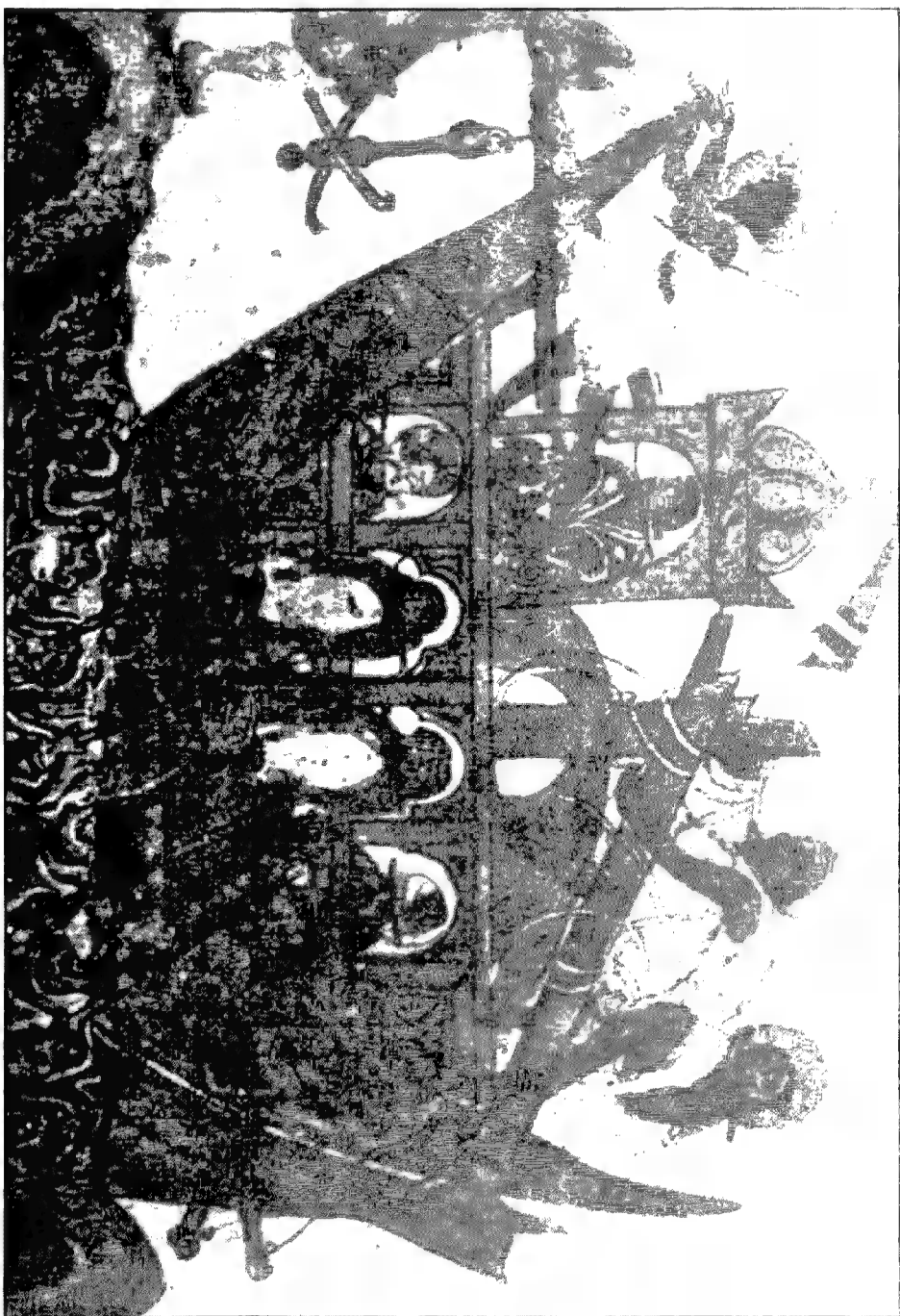
(5) جَنْدَر وجندار وتجمع على جنداره تردد ذكرها وخاصة (II، 64 - 127 - 151 - 174 - 198 - 199) وأغلب الظن أن الكلمة مخففة من جند دار، وتعني في الشرق الشرطي، وفي اليمن تعني الحرس الملكي، وأمير جندار قائد الحرس... وعند ذكر القلقشندي لوظائف الدولة ذكر إمرة جندار وأنها تعني ما يشبه الحجابة وهو المشرف على الزرد خانة (سجن خاص لكبار ورجال الدولة) التي هي أرفع قدراً في الاعتقالات ولا تطول مدتها فإما أن تَبْرَأ ساحتها أو يقطع رأسه ' وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يرأس الزفة (موكب السلطان)... وصاحبها مقدم الف.

(6) قَبْ الماس تقدمت الكلمة عند حديثه عن مالديف، ويشبه أبيريون في المغرب (IV، 112).



حساب من مدينة مسقط وقلعتها التاريخية





على متن المركب إلى هرمز

والياء آخر الحروف والف وتاء مثناة، ثم سافرنا إلى مرسى شبة، وضبط اسمها بفتح الباء المعجم وفتح الباء الموحدة وتشديدها، ثم إلى مرسى كلبة ولفظها على لفظ مؤنثة الشب، ثم إلى قلّيات، وقد تقدم ذكرها (17)، وهذه البلاد كلّها من عمالة هُرمز (18)، وهي محسوبة على بلاد عُمان،

ثم سافرنا إلى هُرمز وأقمنا بها ثلاثاً وسافرنا في البر إلى كورستان (19)، ثم إلى اللار ثم إلى خُنج بال، وقد تقدم ذكر جميعها (10)، ثم سافرنا إلى كارزي (20)، وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسر الزاي، وأقمنا بها ثلاثاً ثم سافرنا إلى جُمكنان، وضبط اسمها بفتح الجيم والميم والكاف وأخره نون، ثم سافرنا منها إلى ميمَن، وضبط اسمها بفتح الميم وبينهما ياء آخر الحروف مسكنة وأخره نون، ثم سافرنا إلى يَسّا (21)، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والسين المهملة مع تشديدها، ثم إلى مدينة شيراز فوجدنا سلطانها ابن اسحاق على مُلكه إلا أنه كان غائباً (22)، عنها، ولقيت بها شيخنا الصالح العالم نجد الدين (23) قاضي القضاة وهو قد كف بصره نفعه الله ونفع به

312/4

(7) ذكر ابن بطوطة هذه الموانئ على غير ترتيب كما فعل في السابق والواقع أن المُتجه نحو هُرمز غلب عليه يبتدئ بقلّيات ثم القريات ثم مسقط (وبقرية السَّيب - شبا) ثم كلّاء التابعة اليوم لأمّره السُّبُحِيّ ماقبلناه في ص 11، 299 تعليق 118

(8) يفيدنا ابن بطوطة هنا أن المدن التي ذكرها ومنها قلّيات تابعة لعمالة هُرمز ولو أنها معزولة عن عُمان وإذا راجعنا التاريخ فسنجد أن ولاية قلّيات أيضاً كانوا أحياناً يحكمون في هُرمز، ومعنى هذا أنه هناك مدّ وجزر حسب قوة الحاكم في الشمال أو الجنوب وهكذا فإن الأمر محمد الظهاري حكم هُرمز عام 1243 إلى عام 1277 وبعد وفاته استولى أحد عبيده الأتراك إِيّاز على السلطة 1277-1300، وعند وفاة هذا الأخير تسلمت زوجته بيبي مريم الحكم حتى حوالي عام 1320 II ص 120-130

Gibb: Travels II 396

(9) كُورِ ستان تقدمت في الجزء II 239 كُوراستان بألف بعد الراء - خطأ - هناك قلّنا أنها محمل في الخطأ الأيرانية اسم كهورستان. نقلت موسوعة (لغة نامه) أوصافها عن ابن بطوطة

(10) انظر جزء II 240-241

(11) كارزي : أوكارزين مدينة قديمة تقع على الساحل الأيمن لنهر سگان أو مند

(12) يضع مستوفي جُمكنان على بعد خمسة فراسخ جنوب كُورِ مَند (التي سبقتها ابن بطوطة سكران - كارزين - ميمند توجد في شرق المدينة الحالية التي تحمل اسم فيروزياباد - اسم غاسا GASX وردت في تاليف أبي الفداء) فإنها تقع جنوب شيراز انظر موسوعة لغاتنا

(13) حول أبي اسحاق انظر ج II ص 64-72 عند عودة ابن بطوطة في صيف 1347=1348

إسحاق يخوض غارة ضد مبرز الدين محمد سلطان يزد

(14) حول مجدّ الدين اسماعيل بن محمد بن خُداداد انظر ج II 63-64 GASX III 181

ثم سافرت إلى ماين (15)، ثم إلى يزد خاص (16)، ثم إلى كليل (17)، ثم كُشك زُرَّ (18)، ثم إلى إصيهان (19)، ثم إلى شُسْتَر (20)، ثم إلى الحُويزا (21)، ثم إلى البصرة، وقد تقدم ذكر جميعها (22)، وزرت بالبصرة القبور الكريمة التي بها وهي قبر الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله وحليمة السعدية وأبي بكر، وأنس بن مالك، والحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن سيرين، ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله التستري (23) رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ثم سافرنا من البصرة فوصلنا إلى مشهد علي بن أبي طالب (24) رضي الله عنه وزرناه، ثم توجهنا إلى الكوفة فزرنا مسجدها المبارك، ثم إلى الجلة حيث مشهد صاحب الزمان (25) واتفق في بعض تلك الأيام أن وليها بعض الأمراء فمنع أهلها من التوجه على عادتهم إلى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هناك، ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها كل ليلة من الأمير، فتأصبت ذلك الوالي علة مات منها سريعاً فزاد ذلك في فتنة الرافضة قالوا: إنما أصابه ذلك لأجل منعه الدابة فلم تمنع بعد!

ثم سافرتُ إلى صرصر (26)، ثم إلى مدينة بغداد، ووصلتها في شوال سنة ثمان

(15) حول عاين انظر ج II ص 52 حيث رسم هكذا ما بين بيانين اثنتين

(16) حول يزد خاص (YAZDIRHWAST) انظر ج II ص 51.

(17) انظر ج II ص 50.

(18) تقدم ذكر كُوشك زُر القصر الذهبي III 329. ولكن في الهند - المكان المقصود هنا هو كُوشك زرد (Kushk-e ZARD) (القصر الأصفر)، هذا الاسم يظهر على الخرائط هكذا، ولكنه دون هكذا كُوشك - Kushk-e-zar في خريطة إيران التي أصدرتها مصلحة الخريطة التابعة لوزارة الدفاع، واشنطن 1984 D.C.

(19) انظر الجزء II 43 - 50.

(20) انظر الجزء II 23-29.

(21) القصد إلى الحويزاء (بالهمزة في الآخر) وقد تقدمت في الجزء II ص 93.

(22) الجزء II ص 8-16.

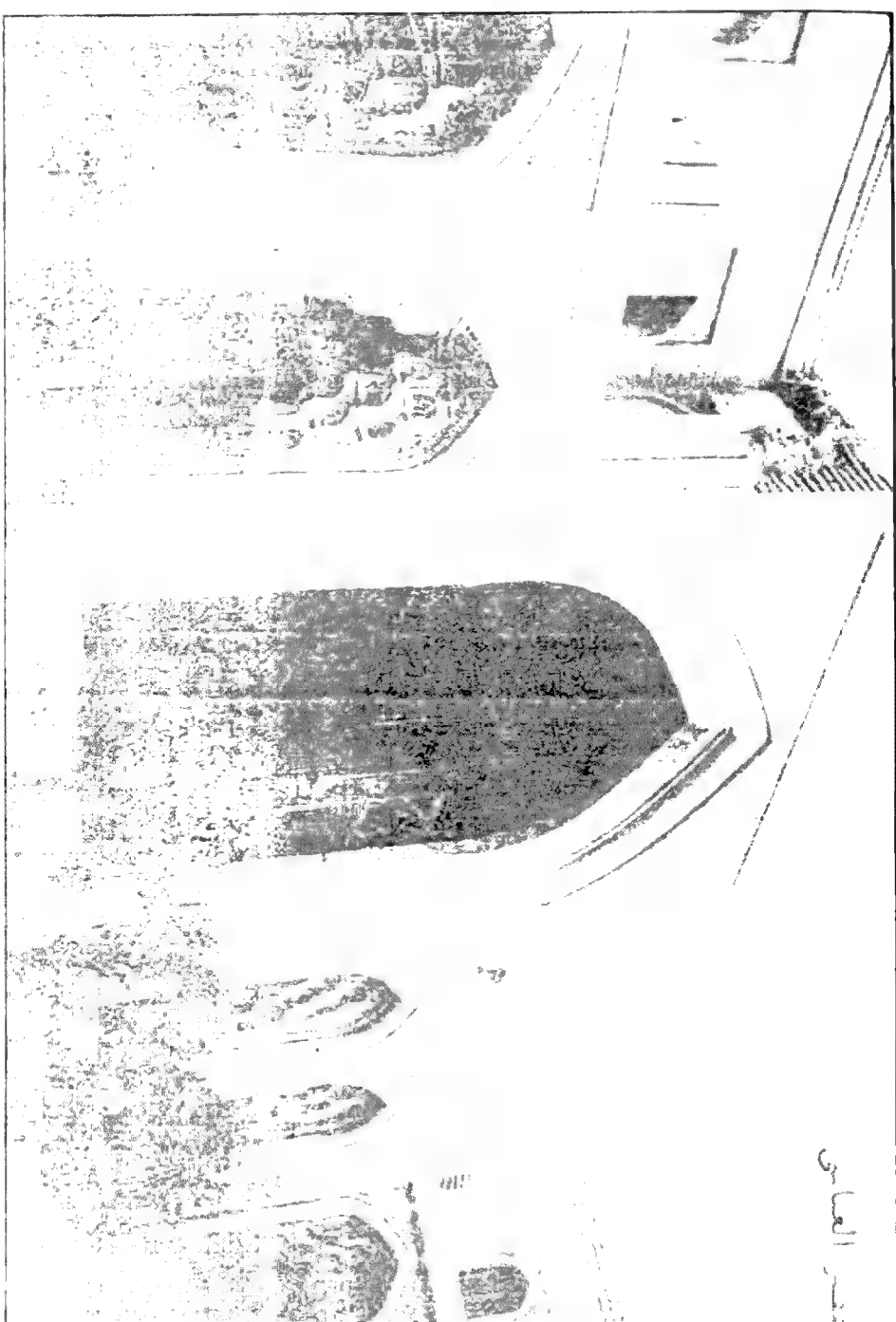
(23) كل هذه الشخصيات سبق الحديث عنها جزء II ص 14-15 باستثناء ثابت بن أسلم البناني الذي يعتبر من المحدثين الذين عاشوا في النصف الأول من الثامن الميلادي = القرن الثاني الهجري - بُنَّانة كانت حياً من أحياء البصرة

(24) يراجع الجزء II ص 12 لتقف على وصف مشهد الإمام علي كرم الله وجهه

(25) حول مسجد الكوفة يراجع ج II 93-94. وحول مسجد الجلة انظر ج II ص 96-97...

(26) صرصر اسم لقريتين صرصر العليا وصرصر السفلى عند قناة عيسى

مركز الماسي



مركز الماسي القديم في بغداد

وأربعين (27)، ولقيت بها بعض المغاربة فعرفني بكائنة طريف واستيلاء الروم على الخضرَاء (28) جَبَر الله صدع الإسلام في ذلك .

314/4

ذكر سلطانها [بغداد]

كان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولي إليها في التاريخ المذكور الشيخ حسن بن عمّة السلطان أبي سعيد رحمه الله (29)، ولما مات أبو سعيد استولى على ملكه بالعراق، وتزوج زوجته دلشاد بنت دمشق خواجه بن الأمير الجوبان حسبما كان فعله السلطان أبو سعيد من تزوج زوجة الشيخ حسن، وكان السلطان حسن غائباً عن بغداد في هذه المدة متوجّها لقتال أتابك أفراسياب صاحب بلاد اللور.

ثم رحلت من بغداد فوصلت إلى مدينة الأنبار، ثم إلى هيت، ثم إلى الحديثة ثم إلى عانة (30) وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها، والطريق فيما بينها كثير العمارة كأن الماشي، في سوقٍ من الأسواق وقد ذكرنا أنّا لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر الحسين إلا هذه البلاد.

315/4

ثم (31) وصلت إلى مدينة الرّحبة وهي التي تنسب إلى مالك بن طوق (32)، ومدينة الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام. ثم سافرنا منها إلى السّخنة (33)، وهي بلدة حسنة أكثر سكانها الكفار من النصارى، وإنما سميت السّخنة لحرارة مائها، وفيها بيوت

(27) يوافق هذا التاريخ الهجري يناير 1348.

(28) وقعت هذه الكارثة كما نعلم يوم الاثنين 7 جمادى الثانية عام 741 = 28 نونبر 1340 كما أنّ سقوط الجزيرة الخضرَاء تمّ بعد ذلك بسنتين وقد عرف عنهما ابن بطوطة كما نرى بعد مضي بضع سنوات ونلاحظ في المقابل أن أخبار سقوط بغداد تليت على المنابر في مراكش الذيل والتكملة للمراكشي.

(29) انظر الجزء II ص 119-123.

(30) انظر الجزء II ص 30-31.

(31) انظر IV ص 295 هذا ويلاحظ أن ابن بطوطة يخترق الجزيرة الفراتية ذات التاريخ الحافل...

(32) سميت كذلك لأن مالكا بن طوق بن عتاب التغلبي هو الذي رمّمها قديماً في القرن الثامن الميلادي لتتميّز عن المدن الأخرى التي تحمل الاسم.

(33) السّخنة واحات تقع شمال شرق تدمر حوالي 35 ميلا من حلب عام 1939 .

للرجال وبيوت للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلاً ويجعلونه في السطوح ليبرد، ثم سافرنا إلى تدمر (34) مدينة نبي الله سليمان عليه السلام التي بنتها له الجن كما قال النابغة
يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمْدِ (35).

ثم سافرنا منها إلى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مغيبتي عنها عشرين سنة كاملة، وكنت تركت بها زوجة لي حاملا (36)، وتعرفت وأنا ببلاذ الهند أنها ولدت ولداً ذكراً فبعثت حينئذ إلى جده للأُم وكان من أهل مكناسة (37) المغرب أربعين ديناراً ذهباً هندية، فحين وصولي إلى دمشق في هذه الكرة لم يكن لي هم إلا السؤال عن ولدي، فدخلت المسجد فوقف لي نور الدين السخاوي إمام المالكية وكبيرهم (38)، فسلمت عليه، فلم يعرفني فعرفته بنفسني، وسألته عن الولد فقال: مات منذ اثنتي عشرة سنة، وأخبرني أن فقيها من أهل طنجة يسكن بالدرسة الظاهرية (39)، فسرت إليه لأسأله عن والدي وأهلي فوجدته شيخاً كبيراً فسلمت عليه، وانتسبت له، فأخبرني أن والدي توفي منذ خمسة عشرة سنة وأن الوالدة بقيد الحياة.

316/4

وأقمت بدمشق الشام بقية السنة (40) والغلاء شديد والخبز قد انتهى إلى قيمة سبع أواق بدرهم نقرة، وأوقيتهم أربع أواق مغربية، وكان قاضي قضاة المالكية إذ ذاك جمال

317/4

(34) تدمر هي التي تعرف في الرواية الأوربية (PALMYRE)

(35) النابغة الذبياني هو زياد بن معاوية، شاعر جاهلي كانت تضرب له قبة من جلد أحمر في سوق عكاظ فنقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها... أحد أشرف الجاهلية، كان حظياً عند النعمان ابن المنذر حتى شتب في قصيدة له بالمتجربة (زوجة النعمان) لكن النعمان لم يلبث أن رضي عنه، أدركه أجله حوالي 18 قبل الهجرة عام 608 م هذا وبداية البيت هكذا

وخيس الجن أني قد أذنت لهم

يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمْدِ

من القصيدة التي يعتبرها بعضهم من المعلقات ومطلعها:

بَادَا نَ مِئَةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالَسِنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالَفُ الْآبِدِ ١

أنظر ياقوت في كتابه معجم البلدان.

(36) لقد كان زار دمشق رمضان 326=726. ويلاحظ أنه لم يشر إلى زواجه عند حديثه عن مقامه الأول هناك - يراجع ج 1، 253 تعليق 313.

(37) من طرائف الرحلة أن نجد فيها مثل هذه الأخبار: زوجته الحفيدة لأحد أهل مكناسة بعد الفاسية والصفاسية التي ربما كانت تابعة لطنجوية تزوج بها قبل أن يرحل! ١٩

(38) الحديث عن السخاوي تقدم ج 1، 214 - 241 - 242 يلاحظ أن لقبه في المرجع الأول بدر الدين مع أنه نور الدين، ونذكر أن ابن بطوطة في زيارته الأولى لدمشق أقام عنده.

(39) يراجع ج 1، 218.

(40) يعني إلى آخر شهر مارس 1348. هذا وقد رد بعضهم ما قيل عند مقامه الأول من أنه يبعد أن يأخذ تلك الاجازات في ذلك الأمد القصير، وهو كلام لا يلتفت إليه!!

الدين المسلاتي (١١) وكان من اصحاب السج على الدين القوي وفيه معه دمشق فغرف بها ثم ولي القضاء وقضى قصاصه الشافعية في الدين من السبيكي واسير دمشق ملك الامراء ارغون شاه (١٢).

حكاية [قتلى الخبز]

ومات في تلك الايام بعض كبراء دمشق واسمى بسال للمساكين، فكان المتولي لإنفاذ الوصية يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد الفجر، فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم ومذوا انفسهم الى خير الخبازين، وبلغ ذلك الامير ارغون شاه فأخرج زبانتته فكانوا حيث لم لقوا احدا من المساكين قالوا له: تعال نأخذ الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فحبسهم بك البية وركب من الغدا واحضرهم تحت القلعة، وأمر بقطع ايديهم وارجلهم، وكان اكثرهم ثراء من ذلك، واخرج طائفة الحرافيش (١٣) عن دمشق فانتقلوا إلى حمص وحماة وحلب، وذكر لي انه لم يعيش بعد ذلك إلا قليلا وقُتل

318/4

ثم سافرت من دمشق إلى حمص ثم حمص ثم المعرة ثم سرمن ثم إلى حلب (١٤) وكان أمير حلب في هذا العهد الحاج رُحطلي (١٥) رحمه الله وسكن في المعجم وفتح الطاء المهمل وباء آخر الحروف مسكنة

(١١) هو محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك السلسي السلافي الملقب بجبال الدين المالكي مبع بالاسكندرية ومصر والشام، ولي سنة الحكم بدمشق بعد أبي استقلال قضاء دمشق أكثر من عشرين سنة، كان حسن الشكل والبهر صريحا، كان يسكن في الادبات يظهر العبد في مقاماته الحجازيات والحليات، أدركه أخيه بمصر في ثالث عشر ربي الفعدة (١٦) بالقاهرة وهو والد القاضي سري الدين الذي تحول شافعيًا حول القوي انظر (١٧) - الدرر ٤، ص ١١٢ - تحقيق محمد سيد جاد الطبق (١٨)

(١٢) ارغون شاه او ارغون الصغير الكهلي نائب حلب، كان حيا بمائت الصالح اسماعيل رياه وهو صغير السن، كان حميلا جدا، فلما ولي الكامل حضى عنده وقدمه وابره مائة (قائد المائة) ولكنه لم يلبث وقد شعر بالنامر ضده أن فر إلى مصر حيث التقاه فحبب بالشموع وانتهى امره إلى الامتحان فاقام بالقدس بطلا، ومات به في سنة ١٢٩٨ - ١٢٩٧، وقد نسب على الماشر في الفرنسين (في الفهرس) بارغون شاه الدوادار الذي توفي بحلب ربيع الاول سنة ١٣٠٦ فطاه واحدا - الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ بيكنكام ج ١٧ - ١٨ تعليق ١١

(١٣) الحرافيش ج حرقوش يراجع ٨٥، ١١ التعليق ١٢٥

(١٤) حول الزيارة لهذه الاماكن راجع الجزء ١ ص ١١٠ - ١١١

(١٥) بسميه يوسف ابن تغري بردي الحاج سيف الدين اورطلي من عبد الله الفقيح، كان النطق الصحيح للاسم هو كما بيدر اورطلي كان حاكما - على التوالي - لصفد وطرابلس وحلب ثم نائب السلطنة بمصر ثم مرة ثانية حاكما لحلب، أدركه أخيه سنة ١٣٩١ - ١٣٩٠ في طريقه إلى دمشق حيث نقل إلى هناك حول ترجمته انظر (المهمل الصافي) ج ١ ص ١٢٨ تعليق ١٢

حكاية [الوباء المجتاح]

319/4

واتفق في تلك الأيام أن فقيراً يعرف بشيخ المشانخ وهو ساكن في جبل خارج مدينة عَيْنَتَاب (46)، والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له، وكان متجرباً عزياً لا زوجة له، وقال في بعض كلامه: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن! فشُهد عليه بذلك وثبت عند القاضي ورفع أمره إلى ملك الأمراء، وأوتى به وبتمليذه الموافق له على قوله، فافتى القضاة الأربعة وهم شهاب الدين المالكي، وناصر الدين العديم الحنفي، وتقي الدين بن الصائغ الشافعي وعز الدين الدمشقي الحنبلي بقتلهما معاً، فقتلا!

320/4

وفي أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين (47) بلغنا الخبر في حَلَب أن الوباء وقع بغزة وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على ألف في يوم واحد (48)! فسافرت إلى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان، ثم سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة إلى مسجد الأقدام حسبما ذكرناه في السفر الأول (49) فخفف الله الوباء عنهم فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربع مائة في اليوم!

ثم سافرت إلى عجلون (50)، ثم إلى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة بن عم عز الدين قاضي القضاة بمصر (51) وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبته على الخطابة ألف درهم في الشهر.

(46) مدينة عَيْنَتَاب مدينة كبيرة واسعة توجد الآن في تركيا على بعد 55 ميلاً شمال شرقي حلب، وقد ترسم في الخرائط السورية هكذا (INTAB) وربما رسمت في الخريطة التركية ANTEP ويمكن أن نتصور من هذا الخلاف في كتابة الاعلام الجغرافية مدى ما يقع من تحريف في الأسماء الجغرافية - انظر الخريطة السورية والتركمانية...

(48) يتعلق الأمر بالطاعون الأسود الذي ضرب دول حوض البحر المتوسط والذي ترك وراءه ملايين الضحايا، وإذا كان ابن بطوطة - كما سنرى - قد ردّ صدى آثار هذا الوباء في مذكراته، فإن ابن خلدون الذي أتى الطاعون على والديه قد خصص فقرات باكية في مقدمته لما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في المائة الثامنة بسبب هذا الطاعون الجارف الذي طوى كثيراً من محاسن العمران. ابن خلدون المقدمة، بيروت 1956 ص 51

(49) يراجع ج 1، 226-227.

(50) يراجع 1، 129.

(51) ج 1، 88.

حكاية [نذر الخطيب]

321/4

وصنع الخطيب عز الدين يوماً دعوةً ودعاني فيمن دعاه إليها، فسألته عن سببها؟ فأخبرني انه نذر أيام الوباء أنه إن ارتفع ذلك ومرَّ عليه يومٌ لا يصلي فيه على ميت صنع الدعوة ! ثم قال لي : ولما كان بالأمس لم أصِلْ على ميت فصنعت الدعوة التي نذرت !!

ووجدت من كنت أعهدده من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله، فلم يبق منهم إلا القليل مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدِي العلاني، ومثل الصالح شرف الدين الخُشَنِي شيخ زاوية المسجد الأقصى.

322/4

ولقيت الشيخ سليمان الشيرازي فأضافني ولم ألق بالشام ومصر من وصل إلى قدَم آدم عليه السلام سواه ! ثم سافرتُ عن القدس، ورافقني الواعظ المحدث شرف الدين سليمان الملياني، وشيخ المغاربة بالقدس (52) الصوفي الفاضل طلحة العبد الوادي فوصلنا إلى مدينة الخليل عليه السلام، وزرناه ومن معه من الانبياء عليهم السلام، ثم سرنا إلى غَزَّة فوجدنا معظمها خالياً من كثرة من مات بها في الوباء، وأخبرنا قاضيها أن العدول بها كانوا ثمانين فبقى منهم الرُّبع وان عدد الموتى بها انتهى إلى الف ومائة في اليوم.

ثم سافرنا في البر فوصلتُ إلى دمياط ولقيت بها قطب الدين النقشواني، وهو صائم الدهر، ورافقني منها إلى فارس كُور وسَمَنُود (53)، ثم إلى أبي صير (54) بكسر الصاد المهمل ويا مد ورا و نزلنا في زاوية لبعض المصريين بها.

(52) إذا كان ابن بطوطة قد اختصر الحديث عن المغاربة الذين كانوا يوجدون بكثرة أثناء زيارته الأولى لبيت المقدس عام 726 (125، 1)، فإنه هنا يتحدث بصراحة عن (شيخ المغاربة) أي وكلهم لدى من يعنيه الأمر ومن المعلوم أنه يوجد بالقدس حيٌ بكامله يحمل اسم المغاربة الذين كانوا يرابطون هناك للدفاع عن بيت المقدس، وعلاوة على وثيقة على أوقاف المصمودي سنة 730 وأوقاف أبي مدين سنة 720 فقد وجدنا رسالة يرفعها عام 795 شيخ المغاربة بن عبد الوارث إلى كافل السلطنة في دمشق في اعقاب التجاء احد اليهود اليه ليتدخل لصالحهم في رفع الحجر الذي فرضه وإلى المدينة على تركة أحد اليهود...

د. التازي أوقاف المغاربة في القدس، مطبعة فضالة المحمدية رقم الايداع القانوني -1401-1981-81 التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 262 مصدر سابق - الوقف لخدمة السياسة الخارجية في المغرب - طبع المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق 1995 ص 76.

(53) حول زيارة ابن بطوطة الأولى للخليل انظر 114-120 وحول غزّه 115-116 وحول دمياط (64-60، 1) وحول فارس كور يراجع 95، 1 ولا يزال هذا معروفا بهذا الاسم.

(54) توجد عدة أمكنة في مصر تحمل اسم أبو صير، ولهذا الاسم صلة بالإله أوزيريس Osiris الذي كانت له مكانة خاصة في مصر الشمالية، وقد اخطأ صطيفان عندما اعتقد أن القصد إلى أبو قير الذي يوجد على المتوسط شمال الاسكندرية ونُعت بكنكام على أنه مدينة صغيرة على مقربة من طنطا والحقيقة أن القصد إلى (بوصيرينًا) الذي يقع جنوب المحلة مباشرة، وهذا غير (بوصير الملّق) الذي ينتسب إليه البوصيري صاحب البردة والذي يوجد جنوباً بمديرية بنو سويف انظر دائرة المعارف الإسلامية - التازي . حول الإمام البوصيري دفين القاهرة العلم 26 شتبر 1995 .

حكاية [الفقير الصائم]

323/4

وبينما نحن بتلك الزاوية إذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم وعرضنا عليه الطعام فأبى. وقال : إنما قصدت زيارتكم ولم يزل ليلته تلك ساجداً وراكعاً، ثم صلياً الصبح، واشتغلنا بالذكر، والفقير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام ودعاه، فلم يجبه فمضى إليه فوجده ميتاً، ففصلينا عليه ودفناه رحمة الله عليه!

324/4

ثم سافرت إلى المحلة الكبيرة ثم إلى نحرارية ثم إلى أبيار، ثم إلى دمنهور (55)، ثم إلى الإسكندرية (56) فوجدت الوباء قد خف بها بعد أن بلغ عدد الموتى إلى ألف وثمانين في اليوم، ثم سافرت إلى القاهرة، وبلغني أن عدد الموتى أيام الوباء انتهى فيها إلى أحد وعشرين ألفاً في اليوم ! وجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالى .

ذكر سلطانها

وكان ملك ديار مصر في هذا العهد الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وبعد ذلك خلع عن الملك وولي أخوه الملك الصالح (57).

ولما وصلت القاهرة وجدت قاضي القضاة عز الدين بن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة (58) قد توجه إلى مكة في ركب عظيم يسمونه الرُّجْبِي لسفرهم في شهر رجب. وأخبرت أن الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا عقبة أيلة (59) فارتفع عنهم.

ثم سافرت من القاهرة، على بلاد الصعيد، وقد تقدم ذكرها. إلى عيذاب (60) وركبت منها البحر فوصلت إلى جدة (61)، ثم سافرت منها إلى مكة شرفها الله تعالى وكرمها

(55) انظر 1، 56-54-55-49 حول الامكنة المذكورة.

(56) حول وصف ابن بطوطة للإسكندرية يراجع الجزء 1، 27-47.

(57) إلى هذا الملك توجه صفى الدين الجلي يحرضه على الحذر من المغول في قصيدة مطلعها

لايمتطي المجد من لم يركب الخطرا * ولاينال العُلا من قدم الحذرا

السيد أحمد الهاشمي بك جواهران 1347 = 1928 ص 748

(58) انظر الجزء 1، ص 88

(59) جزء 1، 256.

(60) حول سفرته الأولى عبر الصعيد إلى عيذاب يراجع 1 ص 94-111

فوصلتها في الثاني والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين (62) ونزلت في جوار إمام المالكية الصالح الولي الفاضل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل (63)، فصمت شهر رمضان بمكة وكنت أعتمر كل يوم على مذهب الشافعي، ولقيت ممن أعهد من أسيادها شهاب الدين الحنفي (64)، وشهاب الدين الطبري (65)، وأبا محمد اليافعي (66) ونجم الدين الأصفوني (67) والحرازي (68) وحججت في تلك السنة.

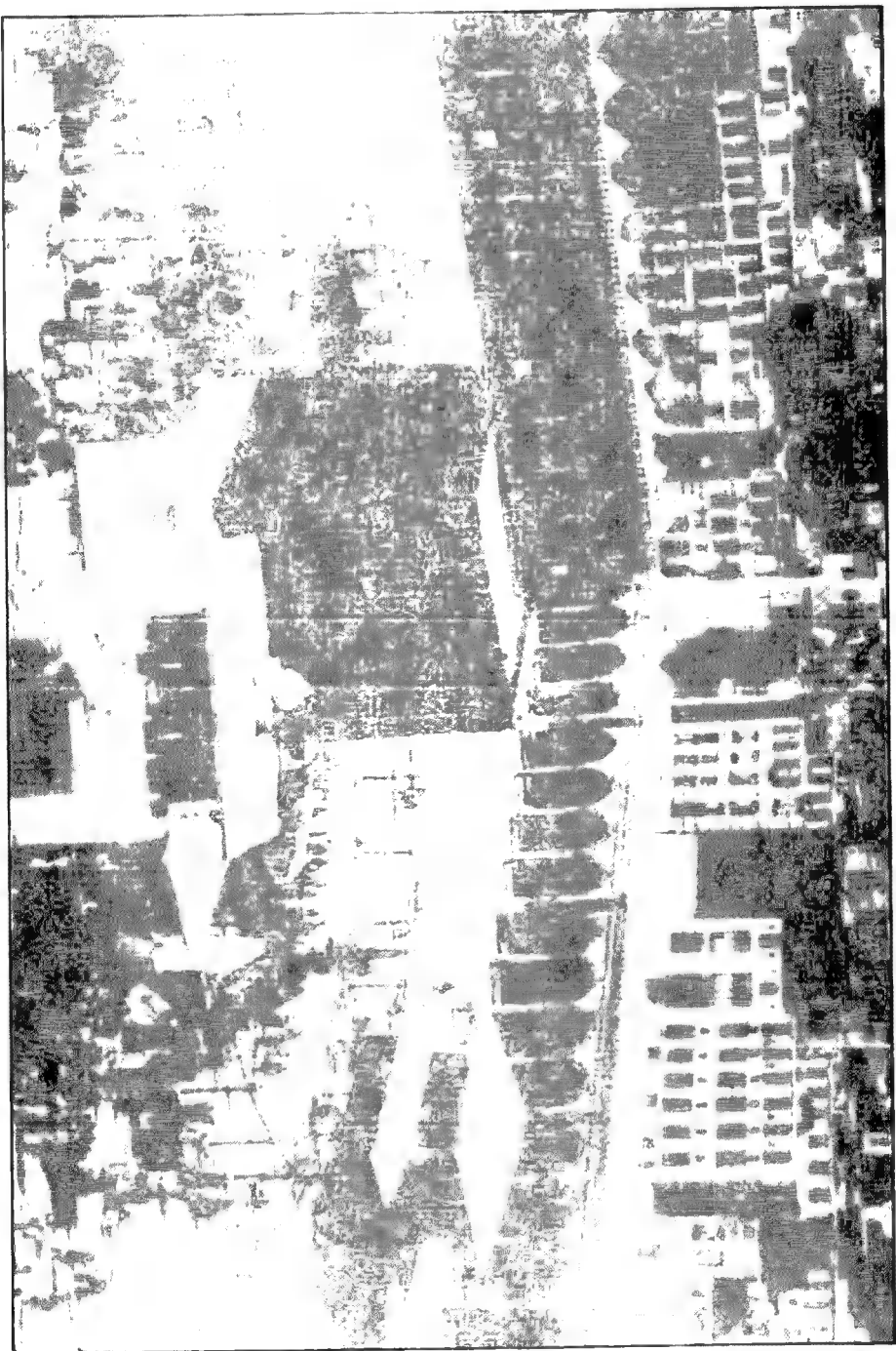
325/4

ثم سافرت مع الركب الشامي إلى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت قبره المكرم المطيب زاده الله طيباً وتشريفاً في المسجد الكريم طهره الله وزاده تعظيماً، وزرت من بالبقيع (69) من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم، ولقيت من الأسياد أبا محمد ابن فرحون (70).

ثم سافرنا من المدينة إلى العلاء وتبوك، ثم إلى بيت المقدس، ثم إلى مدينة الخليل

326/4

- (61) حول زيارته الأولى إلى جدة يراجع الجزء II، 156-158.
- (62) يوافق هذا التاريخ 16 نونبر 1348.
- (63) حول خليل إمام الموسم يراجع الجزء I ص 324 يراجع التعليق 155.
- (64) هو بالذات أحمد بن علي السجزي الحُسَيني إمام الحنفية بمكة وبها أدركه أجله في رمضان 762=1361 الدور الكامنة 236 - انظر الجزء I ص 352 - راجع التعليق رقم 192 تعليق رقم 192.
- (65) شهاب الدين الطبري عوض والده في القضاء، محمد بن محمد بن محب الدين أحمد الطبري (1330-1260) ينتمي لأسرة الفقهاء والقضاة - يراجع I، 347-348 التعليق 187.
- (66) اليافعي هو عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي الشافعي اليمني ثم المكي. أخذ باليمن عن البصالي. ثم جاور بمكة ولازم مشايخ العلم، ومن شيوخه نجم الدين الطبري. ورحل إلى القدس ودخل دمشق. كان كثير التصانيف، كثير الاحسان للطلبة إلى أن مات في 20 من جمادى الأخيرة عام 768=1362 - الدور 2، ص 353-354.
- (67) حول الأصفوني يراجع I، 356-357 وكذلك II، 150 - حيث ترجمناه في التعليق 294.
- (68) الحرازي لا يخلو إما أن يكون القصد إلى أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن العمري الحرازي ولد ببلدة حراز باليمن عام 675 وقدم مكة فسمع بها عن جماعة. وانتهت اليه رئاسة الفتوى وقد توفي بمكة عام 12 شوال 755... وأما أن يكون القصد إلى ولده محمد المولود سنة 706 سمع عن الكثير... ثم حدث ودرس وأفتى ثم ولي القضاء بعد وفاة شهاب الدين الطبري... ثم سعى عليه أبو الفضل النويري فولى عوضه القضاء سنة 63 ولزم الحرازي بيته حتى مات بمكة سنة 765 - الدور ج I ص 150-3.
- ص 438. - يلاحظ أن ابن بطوطة يحج حجة السادسة والأخيرة.
- (69) لا يخفى أن القصد إلى المقبرة الشهيرة بالمدينة. انظر جزء I، ص 287 حيث ذكر أسماء بعض من تحتضنهم تلك التربة الطاهرة.
- (70) حول ابن فرحون انظر ج I ص 277-278.



حجته المرق السارسة

صلى الله عليه وسلم، ثم إلى غزة (71) ثم إلى منازل الرُّمل (72) وقد تقدم ذكر ذلك كله، ثم إلى القاهرة.

وهناك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أبا عنان أيداه الله تعالى قد ضمَّ الله به نُشْر الدولة المرينية (73) وشفى ببركته بعد إشفائها البلاد المغربية، وأفاض الإحسان على الخاص والعام وغمر جميع الناس بسابغ الإنعام فتشوّفت النفوس إلى المثل ببابه وأملت لثم ركابه، فعند ذلك قصدتُ القُدوم على حضرته العلية مع ما شاقني من تذكّار الأوطان والحنين إلى الأهل والخلان والمحبة في بلادي التي لها الفضل عندي على البلدان .

327/-

بلادُ بها نيطت عليّ تمانمي

وأول أرضٍ مسَّ جلدي قرأها !

فركبت البحر في قرقرورة لبعض التونسيين صغيرة، وذلك في صفر سنة خمسين (74)، وسُرْتُ حتى نزلت بجربة، وسافر المركب المذكور إلى تونس فاستولى العدو عليه (75).

ثم سافرت في مركبٍ صغير إلى قابس فنزلت في ضيافة الأخوين الفاضلين أبي مروان، وأبي العباس ابني مكي (76) أمير جربة وقابس، وحضرت عندهما مولد رسول الله

(71) حول زيارته الأولى لهذه الأماكن ووصفه لها يراجع ج 1، ص 114 (غزة) صفحة 115-121 (الخليل) ص 121-124 القدس ص 258 تبوك - 261 (العلا)

(72) يقصد بمنازل الرمل المنطقة الصحراوية التي تفصل بين غزّة والقاهرة جنوب شرقي بلبس...

(73) نذكر أن السلطان أبا الحسن والد السلطان أبي عنان، بعد أن استرجع تلمسان عام 737=1337.

استرجع كذلك تونس عام 747=1347 موحداً بذلك بلاد المغرب. على ما استقرأه في التعليق اللاحق رقم

79 - يلاحظ سكوت ابن بطوطة عن زيارة الأميرة المغربية مريم لمصر 738 وقد تحدث الناس بها دهرًا كما

يقول ابن خلدون. التازي - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 204 - بدائع الزهور 472

(74) أبريل - مايه 1349.

(75) أبو مروان أحمد بن مكي أصبح أميراً على جزيرة جربة بعد إجلاء الصقليين الغزاة عام 735=1335

وامتد حكمه فيما بعد إلى صفاقس - أخوه أبو العباس عبد الملك كان حاكماً مستقلاً لقابس. كانا معاً

حليفين للعاهل المغربي أبي الحسن قبل أن يخذلاه في أعقاب فشله ويتحالفا مع أحد الأمراء الحفصيين...

(76) يشير ابن بطوطة هنا للقرصنة التي كانت رائجة على ذلك العهد في المنطقة، ويذكر السّير هاميلتون

كيب أن الأمر يتعلق بصقلية التي احتل أميرها روجي نوريا (Roger Doria) جربة عام 688 هـ 1289

م حيث بقيت إلى عام 735 هـ 1335 م عندما استردها المسلمون. ولا بد أن لا ننسى أن لحكام جزيرة

سردانية كذلك حساباً قديماً مع أهل تونس الذين كانوا قد استولوا على عددٍ من أهل هذه الجزيرة،

وأقاموهم على مقربة من جلولا التي لا تبعد عن القيروان إلا بأربعة وعشرين ميلاً في موقع ما يزال إلى

اليوم يحمل اسم سردانية، وقد وقفت عليه. وإني لأعتمد هذه الفرصة لأجدد الشكر للذين يسرّوا لي تلك الزيارة.

التازي - الحضور الغربي في جزيرة سردانية، بحث قدم لجمع اللغة العربية، القاهرة مجلة المجمع

ج 74 مايه 1994.



شارع هي القاهرة بالأمس

صلى الله عليه وسلم ﷺ، ثم ركب في مركب إلى سفاقس، ثم توجهت في البحر إلى بليانة، ومما سرت في البر مع العرب، فوصلت بعد عشقات إلى مدينة تونس والعرب محاصرون لها

ذكر سلطانها

وكانت تونس في إيالة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، علم الأعلام وأوحد الملوك الكرام، أسد الأساد، وجواد الأجواد القانت الأواب، الخاشع العادل أبي الحسن، بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر دين الاسلام الذي سارت الأمثال بجوده، وشاع في الأقطار أثر كرمه وفضله، ذي المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر الملك العادل الفاضل أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، علم الأعلام وأوحد الملوك الكرام، أسد الأساد، وجواد القانت الأواب، الخاشع العادل أبي الحسن بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر دين الاسلام الذي سارت الأمثال بجوده، وشاع في الأقطار أثر كرمه وفضله، ذي المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر الملك العادل الفاضل أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين قاهر الكفار ومبيدها ومبدي آثار الجهاد ومعبيدها ناصر الأمان السديد السطوة في ذات الرحمن العابد الزاهد الراكع الساجد الخاشع أبي يوسف بن عبد الحق رضي الله عنهم أجمعين وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين

١٢٠١ حدث ابن بطوطة عن حفلات عيد المولد النبوي بالدار المغربية حدث له دلالته فإن المملكة المغربية قررت بمقتضى رسوم ملكي (مغير) أن تجعل من هذا اليوم عيداً تقام فيه الاحتفالات في سائر المدن والقرى

د. التازي لماذا عيد المولد في الغرب الإسلامي؟ دعوة الحق العدد ٢٧٧ ج١ ص١٠١ عام ١٤١٠ هـ ديسمبر ١٩٨٩ - وقد ترجم هذا البحث إلى اللغة اليوسنوية من قبل الأستاذ الشهيد بيان شكريج، ونشر في مجلة Islamoska Misao Map 1990

١٢٠٢ بليانة يوجد على مقربة من سفاقس كما يقول بروشفيك Brunschwig وكان كيب يعتقد أن القصد إلى نابل Nabul ميناء صغير على بعد ٣٠ ميلاً جنوب شرقي تونس Selections P. 375 N° 14

١٢٠٣ بوبع أبو الحسن يوم 25 ذي القعدة 73١ وكان مما حدث أثناء وجوده في تونس أن تمردت القيروان عليه وأشبعت وقائه قبيلع الناس إليه أبا عاني وانتهى المضاف إلي الحسن إلى هنتانة جنوب المغرب حيث قدم عليه محمد بن أبي عمرو التميمي حاجب ولده الذي طلب الرضا، فرضى عنه وكتب له بولاية العهد وقد اعتل السلطان خلال ذلك فاقصد لإخراج أدم ثم باشر الماء، بعضوه للظهارة فتوزم وهلك رحمه الله يوم ١٠ ربيع الأول ٧٥٠ ونقل الله أبو عثمان شدة إلى شالة الرباط وكان ابن بطوطة صاحب المركب ابن الأمير رخصه المسريين، تاركين ربيع العائين راجع الشعليق ١٢٠٤

ولما وصلت تونس قصدتُ الحاج أبا الحسن الناميسي (80) لما بيني وبينه من موات القربة والبلدية، فانزلني بداره وتوجه معي إلى المشور فدخلت المشور الكريم وقبِلْتُ يد مولانا أبي الحسن رضي الله عنه، وأمرني بالقعود ففقدت، وسألني عن الحجاز الشريف وسلطان مصر فأجبته وسألني عن ابن تيفراجين (81) فأخبرته بما فعلت المغاربة معه، وإرادتهم قتله بالاسكندرية وما لقي من إذايتهم إنتصاراً منهم لمولانا أبي الحسن رضي الله عنه.

330/4

وكان في مجلسه من الفقهاء الإمام أبو عبد الله السطّي (82)، والامام أبو عبد الله محمد ابن الصّبّاغ (83) ومن أهل تونس قاضيهما أبو علي عمر بن عبد الرّفيّع (84)، وأبو عبد

(80) الحاج أبو الحسن علي بن الفقيه الصالح أبي زيد الناميسي كان من المكربين عند أبي الحسن المريسي. وهو من أسرة صنهاجية ظهر منها أعلام في العهدين الموحدي والمريني، ومنهم أبو محمد عبد الله الناميسي الذي ولي قضاء شريش، وغرب من بلاده طنجة إلى تونس سنة 641هـ ثم سرح سنة 647هـ. انظر التكملة لابن الأبار 525 - وجزوة الاقتباس 430 طبعة دار المنصور الرباط - والمسنّد الصحيح الحسن 295.

(81) يعتبر ابن تيفراجين قطب الدائرة في الأحداث التي شاعدها بالمنطقة. وهو من شيوخ الموحدين، حاجب لأبي يحيى أبي بكر، وهو الذي حث في عهد خلف هذا الأخير، أبي العباس أحمد 1346-1347 = 747هـ حث السلطان المريني أبا الحسن على استرجاع إفريقية وأصبح وزيراً له وهو الذي سعى لخطبة الأميرة الحفصية لأبي الحسن وبعد نكسة القيروان غيّر الموقف وأصبح مكلفاً من لدن الجانب الحفصي بحصار تونس، ولما فشل في مهمته، فرّ إلى الاسكندرية، ولكنه عاد عام 1350=751 ليقوم بعزل الفضل السلطان الجديد للحفصيين ويعوضه بأحد أخوة هذا الأخير أبي اسحاق، وقد توفي عام 1364-1365.

(82) محمد بن سليمان السطّي (نيل الابتهاج لأحمد بابا طبعة فاس 242) اختاره السلطان أبو الحسن لصحبته لتونس، وعند العودة غرق عام 750 في الحادثة الشهيرة مع ابن الصباغ والزواوي مقرئ السلطان (نيل الابتهاج 45-46) وليس صحيحاً أن عدد القرقي من العلماء (80) وعدد المراكب الضائعة (60) كما قاله المقرئ في الباب الخامس من القسم الثاني من النّفح، وتبعه بعضهم، منهم أنا في تاريخ القرويين ج. II ص 490 فقد عثرت على مراسلات دبلوماسية بين السلطان أبي الحسن وبين الملك بيدرو الرابع ملك أراغون من جهة وبين سلطان غرناطة من جهة أخرى تتحدث عن ضياع خمسة مراكب الرّيحانة ج. 427 - 530 وثائق أراغون رقم 99 ذ. التّاريخي تجربتي في تحقيق الوثائق الدبلوماسية المتعلّقة بالمغرب والاندلس، ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي - كلية الآداب وجدة - 9 نونبر 1995 - أحمد عزّاوي - الغرب الإسلامي من خلال رسائله - أطروحة كلية الآداب الرباط السنة الجامعية 1995 - 1996.

(83) هو محمد بن الصباغ الخزرجي الأندلسي ... اختاره السلطان فاستدعاه ولم يزل معه حتى هلك غرقاً في حادثة الاسطول سالفة الذكر (نيل الابتهاج ص 223).

(84) يقال إن ابن عبد الرّفيّع رمى بنفسه على ابن تاسكّرت - وكان مكيناً في الدولة المرينية - وقال له إن توسّطت لي في خطة القضاء فاني أوليك عدلاً بتونس، فلم يزل الآخر يتمثل إلى أن وقع الشرطا ومشروطه، وقد توفي ابن عبد الرّفيّع سنة 766 - الزركشي - تاريخ الدولتين تحقيق محمد ماضور - المكتبة العتيقة تونس 1966 ص 88-102 الأبي : الاكمال، أطروحة عبد الرحمن عون ص 49 - تونس



عملة السلطان أبي الحسن المريني الذي كان يقيم آنذاك في تونس

الله بن هارون (85)، وانصرفت عن المجلس الكريم، فلما كان بعد العصر إستدعاني مولانا أبو الحسن وهو ببرج يشرف على موضع القتال ومعه الشيوخ الجلة أبو عمر عثمان بن عبد الواحد التَّالْفَتِي (86) وأبو حسون زيان بن أمديون العلوي (87)، وأبو زكرياء يحيى بن سليمان العسكري (88) والحاج أبو الحسن التاميسي (89)، فسألني عن ملك الهند فأنجبته عما سأل، ولم أزل أتردد إلى مجلسه الكريم أيام إقامتي بتونس وكانت ستة وثلاثين يوماً

331/4

ولقيت بتونس إذا ذاك الشيخ الامام خاتمة العلماء أبا عبد الله الأبلبي (89) وكان في فراش المرض وباحثني عن كثير من أمور رحلتي.

(85) كان محمد ابن هرون الكثاني من رجال الفتوى في عهد السلطان أبي الحسن بتونس... وهكذا فبعد وفاة قاضي الجماعة محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد بن محمد بن هارون الكثاني... وحين لقب ابن هارون بالفتيا بقي مفتيا إلى أن مات بالوباء في عام خمسين وسبع مائة هو وزوجه في يوم واحد ' فحفر لهما قبران متدانيان وحضر لدفنهما السلطان أبو الحسن المريني. الزركشي تاريخ الدولتين ص 88 نيل الابتهاج ص 240 - 241

(86) كان التالفي نسبة إلى تالفت ، من جلساء السلطان أبي الحسن وخواصه ووزرائه... وقد ورد ذكره في المسند لابن مرزوق الذي كناه أبا سعيد، ذكره في الباب 35 ص 174-369 من المسند تصحيح د فيغيرا

(87) زيان بن أمديون، هذا صهر للسلطان أبي الحسن وزوج أخته، كان من أقرب المقربين إليه، وكان يبعثه لتفقد المتشكين والمتظلمين في الأقطار البعيدة انظر الحديث عنه في المسند لابن مرزوق وخاصة في الباب الخامس والثلاثين في جلسائه . هذا وقرأ الناشران الاثنان D.S. أمريون بالراء عوض الدال الذي يوجد في باقي المخطوطات. بما فيها مخطوطات المسند لابن مرزوق ص 174-254-354.

(88) ابن سليمان هذا كان مكلفاً بالدفاع عن تونس ضد ابن تيفراجين عندما كان أبو الحسن نفسه محاصراً.

(89) يلاحظ أن الناشرين الفرنسيين الأولين قرأ الأبلبي بضم الهمزة والباء (أُبْلَة العراق) عوض ابلة (AVILLA) بالأندلس ومن ثمت تبعهما سائر الناشرين بمن فيهم العرب! ويعتبر الأبلبي هذا من كبار الشخصيات المغربية والاسلامية وقد ترجم له أكثر من تاليف. وهو محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني المعروف بالأبلبي... انتقل أبوه وعمه من الاندلس فخدما بغمراسن صاحب تلمسان... ونشأ محمد بن ابراهيم بتلمسان ومال إلى محبة (التعاليم) يعني الرياضيات... ولما أخذ يوسف بن يعقوب تلمسان استخدامه ولما عادت تلمسان لأبي حمو أراد أن يكرمه على الوظيفة ففر إلى فاس واختفى هناك عند خلوفا اليهودي شيخ التعاليم فتبحر فيها... ثم دخل مراكش (710 هـ) فنزل على ابن البنا شيخ المعقول والمنقول... وقد ضمه السلطان أبو الحسن لمجلسه العلمي... ويذكر ابن خلدون انه لازمه وأخذ عنه إلى أن توفي بفاس عام 757 وكان من غريب ما حكاه ابن خلدون عنه في المقدمة : أنه أي الأبلبي حضر عند قاضي فاس أيام السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن المليلى وقد عرض عليه أن يختار من بين المداخليل المخزنية لجرايته. فأجاب : من مكس الخمر !! فاستضحك الحاضرين من أصحابه وعجبوا وسألوه عن حكمة ذلك فقال : إذا كانت الجبايات كلها حراماً فأبني اختار منها ما لا يتابعه نفس معطيه ' والخمر قل أن يبذل فيها أحد ماله الا وهو طروب مسرور' خصص له صاحب الابتهاج ترجمة حافلة فلتراجع ص 244 - 245.

ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا إلى جزيرة سرديانية (90) من جزائر الروم، ولها مرسى عجيب، عليه خشب كبار دائرة به، وله مدخل كأنه باب لا يفتح إلا بإذن منهم وفيها حصون دخلنا أحدها وبه أسواق كثيرة، ونذرت لله تعالى إن خلصنا الله منها صوم شهرين متتابعين لأننا تعرفنا أن أهلها عازمون على إتياعنا إذا خرجنا عنها لياسرونا (91) ! ثم خرجنا عنها، بعد عشر إلى مدينة تنس (92)، ثم إلى مازونة (93)، ثم إلى مستغانم، ثم إلى تلمسان فقصدت العباد (95) وزرت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه ونفع (96) به، ثم خرجت عنها على طريق ندرومة (97)، وسلكت طريق أخندقان (98) وبت بزأوية الشيخ إبراهيم.

(90) نزل ابن بطوطة في ميناء كالكلياري Cagliari، ويلاحظ أن الوصف الذي قدمه الرحالة المغربي للميناء المذكور يتفق مع الوصف الوارد في المرشد البحري الذي ألفه ريتزو RIZZO وهو ما تأكد لدي من خلال شهادات أساتذة الجامعة هناك عند زيارتي للجزيرة. - د. التازي الحضور العربي في جزيرة سرديانية مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة ج 74 ذو الحجة 1414 - مايو 1994

(91) ينبغي أن نعيد إلى الذاكرة أن الملكة المغربية كانت قد أبرمت مع بعض قادة أوروبا الجنوبية بمن فيهم حكام سرديانية التي كانت تابعة آنذاك لأرغون بتاريخ 5 شوال 739=15 أبريل 1337، اتفاقية للسلام والتعاون، وقعها السلطان أبو الحسن - وهو مقيم بتلمسان - لفترة عشرة سنوات شمسية على حد تعبير الاتفاقية، ومن هنا يظهر أن تخوف ابن بطوطة كان في محله سيما والفترة انتهت سيما أيضاً وقد سبق له وهو جربة أن أشار لاستيلاء العدو على مركب - د. التازي - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 303/302، ج 7 ص 195/194

(92) تنس بفتحين والسين المهملة، أما النطق العامي بالجزائر، فهو بناء ساكنة تتبعها نون مفتوحة ثم سين ساكنة، وهي من أقدم مدن المغرب الأوسط وتقع على ساحل البحر المتوسط على بعد 204 كم. غربي العاصمة الجزائرية و 161 كم شرقي مدينة مستغانم. المذكورة. - وقد أسس المدينة عام 875-272 م. بعض البحارة من مسلمي الأندلس. وقد تبعت لعدة دول عبر تاريخها

(93) مازونة مدينة صغيرة على بعد 560 م غربي مدينة الأصنام اشتهرت في العصور السابقة بنشاط ثقافي كبير، وكانت مقراً لبابيات الولاية الغربية في فترة العهد العثماني

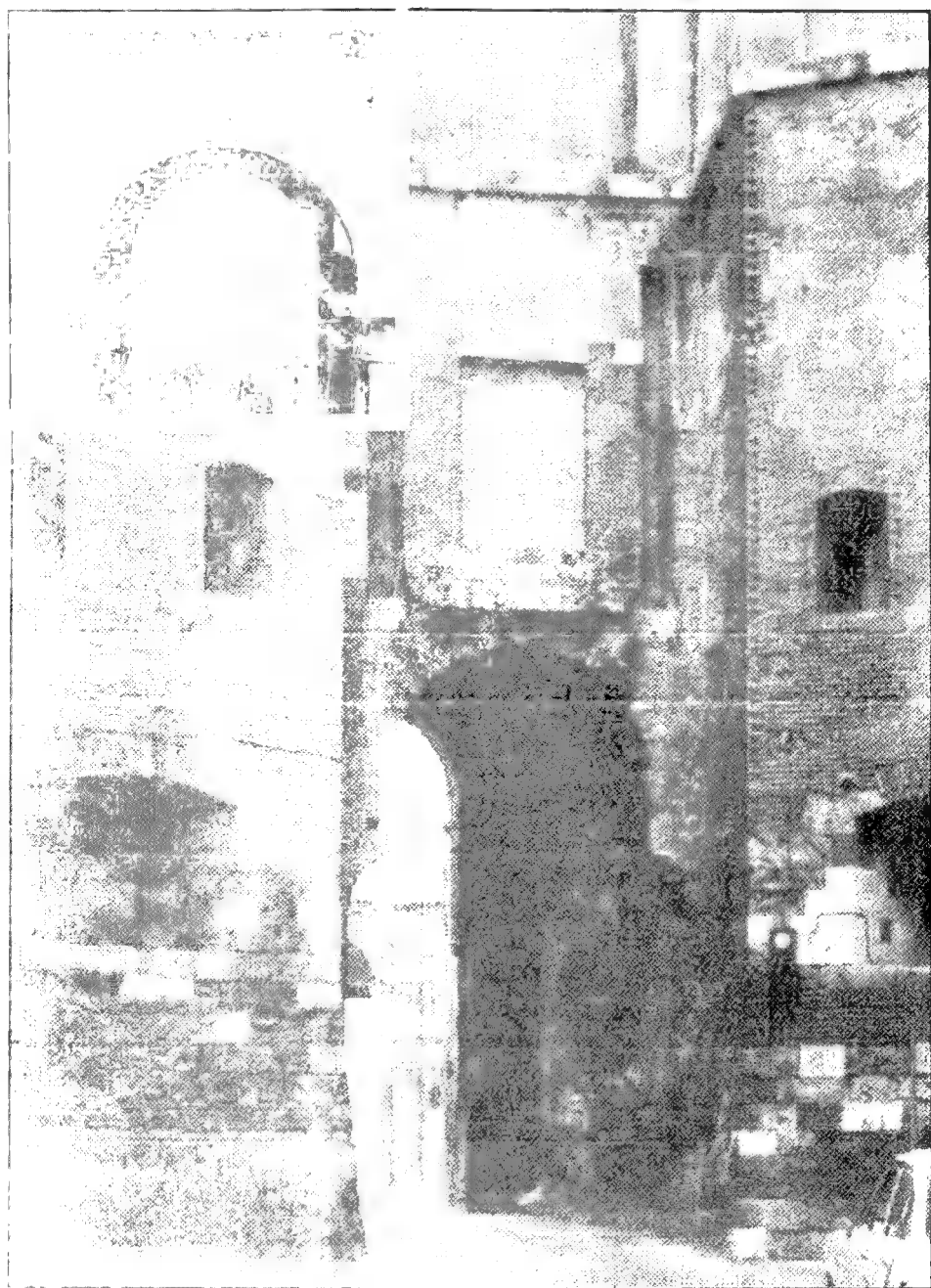
(94) مستغانم، مدينة قديمة تكرر ذكرها عند المؤرخين والرحالة القدامى من أمثال ابن بطوطة، وهي واقعة على شاطئ البحر على بعد 90 كم. شرقي وهران وتعتبر من أهم مدن القطر الجزائري.

(95) العباد قرية تقع شرقي تلمسان على مقربة منها وغالبا ما تدعى سيدي بومدين.

(96) هو أبو مدين شعيب بن الحسين أو الحسن، ولد على مقربة من أشبيلية وتوفي بتلمسان سنة 593=1196 - أخذ بفاس عن أمثال ابن حرزم كما أخذ بالمشرق عن أمثال الشيخ عبد القادر الكيلاني تخرج عليه جماعة من أمثال الشيخ عبد السلام بن مشيش، تعرض للأسر من قبل الروم أثناء جهاده، بنى ضريحه من قبل السلطان أبي الحسن المريني عام 739-1339، وكانت المقبرة تحتضن عددا من الرجال المومقين وقد تحدث ج. مارسلي عن المقبرة في كتابه عن الفن المعماري في الغرب الإسلامي 1954 يراجع التعليق 52 من هذا الفصل.

(97) ندرومة مدينة واقعة في الشمال الغربي من تلمسان في أحد الطرق الواصلة بين هُني وتلمسان وتبعد عنها ب 60 كم.

(98) لم نصل إلى تحديد طريق أخندقان وزأوية سيدي إبراهيم رغم استعانتنا بخريطة 1/2 00 000 ولكن هذه الخريطة أفادتنا من ناحية أخرى وجود موقعين يحملان اسم سيدي إبراهيم الموقع الأول جنوب - غربي ندرومة. والثاني أبعد منها غربيها أقرب إلى الشمال غير بعيد عن الجزر الجعفرية المغربية



صور من مدينة كَلْبَرِي - لبنان

ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب أزغنجان ⁽⁹⁹⁾ خرج علينا خمسون رجلاً وفارسان، وكان معي الحاج بن قريعات الطنجي وأخوه محمد المستشهد بعد ذلك في البحر ⁽¹⁰⁰⁾، فعزمتنا على قتالهم ورفعنا علما ثم سالمونا وسالماناهم، والحمد لله.

ووصلت إلى مدينة تازي ⁽¹⁰¹⁾ وبها تعرفت خبر موت والدتي بالوباء رحمها الله تعالى.

ثم سافرت عن تازي فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبع مائة إلى حاضرة فاس فملت بين يدي مولانا الأعظم الامام الاكرم أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبي عنان ⁽¹⁰²⁾، وصل الله علوه وكبت عدوه، فانستثني هيئته هيبة سلطان العراق، وحسنه حسن ملك الهند، وحسن اخلاقه حسن خلق ملك اليمن، وشجاعته شجاعة ملك الترك، وحلمه حلم ملك الروم، وديانته ديانة ملك تركستان، وعلمه علم ملك الجاوة.

وكان بين يديه وزيره الفاضل ذو المكارم الشهيرة والمآثر أبو زيان ابن ودرار ⁽¹⁰³⁾، فسألني عن الديار المصرية، إذ كان قد وصل إليها، فأجبت عما سأل، وغمرني من إحسان مولانا أيده الله تعالى ما أعجزني شكره، والله ولي مكافاته

⁽⁹⁹⁾ أزغنجان - ورد في (وصف إفريقيا) لأبن الوزان أن أبت أزغنجان قبيبة بربرية استقرت قريبا من الشاطئ بين مليلية ونهر ملوية. يلاحظ أن ابن بطوطة لم يحرك كلمة أزغنجان على ما جرت به عادته. تقع على بعد 15 كم جنوب مليلية ذ التازي. نصيب الأعلام الجغرافية المغربية في رحلة ابن بطوطة، بحث القيتي في ندوة تاريخ الرباط، نونبر 1995.

⁽¹⁰⁰⁾ لم أقف على تعريف لهدين الشخصين اللذين ينتميان إلى أسرة ابن قريعات. ولم ندر عما يقصده بالاستشهاد في البحر.

⁽¹⁰¹⁾ تازة أو تازي مدينة شرقي فاس على بعد نحو من 128 كم يصلها بالبحر المتوسط طريق معبد يخترق جبال كزناية. مدينة من تأسيس المغاربة في القديم، كانت قاعدة مكناسة الشهيرة. وقد اتخذ الفاتحون المسلمون منها حصنا يحمي ظهرهم وينطلقون منه لأداء مهمتهم. كانت ولايتها من نصيب الامام داود بن ادريس عند تقسيم المملكة بين بني ادريس، وكانت محل تناقش بين الدول المتعاقبة على الحكم بالمنطقة. وقد نالت أيام بني مرين عناية فائقة فبنيت بها دار للإمامة، وتعتبر تالة مدينة في المغرب تستحق أن تكون عاصمة كما يقول ابن الوزان ولما ظهرت الدولة العلوية بالمغرب استقر بها السلطان مولاي الرشيد في أيامه الأولى وبها عقد أول اتفاقية له مع فرنسا. وقد انتسب لهذه المدينة عدد من رجال المغرب منهم القضاة والعلماء والأطباء والأدباء والسفراء، والوزراء والأولياء. التازي رسائل مخزنية 1979.

⁽¹⁰²⁾ يلاحظ أن ابن بطوطة بمجرد ما وصل لفاس (6 نونبر 1949) وهي تحتفل بشعبانة مثل بين يدي السلطات أبي عنان (وصلت فملت) الذي كان آنذاك قد استقر بمدينة فاس، بينما كان والده أبو الحسن ما يزال موجودا بتونس.

⁽¹⁰³⁾ فارس بن سبيون ابن ودرار الحسني - وليس ابن ودرار - شخصية سياسية هامة على العهد المريني، وقد تقدم التعرف به في المقدمة كشخصية يرجع لها الفضل في إنقاذ الرحلة من الضياع ابن الأحمر. روضة السنين المنسوبة للملكة ⁽¹⁰⁴⁾ ص 30.



أنا الثريا التي تذا في افسس
 في عام أربعة تسعون تسعين
 على البلاد غنى ملكى الرومان يوا
 من بعد ست من الحين غدا سطرنا

وَأَلْقَيْتُ عَصَى التَّسْيَارِ بَبْلَادِهِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقْتُ بِفَضْلِ الْإِنْصَافِ أَنَّهَا أَحْسَنُ الْبُلْدَانِ لِأَنَّ الْفَوَاكِهَ بِهَا مَتَيْسِرَةٌ . وَالْمَيَاهُ وَالْأَقْوَاتُ غَيْرُ مَتَعَدَّرَةٍ ، وَقُلْ إِقْلِيمٌ يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ مِنْ قَالَ :

334/4

الغربُ أحسن أرضٍ ولي دليلٌ عليه
البدرُ يرقبُ منه والشمسُ تسعى إليه !

ودراهم الغرب صغيرة، وفوائدها كثيرة، وإذا تأملت أسعاره مع أسعار ديار مصر والشام ظهر لك الحق في ذلك، ولا ح فضل بلاد المغرب، فاقول : إن لحوم الأغنام بديار مصر تباع بحساب ثمان عشرة أوقية بدرهم (104) نقرة، والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب، وبالمغرب يُباع اللحم إذا غلا سعره ثمان عشرة أوقية بدرهمين، وهما ثلث النقرة، وأما السمْن فلا يوجد بمصر . في أكثر الأوقات والذي يستعمله أهل مصر من أنواع الإدام لا يُلْتَفَتُ إليه بالمغرب (105)، ولأن أكثر ذلك العدس والحمص يطبخونه في قدورٍ راسيات، ويجعلون عليه السِيرَجَ والبَسِلَاءَ (106)، وهو صنف من الجلبان يطبخونه ويجعلون عليه الزيت، والقرع يطبخونه ويخلطونه باللبن، واليَقْلَةُ الحمقاء يطبخونها كذلك، وأعين أغصان اللوز يطبخونها ويجعلون عليها اللبن، والقُلْقَاسُ (107) يطبخونه، وهذا كله متيسر بالمغرب لكن أغنى الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزبد والعسل وسوى ذلك، وأما الخضر فهي أقل الأشياء ببلاد مصر، وأما الفواكه فأكثرها مجلوبة من الشام، وأما العنب فإذا كان رخيصاً بيع عندهم بثلاثة أرتال من أرتالهم بدرهم نقرة، ورطلهم إثنتا عشر أوقية.

335/4

336/4

وأما بلاد الشام فالفواكه بها كثيرة إلا أنها ببلاد المغرب أرخص منها ثمناً فإن العنب يباع بها بحساب رطل من أرتالهم بدرهم نقرة ورطلهم ثلاثة أرتال مغربية، وإذا رخص ثمنه بيع بحساب رطلين بدرهم نقرة، والإجاص يباع بحساب عشر أواقي بدرهم نقرة، وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية فلوس وهي درهم من دراهم المغرب وأما الخضر فيباع بالدرهم النقرة منها أقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير، وأما اللحم فيباع فيها

(104) يعني أن الدراهم حسنة جيدة قوية - 18 أوقية تعادل تقريباً نصف كيلو و 120 درهم، دينار واحد ذهبي من 6، 4 كرام . وكل هذه المعلومات تؤيدها افادات العُمري في مسالك الألبصار : Gibb, Selex, P. 375 Note 18

(105) حديث طريف عن صحون مصر وقُدُورِها الراسيات بما تحتوي عليه من عدس وحمص وجليبان وقرع ويقل وسيرج وزيت ... آخر كل هذا عن محله لأجل المقارنة.

(106) البَسِلَاءُ : الكلمة من أصل إيطالي (Piselli) ولعل الإشارة إلى الطعمية والمدمس

(107) القلقاس . تقدمت له كتابته بالصاد القلقاص 84، IV.

340/4 (111)، لم أشاهد أحداً أمر بقتله إلا من قتله الشرع في حدٍّ من حدود الله تعالى : قصاص أو حربة، هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف (112)، ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الأعصار، ولا فيما تباعد من الأقطار.

وأما شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن الكريمة من الثبات والإقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادي (103) وغيرهم، لقد سمعتُ خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم، فقال : هكذا ولا فلا : قال ابن جزى، لم يزل الملوك الأقدمون تتفاخر بقتل الأسود وهزائم الأعادي، ومولانا أيده الله كان قتلُ الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الأسد، فإبانه لما خرج الأسد على الجيش بوادي النُّجارين من المعمورة (104) حوز سلا وتحامته الأبطال وفرت أمامه الفرسان والرجال برز إليه مولانا أيده الله غير محتفل به ولا متهيب منه قطعته بالرمح ما بين عينيه طعنة خراً بها صريعاً لليدين والفم (105)، وأما هزائم الأعادي فإنما اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم فيكون حظ الملوك الثبوت والتحريض على القتال، وأما مولانا أيده الله فإنه أقدم على عدوه منفرداً بنفسه الكريمة بعد علمه بفرار الناس وتحقيقه أنه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرُّعب في قلوب الأعداء وانهمزوا أمامه فكان من العجائب فرارُ الأمم أمام واحد ! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (106)، والعاقبة للمتقين، وما هو إلا ثمرة ما يمتنُّ به، أعلى الله مقامه، من التوكل على الله والتفويض إليه.

(111) أول محرم 757 كان يصادف 5 يناير 1356 وهو التاريخ الذي أوشكت الرحلة فيه على نهاية تحريرها...

(112) لم يكن استعمال كلمة «انفساح البلاد واختلاف الطوائف» عبثاً من ابن بطوطة فإن المغرب امبراطورية فعلاً وهو نتيجة لذلك، يحتضن عدداً من الأمم وتلتقي عنده شتى الحضارات، وإن القائد الذي يمكنه أن يحظى فعلاً بوفاء الكل لهو فعلاً قائد يستحق التتويه !!

(103) الإشارة بون شك إلى معركة انكاد (بسيط وجدة) التي جرت في آخر ربيع الثاني من عام 753=15 يونيو 1353، وقد فصل ابن خلدون في عدد من المقاطع (ج. 7-252-598-626) الحديث عن هذه المعركة التي كانت السبب في انقراض امر بني عبد الواد ثانية على حدّ تعبيره وقد جلس أبو عنان لاستقبال الوفود الواردة سواء من تونس أو الأندلس. ونذكر أنه بهذه المناسبة جرى حديث ابن الخطيب مع أبي عنان حول واجب المصارحة التي ينبغي أن يتحلّى بها السفير. د. النازي - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 235-7 ص 14-15 - ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب، تحقيق محمد عبد الله عنان ج 1-216

(104) غابة المعمورة تقع شمال مدينة سلا. وعن وادي النُّجارين يتساءل هل له صلة بوادي سلا أو وادي الزمان كما يسميه المراكشي في المعجب راجع 431. II.

(105) مثل عربي، وقد ورد ضمن شعر : فخرٌ صريعاً لليدين والفم مثل يضرب في الشماتة بالعدو الذي يتمنى أن يقع على قمه وعلى يديه !

(106) القرآن . السورة 5، الآية 64-107 القرآن LY II الآية 21 - LX II الآية 4.

ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه (110) أبده الله تعالى وأحاط علماً بتحصولها، لاج له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة التي غطرد عليها، وجسم له بين الطبيعي والمكتسب منها.

وأما صدقاته الجارية وما أمر به من عمارة الزوايا بجميع بلاده لإطعام الضعفاء للوارد والصادر فذلك ما لم يفعله أحد من الملوك غير السلطان أتابك أحمد (111)، وقد زاد عليه مولانا أبده الله بالتصدق على المساكين بالطعام كل يوم والتصدق بالزرع على المستترين من أهل البيوت¹

346/4

قال ابن جزّي اخترع مولانا أبده اله في الكرم والصدقات أموراً لم تخطر في الأوهام ولا اهتمت إليها السلاطين، فمنها إجراء الصدقة على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام، ومنها تعيين الصدقة الوافرة للمسجونين في جميع البلاد أيضاً، ومنها كون تلك الصدقات خبزاً مخبوزاً متيسراً للانتفاع به، ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشائخ والملازمين للمساجد بجميع بلاده، ومنها تعيين الضحايا لهؤلاء الأوصاف في عيد الأضحى، ومنها التصديق بما يجتمع في مجابي أبواب بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان إكراماً لذلك اليوم، وقياماً بحقه، ومنها إطعام الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم (112) واجتماعهم لاقامة رسمه، ومنها إغذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء (113)، ومنها صدقته على الرُمثى والضعفاء بازواج الحرث (114) يقيمون بها

347/4

(110) حول التوقيعات والعلامات يراجع المجلد الأول من التاريخ الدبلوماسي للمغرب ص 302
(111) حول أتابك أحمد الذي كان سلطان بلاد اللور والذي عمر أربعمان وسنين زاوية والذي نحت الطرق في الجبال والصخور وسواها انظر ج 31، 32
(112) نذكر بأن الملكة المغربية اتخذت من هذه المناسبة مناسبة للاحتفال بعيد المولد منذ عهد بني مرين، وقد أصبح هذا العيد ضمن الأعياد الرسمية للمغرب، وإلى يوسف بن يعقوب بن عبد الحق يرجع تاريخ الظهور الذي صدر إلى سائر عمال المغرب بأقرار الاحتفال بعيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أواخر القرن السابع الهجري. د. التازي لماذا عبد المولد في الغرب الإسلامي. يراجع التعليق 77
د. التازي الإمام يمن وافق حكمه للمغرب استغلال المائة عام دعوة الحق العدد 223 شوال 1402 بوليه 1982، راجع التعليق 77

(113) يلاحظ أن عاشوراء تكتسي في المغرب صبغة ادخال السرور على الأهلين، وكان ذلك يرمز إلى تنسيتهم النكبة التي حلت بحفدة الرسول صلى الله عليه وسلم في كربلاء، وقد اعتاد الشيعة في المشرق أن يقوموا في هذه المناسبة بتظاهرات من شكل آخر تهدف إلى تخصيص الناس بتلك المناسبة الحزينة، ولكن الوسيلة تختلف، ففي المغرب يُفرحون الأطفال لتنسيتهم، وفي المشرق يحرمونهم من الوسائل الترفيهية لتذكيرهم أيضاً¹¹

(114) كل الذين تحدثوا عن أزواج الحرث عرباً وعجماً أخطأوا في معرفة القصد من هذا التعبير المغربي الأصلي، فتعبير (حرث زوجين) يعني مساحة من الأرض على نحو الفدان، وبعضهم قدرها بنحو 15 هكتار، والزوجان هنا ليس الذكر والأنثى كما فهم بعض التراجمة¹² ولكن القصد بها الثوران أو البغلان اللذان يجران المحراث. فكان العاهل يعطي قطعة أرضية مقدار حرث زوجين لكل فرد مع إعفاء الأرض الممنوحة من الوازم الجبائية وقد يكون العطاء أزواجا كثيرة وقد ورد هذا الاستعمال عند ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن، وأورد دوزي نموذجاً: «وهو يقف على أزواج له تحرث بفحص البلوط في ضيعته» أمر أن يجعل صاحب الخراج على كل زوج بحرث ثمانية دنائير أصاب أم لم يصب - وكان قد جعل على كل زوج بحرث ثمانية دنائير وخفف عن الناس وأسقط عنهم ما وضع على الأزواج. وهكذا فترجمة التعبير ترجمة صحيحة Paires de breuils pour labourer la terre

قال ابن جزري : حسب المتشوف إلى علم ما عند مولانا أيده الله من سداد النظر للمسلمين ودفاع القوم الكافرين ما فعله في فداء مدينة طرابلس إفريقية فإنها لما استولى العدو عليها ومد يد العدوان إليها ورأى أيده الله أن بعث الجيوش إلى نصرتها لا يتأتى لبعده الاقطار كتب إلى خذأمه ببلاد إفريقية أن يفدوها بالمال، فقديت بخمسين ألف دينار من الذهب العين، فلما بلغه خبر ذلك، قال : الحمد لله الذي استرجعها من أيدي الكفار بهذا النزر اليسير، وأمر للحين بيعت ذلك العدد إلى إفريقية، وعادت المدينة إلى الإسلام على يديه (118)، ولم يخطر في الأوهام أن أحداً تكون عنده خمسة قناطير (119) من الذهب نزرأ سيرا حتى جاء بها مولانا أيده الله مكرمة بعيدة، ومائرة فائقة قل في الملوك أمثالها وعز عليهم مثالها .

ومما شاع من أفعال مولانا أيده الله في الجهاد إنشاؤه الأجناف بجميع السواحل (120) واستكثاره من عُدو البحر، وهذا في زمان الصلح والمهادنة إعداداً لأيام

(118) كانت مدينة طرابلس تعرضت عام 755=1354 للاحتلال من لدن الأميرال الجنوي فيليبو دوريا Filippo Doria في أبريل 1355 = ربيع الأول 756. وهو مالم تفت الإشارة إليه من لدن ابن فضل الله العمري في موسوعته المسالك والممالك... ونرى من الفائدة أن نشير هنا لما أورده ابن خلدون (ج 6 ص 836) حول هذه الحادثة الخطيرة، فلقد عاث الجنويون في المدينة سلباً ونهباً، وهنا توسط أبو العباس أحمد بن مكي صاحب قابس لافتدائها من المغيرين وقد استعصى عليه ذلك لأنهم طالبوا بدفع مبلغ من المال يقدر بخمسين ألف مثقال من الذهب العين، وحتى لا يترك المدينة عرضة للاحتلال فكر في أن يفتح اكتتاباً يجمع بمقتضاه ما يمكن أن يساعد على تحرير طرابلس، لكنه عجز فعلاً عن أن يحصل على ما يحقق الرغبة، ومن هنا وردت فكرة الاستنجاد بالعاهل المغربي أبي عنان الذي كان يأمل أن يبعث بجيشه لولا بُعد تلك الاقطار... وقد هُنا سلطان غرناطة أبا عنان بهذه المبادرة الشجاعة، الريحانة لابن الخطيب تحقيق عنان 1980 ج. 1 ص. 324.

(119) معنى هذا الكلام أن القنطار من الذهب يساوي أيام ابن بطوطة عشرة آلاف دينار... وليس يعنى على كل حال ما يعنيه القنطار اليوم في استعمالنا !! وفي تاج العروس والقنطار معيار، قيل : وزن أربعين أوقية من ذهب أو ألف ومائتا دينار، وفي اللسان : ومائة دينار، وقيل مائة وعشرون رطلاً أو ألف ومائتا أوقية، عن أبي عبيد : أو سبعون ألف دينار، وهو بلفة بربر ألف مثقال من ذهب أو فضة وقيل ثمانون ألف درهم قاله ابن عباس، وقيل جملة كبيرة مجهولة من المال أو مائة رطل من ذهب وفضة إلى آخر الأقوال التي أوردها والقنطار كلمة معربة من اللاتينية (كنتاله) وقيل من اليونانية (كنتار يوم). د. النعيمي : الفاظ من رحلة ابن بطوطة مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد 24-1974.

- هذا ومن المفيد أن نذكر هنا بما سبق أن قلناه عند حديثنا عن مخطوطة الأمير مولاي العباس وتعليقه على هذا الافتداء منظراً بافتداء الحكومة المغربية لتطوان - انظر د. التازي : رسائل مخزنية ص 29

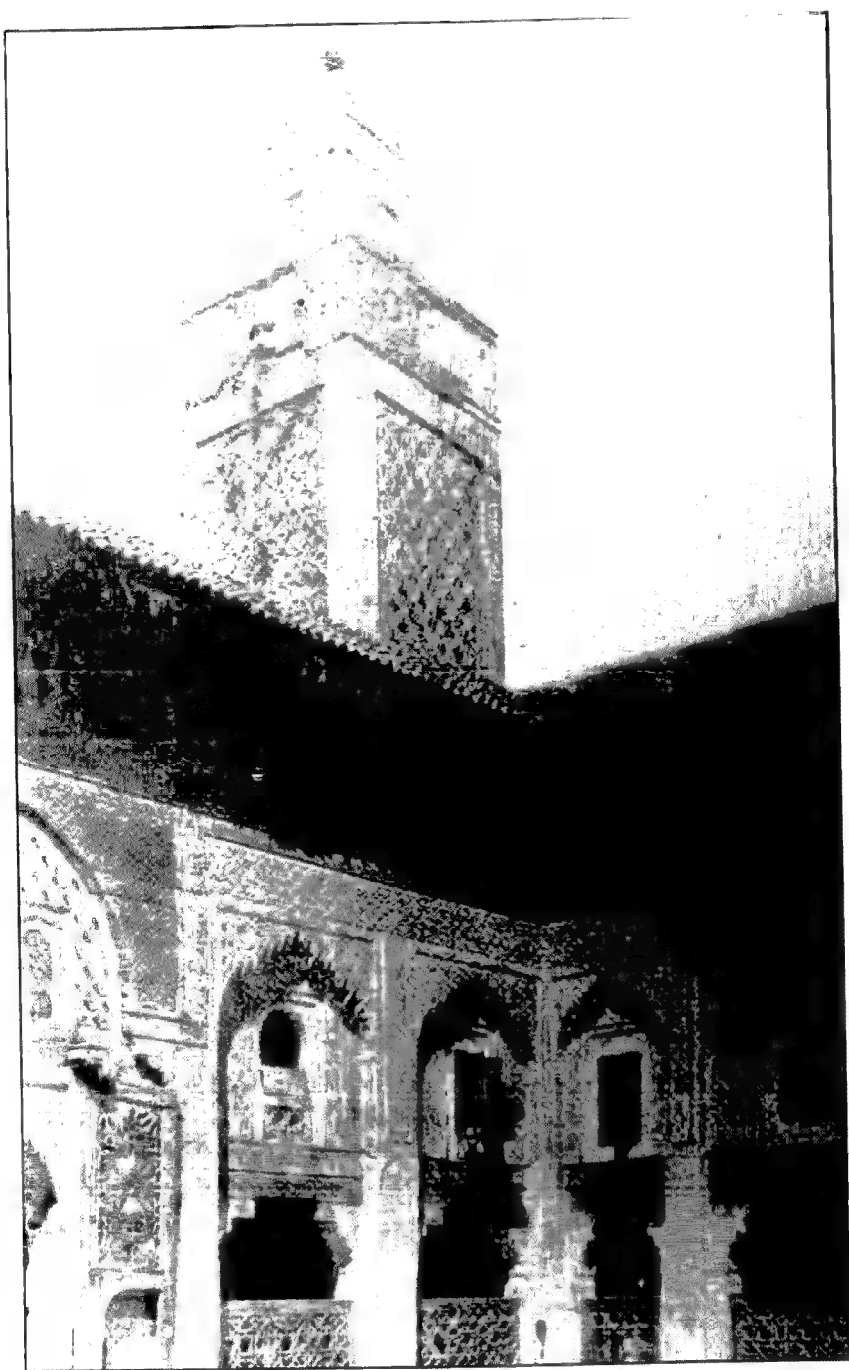
(120) تحدثت مصادر تاريخ المغرب بما فيها القصائد الشعرية عن الأسطول البحري على عهد ملوك بني مرين ومنهم السلطان أبو عنان، وفي ذلك يقول ابن أبي حجة

قطائعها مثل النجوم قلاعها * وغربانها قطع من الليل دامس

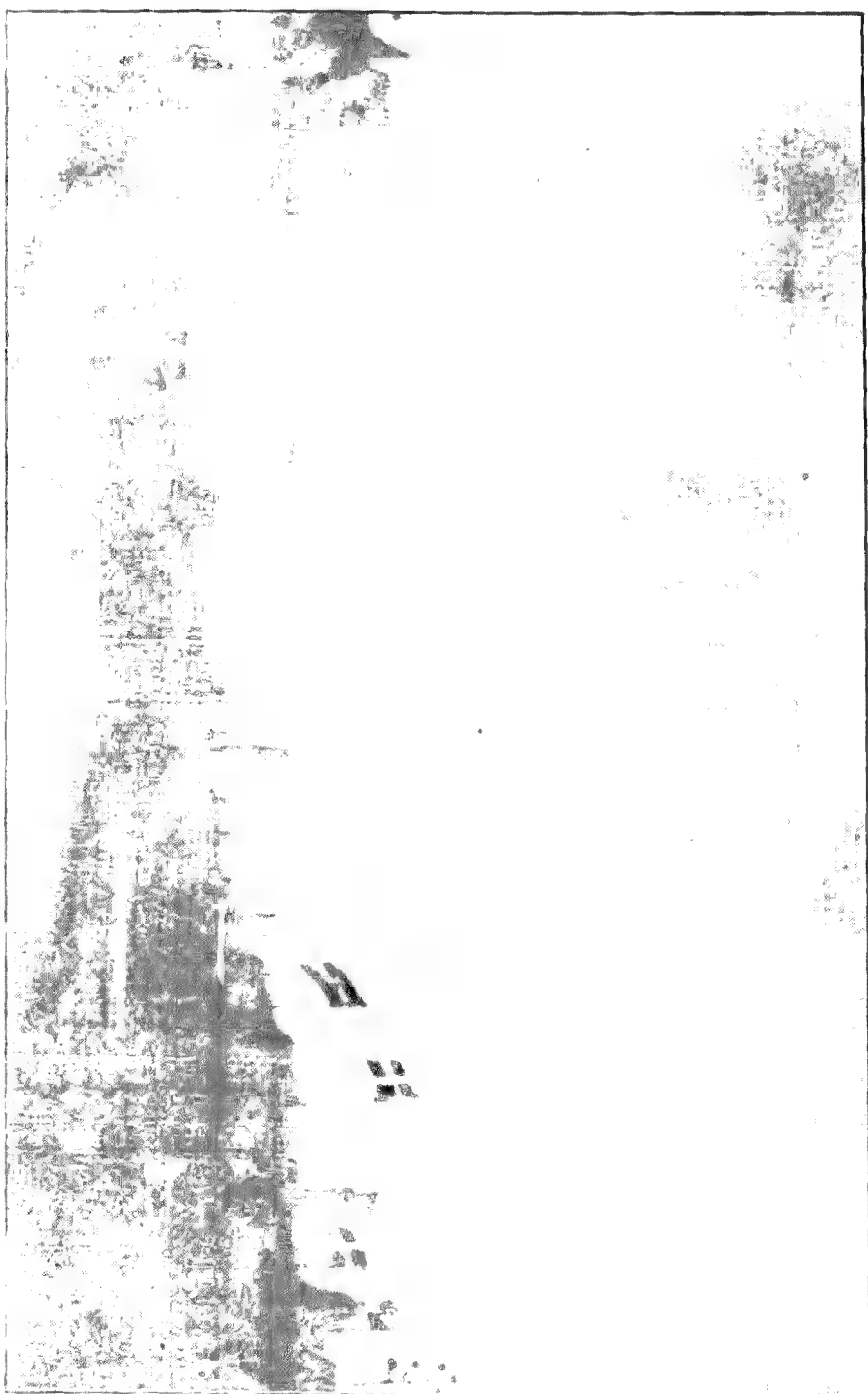
كان مجاذيف الغراب قوادم * يطير بها والنسر في الأفق كائن

يراجع الجزائني في زهرة الأس من ميناء خولان بضاحية فاس - Colin - Bulletin Décembre 1945

Dr TAZI : la presencia de la poesia en la historia del estrecho de gibraltar sociedad Espanola de Madrid. Estudios para la comunicion erja a Través del estrecho de Gibraltar S.A. SECEGSA 1995



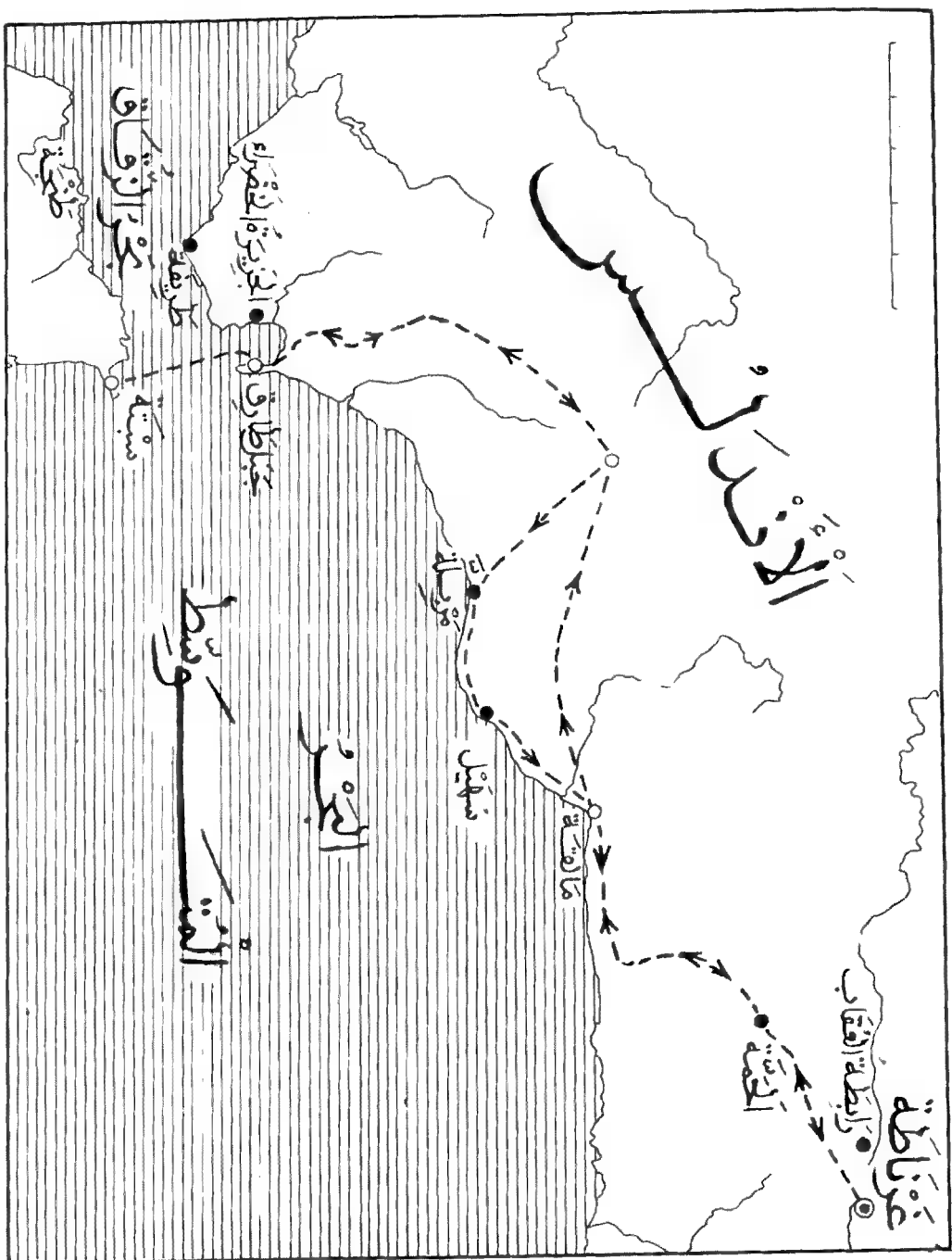
مدرسة أبي حنيفة



الفصل السابع عشر

الرحلة إلى الأندلس

- ـ جبل الفتح في حديث ابن بطوطة
- ـ اهتمام الدولة بالجبل
- ـ المعمار في الجبل... صورة مجسّمة له بالقصر الملكي بفاس
- ـ حضور الشّعْر في الجبل
- ـ الحديث عن رنده... ومربلة
- ـ مالقة - الحَمّة
- ـ غرناطة ومجالسها...
- ـ التّقاء ابن جزي بابن بطوطة لأول مرة !
- ـ حديث عن العَجَم المستوطنين بالمدينة وإهمال لآثار الحمراء !!
- ـ عودته للمغرب ومقامه بمدينة أصيلا ثم التحاقه بمدينة مراكش
- ـ مصاحبة ابن بطوطة لركب أبي عنان الذي حمل شِلُو والده من مراكش لدفنه في شالة الرباط.



وتوجهت إلى مدينة سبتة (1) فاقمتُ بها أشهراً وأصابني بها المرض ثلاثة أشهر ثم عافاني الله فأردت أن يكون لي حظ من الجهاد والرباط، فركبت البحر من سبتة في شطبي (2) لأهل أصيلا (3)، فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى، حيث الأجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن، وكان ذلك أثر موت طاغية الروم أذفونش (4)، وحصاره الجبل عشرة أشهر، وظنه أنه يستولي على ما بقى من بلاد الأندلس للمسلمين فأخذه الله من حيث لم يحتسب ومات بالوباء الذي كان أشد الناس خوفاً منه.

354/4

وأول بلدٍ شاهدته من البلاد الأندلسية جبل الفتح (5) فلقيتُ به خطيبه الفاضل أبا زكرياء يحيى بن السراج الرندي (6) وقاضيه عيسى البربري، وعندنا نزلت وتطوفت معه على الجبل، فرأيت عجائب ما بنى به مولانا أبو الحسن رضي الله عنه وأعد فيه من العدد وما زاد على ذلك مولانا أيده الله، ووددت أن لو كنت ممن رابط به إلى نهاية العمر.

355/4

(1) تعتبر سبتة من أهم الثغور المغربية وانشطها، وقد ارتبط تاريخ المغرب الدولي والحضاري بهذه المدينة التي تعتبر من اقليم تطوان وعندها تجهز طارق بن زياد للعبور إلى القارة الأروبية هذا ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين من المهتمين برحلة ابن بطوطة يرى أن الرحالة المغربي قصد الأندلس في مهمة سياسية عهد بها إليه السلطان أبو عنان؟

(2) الشطبي كلمة من أصل لاتيني، وتعني المركب الذي يحتوي على صاريين، ويهجي باللاتينية هكذا Sajitta هذا وقد اهتم ليقي بروفنصال برحلة ابن بطوطة للأندلس معتمداً على مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتاني التي تحمل في الخزنة العامة بالرباط (المغرب) اليوم رقم 2399، والتي تنقصها الأوراق الخاصة بالأندلس !!

I. Lévi-Provençal : Le voyage d'Ibn Battûta dans le Royaume de Grenade (1350) Mélanges offerts à Wilham Marçais par l'Institut d'Études Islamiques de l'Université de Paris 1950 P. 205-224

II. E. Norris : Ibn Battutah's Andalusian Journey, The Géographical Journal Vo C XXV Part 2, June 1959.

(3) تقع مدينة أصيلا بين العرائش وطنجة على المحيط الأطلسي ولها تاريخ حافل في العلاقات بين المغرب وأنجزيرة الأيبيرية بالرغم من حجمها الصغير، وقد ورد في المثل المغربي (أصيلا صغيرة ومحايها كبار) أي متاعبها وأهوالها كبيرة.

(4) القصد إلى الفرنس الحادي عشر، ملك قشتالة الذي توفي يوم 20 مارس 1350 = 10 محرم 751 أثناء محاصرته لجبل طارق - د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج، 7-87-89.

(5) جبل الفتح أو جبل طارق نسبة إلى طارق بن زياد أول قائد للجيوش العربية التي كانت صحبته، نزله في ربيع 711 = رجب 92 وقد عبر المضيق لفتح إسبانيا وقد انهزم أمامه في الصيف الموالي أوديريك العامل القوطي، ومن ذلك الإسم وردت التسمية الأروبية Gibraltar وقد كان في أبرز المصادر المغربية الأصلية التي تحدثت عن بنائه كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين الذي ألفه ابن صاحب الصلاة في عهد الموحدين، وقد حققه وعلق عليه - د. عبد الهادي التازي - طبعة ثالثة ببيروت 1987 ص 84-88، 83.

(6) القصد إلى الفقيه العالم الصلح الناصح أبي زكرياء يحيى بن أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن ابن يحيى بن عاصم القس (بضم القاف وكسر السين مهملاً) النفزي الحميري الرندي الأصل الفاسي المولد والوفاة المعروف بالسراج، ترجمه ابن القاضي في جذوة الاقتباس فقال عنه - قلما تجد كتاباً في المغرب ليس عليه خطه انتهت إليه رئاسة الحديث وروايته توفي بفاس سنة 805-1403، ودفن مع أبي عبد الله سيدي محمد بن عباد رفيقه وصاحبه داخل باب الفتوح وقال في درة الحجال : له فهرسته وسما ع عظيم، وقال في الروضة المقصودة : بنو السراج بيت علم ودين بالأندلس، وينسبهم إلى حنيفة.

قال ابن جزري: جبل الفتح هو معقل الاسلام المعترض شجاً في خلوق عبدة الاصنام حسنة مولانا أبي الحسن (٧) رضي الله عنه، المنسوبة إليه، وقربته التي قدمها نورا بين يديه، محل عدد الجهاد ومقر اساد الأجناد (٨)، والثغر الذي افتقر عن نصر الايمان وأذاق أهل الأندلس، بعد مرارة الخوف، حلاوة الأمان ومنه كان مبدأ الفتح الأكبر وبه نزل طارق بن زياد مولى موسى بن نصير (٩) عند جوارزه، فنسب إليه فيقال له: جبل طارق، وجبل الفتح، لأن مبدأه كان منه.

356/4

وبقيا السور الذي بناه ومن معه باقية إلى الآن تسمى بسور العرب. شاهدتها أيام إقامتي به عند حصار الجزيرة (١٠)، أعادها الله، ثم فتحه مولانا أبو الحسن رضوان الله عليه، واسترجعه من أيدي الروم بعد تملكه له عشرين سنة ونيفاً، وبعث إلى حصاره ولده الأمير الجليل أبا مالك وأيده بالاموال الطائلة والعساكر الجرارة، وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر، وذلك في عام ثلاثة (وثلاثين) وسبعماية (١١).

(7) شيد جبل طارق عام الخمسمات الثلاث كما يقولون 555 هـ - 1160 م من لدن الخليفة عبد المؤمن الموحيدي. وقد احتل الجبل عام 1309-709 من قبل فيرديناند الرابع ملك قشتالة وقد استرجعه أبو الحسن المربني عام 733=1333 وقام فيه بعدة أعمال ومنشآت كبرى - ن. التازي: الموحدون وجبل طارق من خلال مخطوط قديم، مجلة الافاق، لسان اتحاد كتاب المغرب العربي يناير، مارس 1963
E. Norris - The Early Islamic Settlement in Gibraltar, Journal of Royal Anthropological Institute XC1 Pt2

د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 77

(8) بني جبل طارق من لدن الموحيدين ليكون محطتهم للحكم في القارتين الافريقية والأوربية. قال ابن صاحب الصلاة: (عن سور العرب) وأحكم البناؤون فيه بناء من القصور المشيدة والديار مما هو عجيب في الآثار، وكما قيل: الملوك تبني على قدرها من الأقدار وربما لو عاينها المتقدمون من آل عاد بن شذاد لأقروا للموحيدين بالعجز، وفضلهم على الذين منو القصر من سناداد. وكان الحاج يعيش المهندس قد صنع في أعلاه رجلاً تطحن الأقوات بالريح. ابن صاحب الصلاة، ص 87-88.

(9) موسى بن نصير أبو عبد الرحمان فاتح الأندلس، أصله من وادي القرى بالحجاز كان أبوه نصير على حرس معاوية، ونشأ موسى في دمشق وولى غزو البحر لمعاوية فغزى قبرس وبني بها حصونا. ثم غزا إفريقيا وما وراءها من المغرب واستعمل مولاه طارق بن زياد اللبتي على طنجة وأمره بغزو شواطئ أوروبا. له ترجمة حافلة ملينة بالمفاخر... أدركه أجله بالمدينة المنورة عام 97=715

(10) كان حصار الجزيرة من لدن الفونس الحادي عشر عام 742=1342 بعد انتصاره على السلطان أبي الحسن في طريف - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 83-84.

(11) كان ذلك يوافق 1333، وقد كان الملك فيرديناند الرابع القشتالي استولى عليه منذ عام 709=1309 ومن المهم أن نذكر هنا أن هذه المناسبة هي التي نقل فيها ناقوس كان لكنيسة بالأندلس، نقل إلى فاس حيث أدخلت عليه تحسينات وعلق بالبلاط الأوسط بجامع القرويين في القبة الثامنة، وقد نقش عليه اسم الأمير أبي مالك بن السلطان أبي الحسن وكان قد نقش عليه ظهره كلمات نقشت بالحروف اللاتينية

د. التازي: تاريخ جامعة القرويين 2، ص 359، 87 د - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 79

السلطانية بالسعيد أسعده الله تعالى، وبعث معه أنجاد الفرسان ووجوه القباطل وكفاة الرجال وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم الإقطاع، وحرر بلادهم من المغارم، وبذل لهم جزيل الإحسان.

وبلغ من اهتمامه بأمور الجبل أن أمر - أيده الله - ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور فمُثل أشكال أسواره وأبراجه وحصنه وأبوابه ودار صناعته، ومساجده ومخازن عُدده وأهريه زرع، وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلاً عجيباً أتقنه إتقاناً يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال، وما ذلك إلا لتشوقه أيده الله إلى استطلاع أحواله وتهمُّه بتحصينه وإعداده، والله تعالى يجعل نصر الإسلام بالجزيرة الغربية على يديه، ويحقق ما يؤمله في فتح بلاد الكفار وشت شمل عبادة الصليب، وتذكرت حين هذا التقييد قول الأديب البليغ المفلح أبي عبد الله محمد بن غالب الرُّصافي البُلنسي (16)، رحمه الله، في وصف هذا الجبل المبارك، من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي (17) التي أولها

360/4

361/4

لَوْ جِئْتُ نَارَ الْهُدَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ

قَبَسْتُ مَا شَتَّ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ نُورٍ¹⁶

(16) أبو عبد الله محمد بن غالب الرُّصافي أصله من رصافة بلنسية وإليها نسبت يتحدث عنه غير مصدر من مصادر التاريخ الأندلسي، ويلقب بالرفاء لأنه كان يرفأ الثياب ترفعاً عن التكسب بشعره وعمره المراكشي صاحب كتاب المعجب بالوزير الكاتب، أدركه أجله بمالقة يوم الثلاثاء 19 رمضان عام 572=1177 ابن صاحب الصلاة - تاريخ المن بالإمامة طبعة ثالثة 1987 ص 110 تعليق 2 - الإحاطة 11 ص 505-506-507-515

(17) عبد المؤمن بن علي هو مؤسس الدولة الموحدية، وهو في الواقع الذي جعل من جبل طارق شيئاً يذكر وسمّاه جبل الفتح وحكم المغرب من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي بما في ذلك الأندلس... ولا بد من العودة إلى تاريخ ابن صاحب الصلاة - المن بالإمامة لنقرأ عن ربح الرُّبْح التي أنشأها هناك وعن أنواع الفواكه والثمار التي أصبح الجبل يتوفر عليها على ما أسلفنا تعليق 8 - توفي عبد المؤمن عام 558=1162.

ورثما مسحته من نواحيها
بكل فضل على فؤديه مجرور
وأردت من ثنياه بما أخصدت
منه مقاحم أعواد النهارير
مُحنك خلب الأيام أشطرها
وساقها سوق حادي العير للغير
مُقيد الخطو جوال الخواطر، في
عجيب أمرته من ماضٍ ومنظور
قد واصل الصمت والإطراق مفترقا
بادي السكنة مغبر الأسارير (20)
كأنة مغمد مما تعببده
خوف الوعيدين من دك وتسيير
أخلق به وجبال الأرض راجفة
أن يطمئن غداً من كل محذور "

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المومن بن علي.

قال ابن جزي : ولعد إلى كلام الشيخ أبي عبد الله، قال : ثم خرجت من جبل الفتح إلى مدينة رندة وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وضعا (21)، وكان قائدها إذ ذاك الشيخ أبو الربيع سليمان ابن داود العسكري (22)، وقاضيها ابن عمي الفقيه أبو القاسم

(20) في بعض النسخ المطبوعة للمعجب يوجد مغفر عوض مغبر. هذا ويتبغى العودة إلى (تاريخ المن بالامامة) لابن صاحب الصلاة لاستيعاب ما قيل من الشعر في جبل طارق من لدن عدد من الشعراء، من أمثال ابن المنخل في بانيته وابن سيد الأشبيلي في لاميته وبانيته كذلك والقرشي الطليق في بانيته أيضا ومحمد بن صاحب الصلاة في قافيته. وأغتم هذه الفرصة لأنود بترجمة هذه القصيدة البديعة الصعبة في نفس الوقت إلى اللغات الأروبية ..

(21) ينبغي أن نذكر هنا - ونحن نتنقل مع ابن بطوطة من جبل طارق شمالاً إلى رندة ثم النزول جنوباً من رندة إلى مريلة - ينبغي أن نذكر باتفاق ابرم بين ملك غرناطة وبين ملك فاس على أن يتنازل الأول للثاني على رندة ومريلة وجبل طارق... وهكذا فإن ابن بطوطة يتجول لحد الآن في أراضٍ مغربية ؛ ويلاحظ على الرحالة المغربي أنه لم يعط لمسجد رندة ما يستحقه من الوصف، وقد كانت رندة عاصمة لهذه الأقاليم المغربية

(22) أبو الربيع سليمان يعد من وزراء السلطان أبي عتار وقد كان في صدر المقاتلين ضد الحفصيين عام 756=1355 - ابن الأحمر - روضة السنين المطبعة الملكية الرباط 1411=1991.

قال ابن جزي : لو لا خشيتُ أن أنسب إلى العصبية لأطلت القول في وصف غرناطة. فقد وجدتُ مكانه ما اشتهر كاشتهاها لا معنى لإطالة القول فيه^١ ولله درُّ شيخنا أبي بكر محمد ابن أحمد ابن شبرين السبتي (37) نزيل غرناطة حيث يقول

371/4

رَغَى الله مِنْ غَرْنَاطَةٍ مَسْتَبَوَا
يُسْرُ حَزِيناً أَوْ يُجِيرَ طَرِيدَا
تَبَرَّمَ مِنْهَا صَاحِبِي عِنْدَ مَا رَأَى
مَسَارِحَهَا بِالتَّلَجِ عُذُنْ جَلِيدَا
هِيَ التَّغْفَرُ صَانَ اللهَ مَنْ أَهْلَتْ بِهِ
وَمَا خُيِّرْتُغْفِرُ لَا يَكُونُ بَرُودَا؟

رجع، ذكر سلطانها

وكان ملك غرناطة في عهد دخولي إليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان أبي الوليد إسماعيل ابن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ولم ألقه بسبب مرض كان به (38)، وبعثت إلي والدته الحرة الصالحة الفاضلة بدنانير ذهب ارتفعت بها.

(37) معظم النسخ التي بين أيدينا ترسم (البستي) نسبة إلى بُست (Bost) في أفغانستان التي ينسب إليها أبو الفتح البستي صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها (زيادة المراء في دنياه نقصان)، وهناك نسخة تحمل رقم 2289 ومخطوطة بتونس تحمل رقم 5048 ترسم الكلمة : السبتي نسبة إلى سبته، وقد اعتمدت الروايات الأوربية البستي، وجاء من بعد هذا اللذين إهتموا بالرحلة سواء في مصر أو لبنان أو المغرب فكتبوا البستي بتقديم الباء، وورد مع هؤلاء من تهربوا من ذكر هذا الاسم نباتيا^١ وقد تجلّى من خلال البحث أن القصد إلى السبتي بتقديم السين ويتعلق الأمر بمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ... ابن شبرين (بالباء بعد الشين لا الباء) من مواليد سبته، وانتقل عند كائنة سبته، فاستقر بقرناطة فارتسم بالكتابة السلطانية وولى القضاء بعدة جهات وتنازل مالا وشهرة حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها ... كان تاريخياً مقيداً محققاً لما ينقله وكانت له رحلة إلى تونس، وقد جرى ذكره في كتاب التاج المحلى في مساجلة القدر المعلق لابن الخطيب ... وقد ترجم له كذلك لسان الدين في الإحاطة، وأتى بنماذج من شعره ... أدركه أجله في السبت الثاني من شعبان 747 = 23 نونبر 1346 ودفن بباب البيرة

(38) هو يوسف الأول (1333 - 1354 = 733 - 755) من الدولة النصرية وقد وصفه ابن الخطيب في الإحاطة (4) (318) بأنه ... لباب هذا البيت بواسطة هذا العقد وطراز هذه الحلية ... هذا ولم يفصح ابن بطوطة عن نوع المرض الذي كان يلم بالعامل الغرناطي والذي يلاحظ أن أحداً من المؤرخين لم يشر إليه^٢ ويبدو أن سلطان غرناطة الذي كان يطلب من أبي عنان تأجيل ملاحقه لوالده من مراکش فضلل المرض الدبلوماسي لتجنب الاتصال بهذا الزائر ... وهكذا لم يتمكن رجالنا من زيارة قصور الحمراء ... ومن ثم لم يقدم لنا عنها وصفاً علي نحو ما اعتدنا منه عندما يزور معلمة من المعالم بل لم يكلف نفسه عنا. نقل بعض العبارات المنقوشة كما فعل من أتى بعده من أمثال الغزال وابن عثمان في سفارتهم لإسبانيا عندما نقلوا علاوة على (لا غالب إلا الله) الموجودة في كل مكان، مثل هذه الأشعار

قصر بديع الحسن والإحسان = لاحت عليه جلالة السلطان^٣

ولقيت بغرناطة جملةً من فضلائها منهم قاضي الجماعة بها الشريف الطيغ .
القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني السبتي (39) ، ومنهم فقيهها المدرس الخطيب
العالم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البيهقي (40) ، ومنهم عالمها ومقرنها الخطيب أبو سعيد
فرج بن قاسم الشهير بابن لب (41) ، ومنهم قاضي الجماعة نادرة العصر وطرفة الدهر أبو
البركات محمد بن محمد بن إبراهيم السلمتي (42) البليقي، قدم عليها من المربة في تلك

371/4



(39) القصد إلى شخصية بارزة من ذرية الاشراف الصقليين الحسينيين الذين استقروا بسببة بعد أن
بصقلية ما حل أواخر القرن الخامس الهجري، ولو كنت مكان ابن بطوطة لأضفت عبارة الشهير ببلاد
المغرب بالصقلي على نحو ما فعل وهو يتحدث عن الشريف، بن نفيس الحسيني الكريلائي قاتلاً
الشهير ببلاد المغرب بالعراقي . وقد ترجم له لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة ترجمة واسعة إلا أنه
وقع خطأ مطبعي دون شك في جعله من الحسينيين بفتح الحاء، بينما هو الحسيني، وقد ترجم له كذلك ابن
فرحون في الديباج فضبطه بالحسيني، ونسب إليه كل كمال مشيراً إلى أنه بعد أن عزل عن القضاء
تحيز للكراسى العلمية وتفرغ لإفادة الناس إلى أن أدركه أجله في غرناطة عام 760=1359
ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ج 1
ص 181 وما بعدها عام 1894 = 1974 - ابن فرحون الديباج المذهب، المطبعة الحجرية لقاسم بن
261-260 - القادري لمحة البهجة العلية في بعض أهل النسبة الصقلية، تحقيق ونشر

Umberto Rissotto (Melanges Islamologique T III ITALI)

- الطالب بن الحاج : الإشراف على بعض من حل بقاس من الأشراف، عند ذكر الفصيلة الخامسة
الكاظميين بعد الفصل الرابع الادارسة المحمديون الموسويون العربيون طبعة حجرية.

(40) البيهقي نسبة إلى بيانة (Baéna) يعتبر الإمام أبو عبد الله البيهقي بين الشخصيات الاندلسية التي
فرضت نفسها على الذي ارخو للاندلسيين، وهكذا وجدنا اسمه في التفح كاحد اساتذة القاضي أبي
محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزى (ج 5، 540)، وكذا كاحد شيوخ الرئيس أبي يحيى بن عاصم
148، 6.

(41) ابن لب ترجم له ابن الخطيب في كتابه الإحاطة ووصفه على أنه حامل لواء التحصيل والاضطلاع
بالمسائل، اقرأ بالمدسة النصرية، في 28 رجب 754 - انظر الديباج 2، 139-12 نيل الابتهاج ص 219

(42) البليقي نسبة إلى بليقي (Vellique) بلدة بولاية ألمرية، كان مصدرها من المصادر حول ترجمة ابن
بطوطة على ما نقرأه في الدرر - انظر الإحاطة 2 ص 143 - التفح 5، 471 - الدرر 4 ص 143
الديباج II 269، نيل الابتهاج 254 - وقد تقدم الحديث عنه راجع لـ 20، III 26



جنة العريف عن مجلة ابن مظهرية الإنسانية عدد ١٢٨٠٠٠٠ مديري

غرناطة، وأكرمني أشد الإكرام وتوجهت معه إلى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب، والعقاب جبلٌ مطل على خارج غرناطة، وبينهما نحو ثمانية أميال وهو مجاور لمدينة ألبيرة (47)، الخربة، ولقيتُ أيضاً ابن أخيه الفقيه أبا الحسن علي بن أحمد المحروق (48) بزائوته المنسوبة للجُمام، بأعلى ربض نجد (49)، من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة، وهو شيخ المتسبين من الفقراء.

وبغرناطة جملة من فقراء العجم (50) استوطنوها لشبهها ببلادهم، منهم الحاج أبو عبد الله السمرقندي، والحاج أحمد التبريزي، والحاج إبراهيم القونوي، والحاج حسين الخراساني والحاجان علي ورشيد الهنديان وسواهم.

(47) يوجد في المخطوطات التي بين أيدينا كلمة (التيرة) بالتاء عوض (البيرة) (Elvira) الذي هو الصواب، وهي خربة كما يقول نتيجة - على ما يبدو - لمعركة البيرة التي شاهدها المنطقة سنة 719=1319 بين الأندلسيين والقشتاليين.

(48) أبو الحسن هذا ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة ترجمةً واسعة (4-201-202)، ونعته بشيخ الفقراء السُّفارة والمتسببة بالرباط المنسوب إلى جده حسن الشكل أصيل البيت، مُترَقِّع، حسن البرزة. كان ممن امتحنوا من السلطان وقد عد مشايخه في لائحة طويلة، ويلاحظ أن لسان الذين ذكر في عنوان الترجمة أنه تحدث عن عمه وجده...

(49) نجد : علم جغرافي لموقع بضواحي غرناطة، ويعتبر من أشرف وأطرف منتزهات العاصمة ليتفرج الناس ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد وهو ملاصق لجبل السبيكة... وقد قيل فيها الكثير في الشعر :

يامنْ يحنْ إلى نجد وناديهها × غرناطة قد ثوتْ نجدُ بواديهها
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها × عقيلة والكتيب الفرد جاليهها

ومن شعر سليمان الكلاعي :

أحنُّ إلى نجد، ومن خلّ في نجد × وماذا الذي يُغنى حنيني أو يُجدي "

وقال أحد الطارئين محمد الجبائي :

قضوا في ربى نجد، ففي القلب مرساه × و غنّوا إن أبصرتمْ ثم مفناه "

ومن شعره كذلك

سرتْ من ربى نجد معطرة الرُّيا × يموتُ لها قلبي وأونة تحيى "

الإحاطة II، 317-318. - المقرئ : نفع الطيّب III، 513.

(50) لقطة هامة في تاريخ غرناطة تحدث عن وجود جالية إسلامية من خارج المنطقة، ويتعلق الأمر بطائفة من المسلمين من الذين وردوا على الأندلس من سمرقند وتبريز وقونية وخراسان والهند. وردوا على الأندلس كما كانوا يردون على أطراف المغرب منذ الفتح الإسلامي وقد تضمنت بعض مصادر التاريخ الأندلسي والمغربي عدداً من أسماء المشاركة الذين اختاروا المقام بالمغرب إما للجهاد أو للانقطاع للتجارة، ونذكر من هؤلاء الصوفية فضل الماعفري الذي أخذ عن غالب بن سيد بونه الخزاعي المترجم في الإحاطة الذي كان ثار على سماع الآلة الموسيقية المسماة الشبابة وقد توفي عام 733 كما نذكر سيدي السمرقندي دفين مراكش عام 776=1374 الإحاطة 4 - 239.

ثم رحلت من غرناطة إلى الحمّة، ثم إلى بلش ثم إلى مالقة، ثم إلى حصن ذكوان وهو حصن حسن كثير المياه والأشجار والفواكه (51)، ثم سافرت منه إلى رُنْدَة ثم إلى قرية بني رياح (52) فانزلني شيخها أبو الحسن علي بن سليمان الرياحي وهو أحد كرماء الرجال، وفضلاء الأعيان يطعم الصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة.

ثم سافرت إلى جبل الفتح وركبت البحر في الجفن الذي جُرّت فيه أولاً وهو لأهل أصيلا فوصلت إلى سبتة وكان قائدها إذا ذاك الشيخ أبو مهدي عيسى بن سليمان بن منصور وقاضياها الفقيه أبو محمد الزجندري (53).

ثم سافرت منها إلى أصيلا وأقمت بها شهورا (54)، ثم سافرت منها إلى مدينة سلا (55)، ثم سافرت من سلا فوصلت إلى مدينة مراكش (56)، وهي من أجمل المدن، فسيحة الأرجاء متسعة الأقطار كثيرة الخيرات، بها المساجد الضخمة كمسجدها الأعظم المعروف بمسجد الكتّيبين (57) وبها الصومعة الهائلة العجيبة، سعدتها وظهر لي جميع البلد منها.

(51) حصن ذكوان، هو ما يعرف اليوم بكوين (Coin) المدينة الصغيرة التي تقع على بعد 40 كيلو مترا غربي مالقة في منتصف الطريق بين رُنْدَة ومالقة - النفع 4، 515-516

(52) تقع قرية بني رياح بين رُنْدَة وجبل طارق لكننا لم نصل إلى تحديد موقعها بالضبط

(53) كانت زيارتي لسبتة في 1996/11/29 مناسبة للرجوع إلى ترجمة هذا العالم الجليل الذي ينتسب إلى رُنْدَة (سسوس) وقد تجول عبر الأقطار المشرقية - تولى بعد سبتة قضاء مراكش وبها توفي عام 768هـ، أهمل بروفنسال ذكره وكذا بقية المعلقين ترجمه ابن الخطيب في النفاضة وقال عنه: «حسن الغفلة عن نصيب النفس» أما عن القائد فإن لأسرته ذكرا عند المناقصة على السلطة.

(54) لم نعرف بالضبط عدد الشهور التي قضاها في أصيلا وليس في سبتة كما يقول د. نوريس (Norris) وربما كان هذا الانتظار في أصيلا بدافع الابتعاد عن العاصمة التي كانت تعيش فترة قلقه بسبب تدهور العلاقات بين السلطان أبي الحسن وولده السلطان أبي عنان الذي التحق بمراكش في طلب والده في صفر 751 = أبريل ماي 1350 على ما يذكر الزركشي في كتابه (تاريخ الدولتين)

(55) بالرغم مما يظهر من أن مقامه بسلا كان عابرا إلا أن ما حكاه وهو يزور (القسطنطينية العظمى) (تركيا) - وهو يزور (بلخ) أفغانستان يؤكد أنه لم ينس ذكر رباط الفتح في آسيا الصغرى ولم ينس جامع حسان وهو في خراسان - يراجع ج II - 432، ج III - 59 - تراجع بحثي حول نصيب الاعلام الجغرافية المغربية في رحلة ابن بطوطة، ندوة تاريخ الرباط نونبر 1995

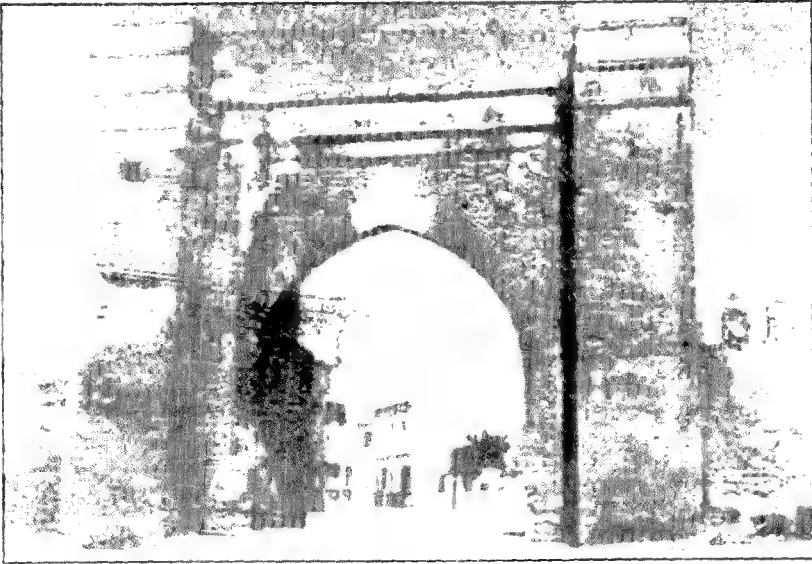
(56) يلاحظ أن ابن بطوطة بالنسبة للمواقع الجغرافية المغربية لم يبق له اهتمام بتحريكها وشكلها على نحو ما كان يفعل مع مواقع في البلاد الأخرى فهو لم يحمل نفسه عناء البحث في أن مراكش تشكل بضم الميم كما يقول قوم أو يفتحها كما يقول آخرون أم أنها ترسم على شكل ثالث كما فعله الأمير بلقين في مذكراته ويلاحظ أن الترجمة الفرنسية أعطت لنفسها الصلاحية لترجمة كلمة (مراكش) بكلمة Maroc عكس الترجمة الانجليزية التي تميز بين اسم المغرب كبلا واسم مراكش كمدينة - التاريخ الاعلام الجغرافية في رحلة ابن بطوطة، بحث قدم لمجمع القاهرة مارس 1996 - المنهل، جدة، مارس 1997.

(57) يبلغ علو صومعة الكتّيبين 67 ميتر وما تزال شامخة إلى اليوم. وعندما نذكر منارة الكتّيبين نذكر منارة حسان (بالرباط) ومنارة الخير الدا (باشيلية) مقرونة بها - فقد اقترن تاريخ بناء الثلاث بأحداث هامة في تاريخ الدولة الموحدية حيث نلاحظ أنها المساجد الثلاثة شيدت شكرا لله على ما أنعم به على الموحدين من ضروب النصر، وخاصة في وقعة الأرك التي ظلت حديث المؤرخين ردا من الزمان

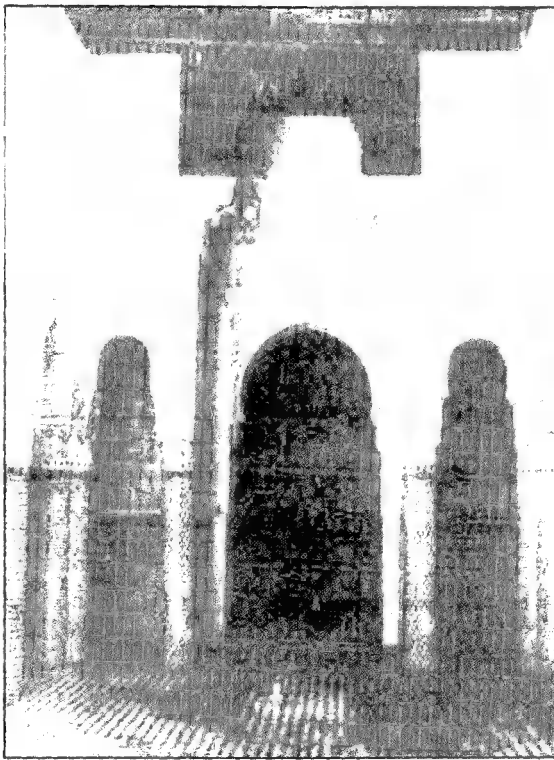
ذ- التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 6 ص 68



الكنيسة بمر الكش



باب المريسة المريني بسلا



صحن المدرسة البوعنانية بسلا

الفصل الثامن عشر

الرحلة إلى بلاد السودان

- ١ نحو مدينة سجلماسة، وصف المدينة
- ٢ أصحاب التكشيف في مسوفة وشياطين الصحراء !
- ٣ إلى تغازي مدينة الملح
- ٤ الوصول إلى ايوالآتن : أول عمالة السودان
- ٥ الحديث عن مركز المرأة في ايوالآتن
- ٦ نحو مالي حضرة بلاد السودان
- ٧ حديثه عن ملك مالي الذي أقام مجلس عزاء للسلطان أبي الحسن...
- ٨ حديث ابن بطوطة عن وادي النيجر الذي اعتقد أن له صلةً بالنيل !
- ٩ حديثه عن أكلة لحوم البشر "
- ١٠ حديثه عن حج السلطان منسي موسى...
- ١١ وصول البريد لابن بطوطة بالعودة إلى المغرب.
- ١٢ اجتماعه بالسلطان أبي عنان الذي أصدر أمره بانتساخ الرحلة

ثم سافرت من مراكش صحبة الركاب العليّ. ركاب مولانا أيده الله فوصلنا إلى مدينة سلا، ثم إلى مدينة مكناسة العجيبة الخضيرة النضرة ذات البساتين والجنّات المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا إلى حضرة فاس حرسها الله تعالى، فودعت بها مولانا أيده الله.

وتوجهتُ برسم السفر إلى بلاد السودان (1) فوصلت إلى مدينة سجلماسة (2)، وهي من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب، وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة أطيب، وصنف إزار (3) منه لا نظير له في البلاد، ونزلت منها عند الفقيه أبي محمد البشري (4) وهو الذي لقيت أخاه بمدينة قنجنف من بلاد الصين (4) فبدا شداً ما تباعداً فأكرمني غاية الأكرام واشترت بها الجمال وعلفتها أربعة أشهر.

377/4

ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين (5) في رفقة مقدّمها أبو محمد يندكان المسوّفي رحمه الله، وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم، فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوماً إلى تغارّي (6) وضبط اسمها بفتح التاء المثناة والسين المعجم وألف وزاي مفتوح أيضاً، وهي قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح! وسقفها من جلود الجمال! ولا شجر بها، إنما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض

378/4

(1) يتحدث بعض المعلقين سواء من العرب أو غيرهم، عن أن هذه الرحلة من ابن بطوطة إلى بلاد السودان كانت بتكليف من السلطان أبي عنان في مهمة خاصة الأمر الذي تدل عليه بعض المؤشرات منها وصول بريد خاص له وهو في تكداً من لدن السلطان أبي عنان يطلب إلى ابن بطوطة العودة إلى العاصمة. يراجع التعليق الآتي رقم 133.

(2) سجلماسة : مدينة عتيقة أنشأت سنة 140=757م ظلت المحطة الأساسية للتجارة إلى أوائل القرن الذي ولى زيارة ابن بطوطة... الخرائب توجد غرب الريصاني في تافيلالت يسار ساحل وادي زيز، ويتساءل هنا لماذا لم يأخذ ابن بطوطة طريقه إلى السودان مباشرة من مراكش مثلاً هناك من يعتقد أن ذلك الانعراج كان بسبب أن هناك مصاعب سببها بنو معقل الذين كانوا يحولون دون عبور القوافل عبر غرب الأطلس ووادي سوس، والذي اعتقده أن ابن بطوطة كان عليه أن يصحب الركب العبّاني الذي يحتمل شلو السلطان أبي الحسن إلى شالة -د. التازي : القبائل العربية بالمغرب 1997 Textes et Documents relatifs à l'histoire de l'Afrique : extraits tirés des voyages d'Ibn Battuta, trad. Annotée par R. Mauny, V. Monteil, Djenidi Robert et Devisse, Histoire n° 9 Université de DAKAR, 1966, P35 N° 1.

(3) إزار : هناك قرية تحمل إسم إزاره توجد على مقربة من موقع سجلماسة قلعل الكلمة مأخوذة منها، وقيل إن إزار كلمة بربرية تعني التمر الذي ينضج مبكراً...

(4) يراجع IV، 282.

(5) يوافق 18 يبرابر 1352.

(6) مملكة تغارّي تقع شمال غربي تاودني وقد جعل أبو عبيد البكري موقعها على بعد عشرين مرحلة من سجلماسة، وقد تركت في القرن العاشر الهجري = القرن 16 الميلادي وأجرى عليها تنقيب عام 1950 - هذا ويتحدث هيرودوت وبلين عن البناء بالملح حيث لا توجد أمطار كافية لادابتها.

يحمل الجمل منها لوحين (7)، ولا يسكنها إلا عبيد مسوفة (8) الذين يحفرون على الملح، ويتعيشون بما يُجلب اليهم من تمر درعة (9) وسجلماسة، ومن لحوم الجمال، ومن أنثي (10)، المجلوب من بلاد السودان، ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح، ويبيع الحمل منه بايوالأتين (11) بعشرة مثاقيل إلى ثمانية (12)، وبمدينة مالي بثلاثين مثقالاً إلى عشرين وربما انتهى إلى أربعين مثقالاً.

وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به. وقرية تغارزى على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر، وأقمنا بها عشرة أيام في جهد لأن ماءها زعاق وهي أكثر المواضع ذباباً، ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها (13) وهي مسيرة عشر لا ماء فيها إلا في النادر، ووجدنا نحن بها ماء كثيراً في غدران أبقاها المطر، ولقد وجدنا في بعض الأيام غديراً بين ثلثين من حجارة ماء عذب فتروينا منه وغسلنا ثيابنا.

والكمأة بتلك الصحراء كثيرة، ويكثر القمل بها، حتى يجعل الناس في أعناقهم خيوطاً فيها الزئبق فيقتلها (14) وكنا في تلك الأيام نتقدم أمام القافلة فإذا وجدنا مكاناً، يصلح

379/4

(7) نفس الوصف عند البكري.

Recueil des sources ARABES Concernant l'Afrique occidentale du VIIIe au XVIe Siècle (Bilad AL-Sudan) Trad et notes par Josef n. etouq Ed. di C.N.R.S. 1985 P. 291.

(8) مسوفة قبيلة من صنهاجة، كان أهلها يعيشون في القرن الخامس الهجري = القرن الحادي عشر الميلادي، كإخوانهم لمتونة بشمال نهر السينغال، ويعتقد أنهم جاؤا إلى هناك من تندوف حوالي القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وهي الفترة التي استولوا فيها على مملكة تغارزى. وقد انتزعت منهم في القرن اللاحق من لدن البرابيش. انظر المصدر السابق ص 292 تعليق 5 - راجع IV 76.

(9) وادي دزعة (واد ذرا) جنوب الأطلس الصغير حيث تنحدر مياهه إلى الوادي.

(10) أنثي (Pennisetum Typhoideum) نوع مما يعرف تحت اسم Mil أو Millet وقد تقدم ذكره IV 130 314, II 112.

(11) إيواالأتين بزرزة للاسم المالينكي (Malinke)، وكلمة ولأته تعريب للكلمة المالينكية (والاً) بمعنى مكان الظل تُرقبُ التعليق الآتي رقم 25.

(12) نذكر أن وزن دينار واحد كان يعادل مثقالاً واحداً يعني 4.5 كرام ذهبي.

(13) تذكرني هذه الفقرة من ابن بطوطة فيما عرف في الصحراء باسم (الحوض) فقد كانت هناك ظاهرة صنع السقائين للأحواض بمختلف الأحجام : يصنعونها من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام، يسقون بها الجمال ويملاؤن الروايا والقرب، ولكل أمير حوض يسقى منه جماله وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقي جملة وملء قريته بشيء معلوم من المال على نحو ما حكاه ابن بطوطة عن التزوّد بالماء استعداداً للصحراء المخوفة بين الغلا وتبوك. انظر I 258.

(14) الكمأة هي (الترفاس) عند المغاربة تعظم عندهم حتى يتخذ فيها الأرنب جُحره. هكذا في البكري ص 182، وقد ورد عند الإدريسي التعبير التالي ص 108 "وأخبر بعض الثقات من متجولي التجار إلى بلاد السودان أن بمدينة أودغشت بنبت بأرضها بقرب مناطق المياه المتصلة بها كمأة، يكون في وزن الكمء ثلاثة أرباط وأزيد وهو يجلب إلى أودغشت كثيراً، يطبخونه مع لحوم الجمال ويأكلونه ويرغمون أن ما على الأرض مثله وقد صدقوا".

هذا وقد استخدم الفيزانيون العرب الزئبق لعلاج أمراض الجلد ويستعملوه مرهمًا بغرض محاربة الطفيليات الجلدية مثل القمل والصنبيان والقراد. القزويني عجائب المخلوقات القسم الثالث في الأجسام الذهنية.

وكان له قلب ذكي. ورأيت من العجائب أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق (20) !

واكترينا التّكشيف في هذه السفرة بعانة مثقال من الذهب. وهو من مستوفة، وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشّرنا بذلك. وهذه الصحراء منيرة مشرقة ينشرح الصّدر فيها وتطيب النفس. وهي أمنة من السّراق. والبقر الوحشية (21) بها كثير يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنّشاب. لكن لحمها يؤلّد أكله العطش فيتحاماه كثير من الناس لذلك. ومن العجائب أن هذه البقرة إذا قُتلت وجد في كروشها الماء (22)، ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها ويشربون الماء الذي فيه والحيّات أيضاً بهذه الصحراء كثيرة.

383/4

حكاية [ملاعب الحيّات]

وكان في القافلة تاجرٌ تلمساني يعرف بالحاج زيّان. ومن عادته أن يقبض على الحيّات ويبحث بها، وكنت أنباهه عن ذلك فلا ينتهي. فلما كان ذات يوم أدخل يده في جحر ضب ليخرجه، فوجد مكانه حية فاخذها بيده وأراد الركوب فلسعته في سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فكويّت يده وزاد ألمه عشيّ النهار فنحر جملأً وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم أصبعه فقطعها من الأصل. وأخبرنا أهل مسوفة أن تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل أسبوعه ولو لم تكن شربت لقتلته (23) !

384/4

ولما وصل إلينا الذين إستقبلونا بالماء شربت خبّلتنا. ودخلنا صحراء شديدة الحر ليست كالتي عهدنا. وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسري الليل كلّ وننزل عند الصباح.

385/4

(20) هناك عدة مراجع عن وجود عُيَمان يمكنهم أن يكونوا أدلاء للمبصرين في الصحراء. يستعينون بحاسة الشم لمعرفة الأرض التي يسلكونها لمعرفة مواقع الماء ونادراً ما كانوا يخطنون.
د. صلاح جرّار، طريقة القراءة عند المكفوفين بصرياً في قصائد من الشعر الأندلسي، الجامعة الأردنية عمان 1995

(21) القصد إلى المها (ADDAX NASOMACULATUS)

(22) الحديث عن شرب الماء الذي يوجد في جوف هذه الحيوانات سبق أن فرقه بعض الباحثين المؤلفين. بيد أن هذا الأمر يتعلق بالجمال وليس بالبقر الوحشي، أما عن مستوفة حملة اللثام فقد تقدم الحديث عنهم في IV، 381-380-378-303-76

(23) وسيلة العلاج هذه مازالت إلى الآن مستعملة في بعض جهات الجزائر في الكركور اقليم سطيف، حيث يذبح ديك مثلاً ويوضع العضو المصاب في معدته انظر (Mauny) ص 40 تعليق 6

وانصرفوا، فقلت لهم : ألهذا دعانا الأسود؟ قالوا : نعم ! وهو الضيافة الكبيرة عندهم (29)، فأيقنت حينئذ أن لا خير يرتجى منهم، وأردت أن أسافر مع حجاج أيوالأتن، ثم ظهر لي أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم.

387/4

وكانت إقامتي بأيوالأتن نحو خمسين يوماً وأكرمني أهلها وأضافوني، منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن يتومر، وأخوه الفقيه المدرس يحيى. وبلدة أيوالأتن شديدة الحر، وفيها يسير نخيلات يزدعون في ظللها البطيخ، وماؤهم من أحساء بها، ولحم الضأن كثير بها، وثياب أهلها حسانٌ مصرية، وأكثر السكان بها من مسوفة، ولنسائهم الجمال الفائق وهن أعظم شأنًا من الرجال (30).

ذكر مسوفة الساكنين بأيوالأتن.

وشأن هؤلاء القوم عجيب، وأمرهم غريب، فأما رجالهم فلا غيره لديهم ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه، وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد الملّيتار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات، وتعلم الفقه وحفظ القرآن، وأما نسائهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجن مع مواظبتهم على الصلوات، ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج، ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها!

388/4

والنساء هناك يكون لهنّ الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبية ويدخل أحدهم داره فيجد إمرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك (31).

389/4

(29) يعتقد بعض المعلقين أن هذا النوع من التقديم للطعام لا يعني شينا ضد الضيف ! بل إنه يعبر عن حب له وعدم الكلفة معه يعبر عن تقاليد وطنية على نحو ما يقدم المفاربة الحليب والتمر لكبار الضيوف... - هذا وكلمة منشاجو تعني عبد السلطان.

(30) لقطة كثيراً ما يستشهد بها اللذين يتحدثون عن مركز المرأة وبورها في المجتمع الإسلامي، ونحن نعرف أن المستوفيات هن اللواتي كن يشرفن في بعض الفترات على استغلال مملحة تغارزي، فإن سكان المدينة بعد أن يبيعوا الملح ويأخذوا ما يكفي لحاجتهم يسلمون الباقي للسيدات... د.التازي - المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي نشر FRIEDRICH EBERT Stiftung والفنك -الدار البيضاء 1413=1992 ص 21 - التعليق 4.

(31) كآني بابين بطوطة ينقل عمّا سيكتبه - بعد قرون - المهدي الغرّال عند ما سقر عام 1179=1766 بين ملك المغرب وملك اسبانيا !! ج 1 ص 270، د. التازي التاريخ الدبلوماسي ج 1 ص 270

حكاية [القاضي وصاحبه]

دخلت يوماً على القاضي بإيوالاتن بعد إذنه في الدخول، فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن، فلما رأيته ارتبّت وأردت الرجوع، فضحكتني ولم يدركها خجل، وقال لي القاضي: لِمَ ترجع؟ إنها صاحبتني، فعجبت من شأنهما، فإنه من الفقهاء الحُجَّاج وأخبرت أنه إستانذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبتيه، لا أدري أهي هذه أم لا فلم ياذن له . . .

390/4

حكاية نحوها

دخلت يوماً على أبي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعداً على بساط وفي وسط داره سرير مظلل، عليه امرأة معها رجل قاعد، وهما يتحدثان، فقلت له: ما هذه المرأة؟ فقال: هي زوجتي، فقلت: وما الرجل الذي معها؟ أجبها؟ فقال: هو صاحبها! فقلت له: أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع؟ فقال لي: مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها، ولسن كنساء بلادكم! فعجبت من رعونته وانصرف عنه، فلم أعد إليه بعدها، واستدعاني مرات فلم أجبه.

391/4

ولما عزمنا على السفر إلى مالي وبيننا وبين إيوالاتن مسيرة أربعة وعشرين يوماً للمجدد إكترت دليلاً من مسوفة إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة لأمن تلك الطريق وخرجت في ثلاثة من أصحابي.

وتلك الطريق كثيرة الأشجار، وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها (32)، وبعضها لا أغصان لها ولا ورق، ولكن ظلّ جسدها بحيث يستظل به الإنسان، وبعض تلك الأشجار قد إستانسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكانها بئر! ويشرب الناس من الماء الذي فيها، ويكون في بعضها الدمل والعسل فيشتاره الناس منها، ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حاكاً قد نصب بها مرمته وهو ينسج فعجبت منه!

392/4

قال ابن جزى: ببلاد الأندلس شجران من شجر القسطل في جوف كل واحد منهما حاك ينسج الثياب: أحدهما بسند وادي أش، والآخر ببشّارة (33) غرناطة.

(32) القصد من شك إلى الشجر الاستوائي العريض الجذع الذي يحمل اسم BAOBAB في ثمره لب يؤكل.

(33) وادي أش (Guadix) شمال شرقي غرناطة، والبشّارة (ALPUJARRAS) مرتفعات جبلية بين غرناطة والبحر.

بأنثى واللبن والدجاج ودقيق الثبق (38) والأرز والفوني (39)، وهو كحب الخردل، يصنع منه الكسكسو (40) والعصيدة (41)، ودقيق اللوبيا (42)، فيشتري منه ما أحب من ذلك، إلا أن الأرز يضر أكله بالبيضان، والفوني خير منه.

وبعد مسيرة عشرة أيام من إيوا الأتّن وصلنا إلى قرية رَاغَرِي (43)، وضبطها بفتح الزاي والغين المعجم وكسر الراء، وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونُجْرَاتَة (44)، بفتح الواو وسكون النون، وفتح الجيم والراء والف وتاء مثناة وتاء تانيث، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية (45) من الخوارج ويسمون صَفَنَعُو بفتح الصاد

395/4

(38) الثَّبَق باللهجة المغربية يكون على مقدار الحمص تقريباً، وفيه نوع أكبر يسمى في المغرب الرُّفْرَف (du-bib) ويسمى بالعربية الفصحى الغُنَّاب. ويشبه به الشعراء أطراف أصابع العذاري.

(39) يلاحظ وجود الأرز في بلاد السودان الغربي - الفوني : فوني *Digitaria exilis* وهو كما يقول العُمري - بنت مزغَب يدرس فيخرج منه شبيه حب الخردل أو أصغر وهو أبيض، يغسل ثم يطحن ثم يعجن ويؤكل مسالك الأنصار - السفر الرابع ص 36.

(40) يبدو أن ابن بطوطة أول من استعمل هذا اللفظ بهذه الصيغة الكسكسو وبها ورد في شعر ابن أجروم (ت 772 هـ) عندما استدعى زميله الماجري لتناول الكسكسو بالقديد واللفت وقد ورد ذكره في ترجمة أبي العباس أحمد المقرئ الذي زار القدس وكان الزوار اعتادوا ألا يتناولوا عنده إلا الكسكس. كما ورد في مذكرات السفير الزاياني وفي محاضرات اليوسى وبكثر التعليق على أصل هذه الكلمة سيما بعد أن أصبحت تنطق هكذا الكسكس! ويعتبر الكسكس الصحن المألوف في كل بيت مغربي بما فيه من أنواع تتجاوز العشرة. ويعتمد على سميذ القمح أو الشعير أو الذرة أو أنثى مع اللحم - د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب - ج II ص 308. د. شقور الشعر المغربي في العصر المريني 1996.

(41) العصيدة نوع من الطعام يرتكز كذلك على السميذ والدقيق على نحو الكسكس وهي غير الدشيشة طعام سيدنا إبراهيم لضيوفه (يراجع تفسير قوله تعالى وجاء ضيف إبراهيم... الآية).

(42) ليس القصد إلى اللوبيا التي وردت من أمريكا ولكن القصد إلى ما يعرف بـ : فاصوليا اليونان أو اللَاتِن (PHASIOLOS) اللوبيا العربية معروفة في السودان تحت إسم نبيي (Niébe).

(43) رَاغَرِي هو ماسينا الغربية المسمّى ديا غارا Diaghara من قبل المانديكا، ودياكارى Diagari من قبل البيول Peuls. هذه بلاد دياكا Diaga أو ديا Dia الاسم الذي أعطى للأقليم وكذلك لقاعدته التي توجد الآن على مقربة من ديفارابي Diafarabé - Mauny - Texte 46 N° 8.

(44) ونُجْرَاتَة، هي ونُقارة عند الإدريسي التي يقول عنها من جملة ما يقول : بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة (كثرة ذهبها) وهي جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً. واشترى أكثره (الذهب) أهل وارقلان، وأهل المغرب الأقصى وأخرجوه إلى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنائير ويتصرفون بها في التجارات والبضائع. وأرض ونُقارة فيها بلاد مغمورة ومعقل مشهورة وأهلها أغنياء. الإدريسي. النزهة، الجزء الأول ص 24 - طبعة معهد الدراسات الشرقية نابولي.

(45) كان وجود الإباضية قويا بإفريقيا الشمالية في القرون الأولى للهجرة حيث بلغ الأمر إلى حد تكوين دولة إباضية في المغرب الأوسط : دولة الرستميين في تيهرت وبعد أن سقط الرستميون في بداية القرن الرابع وجدنا أن بعض الجماعات الإباضية تصمد في وارجلان. ثم في مزاب إلى أيامنا. ومن هؤلاء وجدنا مذهب الإباضية يتسلل عبر القوافل التجارية الصحراوية إلى بلاد السودان. ومن المهم أن نذكر بهذه المناسبة جلسة مفيدة حضرتها كمستشار خاص (AD HOC) في محكمة العدل الدولية بلاهاي بروليه عام 1975 عن مدى التأثير الإباضي في كل من الجزائر والمغرب وموريتانيا لمعرفة الحقيقة حول من هو «المعنى» بقضية الصحراء الغربية. - د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 10 ص 238 - ندوة الامام مالك بفاس 1981 - راجع II 226.

بلدة مولي (52)، بضم الميم وكسر اللام من بلاد اللّيمين (53) وهي آخر عمالة مالي. ثم إلى يوفي (54)، واسمها بضم الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسورة، وهي من أكبر بلاد السودان، وسلطانها من أعظم سلاطينهم، ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونهم قبل الوصول إليها؛ ثم ينحدر (55) منها إلى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية، ثم إلى دنقلة (56)، وهي أكبر بلادهم وضبطها بضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام، وسلطانها يدعى باین كنز الدين، أسلم على أيام الملك الناصر (57) ثم ينحدر إلى جنادل (58)، وهي آخر عمالة السودان، وأول عمالة أسوان (59) من صعيد مصر.

ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل، كانه قارب صغير. ولقد نزلت يوماً إلى النيل لقضاء حاجة، فإذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر

(52) مولي تقع على ساقلة نهر النيجر، ولكنه لا يُعرف هل إن الأمر يتعلق بمدينة أو جنس توري (Mouri) الذي يعيش في منطقة دُستو (Dosso) جنوب جمهورية النيجر الحالية حيث إقليم نيامي (Niaméy) (Gibb, Selections p. 379 - N. 14 - Beckingham -

(53) اللّيمين أو التمانم حسب مختلف المؤلفين العرب، أو اللّئم، يقول البكري: وإذا سار السائر من بلاد كوكو (كاو Gao) على شاطئ البحر غرباً انتهى إلى قبيلة يقال لها الدمدم، ياكلون من وقع إلبهم ولهم سلطان كبير وملوك تحت يده، - انظر II، 192 - تعليق IV، 68 - 428 ت 100 - خليفة عباس العبد الزبير باشا - مركز الدراسات السودانية - القاهرة 1995 ت 100.

(54) (يوفي) علم جغرافي مريب! يظهر من ابن بطوطة II - 193 أنه على بعد شهر من مدينة سفالة (في الموزامبيق) وأنه يوجد هناك تبر الذهب. قال ابن بطوطة: إن (يوفي) في بلاد اللّيمين بسفالة، على مسافة سير تقدر بشهر... هناك إذن تساهل في تحديد الأمكنة بإفريقيا الشرقية والغربية. ويظهر أن (يوفي) يتناسب ومملكة النوبة. انظر خريطة إفريقيا

I. Chao - Reenen U.P. 300-478 - Beckingham 255 N. 38.

(55) حول قوله ثم ينحدر منها إلى بلاد النوبة! يراجع التعليق رقم 47.

(56) مملكة دنقلة شمال السودان كانت موجودة منذ القرن السادس الميلادي وقد فتحت عام 1317=717 من لدن القبائل الإسلامية واعتنقت الإسلام سريعاً. عبد الغفار - مؤتمر المائدة المستديرة، رسالة دكتوراه ج. الحسن الثاني ص 134-1996 الدار البيضاء - المغرب

(57) ينتقد بيكينكام هنا تساهل ابن بطوطة في إفادته هذه وينقل أن الأمر يتعلق بكنز الدولة وليس كنز الدين، وأن كنز الدولة لقب لرئيس بني كنز - وهي قبيلة تحتل إقليم الجنوب - أسوان ونواحيه، وهكذا فقد كان بطبيعة الحال مسلماً وليس حديث اقتناع بالإسلام، وأصبح أول ملك لامارة مقرّة Muquma المملكة الشمالية التي تعتبر دنقلة عاصمة لها حوالي 719 هـ - 1319م، وأن المملكة المسيحية التي سبقت هذه المملكة الإسلامية كانت في بعض الاوقات خاضعة لسلطنة الممالك في مصر - كنز الدولة المتحدث عنه أصبح ملكاً طوال الفترة الثالثة التي تملك فيها الملك محمد الناصر على مصر

P. M. Holt - The coronation Oaths of the Nubian Kings Sudanic Africa I, 1990 p. 5-9.

(58) القصد إلى شلالات النيل

(59) نلاحظ مرة أخرى أن ابن بطوطة يرسم الحدود بين الأقاليم والولايات يراجع التعليق 25.

فَعَجِبْتُ مِنْ سَوَاءِ أَدَبِهِ وَقَلَّةِ حَيَاتِهِ، وَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِبَعْضِ النَّاسِ فَخَدَّاهُ إِسْمَاعِيلُ فَعَلَّ ذَلِكَ خَوْفًا عِنْدَ
 مِنَ التَّمْسَاحِ فَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ثُمَّ سَرَتْ مِنْ كَارِسْخَوْهَ وَصَلْنَا إِلَى نَهْرِ صَنْصُورَهَ، فَبَدَأَ
 الصَّادِينَ الْمُهْمِلِينَ وَالرَّاءِ، وَسَكُونُ النَّوْنِ، وَهُوَ عَلَى سَحَابٍ عَشْرَهَ أَمْيَالٍ مِنْ مَالِي (60)، وَعَدَنِيهِمْ
 أَنْ يَمْنَحَ النَّاسَ مِنْ دُخُولِهَا إِلَّا بِالْإِذْنِ، وَكُنْتُ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ لِحَمَاعَةِ الْبِيضَانِ، وَكَبِيرِهِمْ مُحَمَّدُ
 بْنُ الْفَقِيهِ الْجَزُولِيِّ، وَشَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْقُقُوشِ الْمِصْرِيِّ (61)، لِكُنُورِ لِي دَارًا، فَلَمَّا وَصَلْتُ
 إِلَى النَّهْرِ الْمَذْكُورِ جِزَتْ فِي الْمَعْدِيَةِ وَلَمْ يَمْنَعْنِي أَحَدٌ، فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ مَالِي، حَضْرَةً
 السُّودَانِ (62)، فَتَزَلْتُ عِنْدَ مَقْرِبَتِهَا، وَوَصَلْتُ إِلَى مَحَلَّةِ الْبِيضَانِ، وَقَصِدْتُ مُحَمَّدَ ابْنَ الْفَقِيهِ
 فَوَجَدْتُهُ قَدْ اكْتَرَى لِي دَارًا إِزَاءَ دَارِهِ فَنُتَوِّجَتْ بِهَا، وَجَاءَ صِهْرُهُ الْفَقِيهِ الْمُقَرَّبِيُّ عَبْدُ
 الْوَاحِدِ (63) بِشَمْعَةٍ وَطَعَامٍ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُ الْفَقِيهِ إِلَى مِنَ الْغَدِ وَشَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْقُقُوشِ
 وَعَلِي الزُّوْدِيُّ الْمَرَاكَشِيُّ، وَهُوَ مِنَ الطَّبْلَةِ، وَلَقِبْتُ الْقَاضِي بِمَالِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، جَائِي بِشَيْءٍ مِنَ
 السُّودَانِ حَاجَ فَاظِلٍّ لَهُ مَكَارِمَ أَخْلَاقٍ، بَعَثَ إِلَيَّ بِقَرَّةٍ مِمَّنْ ضَافَتْهُ، وَلَقِبْتُ الرَّجُلَ بِمَالِي
 بِضَمِّ الدَّالِ وَوَاوٍ وَغَيْنٍ مَعْجَمٍ، وَهُوَ مِنْ أَفَاضِلِ السُّودَانِ وَكَبِيرِهِمْ وَبَعَثَ إِلَيَّ بِشُورٍ وَبَعَثَ إِلَيَّ
 الْفَقِيهِ عَبْدُ الْوَاحِدِ غَرَارَتَيْنِ مِنَ الْفُونِيِّ، وَقَرَعَهُ مِنَ الْغُرْسِيِّ (64)، وَبَعَثَ إِلَيَّ ابْنَ الْفَقِيهِ الْأَوَّلِ
 وَالْفُونِيِّ، وَبَعَثَ إِلَيَّ شَمْسُ الدِّينِ بِضِيَاغَةٍ، وَقَامُوا بِحَقِّي أَيْمًا قَدِيمًا، فَسَكَرَ اللَّهُ حَسَنَ أَفْعَالِهِمْ

(60) تعددت افتراضات المعلقين حول موقع عامصة مالي - هناك من يعتقد أنها هي مالي وهو لا يتقارون بين
 صنصورة وسنكرني على يمين ساحل النيجر وبعضهم رأى أن عامصة مالي هي ماليها وهناك من يعتقد
 أن موقع مالي ينبغي أن يكون بين سيكو وباساكو - ولهذا فإن تحرير الدول حول الموضوع بحث إلى
 المزيد من التنقيبات. راجع التعليق الثاني رقم 62 Beckingham, P. 1988-1989, Note 60

(61) بعض المخطوطات ترسم النفرين وبعضها النفرين
 (62) هل إن مالي عند ابن بطوطة هي سيني عند الغمري الذي يقول عنها مقالا عن شعب السكاني التي
 سكنها طوال خمس وثلاثين سنة - ومدينة تبني ممتدة طولا وعرضها تكون حول بريد نغريب (أو ما جاز
 وعرضها كذلك لا يحيط بها سور وللملك عدة قصور يستدير بها سور، ومحيط بها وغرغ من النيل
 يستدير بهذه المدينة من جهاتها الأربع وفي بعضها مجان ينشئ فيه عند فله الماء وفي بعضها لا ينشئ
 إلا بالمراكب، وبناء هذه المدينة بأيد من الطين - وسقوفها بالأخشاب والقصب - وشرب أهلها من ماء
 النيل وأبار محتقرة وجميع هذه البلاد مصخرة مجيلة
 وحسب رسم الكلمة المشكوك فيه، فإن تبني المدينة حذرت مع الغمري التي جعلت نفس الاسم والتي تقع
 على سنكرني في الحدود الغينية الحالية والتنقيبات التي أجريت 1965 لم تكن فاصلة، وهكذا فإن محلة
 جديدة رُشحت للتنقيب في أعلى غامبيا في الأرض الغينية - انظر التعليق السابق رقم 60
 Gidley, BEN BAK, Volume of Africa P. 379-380, Note 19

(63) يتعلق الأمر بعبد الواحد المقرئ المنحدر من عائلة كانت تسافر على عبد من النيجر المسمى في بلاد
 منذ بداية القرن السابع الهجري - الثالث عشر - علاوة على استخدام من المندرجة غير المستمرة - راجع
 تلمسان ومالي كلمة (دوغا) تعني البشر في لغات 140-150 - راجع أيضا في بعض اللغات
 الطيب - تحقيق د. احسان عباس - دار صادر بيروت ج 2 ص 205-206 1965 - انظر النشوي
 التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 6 ص 155-156 - راجع التعليق السابق رقم 64
 (64) انظر بالتتابع ما تقدم في التعليق رقم 63

وكان ابن الفقيه متزوجاً ببنت عم السلطان فكانت تتفقنا بالطعام وغيره، واكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تصنع من شيء يُشبه القَلْقَاس.. ويسمى القافي، يقاف والف وفاء، وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام (65)، فأصبحنا جميعاً مرضى وكنا ستة فمات أحدها وذهبت أنا لصلاة الصبح فغشي علي فيها، وطلبت من بعض المصريين دواءً مسهلاً فأتى بشيء يسمى بئدر، بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء آخر الحروف وفتح الدال المهمل وراء، وهو عروق نبات، وخلطه بالأنيسون والسكر ولتّه بالماء، فشربته وتقيأت ما أكلته مع صفراء كثيرة، وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضت شهرين !

399/4

ذكر سلطان مائي

وهو السلطان منسى سليمان (66)، ومنسى بفتح الميم وسكون نون وفتح السين المهمل، ومعناه السلطان، وسليمان إسمه، وهو ملك بخيل لا يرجي منه كبير عطاء، واتفق أنّي أقمت هذه المدة ولم أره، بسبب مرضي ثم إنه صنع طعاماً برسم عزاء مولانا أبي الحسن (67) رضي الله عنه، واستدعى الأمراء والفقهاء والقاضي والخطيب، وحضرت معهم فاتوا بالربعات، وختم القرآن، ودعوا لمولانا أبي الحسن، رحمه الله، ودعوا لمنسى سليمان، ولما قرع من ذلك تقدمت فسلمت على منسى سليمان، وأعلمه القاضي والخطيب وابن الفقيه بحالي، فأجابهم بلسانهم، فقالوا لي : يقول لك السلطان : أشكر الله، فقلت : الحمد لله والشكر على كل حال.

400/4

ذكر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها .

ولما انصرفت بعث إليّ الضيافة، فوجهت إلى دار القاضي وبعث القاضي بها مع رجاله إلى دار ابن الفقيه، فخرج ابن الفقيه من داره مسرعاً حافي القدمين فدخل علي وقال: جاعك قماش السلطان وهديته ! فقامت وظننت أنها الخلع والاموال، فإذا هي ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلو بالفرتي، وقرعة فيها لبن رائب، فعندما رأيتهما ضحكت، وطال تعجبي من ضعف عقولهم وتعظيمهم للشيء الحقير.

401/4

(65) القلقاص يشبه البطاطا يدعى في المنطقة المحلية طارو (Taro) ويتطلب الغسل بعناية قبل أن يؤكل - القافي نبات نشوي يتناول أيضاً - بئدر . لم يتمكن من تحديده.

(66) تملك السلطان منسى سليمان من سنة 741هـ - 1341 إلى 761هـ - 1360 وهو أخ لمنسى موسى الذي حكم لفترة عشرين سنة أو تزيد وقد أدركه أجله حوالي عام 761=1360.

(67) القصد كما هو معلوم إلى السلطان أبي الحسن المروني الذي توفي كما سبق يوم 23 ربيع الثاني 19 = 752 = يونيو 1351 - راجع التعليق 38 62 من الفصل السابق عشر السابق.

الزردخانة (72) وغيرها، وعلى رأسه عمامة ذات حواشي، لهم في تجميعها صنعة بديعة وهو متقلد سيفاً، غمده من الذهب، وفي رجله الخف والمهاميز، ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفاً غيره، ويكون في يده رمحان صغيران. أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأستنهما من الحديد.

405/4

ويجلس الأجناد والولاة والفتيان، ومسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع هناك متسع فيه أشجار، وكل فراري بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والأبطال والأبواق، ويوقاتهم من أنياب الفيلة وآلات الطرب المنوعة من القصب والقرع، وتضرب بالسطاعة، ولها صوت عجيب (73)، وكل فراري له كنانة قد علقها بين كتفيه، وقوسه بيده وهو راكب فرسا وأصحابه بين مشاة وركبان، ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف. فمن أراد أن يكلم السلطان كلم دوماً، ويكلم دوماً لذلك الواقف، ويكلم الواقف السلطان.

ذكر جلوسه بالمشور

ويجلس أيضاً بالمشور، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البئبي (74)، بفتح الباء المعقودة الأولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها، ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر الباز، ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه، وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين رقاق، طولها أزيد من شبر. وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية (75) التي تسمى المطنفس ويخرج بين يديه المغنون بأيديهم قنابر (76) الذهب والفضة، وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح، ويمشي مشياً رويداً، ويكثر التاني، وربما وقف، فإذا وصل إلى البئبي وقف ينظر في الناس، ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر، وعند جلوسه تضرب الطبول والأبواق والأنفاز ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون، ويوتي بالفرسين والكيشين معهما ويقف دوماً على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الأشجار

406/4

407/4

(72) ثوب مطرز بالحرير الرقيق، لا يخلو من رسوم حيوانات كان يصنع في الاسكندرية، العبارة من أصل فارسي، وقد كان لفظ الزرخان مستعملاً بالمغرب إلى سنين خلت - انظر 264. II

(73) القصد إلى آلة موسيقية مؤلفة من قضبان يعزف عليها بمطرقتين خشبيتين (XYLOPHONES "BALAS" على نحو الآلة التي يسميها أهل بغداد بالسنتور، وهي تقارب - ولو عن بعد - في تركيبها الآلة التي تسمى اليوم بالقانون...

(74) البئبي بلغة الماندنك BEMBE عبارة عن منصة مبنية يوضع عليها الكرسي الملكي ويصف الخُمري البئبي بانه كرسي من عاج.

(75) المطنفس من المهم أن تستوقفنا هذه الفقرة التي تشير للعلاقات الإفريقية مع أوروبا عبر فاس وتلمسان ومراكش، وقد كانت سجلماسة بمثابة (المتقي) الحيوي للاتجاه نحو بلاد السودان، أما عن الثوب الذي يحمل اسم المطنفس، فإن الملقين لم يستطيعوا تحديده...

(76) القنابر ج. قنبري (وتنطق القاف في المغرب كافاً معقودة) نوع من المانضولينه لكن له فقط وتران، جوفه يتكون من ظهر سلفحاة أو نصف كرة من العود المغلف بالجلد... وما تزال هذه الآلة حية على صعيد الفولكلور المغربي إلى اليوم - MAUNY : Textes et documents, P. 55 n°4

ذكر تذلل السودان للمكهم وتثريبهم له وغير ذلك من أحوالهم.

والسودان أعظم الناس تواضعاً للمكهم وأشدّهم تذلاً، ويحلفون باسمه فيقولون: منسى سليمان كي (77)، فإذا دعا بأحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه، ولبس ثياباً خلفة ونزع عمامته وجعل شاشيةً وسخة ودخل رافعاً ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه وتقدم بذلةً ومسكنةً وضرب الأرض بمرفقيه ضرباً شديداً ووقف كالراكم يسمع كلامه!

408/4

وإذا تكلم أحدُهم السلطان فردَّ عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالثراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء، وكنت أعجب منهم كيف لا تعمي أعينهم! وإذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمامتهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام، وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في خدمته، ويقول: فعلتُ كذا يوم كذا، وقتلتُ كذا يوم كذا، فيصدقُه من علم ذلك، وتصديقهم أن ينزع أحدهم في وتر قوسه! ثم يرسلها كما يفعل إذا رمى (78)، فإذا قال له السلطان: صدقت! أو شكره، نزع ثيابه وترّب، وذلك عندهم من الأدب.

409/4

قال ابن جزى: وأخبرني صاحب العلامة (79) الفقيه أبو القاسم بن رضوان أعزه الله أنه لما قدم الحاج موسى الونجراتي رسولاً عن منسى سليمان (80) إلى مولانا أبي الحسن

(77) الكلمة تعني باللغة المالينكية «الأمر للملك سليمان»، هذا ويقول ابن خلدون عن سفارة سودانية وصلت لفاس في يوم مشهود: «وحيوا السلطان بأن جعلوا يثخون الثراب على رؤوسهم على سنة ملوكهم...» د. تازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب 7، ص 41.

(78) ... والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيبهم على العادة المعروفة لهم: ابن خلدون: وانظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 41.

(79) من المعلوم أن (صاحب العلامة) يعني الكاتب الخاص الذي يوقع الرسائل ويجعل علامة السلطان عليها يراجع التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 3 ص 300-301-302. معرض وزارة الخارجية يوم 1997/2/21.

(80) الإشارة إلى السفارة السودانية بتاريخ 1348=748 هـ وكانت السفارة السابقة المعروفة بتاريخ 1337=737، لكنها أي سفارة 1348... كان عليها - لطروف طارئة - أن ترسل من لدن منسى ماري زاطا الثاني الذي أضاف إلى الهدايا الزرافة التي امتازت لها رحاب مدينة فاس - وأبو القاسم هذا هو عبد الله بن يوسف بن رضوان التجاري الخزرجي من أهل مالقة واشتغل كاتباً لدى عدد من سلاطين بني مرين، من شعره قصيدة لامية يهنئ فيها أمير المسلمين السلطان أبا الحجاج يوسف ملك الأندلس يهنئه بفلته للأسطول الحربي بالزقاق الغربي (750=1350) عندما هلك الفونسو الحادي عشر...

ولما استقامت بالزقاق أساطل

له واستقلت للسعود مخافلا

رأها عدو الله فانقض جمععه

وابصر - أمواج البحار أساطلا!

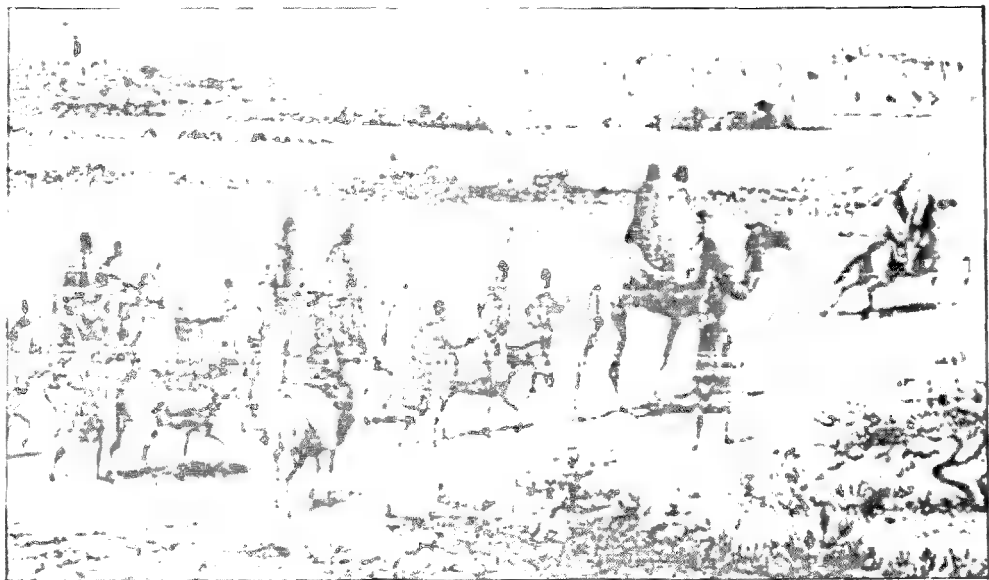
ومن دهش ظن السواحل أبصاراً

ومن رعب خيال البحار سواحلا!

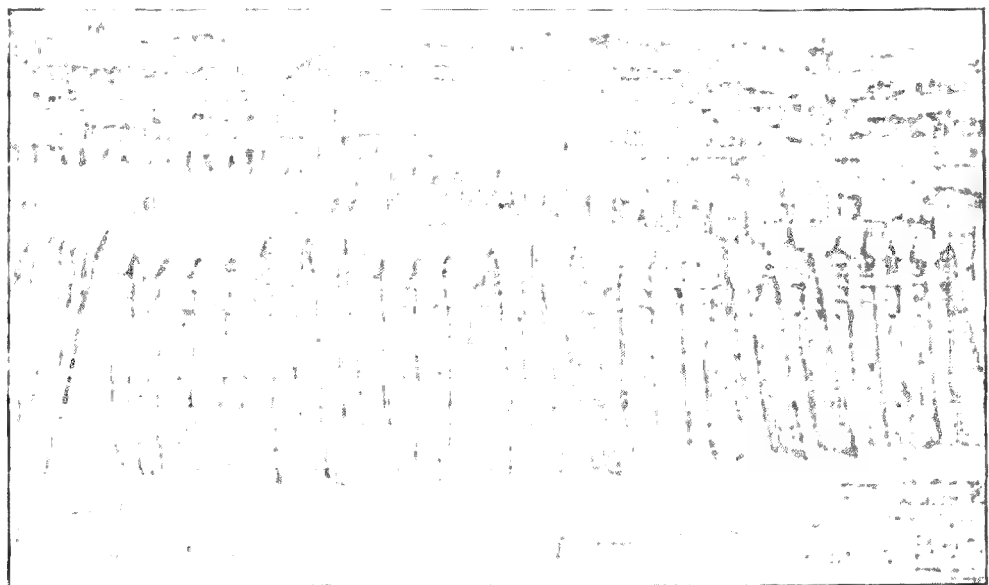
الإحاطة - ابن الخطيب الإحاطة 3. 443 - السيد عبد العزيز سالم - أحمد مختار العبادي تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس 297.

Dr. TAZI la presencia de la poesia en la Historia del Estrecho de Gibraltar SECEGSA

1995 - p. 169.



قافلة تقترب من تنيكو IB IN BLACK AFRICA



تنيكو المدينة

من البيضان، فقال لي أتعرف ما قالوه؟ فقلت لا أعرف. فقال إن الفقيه أخبر أن الجراد وقع ببلادهم، فخرج أحد صلحائهم إلى موضع الجراد فهاله أمرها، فقال هذا جراد كثير، فأجابته جرادة منها، وقالت إن البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها " فصدقه القاضي والسلطان، وقال عند ذلك للأمرء "إني برئ من الظلم، ومن ظلم منكم عاقبته، ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه، والله حسيبه وسانله. ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عما منهم عن رؤوسهم وتبرؤوا من الظلم

416/4

حكاية [عن عدل السلطان]

وحضرت الجمعة يوماً فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمى بابي حفص فقال يا أهل المسجد، أشهدكم أن منسى سليمان في دعوتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ' فلما قال ذلك خرج إليه جماعة رجال من مقصورة السلطان، فقالوا له من ظلمك؟ من أخذ لك شيئاً؟ فقال " منساجو إيو الأتق (88) " يعني مشرفها، أخذ مني ما قسمته ستمائة مثقال، وأراد أن يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة، فبعث السلطان عنه للحين فحضر بعد أيام وصرفهما للقاضي فثبت للتاجر حقه فأخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله

417/4

حكاية [زوجة السلطان وبنات عمه]

واتفق في أيام إقامتي بمالي أن السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بقاسا، ومعنى قاسا عندهم الملكة، وهي شريكته في الملك على عادة السودان، ويذكر اسمها مع إسمه على المنبر (89) وسجنها عند بعض الفرارية وولى مكانها زوجته الأخرى بنجو، ولم تكن من بنات الملوك، فأكثر الناس الكلام في ذلك وأنكروا فعله، ودخل بنات عمه على بنجو يهنئنها بالملكة، فجعلن الرُماد على أذرعهن ولم يترنن رؤوسهن! ثم إن السلطان سرح ثقافها فدخل عليها بنات عمه يهنئنها بالسراج، وترنن على العادة، فشكت بنجو إلى السلطان بذلك فغضب على بنات عمه فحفن منه واستجرن بالجامع فغفا عنهن واستدعاهن!

418/4

وعادتهن إذا دخلن على السلطان أن يتجرذن عن ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلن ذلك أ ورضي عنهن، وصرن ياتين باب السلطان غدواً وعشيا مدة سبعة أيام، كذلك يفعل كل من عفا عنه السلطان.

(88) يراجع IV - 386 راجع التعليق رقم 28

(89) يعني في خطبة يوم الجمعة، وقاسا بلغة المالينك تعني الزوجة المحظية عند الحاكم

حكاية الحسنه بعشر أمثالها |

وأخبرني الفقيه مُرك هذا أن رجلاً من أهل السودان يعرف بابن شيخ كثر كان قد أحسن إلى السلطان منسى موسى في صغره بسعة شاقيل وكنى له بغيره حتى أصبح معتبراً، ثم إنفق أن جاء إليه في خصوصية وهو سجين فعرفه بغيره وسأله عن حاله حتى جلس معه على النبي ثم قرره على فعله معه، وقال للإمراء: «ما جرت من فعله معي من الخير» فقالوا له: «الحسنه بعشر أمثالها» (1)، فأعطه سبعين مثقالاً فدعاه عند ذلك سبع مائة مثقال وكسوة وبيداً وخدماءً. وأمره أن لا ينقطع عنه، وأخبرني بهذه الحكمة أسد ولد ابن شيخ اللب المذكور وهو من الطلبة بعهد القرآن بحالي.

421/4

ذكر ما استحسنته من أفعال السودان وما استقبحته منها.

فمن أفعالهم الحسنه قلة الظلم، فهم أبعد الناس عن سخطهم لا يسامح أحداً في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضين (2) إلا كان الغناظير المقتدره إنما يتركونه بيد ثقة من البيضين حتى يأخذوا مستحقه (3)، ومنهم منواستجدهم لصلوات والتزامهم لها في الجماعات، وضربهم أولادهم عليها، إذا كان يوم الجمعة ولم يكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الإحام ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان علامته بسجاده فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد، وسجادتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له، ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة، ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القبور إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوها.

422/4

ولقد دخلت على القاضي يوم العبد وأولاده مقيئون، فقلت له: ألا تسرحهم؟ فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن. ومررت يوماً بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي: «ما فعل هذا؟» ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن. ومن مساوي أفعالهم كون الضد والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا بأديبات العورات، ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهن على تلك

423/4

(1) القرآن الكريم، السورة (6) الآية (100)

(2) هذه هي أحكام الإسلام في المعامل الدولي. أراجع مختصر خليل عند قوله في النكاح (1) أن لا عدا



خيل البحر

ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا إلى بلدة قُري مَنسى (101)، وقري بقم القاف وكسر الراء ومات لي بها الجمل الذي كنت أركبه، فأخبرني راعيه بذلك فخرجت لأنظر إليه، فوجدت السودان قد أكلوه كعادتهم في أكل الجيف، فبعثتُ غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشتريا لي جملاً بزاً غري، وهي على مسيرة يومين، وأقام معي بعض أصحاب أبي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرننا بميمة فأقمت ستة أيام أضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل.

430/4

حكاية [منامة]

وفي أيام إقامتي بهذه البلدة رأيت ليلة، فيما يرى النائم، كأن إنساناً يقول لي يا محمد بن بطوطة ! لماذا لا تقرأ سورة يس (102) في كل يوم ؟ فمن يومئذ ما تركت قراءتها كل يوم في سفر ولا حضر.

ثم رحلت إلى بلدة ميمة، بكسر الميم الأول وفتح الثاني، فنزلنا على آبار بخارجها، ثم سافرنا منها إلى مدينة تَنبُكْتُو (103)، وضبط اسمها بضم التاء المعلوطة وسكون النون وضم البلاد الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلوثة الثانية وواو، وبينها وبين النيل أربعة أميال. وأكثر سكانها مسوِّفة أهل اللثام، وحاكمها يسمى قُرباً موسى، حضرت عنده يوماً وقد قدَّم أحد مسوِّفة أميراً على جماعة فجعل عليه ثوباً وعمامةً وسروالاً، كلُّها مصبوغة، وأجلسه على درقة ورفعته كُبراء قبيلته على رؤوسهم.

431/4

وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلح أبي إسحاق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطوَّيجن، وبها قبر سراج الدين ابن الكوكب (104) أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية.

(101) يرى اصطيفان أن من الأفضل أن نقرأ قُري بضم القاف وفتح الراء ولو أن الافارقة ينطقون على نحو ما قاله ابن بطوطة... لكنها حسب ديلفوص تبقى قُري وتقع على مقربة من القرية التي تحمل اسم كوكري (KOKRI) شمال شرقي سانساً ندينغ (SANSANDINQ)...

Gib. P. 381 Note 29 - Beekingham 968 N° 74.

(102) حول التعود على أكل الجيف انظر IV، 424 - السورة 36 الآية. وقد اعتاد المغاربة أن يتلو سورة ياسين على الأموات كما سلف القول نظراً لما ورد فيها من أحاديث حول المناسبة.

(103) تَنبُكْتُو أضافها إلى مملكته منسى بعد فتح كاو (او كاوكاو) عام 1325=725، وفي عام 1333 انتهت المدينة وأحرقت عند غارة موسى عليها انطلاقاً من ياتينكا (فولتا العليا) ولكنها بنيت من جديد من لدن سليمان مباشرة بعد اعتلائه الحكم... أما عن الشاعر الساحلي فلنرجع للتعليق 70-92.

(104) ابن الكوكب هو عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبي الفتح بن محمود بن أبي القاسم التكريتي الأصل سراج الدين بن الكوكب التاجر الاسكندراني... تفقه ومهر ورحل إلى دمشق فسمع من اسحاق الاسدي واسماعيل بن مكتوم وبنت البطانجي وغيرهم وكان من الرؤساء الكبار... قال ابن حجر هو جدُّ شيخنا أبي الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف. قرأت بخط ولده أبي جعفر انه مات ببلاد التكرور توفي 734-1334. هذا وأتساءل عن صلة سراج الدين هذا بتاج الدين ابن الكوكب المتقدم الذكر في ج II 249 - الدرر ج 3 ص 18-19.

مخلوط بيسير عسل أو لبن (109)، وهم يشربونه عوض الماء لانهم إن شربوا الماء خالصاً أضر بهم، وإن لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن، ثم أتى بيطيخ أخضر فاكل منه، ودخل غلام خماسي (110) فدعاه، وقال لي : هذا ضياقتك، واحفظه لئلا يفر فأخذته وأردت الانصراف، فقال : أقم حتى يأتي الطعام، وجاءت إلينا جارية له دمشقية عربية (111) فكلمتني بالعربي، فبينما نحن في ذلك سمعنا صراخاً بداره، فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت إليه فأعلمته أن بنتاً له قد توفيت ! فقال : إني لا أحب البكاء ! فتعال نمشي إلى البحر ! يعني النيل، وله على الساحل ديار، فأتى بالفرس فقال لي : اركب، فقلت لا أركبه وأنت ماش ! فمشينا جميعاً، ووصلنا إلى دياره على النيل وأتى بالطعام فاكلنا ووداعته وانصرفت ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل، والغلام الذي أعطانيه باقٍ عندي إلى الآن

435/4

ثم سرت إلى مدينة كوكو (112) وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها، فيها الأرز الكثير واللبن والدجاج والسمك، وبها الفقوص العناني الذي لا نظير (113) له، وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع، وكذلك أهل مالي، وأقمت بها نحو شهر وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة، وكان ظريفاً مزاحاً فاضلاً وتوفى بها

436/4

(109) الدقنو هو الذي سمّاه كايي باسم الدخنو، ويقول عنه أنه خليط من دقيق أثلّي مع العسل يشربونه RENE CAILLIE : VOYAGE A TOMBOUCTON, 1830

(110) غلام خماسي . العبارة تعني أنه من خمسة أشبار أي إنه بلغ سن الرشد Cuq - Recueil p. 316 - Note 1.

(111) يظهر أن هذه الجارية اقتنيت من مصر أثناء موسم حج، ونحن نعلم أن منسى موسى حصل على بعض المرتقة الترك من القاهرة على ما يفهم من العمري، وسنرى أن ابن بطوطة سيذكر بأن أهل مالي وايولائن وتكدّا يعتزّون بامتلاك الجوّاري ولا يبيعون المملكات منهم إلا نادراً وبالأثمان الكثير ففعل هذه الجارية من هؤلاء - وقد ذكر المقرئ أن أهل السودان جرت عادتهم على اقتناء الجوّاري من الشرق أثناء قيامهم مناسك الحج - Ouq : P. 316 N° 2

(112) كوكو بالكاف المصرية : Gao على نهر النيجر شرقي ننيكتو كانت نقطة الانطلاق بالنسبة للطريق التجاري عبر الصحراء ومن المفيد أن نذكر بأن كوكو كانت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي كانت عاصمة امبراطور سنغاي عند اعتناقها الإسلام، وقد ألحقت سنغاي هذه بمالي من لدن السلطان منسى موسى عام 725-1325 ولكن، عند عام 759-1335 استقرت كدولة تحت عنوان (سنّي) وهو اللقب الذي لازمها إلى أيام سنّي على 92-1465 آخر حاكم من أصل بربري، وقد عرف كيف يوسع مملكته وقد عوض من لدن الجنرال محمد سونينك SONINKE 1493-1559 ويعتبر مؤسساً لدولة عسكية التي سنرى أن نهايتها كانت عام 1591 على يد ملوك المغرب . Gibb : selections, P. 382

(113) تبع جيب الترجمة الفرنسية في ترجمتها لكلمة الفقوص (Cucumber)، أما مونّي (Mauny) فقد ترجمها بالبطيخ Melon والكل ترك كلمة عناني بدون ترجمة وكأنها اسم لنوع من الأنواع، ويقترح بوزي أن تقرأ الكلمة هكذا (عتابي) وهو اسم لنوع من هذه الخضراوات يشبه البطيخ Beckingham p. 971 n° 86.

بعد خروجي عنها، وأضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي وهو ممن دخل اليمن (114)،
والفقيه محمد الفيلالي امام مسجد البيطان.

ثم سافرتُ منها برسم تكدا إكلا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين، دليلهم
ومقدمهم الحاج وَجِين بضم الواو وتشديد الجيم المعقودة، ومعناه الذئب بلسان السودان،
وكان له جمل لركوبي وناقة لحمل الزاد، فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة فاختد الحاج وَجِين
ما كان عليها وقسمه على أصحابه فتوزعوا حملة، وكان في الرفقة مغربي من أهل تادلة
(117) فابى أن يرفع من ذلك شيئاً كما فعل غيره، وعطش غلامي يوماً فطلبتُ منه الماء فلم
يسمح به!

437/4

ثم وصلنا إلى بلاد بَرْدَامَة (118) وهي قبيلة من البربر، وضبطها بفتح الباء الموحدة
وسكون الراء وفتح الدال المهمل والـف وميم مفتوح وتاء تانيث، ولا تيسر القوافل إلا في
خفارتهم، والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأنًا من الرجل، وهم رحالة لا يقيمون، وبيوتهم غريبة
الشكل يقيمون أعواداً من الخشب ويضعون عليها الحصر، وفوق ذلك أعواد مشتبكة، وفوقها
الجلود أو ثياب القطن، ونساؤهم أتم النساء جمالاً وأبدعين صنوياً، مع البياض الناصع
والسمن ' ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن ' وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة
يشربنه مخلوطاً بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح، ومن أراد التزوج منهن سكن بهن
في أقرب البلاد إليهن ولا يتجاوز بهن كوكو ولا إيواأتين.

438/4

(114) لم يكن هذا التازي المغربي الأول والأخير الذي دخل اليمن، فقد عرف التاريخ عن عددٍ ممن كان لهم
باليمن - د التازي رحلة مغربي إلى حضر موت، مجلة المورد البغدادية 1993

(115) تكدا اضطربت أقوال المعلقين حول تحديد المكان الذي بقصده ابن بطوطة في منطقة إير (AYAR)
ويبدو الآن أنها هي أزيلك (AZELIK)، هذا وإن التقيبات والحفريات كشفت عن النشاط الذي كان
موجوداً فيما يتصل بصناعة النحاس والصفير بموقع أزيلك (Azelik) على بعد 25 كم. شمال شرق
تيكيدا - المناجم نفسها توجد في أزورا (Azouza) على بعد 13 كم شرق أزيلك، وأن وجود النحاس
أكده العمري Gibb, P. 282 Note 35

Stephane T. P. 435 - Note 110 Beckingham T. IV P. 972.

(116) كان ينبغي أن تكتب (وجين) هكذا - أوشين بالـشين (Uchehn) وهي تعني ابن أوى لأنه هو الموجود
بالمغرب أما الذئب بمعنى Wolves فلا يوجد بأرض إفريقية على ما يقول المتخصصون

(117) تادلة من الأقاليم المغربية الكبرى وقد كان لها حضورٌ بارز في تاريخ المغرب على عهد المرابطين
والموحدين واليهما ينتسب عددٌ من العلماء ورجال الفضل، والعجب كيف أن ابن بطوطة صادف هذا
الرهط منه فإن أهل تادلة معروفون بالفضل والخير.

(118) بَرْدَامَة، يعتقد أنها هي بالذات بغامة عند الإدريسي وهو يقول عنها ج 1 ص 25-27
ومع الصحراء قوم يقال لهم بغامة وهم برابر رحالة لا يقيمون في مكان، يرعون جمالهم على ساحل واد
يأتي من ناحية المشرق فيصب في النيل (كذا)، واللن عندهم كثير، ومته يعيشون - وشربهم من عيون
يحفرونها في تلك الأرض عن علم لها وتجربة في ذلك صحيحة - يراجع التعليق رقم 24.

ذكر معدن النحاس

- 441/4 ومعدن النحاس بخارج تكدا (122) يحفرون عليه في الأرض فإذا سبكوه نحاساً أحمر صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربع مائة قضيب بمثقال ذهب، وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة بمثقال، وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والخطب، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح، ويحمل النحاس منها إلى مدينة كوبر (123) من بلاد الكفار وإلى زغاي (124) وإلى بلاد برنو (125)، وهي على مسيرة أربعين يوماً من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس (126) لا يظهر للناس ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب ومن هذه البلاد يؤتى بالجواري (127) الحسان والفتيان والثياب الجيدة، ويحمل الناس أيضاً منها إلى جوجوة (128) وبلاد المورتين (129) وسواها.

- (122) انظر ما تقدم - تعليق 115.
- (123) كوبر (Gohir) تقع في منطقة مارادي (Maradi) جنوب جمهورية النيجر الحالية، غربي العاصمة نيامي، انظر الخريطة.
- (124) زغاي القصد بدون شك إلى ديا Dia أو دياكا Diaga على ساحل نهر النيجر، بعض المخطوطات تحمل اسم زاغاي وبعضها زاغري
- Mauny : Texte et Documats P. 76 N° 3.
- (125) تقع برنو في شرق بحيرة التشاد، التي تقع بين الجزائر والتشاد، كانت على ذلك العهد جزءاً من مملكة كانم.
- (126) إدريس ابن إبراهيم ملك كانم 1329-53 وفي هذا العهد كانت برنو قسماً من امبراطورية كانم يقول العمري : محجوب لا يراه أحد إلا في يوم العيدين يرى بكرة وعند العصر، وفي سائر السنة لا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب!
- (127) الحديث عن جمال الجواري في بورنو تكرر في مصادر أخرى بصياغة أكثر دلالة وإثارة كذلك على نحو ما نقرأه عند محمد بن عمر التونسي (ت 1274=1857) في تأليفه الرحلة إلى وادي داي (Oud day) الذي ترجمه د. بيرون (Perron) إلى الفرنسية بعنوان (Voyage au Ouaday) وطبع بها وضاعت نسخة العربية ! الزركلي - الأعلام / ص 209.
- (128) جوجوة . ربما كان القصد إلى كاوكاو (Kukawa) التي ذكر هاليون الافريقي والتي تقع في شرق كانم وشمال دارفور (Darfour) بجمهورية السودان الحالية. وقد أشار ابن سعيد 1286 م (= 685) إضافة لهذا إلى جاجا (Djadja) كعاصمة لكانم.
- (129) بلاد المورتين . هذه البلاد لم يعرف تحديدها ... ويتساءل هل ما إذا لم تكن في منطقة كانم بورنو أو بلاد الهوسا... Cuog : Recueil : P. 319 - Note. 3.

المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين (١٣٣)، أمرا لي بالوصول إلى حضرته العلية فقبلته، وأمتثلته على الفور، واشترت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالا وثلاث، وقصدت السفر إلى توات (١٣٤)، ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات. إنما يوجد اللحم واللبن والسمن يشتري بالأتواب، وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين (١٣٥) في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي. وهو من الفضلاء، ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدا، وفي الرفقة نحو ستمائة خادم (١٣٦) فوصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان الكركري، وهي أرض كثيرة الأعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحمها ويحمله أهل توات إلى بلادهم.

445/4

ودخلنا منها إلى برية لا عمارة بها ولا ماء، وهي مسيرة ثلاثة أيام، ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوماً في برية لا عمارة بها إلا أن بها الماء، ووصلنا إلى الموضع (١٣٧) الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر، وطريق توات، وهناك أحساء ماء يجري على الحديد، فإذا غسل به الثوب الأبيض إسود لونه! وسرنا من هناك عشرة أيام ووصلنا إلى بلاد هكار (١٣٨)، وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم، ولقينا أحد كبارهم فحبس القافلة حتى غرموا له أتواباً وسواها! وكان وصولنا إلى بلادهم في شهر رمضان، وهم لا يغيرون فيه ولا يعترضون القوافل، وإذا وجد سراقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا له، وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر.

445/4

(١٣٣) القصد إلى السلطان أبي عثمان، وهذه لقطة أيضاً هامة حول صلة ابن بطوطة بالبلاط المريني، وهكذا فبعد أن كان التحق بالعاقل المذكور وهو بمراكش وصحبه إلى شالة يحتمل شلو أبيه على ما تقدم نراه اليوم يتلقى بريداً خاصاً من السلطان المذكور يطلبه للاتحاق بفاس التي كانت آنذاك تزخر بالعلماء ورجال الفكر - اللقطة تعبر من جهة أخرى عن نشاط حركة البريد بين المملكة المغربية وباقي الممالك الأفريقية المجاورة... ومع الأسف فإن ابن بطوطة لم يسجل لنا نص الأجر الذي وصله من ملكه وهذا مما يندرج عندي في موضوع إهمال المغاربة لتاريخهم...

(١٣٤) تقع توات في الشمال الغربي لإقليم الصحراء، يراجع تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور (١٣٨=١٩٦٢) المطبوعة الملكية - الرباط.

(١٣٥) هذا التاريخ يوافق ١٢ شتنبر ١٣٥٣.

(١٣٦) يلاحظ أن المترجمين الناشرين تصرفوا في الترجمة على نحو يجعل الستمائة خادم جميعاً جوارى وتبعهما الأب كيوك (Cuoq) في تأليفه (Recueil...) ص ٣٢١ كما تبعهم بيكينكام. فهل لم يكن بين هؤلاء الخوادم ذكور؟ هذا والقصد بالكاهر إلى إير - آيار سالف الذكر

(١٣٧) يمكن أن يكون القصد إلى الموضع الذي هو مفترق الطرق (AZAWA) أو (ASU) في أقصى جنوب شرق الجزائر حيث تذهب الطرق من جهة نحو جانبي (Dranet) (وليس هي جناتة!) ومن جهة نحو غات والصحراء الليبية - يلاحظ الاحتفاظ بالقافلة مجتمعة بالنظر لتلك الثروة المتجنية في (٦٠٠) خادم التي تصحب القافلة، وكل ذلك يمكن أن يفسر السر في تلك اللغة من جهة الشرق - تجنباً لطريق قد يكون محفوفاً بالآخطار

(١٣٨) الهكار القصد إلى رجال التواركة... لقيهم ابن بطوطة طوال شهر رمضان = ٢٩-٣٠ أكتوبر ١٣٥٣

وسرنا في بلاد هُغار شهراً، وهي قليلة النبات كثرة الحجارة، طريقها وعر، ووصلنا يوم عيد الفطر إلى بلاد براير أهل لثام كهؤلاء فأنخبرونا بأخبار بلادنا وأعلمونا أن أولاد خراج (140) وابن يغمور (141) خالفوا وسكنوا (تسابيت) من توات (142)، فخاف أهل القافلة من ذلك، ثم وصلنا إلى بؤدا (143)، بضم الباء الموحدة، وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسبخ وتمرها كثير ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب، واكل أهلها التمر والجراد، وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير اذا ذاك لأجل البرد !

وأقمنا ببؤدا أياماً، ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أواسط ذي القعدة (144) إلى مدينة سجماسة، وخرجت منها في ثاني ذي الحجة (145)، وذلك أول البرد الشديد، ونزل بالطريق ثلج كثير، ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخاري وسمر قند وخراسان وبلاد الأتراك فلم أر أصعب من طريق أم جنيبة! (146).

ووصلنا ليلة عيد الأضحى إلى دار الطمع (147)، فاقمت هنالك يوم الأضحى، ثم

(139) كان يوافق 30 أكتوبر 1353.

(140) أولاد خراج : قبيلة عربية من بني معقل مكانهم بين تلمسان ووجدة والبحر المتوسط وكانوا يتنقلون من تلمسان إلى توات. وقد كانت هذه القبائل تنمرّد أحياناً على السلطان انظر التعليق رقم 2

(141) القصد إلى بني عبد الواد، أصحاب تلمسان الذين كان أبو عنان تغلب على عاصمتهم في ربيع الثاني عام 753 م/ 1352 في السنة الماضية - في أعقاب المعركة الشهيرة المعروفة بمعركة أنكاد الاستقصا 182,3 - د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب - الجزء السابع من 14 تعليق 10

(142) تسابيت : واحات على بعد 60 شمال أدرار تمردوا على السلطان بزعامة يعقوب ...

(143) بؤدا : واحات على بعد 20 كم. شمال غرب أدرار توات، على الخط 28 شمالاً و 0,30 شرقاً.

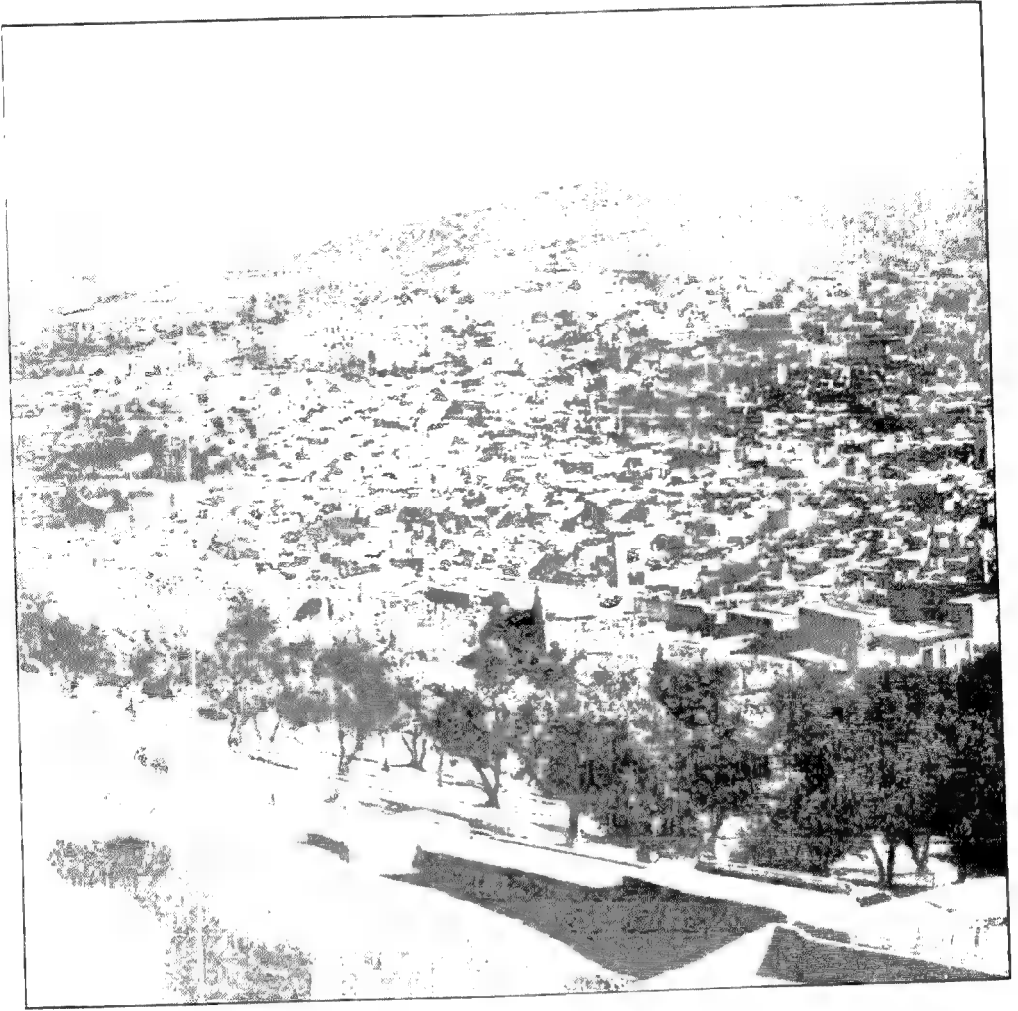
وحسب ابن خلدون فإن هذا المكان هو نقطة انطلاق القوافل نحو مالي... هذا ويذكر بعض الجغرافيين العرب أن الجراد مما يؤكل في مراکش.

(144) يوافق 12 دجنبر 1353 -حول سجماسة انظر ما سبق تعليق رقم 2.

(145) يوافق 29 دجنبر 1353.

(146) ورد عند الحسن ابن الوزان في (وصف إفريقيا) وهو يتحدث عن مدينة تحمل هذا الاسم : أم جنيبة أنها قرب ممر الأطلس على منحدره الجنوبي (90 كم. جنوب شرق فاس) ويظهر بجانب المدينة مرتفع يلزم كل من صعدده ليقطعه مع قافلة أن يرقص ! وقد رأى ابن الوزان بعينه أن كل الذين يمترون بالمرتفع يرقصون...! انظر وصف إفريقيا، وانظر الترجمة الإسبانية التي أعدها 1993 F. Arbos و S. Fanjul ALIANZA EDITORIAL 793 ص

(147) ربما تكون دار الطمع هي تاملاط (Tamelalt) بين أزرو وبين صفرو على ما يقوله بيكنكام وقد تجنب Mauny أنكرها نهائياً بينما استغنى كيوك عن التعليق عليها!!



منظر عام لمدينة فاس حيث انتسخت الرحلة

الملاحق

- ▢ شهادة ابن خلدون
- ▢ تعقيب الزياتي
- ▢ كلمة (أفراج) المغربية
- ▢ وثيقة تأسيس مسجد مالديف
- ▢ تعليق وكالة المغرب العربي للأبناء
- ▢ أكاديمية السلطان أبي عنان
- ▢ رسالة إلى الروضة الشريفة
- ▢ نص وقفية المدرسة البوعنانية بداخل فاس
- ▢ حول الحديث عن الزاوية المتوكلية خارج فاس
- ▢ تهنئة ملك غرناطة لملك المغرب بتحرير طرابلس
- ▢ معلومات عن الرحلة من خلال المراسلات...

لقد وعدنا أثناء المقدمة وفي غضون التعاليق بالاتيان ببعض الملاحق التي نراها ضرورية لإيضاح بعض النقاط الغامضة في الرحلة أو لتكميل المعلومات الذي كانت في النص موجزة مختصرة...

شهادة ابن خلدون

عن حديث ابن خلدون في المقدمة عما يقوله الناس حول مرويات ابن بطوطة وما أجابه به الوزير ابن ودرار، نسوق مايلي نقلا عن المقدمة : (طبعة لبنان 1956 ص 325-327)

«وَلَا تُتَكَبَّرُ مَا لَيْسَ بِمَعْهُودٍ عِنْدَكَ وَلَا فِي عَصْرِكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْثَالِهِ، فَتَضَيِّقُ حَوْصَلَتَكَ عِنْدَ مُلْتَقَطِ الْمَكَانَاتِ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِ إِذَا سَمِعُوا أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنِ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ بِأَدْرِ بِالْإِنْكَارِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الصَّوَابِ، فَإِنَّ أَحْوَالَ الْوُجُودِ وَالْعُمُرَانَ مُتَفَاوِتَةٌ، وَمَنْ أَدْرَكَ مِنْهَا رُتْبَةً سَفْلَى أَوْ وَسْطَى فَلَا يَحْصُرُ الْمَذَارِكُ كُلَّهَا فِيهَا، وَنَحْنُ إِذَا اعْتَبَرْنَا مَا يَنْقَلُ لَنَا عَنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَنِي أُمَيَّةَ وَالْعَبِيدِيِّينَ، وَنَاسَبْنَا الصَّحِيحَ مِنْ ذَلِكَ وَالَّذِي لَاشْكَ فِيهِ بِالَّذِي شَاهَدَهُ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الَّتِي هِيَ أَقْلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا وَجَدْنَا بَيْنَهَا بَوْنًا، وَهُوَ مَا بَيْنَهَا مِنَ التَّفَاوُتِ فِي أَصْلِ قُوَّتِهَا وَعُمُرَانِ مَمَالِكِهَا فَالْآثَارُ كُلُّهَا جَارِيَةٌ عَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ فِي الْقُوَّةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ، وَلَا يَسْعُنَا أَنْكَارُ ذَلِكَ عَنْهَا، إِذْ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي غَايَةِ الشُّهُرَةِ وَالْوُضُوحِ، بَلْ فِيهَا مَا يُلْحَقُ بِالْمُسْتَفِيزِ وَالْمَتَوَاتِرِ، وَفِيهَا الْمَعَايِنُ وَالْمَشَاهِدُ مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ. فَخِذْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُنْقُولَةِ مَرَاتِبَ الدُّوَلِ فِي قُوَّتِهَا أَوْ ضَعْفِهَا وَضَخَامَتِهَا أَوْ صِغَرِهَا، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ الْمُسْتَظَرَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ بِالْمَغْرِبِ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي عِنَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي مَرْوَانَ رَجُلٌ مِنْ مَشِيخَةٍ طَنْجَةٍ يُعْرَفُ بِأَبْنِ بَطُوطَةَ كَانَ رَحَلَ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً قَبْلُهَا إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَقَلَّبَ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَالْهِنْدِ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ دَهْلِي حَاضِرَةَ مَلِكِ الْهِنْدِ، وَهُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهٍ، وَاتَّصَلَ بِمَلِكِهَا لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَهُوَ فَيْرُوزْجُوهُ (١)، وَكَانَ لَهُ مِنْهُ مَكَانٌ، وَاسْتَعْمَلَهُ فِي خِطَّةِ الْقَضَاءِ بِمَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ فِي عَمَلِهِ، ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عِنَانَ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رَحْلَتِهِ وَمَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ بِمَمَالِكِ الْأَرْضِ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّفَرِ أَحْصَى أَهْلَ مَدِينَتِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تَدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَانِهِ، وَأَنَّهُ عِنْدَ رَجُوعِهِ مِنْ سَفَرِهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ يَبْرُزُ فِيهِ النَّاسُ كَافَّةً إِلَى صَحْرَاءِ الْبَلَدِ وَيَطُوفُونَ بِهِ، وَيُنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَفْلِ مَجْنِيقاتٌ عَلَى الظَّهْرِ تُرْمَى بِهَا شِكَاكِرُ الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ، إِلَى أَنْ يَدْخُلَ آيَوَانَهُ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ

(١) القصد إلى فيروز ملك الذي ورد ذكره عند ابن بطوطة في ج ١١١-٢٢١-٢٣٠-٢٣٩-٢٤٨

وبلغ غرناطة، واجتمع بفقهائها في دعوة، وكان يحدثهم عن رحلته في يومه وليلته فاستغربوا أخباره واستبعدوها. وقال البلوي في رحلته، في ترجمة ابن بطوطة، إنه لما عاد من رحلته ومن لقيه بها من الملوك، وأن ملك الهند صاهره وقلده القضاء بمدينة العظمى، وحصل من الأموال عدداً كثيراً، زيفوه وكذبوه، ثم عاد لبر العدو ودخل مدينة فاس أيام السلطان أبي عنان فارس ابن أبي الحسن المريني، ولم يجتمع به، ثم توجه للصحراء ثم للسودان، يحسب أن ملوكه كملوك الهند وأرضه مثلها، فحقق سعيه ووجد الأرض غير الأرض، والناس غير الناس، وبلغ خبره للسلطان أبي عنان، فكتب له واستقدمه، ولما اجتمع به عاتبه على عدم الاجتماع به لما قدم من الأندلس لفاس، وكان أبو عنان فرغ من تشييد المدرسة المتوكلية التي بطالعة فاس، فقال له : يامولانا السلطان، انما أتيت لفاس بقصدك والمثول بين يديك، ولما دخلت هذه المدرسة التي شيدت، ولم أقف على مثلها فيما شاهدته في المعمور كله، قلت والله لا بد لي أن أتم عملي، وأبر قسمي بالوصول إلى أقاليم السودان حتى أشاهده، وأقسم أن ليس في المعمور كله مثلها، فحقق الله ظني، وأبر يميني، هذا موجب تأخير عن المثول بين يديك، فأكرمهم السلطان أبو عنان، وأجرى عليه الانعام، وأمره أن يؤلف رحلته ويذكر فيها مدرسته التي زعم أنها لا نظير لها في المعمور. انتهى.

قال كاتبه عفا الله عنه، وهذا من التغالي في الكذب، ودليل على ما لمزه به فقهاء الأندلس، فإن في كل إقليم من أقاليم بلاد العرب، كمصر، والشام، والعراق، التي شاهدناها من المدارس والمساجد، ماهو مثلها وأعلى منها ضخامةً وتأنقا وحسناً، وأما بلاد العجم، والترك، فحدث عن البحر والاحراج، فكل مسجد، وكل مدرسة صغيرة أو كبيرة، فوقها وأعظم منها؟؟؟؟ وأتقن منها، وما وصف به المدرسة العنانية لبانيها، أبي عنان رحمه الله، فانما قصد به مدحه والتخلص منه بتلك الحيلة التي نجح سعيه بسببها، غفر الله لنا وله ولقد أخبرني أحد طلبة السلطان، سيد محمد رحمه الله، أنه كان يسرد عليه رحلة ابن بطوطة، وساق كلام ابن تيمية في الاستواء، والنزول، فنزل من محل جلوسه، وقال كثرُولي هذا، فقال له السلطان سيدي محمد، اطو ذلك الكتاب ويغ في السوق وكل ثمنه لحماً، هذا رجل كذاب من اهل التجسيم كمن نقل عنه، فوالله لو حضر بين يدي لأضرب عنقه، فقد تحقق عنه ما وسمه به أهل الأندلس من الكذب، وسيما اذ هو من أهل البدع.

الكتاني ينتقد الزباني

عن مخطوطة الخزانة العامة رقم 29

تحت عنوان : "الشعائر الدينية المقامة بالقرويين"

المراوح. وأعملوا فيه نبات الوخز غائصة غوص الأذهان، أخذ من الألسنة الفاتقة رتوق البيان، ترسل خيوطها أسرع من البريق وتغادر الأنامل وكأنها أفراس رهان تبارت في لاسبق، عارفة كالأصولي بالجرح إلا أنها جاهلة بالفرق، ضيقة العيون كالأتراك، ناحلة الجسم كالعابدين الشساك، إلا أنها تبين لها الخط الأبيض لاتدين بالإمسك. فالتأمت أجزاؤه أحسن الالتصام، وألتحمت على وفق الإبداع أجمل الالتحام. وتجانست أنحاؤه وتطابقت، وتناسبت ميامنه ومياسره وتوافقت.

وجمع بشرائطه شرائط الكمال، واختار من لونه وهو البياض طراز الجمال. وصنعت له عمد مثقفة كالقداح، موشاة كاثواب الخود الرداح. بأسافلها زجاج حديد كبير الإجماع، تشق الأرض شق الغرام قلب المستهام. وتقر في الترب كأنها جذور النخل الباسقة، وعروق الأزرة السامية السامقة.

فتقف تلك العمد متناسقة الصفوف، جاثبة لمعنى في غيرها وزهى الملك منها بصحيفة دل على شرف مافيهما عنوانها. ذات الاطناب التي تمتد امتداد أشعة الشمس، وتحل أوتادها من الأرض محل النفس من الجسم والسر من النفس. قائمة لفارس كايوان كسرى، مزدانة بانواره التي هي أفخر من أنوار البدر وأسرى.

ويتصل بها البيت الأعظم الذي كاد يبلغ الفرقددين، وتصير ذات العماد منه إلى ذي العمادين. بديع المحاسن جميل المسافر، بهي المناظر، زكي المخابر. وسيع مقام الاستضراب، ممتد شأو الاستنخاب.

وتتصل به القبة التي هي ثالثة التعزيز، وسمة شرف التمييز. ذات الحسن الفائق، والجمال الرائق. والشكل البديع، والاستنباط المرضي التأصيل والتفريع.

وبغربي هذه المساكن خيمة الشعر التي أعجز وصفها الشعراء، وأنست بألوانها وبدائع صنعتها وشي صنعاء. قريية التداني، منيفة على أوثق المباني، مستطيلة الشكل كالقصر الأول، مستطيرة الذكر المنزهة عن التداني، وخلال الأقبال (العياملة) الذين فازوا من دنياهم بنيل الأمانى.

وفي أفراق السعيد من الأخبية والبيوت ما يشابه الكواكب في جمالها وازدهامها، ويشابه العقود النفائس في حسننها وانتظامها. كل ذلك مما نشأ في مظاهر الإبداع والإتقان، وصنع في أسعد الأوقات والأزمان. واستفرغ في تنجيده الوسع، ونعم برؤيته البصر وبوصفه السمع.

وأمام باب أفراق قبة الجلوس وهي قبة ليست بالكبيرة إلا أنها في غاية الاحتفال،

وفيه جملة أبواب محكمة الصنائع، مفيضة بقداح البدائع، أخذة بأزمة العيون إلى حسنها الرائع، قائمة على قلب القلوب بجمالها الموفور البضائع وكلها موصد مغلق إلا الباب الذي بجهة الشرق فإنه معدّ لدخول الخليفة، ومواطي أقدامه الشريفة، مخصوص بالولوج إلى المواقف العالية المنيفة، والحواضر التي احتوت على أسرار الحسن اللطيفة. ومن هناك يشرع إلى باب أفراق الثاني الذي به مساكن الخلافة ومضاربها، ومسارح ربّات خدوره ومساربها

ويوالي باب أفراق الثاني القبة العظمى التي ظهرت كقوس قزح ألوانها يلحق بالكوكب السيار.

قد أحكمت بدواخله الحرائم البديعة الاختراع، والتوارق العجيبة التي استمتع الحسن بها أعظم الاستمتاع.

وبها أيضا مرتبة الملك بيضاء عالية كالصبح، مكتنفة في كل الأوقات بالنصر والفتح. يحلّها البدر فتجلي الأحلاك لكن بانتسامه، ويستقر بأعلاها البحر فيرسل الدرّ لكن من كلامه، وتروي عن سهل لكن من خلائقه وعن كثير لكن من أنعامه، «وتشاهد منه ثالث العمرين لكن عند تنفيذ أحكامه» ونصر الذين بالماضيين لسانه وحسامه.

ويمقرية من قبة الجلوس بالجهة الشرقية يضرب الجامع الذي امتدت له الأسباب، وسرّ بالدخول في المحراب منه المحراب. وبه استقرار الحرّابين والمؤذنين من مرتين لقراءة القرآن، وحفظ أوقات الصلوات بالأذان، وإقامة شعائر الإسلام والإيمان.

* * * ■ *

وثيقة تأسيس مسجد مالديف

عن حديثه حول الخطوط التي قرأها وهو يزور الجامع الأعظم في مالديف نسوق النص الكامل لهذا النقش كما وقفنا عليه بالعيان.

(1) السطر الأول : أمر ببناء هذا المسجد المبارك الجامع لله تعالى السلطان درمس محمد بن عبد الله وأخوه سيرى كلؤ ؟ رحمة الله عليهم أجمعين وأمر الوزير شنورازاه ببنائه، فبنا وعمر رحمة الله عليه ووصل في هذا البلد أبو البركات

(2) السطر الثاني : يوسف ؟ البربري وأسلم على يديه في شهر ربيع الآخر في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فقدم وأمر بعمارة هذا المسجد الجامع لله عزّ وجلّ مولانا السلطان

PERIPLE

De la présence maghrébine dans l'Océan Indien au XIIe siècle

Le Dr Abdelhadi Tazi, membre de l'Académie du Royaume, a présenté une importante communication à la cinquante-septième session de l'Académie de Langue Arabe du Caire, organisée en ce moment dans la capitale égyptienne dans laquelle il a traité de "la plus ancienne inscription arabe aux Maldives. (La présence du Maghreb dans l'Océan Indien au VIe S.H./XIIe S.J. -C.).

Dans son intervention, le Dr Tazi qui est également membre de l'Académie de Langue Arabe du Caire, a montré les liens historiques et religieux entre les Maldives et le Maghreb.

Le Dr Tazi a rappelé que le voyageur et cadhi marocain Shihab Al-Din Ibn Battuta a noté qu'en 744 H/1344 J.-C. il avait été reçu avec tous les honneurs par les habitants des Maldives (pays qui portaient alors le nom de "Dibat Al Mahal"). Il faut remarquer que cet accueil chaleureux s'explique par le fait que ce peuple était resté très attaché aux Maghrébins, précisément parce qu'il s'embarassa l'Islam grâce à un habitant du Maghreb, du nom d'Abu Barakat Al-Barbari. Celui-ci, en effet, visita les Maldives deux siècles auparavant et avait conduit les habitants de ce pays à adopter la secte malikite qui était celle des Maghrébins.

Le Dr Tazi ajoute qu'Ibn Battuta raconte qu'un groupe de personnes et à leur tête le cadhi Abd Allah lui fit visiter la mosquée de la capitale qui venait d'être restaurée sur ordre du Sultan Shihab Al-Din. Il put alors y lire de visu l'inscription de fondation placée au-dessus du Mihrab et dont on retient en particulier que le Sultan du pays avait embrassé la religion musulmane par l'intermédiaire d'Abu-Barakat Al-Barbari.

Le Dr Tazi indique qu'il décida d'effectuer une étude minutieuse de ce document épigraphique. C'est ainsi que profitant de sa présence aux Maldives (mission officielle au cours de l'été 1990), il demanda aux responsables de ce pays de l'aider dans son entreprise, ce qui lui fut fait avec beaucoup de bonne volonté.

La pièce de bois en question poursuit il se trouve actuellement conservée au musée national de la capitale de la République Maldivaise. Elle avait été prélevée de l'ancienne mosquée où elle s'y trouvait originellement et ce, à la suite des travaux de restauration dont cet édifice religieux avait été l'objet au milieu des années soixante.

Le Dr Tazi explique que la frise épigraphique consiste en un bandeau de bois de platane (d'un seul tenant) de trois mètres vingt-cinq centimètres de longueur sur quarante cinq centimètres de largeur, sur lequel l'inscription se déroule sur trois lignes. Cette inscription consiste en deux textes successifs dont le premier concerne la fondation de la mosquée à l'époque où Abu-Barakat avait visité la ville. Dans ce texte on lit notamment : "Puis Abu-Barakat (Yusuf ?) Al-Barbari arriva dans ce pays et grâce à lui le Sultan se convertit à l'Islam au mois de Rabî II de l'année 548".

Le second texte est relatif à la reconstruction de la mosquée en 738 H par le Sultan Shihab Al-Din, six années avant l'arrivée d'Ibn Battuta aux Maldives.

Le Dr Tazi précise qu'il a effectué une étude des six anthroponymes, des Jakabs Fononiques ainsi que des surnoms qui figurent dans les deux textes.

C'est ainsi, poursuit le Dr Tazi, qu'il nous fait connaître le Sultan Muhammad Ibn Abd Allah s'étant converti à l'Islam, son frère Sidi Kalu qui partageait avec lui le pouvoir, le Premier ministre, surnommé Shano Raja, le sultan Shihab Al-Din, son Premier ministre, ajoute le Dr Tazi qui fait remarquer qu'en ce qui con-

cerne Abu-Barakat Al-Barbari, considéré toujours comme le "patron du pays", son nom est mentionné dix fois dans la Rihla d'Ibn Battuta, suivi parfois, pour davantage de précision, par la qualification "Maghrabi".

Pour le voyageur marocain, les renseignements qu'il fournissait n'avaient rien de nouveau, ni d'exceptionnel. En effet, on trouve dans des ouvrages d'histoire la mention de noms de certains Maghrébins qui étaient arrivés en Chine avant Abu-Barakat Al-Barbari et qui avaient adjoint à leur nom patronymique le qualificatif d'Al-Sini. Le cadhi Shihab Al-Din Ibn Battuta avait lui-même trouvé, une fois en Chine, une colonne maghrébine à Khan Djanfou.

Dans ce sens, le chercheur américain, Ross Dunn, a établi que les Nord-Africains et les Andalous étaient, qu'Ve et VIe S.H/XIe et XIIe S.J. beaucoup plus actifs dans le domaine du commerce indien que les autres Arabes ou les Perses. Aussi n'était-il pas étonnant de trouver le nom "Al-Barbari" dans la frise en question.

Le Dr Tazi rappelle aussi qu'il a ensuite écrit un certain nombre de remarques au sujet du manuscrit maldivais intitulé "Tarikh Islâm Dib Mahal" qui a été composé par le cadhi "Ala Al-Din" en 1138 H/1726 J.-C. et que le chercheur anglais Forbes a cité dans l'article "Maldives" de la nouvelle édition de l'encyclopédie de l'Islam.

Il apparaît ainsi que le cadhi "Ala" poursuit le Dr Tazi, a écrit son ouvrage dans l'ignorance totale de ce qui avait été consigné par Shihab Al-Din Ibn Battuta quatre siècles auparavant. Il convient d'ailleurs de signaler, dans le même ordre d'idées, que la Rihla d'Ibn Battuta ne fut jamais célèbre chez les Orientaux qu'après sa publication à Paris au milieu du XIXe S. accompagnée de sa traduction en langue française.

En fait, le mot "Al-Barbari" ne demandait pas à être déchiffré, sa lecture est manifestement des plus aisées.

Le Dr Tazi souligne que le professeur japonais Yajima fournit un autre exemple de ces fausses données : c'est ainsi que "Ala Al-Din" a noté que le Sultan "Al-Hilali" avait accompli le pèlerinage de La-Mecque en 871 H/1467 J.-C. en fait, Al-Jaziri, qui est un témoin oculaire, souligne que ce pèlerinage avait en fait eu lieu en 838 H/1434 J.-C., soit trente-trois années auparavant.

Ainsi, M. Yajima utilise avec beaucoup de précaution les données présentées par Ala Al-Din et notamment celles relatives à la période ayant précédé l'occupation des Maldives par le Portugal en 965 H/1558 J.-C. L'auteur de l'article a d'ailleurs attiré l'attention sur une autre déformation subie par le texte de l'inscription (la première ayant été celle du cadhi "Ala" Al-Din). En effet, un sculpteur a remplacé le mot (Abu-Barakat) par celui de (Abu-Rikab). Et il est regrettable de trouver ce nom figurant aujourd'hui sur une frise épigraphique neuve, laquelle a été placée près du Mihrab de la même mosquée.

Anoter que le Dr Abdelhadi Tazi qui était membre correspondant de l'Académie de Langue Arabe du Caire vient d'être élu à l'unanimité par la présente session membre actif de cette académie. (MAP)

- القاضي الخطيب أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي الصنهاجي الحميري.
- 3- والفقهاء العارف بالفقهاء أبو عبد الله محمد بن الحسن السدراتي.
- 4- وشيخنا الفقيه الحاج الخطيب أبو علي عمر بن محمد البطوني المعروف بابن البحر.
- 5- والفقهاء الإمام المتكلم أبو عبد الله محمد بن أحمد المعافري التلمساني المعروف
- 6- وشيخنا الفقيه القاضي الخطيب المفتي أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم الجذامي الفاسي المعروف بالقطاب.
- 7- والشريف الفقيه الإمام العالم المتكلم النظار المفتي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الحسني التلمساني.
- 8- والفقهاء المحدث الحاج الخطيب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي.
- 9- والفقهاء الإمام المتكلم النظار القاضي الخطيب أبو عثمان سعيد بن محمد الخزرجي التلمساني المعروف بالعقباني.
- 10- والفقهاء المفتي المدرس العارف بالفقهاء والفرانض أبو الحسن علي الصرصري الفاسي.
- 11- والشريف الفقيه القاضي أبو محمد عبد النور بن محمد العمراني الحسني.
- 11- وصاحبنا الفقيه المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن الفقيه المفتي الصالح إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم الزيناسني.
- 13- وشيخنا القاضي الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى العارف بالفقهاء والحديث والنحو والأدب أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان الخزرجي المالقي.
- 14- وشيخنا الفقيه القاضي الخطيب الكاتب أبو القاسم محمد بن يحيى بن محمد الغساني البُرْجي.
- 15- وشيخنا الفقيه القاضي المدرس العارف بنوازل الفقيه أبو عبد الله محمد المدعو بأبي خريص بن ياسين الياباني المريني.
- 16- والفقهاء المفتي القائم على حفظ المدونة عبد الرحمان النفزي المعروف بأبي عائشة
- 17- وشيخنا الفقيه القاضي الخطيب الحاج الكثير الجولة بالمشرق والمغرب وجميع البلاد محمد بن بطوطة العارف بالتاريخ.
- 18- والفقهاء القاضي العارف بكتاب ابن الحاجب الفرعي المدرس مُعَبَّر الرُّوِّيا أبو عبد الله محمد القسَمَطيني المعروف بالتمتام.
- 19- والفقهاء المعدل الهندسي الحسابي أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي الحميري التلمساني المعروف بابن القحام.
- 20- وشيخنا الفقيه المدرس المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن الفقيه العالم أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الحميري التلمساني المعروف بابن الإمام.
- 21- وأخوه الفقيه المدرس أبو عبد الله محمد.

وقد فضّل الله تعالى الصالح على العاصي بقوله : أمّ حسب الذين اجترحوا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم، الآية، وقوله . وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا و عملوا الصالحات ولا المسيئ إلى آيات كثيرة في هذا المعنى، لكن لما وقع العصاة في المعصية ولم يجدوا سبيلا لأفعال البر فانكسرت قلوبهم بالوقوع في الحوب، جاءت الأحاديث بما طمعوا به من رحمة الله وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : شفاعتي لأهل الكبائر، وقوله في خبر عن ربنا : أنا عند ظن عبدي فلينظر بي ما شاء فشاء العصاة لذلك بحروف الرحمة، ولذلك قال الناظم :

لعلّ رحمة ربي حين يقسمها * تأتي على حسب العصيان في القسم

ومع ذلك فالرحمة تلحق العاصي بالطائع، وقال بعض المشايخ من الصوفية :

إذا بدت عين من عيون الرحمة ألحقت المسيء بالمحسن ! وقال تعالى : ورحمتي وسعت كل شيء.



رسالة إلى الروضة الشريفة

عن الرسالة والقصيدة اللتين بعثهما السلطان أبو عنان إلى سيد المرسلين بخط يده (14-354) وحتى نأخذ فكرة عن محتويات مثل هذه الرسائل نأتي هنا -في غياب خطاب أبي عنان- بنموذج مما بعث به ملك غرناطة عن نفح الطيب (ج 5 ص 354 الإحاطة 556،) وهو من عمل لسان الدين ابن الخطيب إثر نظم كما نذكر بأن هذه الرسائل كانت تلقى أمام الضريح قبل خزنها .

فحسبُ فؤادي أن يهبُ نسيمُهُ
فزمزمُهُ دمعِي، وجسمي حطيمُهُ
فيُقعدُهُ فوقَ الفضا ويقيمُهُ
شفي سَقَمَ القلبِ المشوقِ سقيمُهُ
نديرُ عليها كاسَهُ ونديمُهُ
ولاشاقني من وحشٍ وجرة ريمُهُ
من الثغرِ يبسو مؤهناً فأنسيمُهُ
يسومُ فؤادي برحمة مايسومُهُ

إذا فاتني ظلُّ الحمى ونعيمُهُ
ويُقنعني أني به مستكنُفُ
يعود فؤادي ذكرُ مَنْ سَكَنَ الفضا
ولم أرَ شيئاً كالنسيم إذا سرى
نعللُ بالذكورِ نفساً مشوقةً
وما شقني بالفور قد مرّجُ
ولاسهرت عيني لبَرْقِ ثنيةٍ
براني شوقُ للذبي محمدٍ

اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السما، ومن وجبت له النبوة وأدم بين الطين والماء، شفيع أرباب الذنوب، وطيب أنواء القلوب، والوسيلة إلى غلام الغيوب، نبي الهدى الذي طهر قلبه، وغفر ذنبه، وختم به الرسالة ربه، وجرى في النفوس مجرى الأنفاس حبه، الشفيع المشفع يوم العرض، المحمود في ملا السماء والأرض، صاحب اللوا- المنشور يوم النشور، والمؤتمن على سِر الكتاب المسطور، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور، المؤيد بكفاية الله وعصمته، الموفور حظّه من عنايته ونعمته، الظل الخفاق على أمته، مَنْ لو حازت الشمسُ بعض كماله ماعدت إشراقاً، أو كان للأباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقاً، فائدة الكون ومغنائه، وسر الوجود الذي يبهر الوجود سناؤه، وصفى حضرة القدس الذي لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، البشير الذي سبقت له البشرية، وراى من آيات ربه الكبرى، ونزل فيه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ من الأنوار من عنصر نوره مستمدة، والآثار تخلق وأثاره مستجدة، مَنْ طوي بساط الوحي لفقده، وسد باب الرسالة والنبوة من بعده، وأوتي جوامع الكلم فوقفت البلغاء حَسْرَى دون خدّه، الذي انتقلض في الغرر الكريمة نوره. وأضاعت لميلاده مصانع الشام وقصوره، وطفقت الملائكة تجينه وفودها ونزوره، وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء وصفاته، وأخذ عهد الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته، المفزع الأمان يوم الفزع الأكبر، والسند المعتمد عليه في أهوال المحشر، ذو المعجزات التي أثبتتها المشاهدة والحس، وأقر بها الجن والإنس، من جماد يتكلم، وجذع لفراقه يتألم، وقمر له ينشق، وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق، وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس، وماء من بين أصابعه يتجسّس، وغمام باستسقائه يصب، وطوي يصبق في أجائها فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب، المخصوص بمناقب الكمال وكما المناقب، المسمى بالحاشر العاقب، ذو المجد البعيد المرامي والمراقب، أكرم من رفعت إليه وسيلة المعترف المغترب، ونجحت لديه قرينة البعيد المقرب، سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي فاز بطاعته المحسنون، واستنقذ بشفاعته المذنبون، وسعد باتباعه الذي لاخوف عليهم ولاهم يخزنون صلى الله وسلم مالمع برق، وهمع ودق، وطلعت شمس، ونسخ اليوم أمس :

«مَنْ عتيق شفاعته، وعبد طاعته، المعتمص بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفي بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذي إن ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله، وإن هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلالة، وإن سمع الأذان تذكر صوت بلال، وإن ذكر القرآن تردّد جبريل بين معاهده وخلاله، لاثم ثربه، ومؤمل قربه، ورهين طاعته وحبه، المتوسل به إلى رضى الله ربه، يوسف بن إسماعيل بن نصر :

«كتبه إليك يارسول الله والدمع ماح، وخيل الوجد ذات جماح، عن شوق يزداد كلما

وتطيب بزيّا معاهدك الطاهرة وبيوتك، وتقف وقوفَ الخضوع والخشوع تجاه تابوتك، وتقول بلسان التملّق، عند التشبّث بأسبابك والتعلّق، منكسرة الطرف، حذراً بهرجها من عدم الصرف : يا غياث الأمة، وغمام الرحمة، ارحم غربتي وانقطاعي، وتغمد بطوّك قصر باعي، وقوّ على هيبتك خوّ طباعي، فكم جُزت من لج مهول، وحُبت من حزون وسهول، وقابلع بالقبول نيابتي، وعجّل بالرضى إجابتي، ومعلوم من كمال تلك الشيم، وسجاياتيك الديم، أن لا يخيب قُصدُ من حط بفنائها، ولا يظلم وارداً أكبّ على إنائها.

«اللهم يامن جعلته أول الأنبياء بالمعنى وأخرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشورة، وملكته أمته ما رُوي له من زوايا البسيطة المعمورة، وجعلتني من أمته المجبولة على حبه المفطورة، وشوقتي إلى معهاده المبرورة، ومشاهده المُرورة، ووكلت لسانني بالصلاة عليه، وقلبي بالحنين إليه، ورغبتني بالتماس مآلديه، فلا تقطع منه أسبابي، ولا تحرمني من حبة ثوابي، وتداركني بشفاعته يوم أخذ كتابي.

«هذه يارسول الله وسيلة من بُعدت داره، وشطّ مزاره، ولم يجعل بيده اختياره. فإن لم تكن (3) للقبول أهلاً فأنّت للأغضاء والسماح أهل، وإن كانت ألفاظها وعرة فجنابك للقاصدين سهل، وإن كان الحب يُتوارث كما أخبرت، والعروق تدس حسبما إليه أشرت، فلي بانتسابي إلى سعد عميد أنصارك مزية، ووسيلة أثيرة حفية، فإن لم يكن لي عمل ترتضيه فلي نية، فلا تنسي ومنْ بهذه الجزيرة المفتحة بسيف كلمتك، على أيدي خيار أمتك، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أقفالكَ، نعوذ بوجه ربك من إغفالكَ، ونستنتشق من ربح عنايتك نفحة، ونرتقب من مُحيا قبولك لمحّة، ندافع عدواً طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى، فمواقف التمحيص قد أُعيّض منْ كتب وورخ، والبحر قد أصمت من استصرخ، والطاغيّة في العدوان مستبصر، والعدو ملحق والولي مقصر، ويجاهك ندفع ما لانطق، وبعنایتك نعالج سقيم الدين فيفيف، فلا تفردنا ولا تهملنا، وناد ربك فينا ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ (البقرة : ٢٧٦)، وطوانف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم، وربك يقول لك وقوله الحق ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال : ٢٢) والصلاة والسلام عليك ياخير مضر طاف وسغى، وأجاب داعياً إذا دعا، وصلى الله على جميع أحزابك وألّك، صلاة تليق بجلالك، وتحق لكمالك، وعلى ضجيعيك وصديقك، وحبيبك ورفيقك، وخليفك في أمتك، وفاروقك المستخلف بعده على جلتك، وصهرك ذي النورين المخصوص ببرك ونحلتك، وابن عمك سيفك المسلول على حلتك، بدر سمانك ووالد أهلتك، والسلام الكريم عليك وعليهم كثيراً أثيراً ورحمة الله تعالى وبركاته، وكتب بحضرة جزيرة الأندلس غرناطة، صانها الله تعالى ووقاها، ودفع عنها ببركتك كيدَ عداها» انتهت الرسالة.

(3) الضمير يعدو إلى «وسيلة» ويعني بها الرسالة.

تعجبتُ من سيفي وقد جاور الغضابُ
وأعجبُ أن لا يورقَ الرمحُ في يدي
فيا سرُّخَ ذاك الحيِّ لو أخلفَ الحيا
ويا هاجِرَ الجوّ الجديبِ تلبُّثًا
ويا قِدادَ الزنْدِ الشُّحاحِ ترفُّقًا
أيا خِلائِمَ الرسلِ المكينِ مكانهُ
فؤادي على جمرِ البعادرِ مقلَّبُ
فوالله ما يزدادُ إلا تلهيبًا
فليتَّله ليلَ السَّليمِ ويومُها
هوأي هُدًى فيك اهتديتُ بنوره
وحسبي على أني لصاحبك مُنتِم
عدتُ عن مغانيك المشوقة للعدا
حِراسُ على إطفاءِ نورٍ قد خُثَّه
فكم من شهيدٍ في رضاك مجدِّل
تمرُّ الرياحُ الغُفلُ فوق كلومهم
بنصرِكَ عنك الشغلُ من غيرِ منَّةٍ
فإن صَحَّ منك الحظُّ طاوعتِ المنى
ولولاك لم يُعْجِمْ من الرومِ عُودها
وقد كانتِ الأحوالُ، لولا مراغِبُ
فما شئتُ من نصرٍ عزيزٍ وأنعمُ
منايرُ عرَّ أذنَ الفتَحِ فوقها
نَقُودُ إلى هيجانها كلَّ صائِل
وتجتأبُ من سرِّدِ اليقينِ مدراعاً
إذا اضطربَ الخطيُّ حولَ غديرها
فعدراً وإغضاءً ولاتنسَ صارخاً
وجاهلك بعذِ الله نرجسُ، وإنَّه
عليك صلاةُ الله ما طيبَ الفضا
وما اهتزَّ قدُّ للغصونِ مرتجُ

بقَلْبِي فَلَمْ يَسْبِغْهُ مِنْهُ مَذِيبُ
ومن فوقه غيثُ المشوقِ سَكِيبُ
لأغناك من صوبِ الدموعِ صَبِيبُ
فعهدي رطبُ الجانبينِ خَصِيبُ
عليك فشوقي الخارجيُّ شَبِيبُ
حديثُ الغريبِ الدارِ فيك غَرِيبُ
يُمَاحُ عليه للدموعِ قَلِيبُ
أبصرتُ ماءً ثارِضَ عَنْهُ لَهَيبُ
إذا شُدَّ للشوقِ العصابُ عَصِيبُ
ومنتسبي للصاحبِ منك نَسِيبُ
وللخزرجيينِ الكرامِ نَسِيبُ
غفارِبُ لا يخفي لهنَّ دَبِيبُ
فمستَلَبُ مِنْ دُونِهِ وَسَلِيبُ
يظللُه نَسِـــرٌ ويندُبُ ذِيبُ
فتعيقُ من أنفاسِها وتطِيبُ
وهل يتساوى مَشْهَدُ وَمَغِيبُ
ويبعدُ مرمى السهمِ وهو مُصِيبُ
فعودُ الصليبِ الأعجميِّ صَليبُ
ضمنتُ وعودُ بالظهورِ، تُرِيبُ
أثابَ بهنَّ المؤمنينِ مُثْنِيبُ
وأفصحُ للعضبِ الطريرِ خَطِيبُ
كما ريحُ مكحولٍ اللحاظِ رِيبُ
يكفُّ ثَمَّها من يجتني ويثِيبُ
يروقُك منها لَجَّةٌ وقَضِيبُ
بعزِّكَ يرجو أن يجيبَ مجِيبُ
لحظُ مليءٍ بالوفاءِ رَغِيبُ
عليك مطيلُ بالثناءِ مطِيبُ
وما افتَرَّ ثَغَرُ للبروقِ شَنِيبُ

«إلى حجة الله تعالى المؤيدة ببراهين أنواره، وفائدة الكون ونكتة أدواره، وصفوة نوع

يقطر فتتقط به الحروف وتفصل الأسطر، وتوهّم المثل بمثواك المقدس لايمر بالخاطر سواء ولايخطر، عن قلب بالبعد عنك قريح، وجفن بالبكاء جريح، وتآؤد عن تبريح، كلما هب من أرضك نسيم ريح، وانكسار ليس له إلا جبرك، واعتراب لا يؤنس فيه إلا قريك، وإن يقض فقرك، وكيف لا يسلم في مثلها الأسى، ويوحش الصباح والمساء، ويرجف جبل الصبر بعدما رسا، لولا لعل وعسى، فقد سارت الركبان إليك ولم يقض مسير، وحومت الأسراب عليك والجناح كسير، ووعدت الآمال فآخلفت، وحلفت العزائم فلم تفر بما حلفت، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل، إلا على التمثيل، ولا من المعالم الملتزمة التنوير، إلا على التصوير، مهبط وحي الله تعالى ومتمنزل أسمائه، ومتردد ملائكة سمانه، ومدافن أوليائه، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه، رزقني الله تعالى الرضى بقضائه، والصبر على جاحم البعد وزمضائه - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الإسلام بالأندلس قاصية سبيلك، ومسحبة رجليك يارسول الله وخيلك، أناني مطارح دعوتك ومساحب ذيلك، حيث مصاف الجهاد في سبيل الله وسبيلك قد ظللها القتام، وشهبان الأستة أطلعها منه الإعتماد، وأسواق بيع النفوس من الله تعالى قد تعدد بها الأيام والأيام، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور، والشهداء تحف بها الحور، والأمم الغريبة قد قطعها عن المدد البحور، حيث المباسم المفترقة، تجلوها المصارع البرقة، فتحيتها بالغراء، تغور الأزاهر، وتنبهها صوادح الأنوار برنات تلك المزاهر، وتحلي السحاب أشلاها المعطلة من ظلها بالجواهر، وحيث الإسلام من عدوه المكابد بمنزلة قطرة من عارض غمام، وخصة من ثبير أو شمام، وقد سدت الطريق، وأسلم الفراق الفريق، وأغص الرقيق، وينس من الساحل الغريق، إلا أن الإسلام بهذه الجهة المتمسكة بحبل الله تعالى وحبلك، المهدية بإدلة سبلك، سالم والحمد لله تعالى من الانصداع، محروس فيه وجود الطوائف المضلة، وإلا ما يخص الكفر من هذه العلة، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلة

«ولهذه الأيام يارسول الله أقام الله تعالى أوده برأ بوجهك الوجيه وزغياً، وإنجازاً لوعدك وهو الذي لا يحلف وعداً ولا يخيب سعيّاً، وفتح لنا فتوحاً أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب، وبشئرتنا منه تعالى بغفر التقصير ورفع التشريب، ونصرنا وله المنة على عبدة الصليب، وجعل لآلنا الرديني ولآلنا السردي حكم التغليب، وإذا كانت الموالي التي طوقت الأعناق منئها، وقررت العوائد الحسان سيرها وسننها، تبادر إليها نوابها الصرخاء وخدامها النصحاء بالبشائر، والمسرات التي تشاع في العشائر، وتجلو لديها نتائج أيديها، وغايات مباديها، وتتأحفها وتهاديهها، بمجاني جناتها وأزاهر غواديها، وتطرف محاضرها بطرف بواديها، فبابها يارسول الله أولى بذلك وأحق، ولك الحق الحق، والحر منّا عبدك المسترق، حسبما سجله الرق، وفي رضاك من كل من يلتمس رضاه المظمع، ومثواك المجمع، وملوك

مساجدها المغتصبة المكرهة، وفجع بحفظها القيل الأفيـل وأبرهة، وانطلقت بذكر الله الألسنة المذرّمة، وفاز بسبق ميدانها حيادك الفرهة، هذا وطاغية الروم على توقّر جموعه، وهول مرتبه ومسموعه، قريب جوارّه، بحيث يتصل جوارّه، وقد حرك إليها الحنين حوارّه.

«ثم نازل المسلمون بعدها شجا الإسلام الذي أعيا النطاسي علاجّه، وكرك⁽²⁾ هذا القطر الذي لا تطاول أعلامه ولا تصاول اعلاجّه، وركاب الغارات التي تطوى المراحل إلى مكايـدة المسلمين طي البرود، وحجر الحيات التي لا تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود، ومُنقُصُ الورود في العذب المورود، ومُنقُصُ المضاجع، وحلم الهاجع، ومجهر الحطب الفاجي الفاجع، ومستدرّك فاتكة الراجع، قيل هبوب الطائر الساجع، حصن⁽³⁾ إشراف⁽⁴⁾ حماء الله تعالى دعاء لاخبراً، كما جعله للمتفكرين في قدرته معتبراً، فاحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد، وأذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد، وحفت به الرايات يسميها وضمتك، ويلوح في صفحاتها اسمُ الله تعالى واسمك، فلا ترى إلا نفوساً تتزاحم على مؤرد الشهادة أسرابها، وليوثاً بضدق في الله تعالى ضرائبها، وأرسل الله عليها رجزاً إسرائيليّاً من جزاد السهام، تشذ آياته عن الأفهام، وسدد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام، من بعد الاستعلاق والاستيهام، وقد عبثت جوارح صخوره في قنائن الهام، وأعيا صعبه على الجيش اللّهام، فأخذ مسانعه النقض والنقب، ورغا فوق هله السقب⁽⁴⁾، ونصبت المعارج والمراقي، وقُرعت المناكب والتراقي، واغتنم الصادقون مع الله تعالى الحظ الباقي، وقال الشهيد السابق: يا فوز استبأني، ودخل البلد فألحم السيف، واستلبّ البحث والزيف، ثم استخلصت القصبة فعلت أعلامك في أبراجها المشيدة، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة⁽⁵⁾، وشكر الله تعالى في قصدها مساعي النصائح الرشيدة، وعمل مايرضيك يا رسول الله في سدا تلمها، وصوّن مستلمها، ومداواة أَلَمها، حرصاً على الاقتداء في مثلتها بأعمالك، والاهتداء بمشكاة كمالك، ورتب فيها الحماة تشجي العدو، وتصل في مرضاة الله تعالى ومرضايتك برواحها الغدو.

«ثم كان الغزو إلى مدينة إطريرة⁽⁶⁾ بنت حاضرة الكفر إشبيلية التي أظلتها بالجنّاح السائر، وأنامتها في ضمان الأمان للحسام البائر، وقد وتر الإسلام من هذه المومسة البائسة

(2) شبهه بحصن الكرك، وكان ذا شأن ومنعة في الحروب الصليبية

(3) حصن أشتر (Iznagar) في الجنوب الشرقي لحصن روضة (Rule) على ضفة رافد من روافد شنيل وقد صحف في ق فكتب «أشب»

(4) السقب ولد الناقة وفي العبارة إشارة إلى ما حلّ بقوم صالح عندما عقروا الناقة، فيقال في المثل لتصوير الهلاك «رغا فوقهم السقب»

(5) النشيدة الضالة التي تشد أي نطلب

(6) إطريرة (Utrera) إلى الجنوب الشرقي من إشبيلية على بعد 39 كيلومترا، وقد ضيّبت بكسر الهمزة وسكون الطاء.

صرعاهم ولائم للنسور، ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم فقرعوه، وجدلوا من دافع عن أسواره وصنرعه، وأكواس الحتوف جرعه، ولم يتصل أولى الناس بأخراهم، ويحمد بمخيم النصر العزيز سراهم، حتى خذل (9) الكافر الصبر وأسلم الجلد، ونزل على المسلمين النصر فدخل البلد، وطاح في السيل الجارف الوالد منه والولد، وأتهم المطرف والمتد، فكان هولاً بعد الشناعة، وبعثاً كقيام الساعة، أعجل المجانيق عن الركوع والسجود، والسلالم عن مطاولة النجود، والأيدي عن ردم الخنادق والأغوار، والأكبش عن مناطق الأسوار، والنفوط عن إصعاق الفجار، وعمد الحديد، ومعاول البأس الشديد، عن نقب الأبراج ونقض الأحجار، فهيلت الكتبان، وأبید الشيب والشبان، وكسرت الصلبان، وفجع بهدم الكنائس الرهبان، وأهبطت النواقيس من مراقيها العالية وصروحها المتعالية، وخلعت ألسنتها الكاذبة، ونقل ما استطاعته الأيدي المجاذبة، وعجزت عن الأسلاب (10) نوات الظهور، وجلل الإسلام شعار العز والظهور، بما خلعت عن مثله سواف الدهور والأعوام والشهور، وأعرست الشهداء ومن النفوس المبيعة من الله تعالى نحل الصدقات والمهور ومن بعد ذلك هدم السور، ومحيت عن محيطه المحكم السطور، وكاد يسير ذلك الجبل الذي اقتعدته المدينة ويدك ذلك الطور، ومن بعد ما خرب الوجار، عُقِر الأشجار، وعُفِر المنازل، وسلطت على بنات التراب والماء النار، وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصائب، وأصمى لبتها السهم الصائب، وجللتها القشاعم العصائب، فالذئاب في الليل البهيم تغسل، والضباع من الحذب البعيد تنسل، وقد ضاقت الجدل عن المخائق، وبيع العرض الثمين بالدانق، وسُكبت أسورة الأسوار، وسويت الهضاب بالأغوار، واكتسحت الأحواز القاصية سرايا الفوار، وحجبت بالدخان مطالع الأنوار، وتخلفت قاعاتها عبرة للمعتبرين وعظة للناظرين، وأية للمستبصرين، ونادى لسان الحمية، يا لثارات الإسكندرية، فاسمع أذان المقيمين والمسافرين، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين.

«ثم كان الحركة إلى أختها الكبرى، ولذتها للحرينة عليها العبرى. مدينة أبدة (11) ذات العمران المستبحر، والربض الخرق المصحر، والمباني الشم الأنوف، وعقائل المصانع الجمة الحلي والشنوف، والغاب الأنوف، بلدة التجر، والعسكر المجر، وأفق الضلال الفاجر الكذب على الله تعالى الكاذب الفجر، فخذل الله تعالى حاميتها التي تعيي الحسبان عدوها، وسجر بحورها التي لايرام مدوها، وحقت عليها كلمة الله تعالى التي لا يستأع رذها، فدخلت لأول وهلة، واستوعب جمها والمنة لله تعالى في نهلة، ولم يكف السيف من عليها ولا مهلة، فلما تناولها الغفا والتخريب، واسباحها الفتح القريب، وأسند عن غواليها حديث النصر الحسن

(9) في نسخة جذل ، وصوبناه .

(10) في نسخة الأشلاء .

(11) أبدة (Ubedat) - بتثديد الباء - إلى الشمال الشرقي من جيان

منزور الهجوع، فاعلامها خاشعة خاضعة، ولدائها لثدي البؤس راضعة. والله سبحانه يُوفدُ
بخبير فتحها القريب ركاب البشرى، وينشر رحمته قبلنا نشرًا

«ثم تنوعت يارسول الله لهذا العهد أحوال العدو تنوعاً يوم إفاقته من الغمرة، وكادت
فتنته تؤذن بخمود الجمرة، وتوقع، وحذر ذلك السد الناقع، وخفف الخرق الذي يحار فيه
الراقع، فتعرفنا عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك، وموصول عنايتك، فانزل النصر والسكينة،
ومكن العقائد المكيئة، فثابت العزائم وهبت، وأطردت عوائد الاقدام واستتبت، ومارع العدو
إلا خيل الله تعالى تجوس خلاله، وشمس الحق توجب ظلاله، وهذاك الذي هديت بذحض
ضلاله، ونازلنا حصني قنبل والحائر⁽¹⁹⁾، وهما معقلان متجاوران يتتاجى منهما الساكن
سراً، وقد اتخذنا بين النجوم قراراً، وفصل بينهما حسام النهر يروق غراراً، والتف معصمه
في حلة الغضب وقد جعل الجسر سواراً، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه، وارتفعت
أعلام الإسلام بأعلاه، وتبرجت عروس الفتح المبين بمجلاه، والحمد لله تعالى على ما أولاه

ثم تحركنا على تفتة⁽²⁰⁾ تعذي ثغر الوسطة على عدوه المساور في المضاجع،
ومصبجه بالفاجى الفاجع، فنارلنا حصن روضة الأخذ بالكظم، المعترض بالشجا اعتراض
العظم، وقد شحنة العدو مدداً بنيساً، ولم يألُ اختياراً رأياً ولا تلبساً، فاعيا دأوه، واستقلت
بالمداغة أعداؤه، ولما آتلع إليه جيد المنجيف، وقد برك عليه بروك الفنبق، وشد عصام العزم
الوثيق، لجأ أهله إلى التماس العهود والمواثيق، وقد غصوا بالريق، وكاد يذهب بآبصارهم
لعانُ البريق، فسكناه من حامية الماهدين بمن يحيى ذماره، ويقرر اعتماره، واستولى أهل
الثغور إلى هذا الحد على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها، وشرعوا أرضية الرماح إلى قلب
قلوبها فمتحوها.

«ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفضُ عن الأعراف متراكم الغبار، وترحي عن أباط خيلها
شدَّ حُزْم المغار، حتى عاودت النفوس شوقها، واستتبعت نوقها، وخطبت التي لأفوقها، وذهبت
بها الآمال إلى الغاية القاصية، والمدارك المتصاعبة على الأفكار المتعاصية، فقصدنا الجزيرة
الخضراء باب هذا الوطن الذي من طرق وادع، ومطلع الحق الذي صدع الباطل صادعه،
وشية الفتح التي برق منها لامعه، ومشرف الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعه،
وفرضة المجاز التي لا تنكر، ومجمع البحرين في بعض ما يذكر، حيث يتقارب الشيطان،
ويتوازي الخطان، وكاد أن تلتقي خلقنا البطان، وقد كان الكفر قد قدر قدر هذه الفرصة التي

(19) في نسخة والحوائر.

(20) على تفتة على أثر

وتعلّق بالأمان النساء والصغار، وبودرت المدينة بالتطهير ونطقت المادّن العالمة بالأذان الشهير، والذكر الجهير، وطرحت كفارها التماثيل عن السجد الكبير، وإزّرى بالسف النواقيس لسان التهليل والتكبير، وأنزلت عن الصروح أجرامها، يعنى الهندام⁽²⁵⁾ مراشها، وألقى منبر الإسلام بها مجفواً فانتست غربته، وأعيد إليه قرية وقربته، ونلا وأعطى الحمى المشهود، قول منجز الوعود ومُورق العود⁽²⁶⁾ وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم، فما اغتت عنهم ألهمهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تنجيح، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهُ البم شديد، إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة، ذلك يوم مجموع له الناسُ وذلك يوم مشهود⁽²⁷⁾ فكان الدمع يُغرق الأماق، والوجد يستأصل الأماق، وار تفتت الرغبات، وعلت السبات، وجيء بأسرى المسلمين برسفون في القيود الثقال، وينسلون من أحداق الاعتقال، ففكت عن سوقهم أساود الحديد، وعن أعناقهم فلكات البناس الشديد، وظلّوا بجناح اللطف العريض المديد، وترتت في المقاعد الحامسة، وأزهرت بذكر الله تعالى المادّن السامية، وعادت المدينة لأحسن أحوالها، وسكنت من بعد أهوالها، وعادت الجالية إلى أموالها، ورجع إلى القطر شبابه، ورز على دار الإسلام بانه، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه، فهي اليوم في بلاد الإسلام قلاذه البحر، وحاضرة البر والبحر، أبقى الله تعالى عليها وعلى ماوراءها من بيوت امك، ودافع الله في نفسك، بكمة دينك الصالحة الباقية⁽²⁸⁾، وعدنا والصلاة عليك شعار البرور والقول، وهجروا السروق والأقول والجهاد يارسول الله الشأن المعتمد، ماامد بالأجل الأمد، والمستعان الفرد الصمد

«ولهذا العهد يارسول الله صلى الله عليك، وبلغ وسيلني اليك، بلغ من هذا القطر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من أذرعه، ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه، الى أن لاطفئضا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، ورفع التماثيل بيوت الله تعالى ونصبها، فانجاب عنها بنورك الحلك، ودار بإدائها إلى دعوتك الفلك، وعاد إلى مكاسب القرآن الذي نزل به على قلبك الملك، فوجبت مطالعة مقرّك النبوي بأحوال هذه الأمة المكفلة في حجرك، المفضلة بإدارة تجرك، الهندية بانوار فجرّك، وهل هو إلا ثمرات سفيك، وتناجى رعيك، وبركة حبك، ورضاك الكفيل برضي ربك، وغمام رعدك، وإبجاز وعدك، وشعاع من نور سعدك، وبذر يجنى ريعه من بعدك، ونصر رابتك، وبرهان ايتك، وأثر حمامك ورعابتك

«واستبنت هذه الرسالة مائحة بحر الندى المنوح ومفانحة باب الهدى بفتح الفتوح، وفارعة المظاهر والصروح، وملقية الرحل بمتنزل الملائكة والروح، لتد إلى قبولك يد استمناح، وتطيّر إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف موقف الانكسار، وإن تجرّها امناح

(25) الهندام الآلات

وقفية المدرسة البوعنانية بداخل فاس

وفي حديثه (١٨١٨٨) عن المدرسة الكبرى المعروفة بالمتوكلية ينبغي أن نعرف أن هذه المدرسة تعتبر مؤسسة حضارية فائقة لا بما تضمه من العدد الكثير من الغرف التي تؤوي الطلاب، ولكن بما اشتملت عليه من تجهيزات وبما فاقت به المدارس الأخرى أيضاً حيث إنها اشتملت، بالإضافة إلى رواقين متقابلين للدرس، على صومعة تشرف على المدينتين فاس القديم وفاس الجديد، وعلى قاعة للصلاة ازدانت بمنبر رائع بديع .. كما اشتملت على ساعة مائية كانت حديث الكتاب والشعراء رديحاً من الزمان، نصبت قبالة باب المدرسة الرئيسي في شارع الطالعة الكبرى غير بعيدة عن دار الوضوء التي تعدّ بدورها متحفاً رائعاً لأنها تنسبك وأنت تتجول ببصرك في قبتها أنك في بيوت لم يأذن الله برفعها ' وقد روى أن السلطان أبا عنان وقد أطلعه المهندس علي المصاريف الباهضة التي انفقها لم يستكثر تلك الأرقام بل مرق الأوراق ورمى بها في الساقية التي تخرق المدرسة متمثلاً بالبيت القائل :

ليس لما قرت به العين ثمن لايأس بالغالي إذا قيل حسن !!

وهذا هو نص أسماء الأوقاف المرصودة لسير المدرسة منقوشة على رخامة مغروسة في الجدار هناك حتى يقف عليها الناس .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وسلم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السنوية المسماة بالمتوكلية المؤسسة على تقوا من الله ورضوان المعدة لتدريس العلم واطراء القرآن المفوضة بإقامة فرض الجمعة المخصوصة بالمرافق الشاملة والمحاسن المستبعدة مولانا الخليفة الامام حسنة الأيام وناصر الإسلام ، المجاهد في سبيل الله، المضفر بمعونة الله، العالم العامل، الصالح العادل، الفنت الآواب، صاحب الحرب والمحارب، أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، المتوكل على الله أبو عنان، فارس ابن مولانا الإمام العادل، الفاضل الكامل، الأزوع، الأخشى لله الأخشع، أمبير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن ابن مولانا الإمام الطاهر، المؤيد الطاهر وجواد الاجواد، واسد الاساد وأمير المسلمين وناصر الدين والمجاهد في سبيل رب العالمين وابي سعيد ابن مولانا الإمام العابد والفانت الزاهد والذي اعز الإسلام جهاده، المبرور وكرم في سبيل الله اثر اجتهاده الماثور، أمير المسلمين وناصر الدين والمجاهد في سبيل رب العالمين، أبي يوسف بن عبد الحق وصل اله تعالى، لمقامه العلي أسباب التاييد والتمكين، وسناله النصر العزيز والفتح المبين وجعل الخلافة كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين وجزاه عن الإسلام والمسلمين أفضل جزاء المحسنين، فصد ايده الله تعالى ببنائنا وجه الله تعالى، في احياء رسوم العلوم وتجديد العناية بالمنقول والمفهوم، ابتغاء حسن الثواب على تجليل أعمال

روضها المجاور الأرواح. أحسن من الوشي اليماني تنميماً، وأبدع من حلتي الغواني جمعا وتفريقاً

قد قام بقبليلها على العادة جامع للمحاسن جامع . ومسجد يتحير فيه راء ويعجب فيه سامع. قد لبست سقفه من الزخارف حلاً. وجرت ذيل الإبداع والإتقان فضلاً. وأزرت شمساً بالبدور وأبدت وجوه الابتهاج. وتلفت أعراب البدائع من الزجاج.

وتقابلها بالجوف قبة صعدت ف الجو. وتنزه كمالها عن الليث واللو. وارتفعت ارتفاع النسر الطائر. وجمعت بين الحسن الباطن والحسن الظاهر

وتدور بهذه الزاوية المباركة من جهاتها الأربع براطل بديعة الاختراع. متقابلة الأشكال والأوضاع. قد قامت سواريتها كأنها عرائش تجلي. وبأرضها من الصنائع ماهو أبدع من حللن التي تبلى.

وقد امتد من الجامع إلى القبة صهريج بديع الطول والعرض يلتفت عن زرق كأنما عيونه عيون للأرض. ينسخ به الرياح دروعاً لكنها فارسية ولربما جاءت بها المياه رافضة القياس كأنما ظاهرة داودية.

وبشاطئي هذا الصهريج أسدان لم يغل التبر، حين نفق منهما الصفر، ولم تبأ الزهر، حين طلع أمامهما الزهر. الماء على أفواههما تحدر، وللحباب أمامهما تحير وللحصا خيفة منهما تستر. من كل ثقل على النفوس خفيف. قد سخر للصالحين وشرف أحسن تشريف وعظم بمحله إيناس. فكانما عرينه كناس وفي طي ذلك للتنعم أنواع وأجناس.

وفي كل ركن من أركان هذه الزاوية باب يشرع إلى دار بديعة البناء، متناسبة الأجزاء، مكملة المنافع. منيعة المصاعد والمصاعد والمطالع. إلا الباب الذي بالجوف الموالي إلى جهة الغرب فإنه يشرع إلى دار وضوء أطردت فيها مياه، وطابت لميازبها أفواه. وخرجت بها خطايا المتوضي مع آخر قطر الماء. فعاد نقياً من الذنوب إلى إخوانه الصلحاء مخلصاً لمولانا أمير المؤمنين في الدعاء. شاكراً لتهممهم بالفقراء وأبناء السبيل المشتاقين إلى الأوطان والأبناء. والمستضعفين الذي قصدوا جنبه الذي استهميت به سحائب النعماء، واستنسقت غمام الآلاء.

والديار الثلاث المذكورة إحداها معينة لإمام هنالك، والآخرى للمؤذن الذي يسلك في إقامته شعائر الدين المناهج الواضحة المسالك. والثالثة للناظر في الأوقاف والأحباس، المتصرف في إعداد الطعام وترتيب الناس.

الزاوية

معجبة حاملها ملازمة للشرب فلو كانت عاقلة لكانت نداما وكل قواديسها مركب مفيد بالوضع فلو كانت عاقلة لكانت نداما وكل قواديسها مركب مفيد بالوضع قول كان لفظاً لكان كلاماً من كل منطق بروي عن الحال، ويحود مذنب الفضة على السؤال، ويخدم على رأسه إذا جاء زوار وهو مع كرمه لايبالي في الفخر ولو شاء لقال : أنا فخار.

وماهي عند السقي إلا كواكب، قد قرن بالسعادة سنها الطالع والغارب، ومنازل أنوارها متصلة الري، تسر الولي، في الراوية بالوسمي الأنا تقوم عندها لله بالحق الأوجب، وكم ندى بمانها الروض فلد يكن المتأدي مضافاً، بل طاب فآخرج نباتاً طيباً كره أنوعاً وأصنافاً وسرى إلى الأشجار فآلقته في عيونها، وطهرت بتأبيع حكمته من ذلك على السنة غصونها فدعت إلى الاعتبار، فزيت كمامة فلوينا بأزهار الأسرار.

زاد الله في معاني مولانا السلطان الباهر الأنوار الذي زين بأفعاله الجميلة وحود الأزمان والأعصار

- ذكر الناعورة :

وأوصافها المحمودة المثورة :

ولما رأى مولانا أيده الله أن هذه السانية قد لاسلخ في العظيمة ولايسرع بعمل فربانية دوراتها الحمارية وإنه قد يحتاج إلى أكثر من مانها واعظم من نائلها وحبانها، أمر رضي الله عنه أن تعمل على نهرها ناعورة توفي بالمقصود وبحسب ماوها المستوى على وجودها بالجود

فلايزال الليل والنهار مضرباً مجدداً لحكمه الثابت بالقياس الجلي ومؤكداً، فجاءت ناعورة جميلة الآثار مقبولة العمل وإن صلت مستندة إلى الجدار عزيزة عند أهل الشرع مرجوة في كل أحيانها للنفع إلا أنها تسرق الماء من حررة فلايحكم عنه بالقطع.

بدبعة روت من أحاديث المحاسن كل مسند، وغمت على جانب المسجد فكان غناؤها على معبد مرفعة عليه، فريضة دولا بها مبرية مقدمة بحب فضل جسارة، وتقهر سيف النهر بقناة إلى الزاوية خطارة

ولم أر قبل مانها مسلسللا يدخل الجنة على حذله، وبإيد المزاج يسرع أتم الإسراع في حركته وانتقاله جارية بادية الزينة حكك عليها منجم نهرها بالطينة، فأرى ظالها اس، طالع، محقق الدرجة ليس يشان بخاص

أجرى الله الصالحات على يدي من أجراه. وتقبل أعماله التي قدمها لأخراه بمنه
ويمنه.

﴿فصل﴾

ولما تخلصت الزاوية التي هي شمس والزوايا كواكب، وتم ذلك المصنع الذي هو بحر
والمصانع أنهار ومذائب. أمر مولانا أيده الله بكتب ظهير كريم بتعيين مرتبات للقائمين هنالك
بالوظائف، وجرايات للمتولين لاشغالها المرضية السالف والخالف، وأن يرتب هنالك جملة من
الفقراء الصوفية أولي الأسرار القلبية، والأنوار القدسية، ليقيموا هنالك لإقامة الذكر، ملعين
مع شيخهم- بالحمد لله والشكر، عامرين المجالس التي تحف بها ملائكة الرحمان. وتنزل
عليها الرحمة في كل الأحيان، سالكين مسالك أهل الطريق، دارجين على مقامات أهل
التحقيق. مكرمين للضياف، موضحين لهم سبل الانتلاف. جامعين لهم على مركز التقوى ،
معلقين آمالهم بالأسباب التي لاتزال تقوى.

وكذلك تعينت الجرايات لجملة من الخدم المتزوجات لأمثالهن عدداً من العبيد المجتمعين
في قبضة الرق السعيد المختارين للتحبيس على ذلك الموضع الذي هو أبداع من القصر
المشيد، ليقوموا بتنظيف تلك الديار، وخدمة الزوار، وعمل الأطعمة العظيمة الإيثار.
وعينت للقبّة السعيدة وسائر البيوت فرش حسنة النعوت، من الطنافس والقطف،
والزرايبي واللحف.

وصدرت بخطي تلك الظهائر الكريمة، والمراسم الشريفة. واستقر الحال على
مارتضاه الإمامة المنيبة والخلافة المنيفة. ونجحت الأمور، وتلجت بروية الصدور الصدور.
وزادت الأنوار، وتوالت الأذكار، ورقّت شمائل الأسرار. وهبّت الصبا والشمائل بالاستبشار.
فهي زاوية سعيدة السعداء إلا أنها في الغرب، ورياض ربيع إلا أنه نابت منها بالقرب.

﴿فصل﴾

ومن جملة من سكن هذه الزاوية المباركة من الواردين عليها، والصلحاء القاصدين
إليها، ولي من الأولياء أقام هنالك نحو نصف عام صامتاً لايتكلم، صائماً الدهر يتحدث
ويتألم. مقبلاً على العبادة، طالباً كيمياء السعادة. لايلتفت إلى مخلوق، ولايفتر عن أداء ما لله
عليه من حقوق.

إلى أن اعتراه مرض برج به، ووصل سبب التألم بسببه. فعند ذلك تكلم بما خف، ومد
للمصافحة الكف. وصرف وجهه إلى رؤية القاصد. وغدا ألمه موصولاً، قاحتاج إلى العائد.

اللّه بن أبي مدين. فقال الواجب، وسلك في أموره على السنن اللائح.

ولما حصل مفتاح الزاوية بيده، وناسبت أحوالها الحسنة حسن معتقده، واستحق ذلك الطوق جيد ولايته، وكانت تلك الخطة بداية في تقديمه، ونهاية رعايته، رأى حفظه الله أن يشهر أحوال تلك الزاوية في الآفاق، ويشيع في المعمور عمارتها الجميلة الوفاق. ليقدّم عليها الوفود، وتكرم بمعاهدها العهود. وتحطّ بها الرحال، وتستقدم ببركتها الآمال، وتستكفي بحماها الخطوب، وتستجلى بروحها الكروب. وتتيسر للضعفاء الأقوات، وتصفو من كدرها الأوقات.

فاستدعى أهل فاس إلى الحضور بجامع القرويين في يوم أخذت به السعود مأخذها، واسترجعت الأفراح من يد الزمان أخانذها. واسترجعت في ميزان الابتهاج تباشيره، واستوضحت في وجه السرور أساريه. وطاف بكعبة الآمال طواف القدوم، وأبدى من محاسنه ماهو أبدع من الوشي المرقوم.

فجاء الناس زرافات وأفذاذاً، وأغذوا إلى إجابة داعيهم اغذاذاً، ولم تتسلل البشرية عنهم لوذاً بل أنفذ لهم حكم السعادة إنفاذاً وأسرعوا إلى الجامع الأعظم إسراع الحجّ ليلاً بين العلمين، وازدحموا بصحنه ازدحام الركائب ليلة النفر بالمأزمين. فما راعهم إلا بروز الشيخ الصالح الولي أبي يعقوب يوسف عمر الإمام نفع الله به فوقف للدعاء ملياً. وأفصح بالثناء على مولانا أيده الله بدياً.

ولم ينشب الناس أن أمنوا على دعائه، وأثنوا أعظم من ثنائه، وحمدوا الله ملء أرضه وسمائه. وقد كان شيوخ الزوايا مجتمعين، والفقراء السفّارة للأوامر مستمعين. وبيد قيم الزاوية مفتاحها الضامن للفتوح، المبشّر بالخير الممنوح الذي فعله حميد، وكل بصر بروية حديده حديد.

فلما طلع حاجب الشمس، وتعرف الأفق بالفصل منها والجنس. خرج خدمة الزاوية مع الفقراء، وأمامهم صدور الشرفاء، وأعلام الفقهاء، وغيرهم من الأعيان الحسباء، ومن انخرط في سلك الدهماء. راقعين أصواتهم بالأذكار والدعاء، مفعمة أنوفهم بالعنبر والورد والكباء. مرسلة عليهم وزن القوارير بغيوث ماء الورد مشوباً بالعنبر، مفضوضة لهم نوافح المسك الأزفر. مضمخة ذيول نسيمهم بشذاه الأذكي وعرقه الأعطر.

وبرزت لذلك المشهد الكريم ربّات الحجال، والمخدرات المحمية ببيض النصال. وامتنأت الطرق بالشبان والكهول والشيب، داعين السميع المجيب، مظهرين للمحبّة التي استجليت ضرائبها المنزهة عن الضريب كالضريب. مخلصين لمولانا أمير المؤمنين المنصور الذي جاء

ولابن جزى في الزاوية المتوكلية نقلاً عن كتاب أزهار الرياض

وله في زاوية أبي عنان

ومن ذلك قوله رحمه الله في الزاوية التي أنشأها أبو عنان، وهو مكتوب عليها إلى
قرب هذا التاريخ :

هذا محلُّ الفضل والإيثار	والرَّفَقِ بالسُّكَّانِ والزُّوَارِ
دارٌ على الإحسان شيدتْ والتقى	فجزاؤها الحُسْنَى وعُقبَى الدَّارِ
هي مُلْجَأٌ للواردين وموَرِدٌ	لابن السبيل وكلَّ رُكْبٍ ساري
أثارُ مولانا الخليفة فارسٍ	أَكْرَمَ بها في المجد من آثارِ
لازال منصورُ اللواء مُظْفَراً	ماضي العزائم سامى المقدارِ
بُنِيَتْ على يدِ عبدهم وخديمِها	بِهِمِ العَلِيِّ مُحَمَّدٌ بنِ جِدَارِ
في عام أربعةٍ وخمسين انْقَضَتْ	مِنْ بَعْدِ سَبْعِ مِئَةٍ فِي الْأَعْصَارِ

* * * * *

تهنئة ملك غرناطة لملك المغرب بتحرير طرابلس

وعن تحرير لمدينة طرابلس 350-IV نجد رسالة هامة إليه في غرض التهنئة من ملك
غرناطة وكانت من انشاء ابن الخطيب ننقلها عن كتابه (ريحانة الكتاب).

المقام الذي شُفي المجدُّ والكرمُ بشِفائه. وعاد جَفُنُ الملة بأنبا عصمته المستقيلة إلى
إِعْفَائِهِ، ويلقى السرور ضيف البشارة المختالة من خبر راحته في أجمل الشارة باحتِفائه
واعْتِفَائِهِ، وثبت للدين الحنيف مافرج به من التعريف دليل السعد المنيف، وقد تطرَّق القياس
الجلي إلى انتقائه، فعاد مورد اليمن إلى صَفَائِهِ، وتبرَّأ الدهر من ذنبه [وعاد إلى وفائِهِ]. مقام
محل أخينا الذي أسباب هذه البلاد الغريبة بأسبابه معقودة، وآمال الإسلام بوجوده موجودة،
وأبواب المخاوف بتأميل بابه العلى مسدودة [وأيدى من بها من الأمم على مجدها الراعي
الذمم مشدودة] فأقطارها بقطر الإعلام بعافيته مَجُودَة، وأكف ناسِها على اختلاف أجناسها
باشكر ممدودة، أَبْقَاهُ اللهُ يَتَلَقَى زيارَةَ اللهِ بالكَيْفِ الرُّحْبِ والعقدِ السَّليمِ، ويعجل بريد
الضراعة والاستقالة، مهما أحسَّ بتغيير الحالة، طارِقاً باب السَّمِيعِ العليم، ونَقْشَتِي من الأجر
الموفور الموفور، والثَّواب المذخور، بضائع إنما يخص الله بها [من عبادِهِ] خزائن الأَوَّاهِ

جَدْ خَلَصَ لِلَّهِ قَصْدَهُ، وَغَزَمُ أَرْهَفَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حُدَّهُ، وَكَرِيمٌ يَقْفُو مَا سَنَّهُ أَبَوُهُ وَجُدَّهُ، فَاسْتَكْبَرُوا مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَنْتُمْ بِسَبِيلِهِ، وَاسْتَعْدُوا عَلَى الْبَحْرِ الْقَاطِعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِتَوْفَرٍ عَدَدِ أَسَاطِيلِهِ، فَقَبِلَ الرَّمَى ثَرَاشَ السَّهَامِ، وَقَبِلَ الْلِقَاءَ يُكْتَبُ الْجَيْشَ اللَّهَامَ. وَعَقْلُ التَّجَرِبَةِ قَدْ بَيَّنَّ مَا أَشْكَلَ، وَفِي مَعْرِضِ الْإِسْتِعْدَادِ قَيْدُهَا وَتَوَكُّلُ، وَمَنْ قَبْلَكُمْ تَلْتَمِسُ الْعَوَارِفَ، وَنَقْتَبِسُ الْمَعَارِفَ، وَنَتَوَسَّدُ الظِّلَّ الْوَارِفَ، وَبِنَظَرِكُمْ السَّدِيدَ نُحَمِّدُ الْمَوَارِدَ وَالْمَصَارِفَ [بِفَضْلِ اللَّهِ]. وَمِمَّا أَطْرَفَ بِهِ كِتَابِكُمْ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَا، وَأَوْزَدَ الْمَسْرَاتِ نَسَقًا، وَجَلَا مِنْ [الظُّلْمِ الْمُتَظَاهِرِ] غَسَقًا، خَبِرَ مَا أَلَّ إِلَيْهِ حَالُ مَدِينَةِ إِطْرَابِلِسَ الَّتِي أَوْقَعَتْ بِالْقُلُوبِ وَقِيَعَتُهَا الشَّنِيعَةَ، وَفَرَعَتْ بِمُلْكِهِ الْكَفَرَ هَضْبَتِهَا الْمَنِيْعَةَ، وَمَاذَرَ اللَّهُ فِيهَا لِمُلْكِكُمْ مِنْ حَسَنِ الصَّنِيعَةِ، وَأَنْتُمْ لَبِيتُمْ عَلَى الْبَعْدِ نِدَائَهَا، وَشَفِيتُمْ دَائَهَا، وَعَاجَلْتُمْ مِنْ يَدِ الْكَفَّارِ فِدَائَهَا، وَذَلِكَ عَنَوَانُ قَبُولِ اللَّهِ عَلَى مَقَامِكُمْ وَإِقْبَالِهِ، وَمُنْغَبَةٌ حَبَايَا اللَّهِ لِجَلَالِهِ، فَمَنْ طَمَحَ إِلَى مَا طَمَحْتُمْ إِلَيْهِ نَظَرَ لِمَنَالِهِ، وَمَنْ شَرَاهَا بِالثَّمَنِ الْخَطِيرِ، وَاللَّهُ مَا جَارَ عَلَى مَالِهِ، فَيَالَهُ مَنْ فَخِرَ جَلَّ قَدْرُهُ عَنِ الثَّمَنِ، وَذَكَرَ تَخَلَّلَ بَعْدَادَ الْعِرَاقِ وَصَنَعَا الْيَمْنَ، وَصَفَقَةَ رَابِحَةٍ إِنْ لَمْ يَعْقِدْهَا مِثْلَكُمْ، وَإِلَّا فَمَنْ لِمِثْلِ ذَلِكَ تَطْمَحُ الْهَمَمُ، وَفِي مِثْلِهِ تَتَنَافَسُ الْأُمَمُ، وَاللَّهُ يَذْخِرُ الْمَالَ، وَعَلَيْهِ تَحُومُ الْأَمَالُ، لُدَّةُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَأُمُّ مِنْ أُمَهَاتِ الْمَدَنِ الْبَحْرِيَّةِ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى التَّوْحِيدُ بِهَا بِسَبَبِكُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا بِالْمَلِكِ الصَّرِيحِ مِنْ مُكْتَسِبِكُمْ، فَاهْنُوا بِهَذِهِ الصَّنَائِعِ الَّتِي يَلْبَسُكُمْ اللَّهُ أَطْوَاقَهَا، وَيَفْتَحُ بِسَعْدِكُمْ أَغْلَاقَهَا، مَا ذَلِكَ إِلَّا لِنَيْةٍ أَطْلَعَ عَلَيْهَا مِنْ ضَمِيرِكُمْ، فَسَدَّدَ إِلَى [الْغَرَضِ الْكَرِيمِ] سَهَامَ تَدْبِيرِكُمْ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَزِيدُكُمْ مِنْ مَوَاهِبِهِ، وَيَحْمِلُكُمْ مِنَ الْبَرِّ عَلَى أَوْضَحِ مَذَاهِبِهِ. وَأَنَّا لَمْ اسْتَجْلِينَا مِنْ كِتَابِكُمْ غُرَّةَ السَّعَادَةِ الْمُشْرِقَةِ. وَشَكَرْنَا مِنْكُمْ مَوْقِعَ الْقِمَامَةِ الْمُغْرَقَةِ [أَمْرًا بِرَقْدِ] الْمُنْشُورِ، فَصَدَعَ بِهِ فِي الْحَقْلِ الْمَشْهُودِ [وَبَلَّغْنَا مِنَ الْإِشَادَةِ بِهِ أَقْصَى الشُّهُودِ] وَرَحَّبْنَا بِوَأْفَدِهِ الْمُرْدُودِ، وَارْغَمْنَا أَنْوَفَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَانِنَا بِلَوَائِهِ الْمَعْقُودِ، حَتَّى يَبْدُوَ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ تَشْيُعُنَا لِمَقَامِكُمْ الْمَحْمُودِ، وَاسْتَظْلَالُنَا بِظِلِّكُمْ الْمَمْدُودِ، وَنَحْنُ نَجْمُ فِي مَرَاجِعَتِنَا بَيْنَ الشُّكْرِ وَالثَّنَا، وَمُضَاعَفَةِ الْهَنَاءِ. وَنَسْلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَطِيلَ بَقَاكُمْ فِي الْمَلِكِ الْوَثِيقِ الْبِنَاءِ، وَيَعْرِفَكُمْ مِنْ لَدِيهِ عَوَارِفَ الْإِعْتِنَاءِ [وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَدِيمُ سَعْدِكُمْ وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ] وَالسَّلَامَ.

معهد الدراسات الإسلامية
المركز الفلبيني للدراسات التقدمية
جامعة الفلبين

November 2, 1976

Dr. AbdelHadi Tazi
Souissi, Ait ouirir
Villa Baghdad
Rabat, Morocco

السلام عليكم

Dear Dr. Tazi:

First of all, I want to thank you for your invariant courtesy towards me when I was in Rabat last May. In the meantime, in accordance with my promise to you, I have been making some studies on the views of various European and Filipino geographers and historians on whether Ibn Batuta went to the Philippines or Japan. The key word is Tawalisi. Henry Yule who presented a translation of Ibn Batuta's account of Tawalisi in his book Cathay and the Way Thither (Vol. IV, revised edition, London, 1916), indentifies it as Sulu, that is, in Southwestern Philippines or Northeastern Borneo. Yule says that this idea of his has some probability. He added that to say that Tawalisi refers to Japan will bring about many more serious objections.

Jose Rizal, one of the national heroes of the Philippines, writing in the last century, gave the opinion that Tawalisi was located in Northwestern Luzon in the Philippines in an area now known as the province of Pangasinan. Rizal's method to deal with the problem was not by the study of the place names or customs mentioned by Ibn Batuta but lay on the basis of distances transversed at given times. However, Professor Nicholas Zafra, former head of the Department of History, University of the Philippines, writing in 1952, argued quite well that if one used the basis utilized by Rizal, then, one would rather point to Tawalisi as somewhere in the coast of Indo-China, more specifically in the Kingdom of Champa. This Kingdom of Champa survived up to 1471 when it was conquered by Annam. (Incidentally, before such a conquest, there was a Muslim community in Champa.) If Professor Zafra's views

(over)

Dr. AbdelHadi Tazi
November 2, 1976
Page 3

whether it is true that they were willing to pay for my trip. If not, then an information from them would help clarify matters and I would know what to do as well as make arrangements with the travel agency not to bring me to court. -- Frankly speaking, I am not in an immediate position here to pay the whole amount; but since I am well-known and respected in my country, I can make arrangements with him to pay by installments for the next two years. I sincerely hope that with your prestige, kindness, and concern for me, you can contact Ustadh Mohammad Bashier of the Secretariat or the proper official at the Foreign Office to find out what the situation is so that I know what is going on and what to do next. I hate to bother you on this detail but it seems that Ustadh Bashier did not receive a telegram I once sent him on this question. Please do not go out of your way to help me in a manner that will disturb or embarrass you.

Would you like me to send you a Xerox or U-Bixed copy of the article on Ibn Batuta? Will you like me to comment on them?

Attached is a modest article written by me on the Qur'an.

With respects to you and your family, I am as always praying to Allah to grant us His Blessings and Mercy.

Your brother in Islam,



CESAR ADIB MAJUL

CAM:lje

Attached: as stated

رسالة فداء

- مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
- هاتف: ٤٦٣١٠٠ - ٤٦٣١٤٠ ص. ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١ الرياض
- شارع محمد الجاسر - حي الورود - السليمانية - المملكة العربية السعودية - برفاً "العرب"

العرب

المرفقات

التاريخ ١٤١١/٩/٩

٢/٦٢٣

الرقم

وفيه الله

استاذنا الجليل العلامة الدكتور عبد الهادي التازي

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ومعد فقد تلقيت الكتاب الكريم المكون في ١٩٩١/٢/٢٨ وأبدت اسفي الشديد لعدم

تكملي من رؤية حبيبتنا واخواننا اثناء اجتماع المجمع لأسباب لا يد لي فيها .

ولقد صرحت بقيام حبيبتنا بتحقيق رحلة ابن بطوطة " ووصفتني انني لأعرفها من

النسخ سوى ما هو مطبوع .

وأكرر من الأعماق اطيب التحيات لاستاذنا الجليل ولاسرتة الكريمة الطاهرة ولازال اذكر

بعض من الشوق والحب الصمعات التي سمعت فيها بالالتقاء بتلك الأسرة في دارة بغداد

في حي السهمي في الرباط هـ أملاً أن تتكرر على خير ومن معادة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احكام

عبد الله

محمد الجاسر

UNITED NATIONS



NATIONS UNIES

TELEPHONE: 3105411-541411 TELETYPE: 3105411-541411
CABLE ADDRESS: 3105411-541411 TELETYPE: 3105411-541411

REFERENCE

11 September 1991

Dear Dr. Tazi,

Thank you for your letter dated 27 August 1991.

With regards to your request to have the UNGEGN members confirm the status of geographical names related to the exploration of "Ibn Batouta", you may wish to contact the UNGEGN members to collect the necessary information.

As you may be aware by now that the UNGEGN meeting in Geneva has been postponed for a later date instead of 7-18 October 1991, because of problems of accommodations in Geneva. We will inform you as soon as we get the new schedule.

With kind regards.

Looking forward to seeing you in Geneva.

Yours sincerely,

Kadri ElAraby

Kadri ElAraby
Secretary, UNGEGN
Chief, Infrastructure Branch
NRED/DTCO

Dr. Abdelhadi Tazi
Membre de l'Academie du
Royaume du Maroc
6, Villa Baghdad
Rue Ait Ourir
Souissi, Rabat
Morocco

Faculteit der Godgelcerdheid,



Leiden, le 8-1-1992

Cher Collègue aimé, ami très honoré,

Voici les renseignements que j'ai pu ramasser ici concernant les passages indonésiens d'Ibn Battûta. Ces matériaux concernent les points suivants:

- 1) Identification du roi de Samudra ("Al-Malik al-Zâhir") visité par I.B.;
- 2) Pierre tombale (retrouvée à Samudra-Pasè) du fils d'un descendant d'un Caliph Abbasside rencontré par I.B. à Delhi;
- 3) Parallèle entre un légendaire raconté par I.B. et, dans une forme légère-
ment différente, par la "Chronique des Rois de Pasè" (qui est d'une époque tardive en comparaison avec I.B.).

J'ai ajouté les photocopies de bibliographies de 2 publications récentes sur I.B., qui vous peuvent être utiles aussi, dans le cas (improbable) que à vous ne les connaissiez pas encore. Vous savez que la bibliothèque de Leiden est assez riche en matériaux islamiques et orientaux. Donc, si vous avez besoin de quoi que ce soit en photocopies, n'hésitez pas s.v.p., et je ferai de mon mieux pour vous.

Quoique je crois que les matériaux sur I.B. peuvent parler pour eux-mêmes (les passages en hollandais qui vous concernent ont été traduits par moi en français dans les marges de l'article comme vous verrez) je reste toujours à votre disposition pour chaque élucidation et chaque question additionnelle.

Grace à Dieu nous avons trouvé un remplaçant temporaire pour un de mes collègues dans mon département qui a été élu recteur de notre université et que j'ai dû remplacer dans la majorité de mes tâches pendant la période juin-décembre de l'année dernière. Avec ma nomination comme secrétaire de mon département et la cumulation de tous mes cours dans le premier semestre de l'année académique, ces mois (après mon retour du Maroc) ont été une période assez pénible. Maintenant ça va beaucoup mieux. Je suis en train de préparer ma contribution au congrès de Rabat (fin de février de cette année) sur les manuscrits. J'espère d'avoir l'honneur de vous retrouver chez vous en bonne santé et en pleine activité scientifique!

Veillez agréer, maître et ami très honoré, mes salutations les plus cordiales pour vous, votre famille et pour notre amie Mme la Dr. Halima Ferhat.

L.A.V.,

vostra

(P.S. van Koningveld)

Dr. P.S. van Koningveld,
Département d'Histoire des Religions,
B.P. 9515,
2300 RA LEIDEN
Pays-Bas.

Matthias de Vrieshof 1
Postbus 9515 2300 RA Leiden
Telefoon 071-27 25 70
Telefax 071-27 26 15,

Rijks Universiteit Leiden

NATIONAL BUREAU OF
SURVEYING AND MAPPING

Prof. Du Xiangming
Director
Research Institute of Topography

10 Beitaijing Lu
Beijing, China
Postcode: 100010

Tel: 0102277-978
Fax: 010664
Telex: 221081 CIIYIS CN

Dear Dr. Abdelhadi Tazi

As you requested, I've studied carefully based on the relevant documents and I've some suggestions for your map concerning the great traveller Ibn Batuta to China.

1. The seat of № 43 and № 45 in the map should be modified.

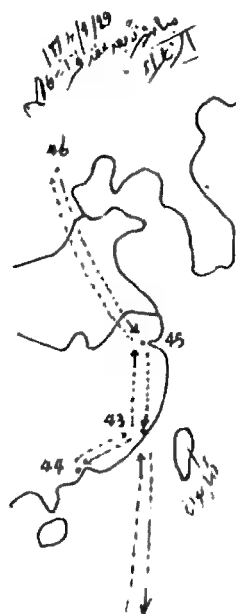
2. The name for № 46 should be definited as Khan Balig.

with Best Regards and kind wishes.

your sincerely

Prof. Du Xiangming

11 August 1994



	Today's name	Notes
43 Tseu-thoung 泉州	Quanzhou	Tseu-thoung was translated from 刺桐 (Citong) which is the allonym of Quanzhou in ancient times.
44 syn-calān 广州	Guangzhou	syn-calān is the exonym of Guangzhou (Canton) used by Marco Polo.
45 khansa 杭州	Hangzhou	khansa was translated from 京市 (Jingshi) which is the allonym of Hangzhou in ancient times.
46 khan Balig 北京	Beijing	汗八里 (Hanbali) is the historical name of Beijing in 14th century.

* About the seat of Qanjanfu, there are different opinions in China, but it's location is between Quanzhou and Hangzhou.



REAL ACADEMIA DE LA HISTORIA
PARTICULAR

Madrid, 11 de julio 1995

Excmo Sr. Dr. Abdelhadi Tazi
6 Ville Bagdad, Rue Ait Omar
Souissi Rabat

Querido Colega y maestro:

Recibí su carta en la que me preguntaba por el وادي كورت
citado por Ben Battuta y donde murió o alcanzó el martirio
el hermano del Sherife Abu Gurra. Se trata del río Guada-
corte que corre por el término de Los Barrios y desemboca
en la bahía de Algeciras. Los Barrios está a 6 Km de Alge-
ciras. La escritura correcta debe ser وادي كُورْت. El
río se llama también Guadacortes, es decir, وادي كُورْتَش.
En Kurtis se instaló 'Abd al-Malik, antepasado de
Muhammad ben Abi 'Amir, el famoso Almanzor, cuando
los árabes conquistaron قُوطْلَا حِزَّةَ الْجَزِيرَةِ, Torre de
Cartagena Carteya, según fuentes árabes.

significa "cortijo", "casa de campo", (مُتَايِنَة, 'Los
Aljares' Aljares, palacio real de los reyes de Granada en la Alhambra.
Estamos muy triste por la muerte de nuestro maestro don Emilio
Igarza Gómez. Era la figura indiscutible del arabismo español
del pasado y del presente. Ha sido una gran pérdida.

Espero que le sea útil mi nota sobre Guadacorte

Con todo afecto

Joaquín Vallués

بالتأكيد في عهد دولة AN دولة بمحلة باسم « بالثقت » الذي
 ليس له أي معنى في اللغة الصينية .
 وقد تكون هذه الكلمة مجرد تعريف لكلمتي BAO CHAO (التي
 تعني نقديين) .

هذا واما الاسم الكامل لهذه العملة فهو :
 → ZHI YUAN TONG XING BAO CHAO
 (اسم عهد الامبراطور) متداول في عهد نقديين
 أوراق BAO CHAO أنت من 11 نوعا وهي :

قرش	2000
قرش	1000
"	500
"	300
"	200
"	100
"	50
"	30
"	20
"	11
قروش	5

لا وجود لأية ورقة BAO CHAO ، الصفحة المعالم ، أحسن صورة
 اكتشفتها لهذه العملة هي التي توجد في الصفحة 74 من الكتاب طيه
 حول تاريخ النقود بالصين .

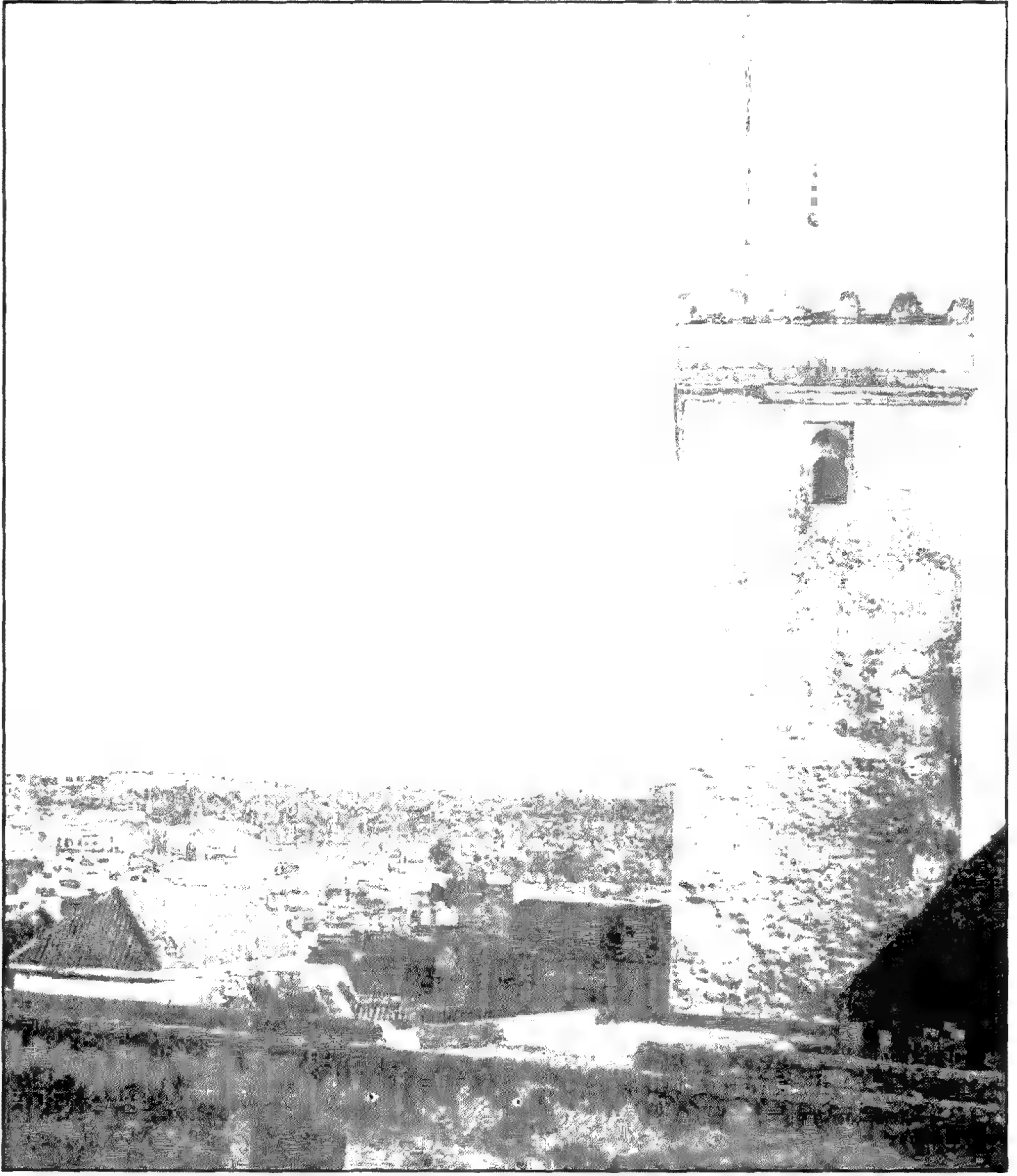
فهرس موضوعات المجلد الرابع

الصفحة	الموضوع
3	الفصل الرابع عشر : الجنوب الهندي - جزر مالديف - سيلان - البنغال
7	السبب في ارساله سفيراً للصين عن ملك الهند وذكر أعضاء البعثة...
11	اضطرارده للمشاركة في غزوة ضد مخالفين على السلطان ووقوعه في الأسر مرتين اثنتين
15	نزوله في بودج بودة بين عليكره وكانوج وحكايته مع الشيخ العريان وقاضي القضاة والأمير قثم
18	استشهاد أمير علابور بدر الحبشي
20	حديثه عن السحرة الجوكية وحضوره بعض المشاهد...
24	وصوله إلى مدينة دولة أباد التي توازي دهلي وحديثه عن سوق المغنين
27	وصولة إلى كنباية وحديثه عن مساجدها
29	في مدينة قندهار التي يسكنها الكفار حيث خرج سلطانها لاستقبال ابن بطوطة
30	ركوبه البحر .. مصحوباً بالهدايا العظيمة المبعوثة إلى امبراطور الصين
31	وصوله إلى جزيرة سنڌاڤور والتقاؤه برجالها
33	الحديث عن هنور وسلطانها جمال الدين محمد بن حسن... وهو تحت حكم سلطان كافر يحمل اسم هُزُب
36	حديثه عن ظاهرة ركوب الناس على رقاب العبيد...
39	الحديث عن المليار بلاد الأبرار
39	الحديث عن سلطان فاكڤور وعادة اعطاء حق البندر للسلطان...
41	الوصول إلى مدينة هيلي (Heli) التي تنتهي إليها مراكب الصين ولا تدخل إلا مرساها ومرسى كولم وقالقوت
42	الوصول إلى جُرقُن والحديث عن سلطانها كُويل...
44	الاتجاه إلى قالقوت حيث تنتهي مراكب الصين والحديث عن سلطانها السامري
46	الحديث عن أسطول الصين وخصائصه...
47	تغير أحوال الجو وتعرض المراكب للثف بما فيها الكم الذي اختاره ابن بطوطة
48	مصرع أعضاء السفارة أمام ابن بطوطة !!
51	التقاؤه في كولم بأعضاء السفارة الصينية الذين كانوا معه قبل أن يفترق عنهم بسبب ما تعرضت له السفارة من أحداث ضاع معها ما كان يحمله من هدايا وصرع فيها بعض الأعضاء
52	مشاركته في الغزو مع السلطان جمال الدين سالف الذكر...
53	في انتظاره لأخبار الضائع من الهدايا والضال من أصحابه وخوفه من متابعة السلطان له واتهامه بالإهمال يقرر ابن بطوطة الترجه إلى مالديف !
54	الحديث الطريف عن جزائر مالديف
55	الحديث عن سمكها المتميز الذي يشبه (أبيرون) وعن تصديره للخارج منذ ذلك الزمان.
62	الحديث عن نساء مالديف وعادتهن في اللباس والتزوج ومعاشرة الرجل...
62	السبب في اسلام جزر مالديف وظهور الفرج على يد أبي البركات البربري المغربي حسب ما كان منقوشاً في اللوحة المغروسة في ناصية المحراب

الصفحة	الموضوع
133	ماخص الله به الصين من اتقان الصناعات...
134	الوصول إلى مدينة الزيتون Quanzhou
137	الكتابة إلى القان الأعظم بمقدم ابن بطوطة عن ملك الهند والوصول إلى صين كلان أو صين الصين Guangzhou (كانطون)
141	وصول اذن القان بامكان استقبال ابن بطوطة
143	الاجتماع بقوام الدين السبتي في مدينة قنجنفو التي تقع به مدينة الزيتون ومدينة الخنساء وهو الذي رافقه عند مغادرة المدينة في اتجاه عاصمة القان...
145	الوصول إلى مدينة الخنساء (Hangzhou) أكبر مدينة رآها على وجه الأرض... منقسمة إلى ست مدن.
147	عند الأمير قرطبي حيث أنشد الشعر الفارسي لسعدي شيرازي الذي حفظه ابن بطوطة...
151	الأمير قرطبي يسهل مأمورية ابن بطوطة في التوجه إلى بلاد الخطا حيث حضرة القان الأعظم خان بالقي : بكين !
154	مصادفة ابن بطوطة لقياب القان الأعظم في قتال ابن عمه بناحية قراقُرْم ومصرع القان ...ودفنه في ناوس عظيم في يوم مشهود قبل أن تستقحل الفتى بين المغول...
156	عودة ابن بطوطة نحو الخنساء وقنجنفو والزيتون، أخذ طريق البحر إلى الهند عبر طوالسي حيث شاهدوا الرّخ
157	حضور أعراس ولد الملك الظاهر سلطان الجاوة - وصف العرس في الجاوة '
165	الفصل السادس عشر : العودة إلى المغرب
169	بعد شهرين في الجاوة الاتجاه نحو العودة من حيث أتى : من الجاوة إلى كولم ثم إلى قالقوط...
169	الوصول إلى ظفار بعد 28 ليلة في البحر...
173	على أرض عُمان العربية ثم إلى هرمز الفارسية
174	في اصبهان مرة أخرى ثم الوصول إلى البصرة ثم النجف والوصول إلى بغداد (شوال 748)
176	حيث علم بموقعة طريف وسقوط الجزيرة الخضراء
177	الوصول إلى دمشق حيث علم بوفاة ولده الذي أنجبه في دمشق كما علم بوفاة والده بطنجة
179	وصوله إلى عجلون في طريقه إلى بيت المقدس
180	الاتجاه إلى مصر والحديث عن سلطانها الحالي ثم أخذ بلاد الصعيد لركوب البحر الأحمر من عيذاب إلى جدة.
181	المقام بمكة واداء الحجة السادسة والأخيرة
182	بعد زيارة المدينة المنورة الاتجاه نحو بيت المقدس ومدينة الخليل
184	الوصول إلى القاهرة حيث تعرف على أخبار المغرب وأخذَه الحنين إلى بلاده وتشوقت نفسه إلى المثول بين يدي الملك

الصفحة	الموضوع
239	بعد سجللماسة الاتجاه أول محرم 753 = 1952/2/18 إلى تغازي حيث معدن الملح
242	الحديث عن المساعدين والادلاء وشياطين الصحراء...
244	الوصول 753/3/1 إلى مدينة ايوالآتن وهي أول عمالة السودان والمقام بها خمسون يوما
245	والحديث عن سكانها وهم مسوفة - الحديث عن مركز المرأة في مسوفة...
249	الاتجاه إلى مالي وحديث عن المنطقة وأهلها وإنتاجها
250	الوصول إلى نهر النيجر الذي يسميه «النيل» على عادة بعض القدامى
253	الاستئذان لدخول مالي وعبور ابن بطوطة النهر إلى المدينة
255	الحديث عن منسى سليمان سلطان مالي وعن الاجتماع بالسلطان ... وصيفة جلوسه بالمشور ومكانة السلطان لدى شعب السودان وطريقة استقباله للناس...
260	كيف يؤدي صلاة العيدين
263	الحديث عن حريم السلطان
265	الحديث عما استحسنته من أفعال السودان وماستقبحه منها
266	مغادرة مالي...
268	حديث عن أكلة لحوم البشر... L'anthropophagie
271	الحديث عن مدينة كوكو Gao حيث الأرض الكثير والتعامل بالودع..
273	الوصول إلى بردامة حيث يلاحظ مرة أخرى مكانة المرأة في الصحراء... وحصوله على خادمة معلّمة
275	حديث عن معدن النحاس
276	متابعة الحديث عن تكدا ذات المركز التجاري الهام... وعن سلطانها البربري إزار
276	وصول أمر السلطان أبي عنان لابن بطوطة بالعودة إلى فاس
277	جده في الطريق عبر توات ثم سجللماسة التي غادرها يوم ثاني ذي الحجة 753 = 12-29-1353 حيث عيّد على مقربة من فاس...
283	<u>الملاحق</u>
285	شهادة ابن خلدون
286	تعقيب الزاياني والكتاني
288	كلمة (أفراج) المغربية
291	وثيقة تأسيس مسجد مالديف
293	تعليق وكالة المغرب العربي للأنباء
294	أكاديمية السلطان أبي عنان
297	رسالة إلى الروضة الشريفة
315	وقفية المدرسة البوعنانية بفاس
325	تهنئة ملك غرناطة للملك فاس بتحرير طرابلس
328	معلومات عن الرحلة من خلال المراسلات.

الصفحة	الموضوع
172	على متن المركب إلى هرمز...
175	بقايا القصر العباسي في بغداد
183	حجته للمرة السادسة صورة للكعبة ترجع لعام 1888
185	شارع في القاهرة بالأمس
188	عملة السلطان أبي الحسن الذي كان يقيم آنذاك في تونس
191	رسوم من كالياري (سردينية)
193	ثريا تازة
194	منذنة جامع القرويين بمدينة فاس
203	المدرسة الكبرى البوعنانية
204	الزاوية العظمى كما تخيلها سعيد لحميني
205	طنجة العاصمة الدبلوماسية للمغرب بالأمس القريب
209	خريطة الأندلس
212	جبل طارق ورحى الريح
222	لقطات من الحمراء لم تثر انتباهه !
224	رسوم الناس على ذلك العهد...
225	جنة العريف عن مجلة (ابن بطوطة) الإسبانية
228	حوار الحضارات
231	الكتيبة بمراكش
232	مدرسة السلطان أبي الحسن
233	لقطات من مدينة سلا
237	خريطة بلاد السودان
240	وادي زيز شمال أطلال سجلماسة - سوق قريب من موقع سجلماسة.
246	أطلال ابوالأتن...
252	من الآثار الهامة في شنقيط
254	مجرى النيل عند الخوارزمي
258	رسم لسلطان مالي
261	قافلة تقترب في تنبكتو - لقطات من تنبكتو بالأمس-
267	وخيّل البحر Hippopotames
272	الودع كعملة وزينة وقناع
278	دينار مريني من عهد السلطان ابن عنان
281	منظر عام لمدينة فاس حيث انتسخت الرحلة...



اسألوا التاريخ عن أيامها كم عظيم شاد من بنياتها
 وغدا يرْجُو رضاها راكفا يرنجي الحكمة من اعلامها
 من شعر د. التازي في جامعة القرويين بمناسبة عيدها المائة بعد الالف

الرطل منه أرطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة. فإذا تأملت ذلك تبين لك أن بلاد المغرب أرخص البلاد أسعاراً وأكثرها خيرات وأعظمها مرافق فوائد.

337/4

ولقد زاد الله بلاد المغرب شرفاً إلى شرفها وفضلاً إلى فضلها بإمامة مولانا أمير المؤمنين (108) الذي مد ظلال الأمن في أقطارها وأطلع شمس العدل في أرجائها وأفاض سبحانه الإحسان في باديتها وحاضرتها وطهرها من المفسدين وأقام بها رسوم الدنيا والدين وأنا أذكر ما عاينته وتحققته من عدله وحلمه وشجاعته واشتغاله بالعلم، وتفقهه وصدقته الجارية ورفع المظالم.

نكر بعض فضائل مولانا أيده الله

أما عدله فأشهر من أن يُسطر في كتاب، فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم، وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء، وتقديمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر ومن وصلت نوبتها نودي باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين يكلمها دون واسطة، فإن كانت متظلمة عجل إنصافها أو طالبة إحسان وقع إسعافها، ثم إذا صليت العصر قرئت قصص الرجال وفُعل مثل ذلك فيها.

338/4

ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد إليهم ما تعلق بالاحكام الشرعية، وهذا شيء لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل، فإن ملك الهند عيّن بعض أمرائه لأخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها إليه دون حضور أربابها بين يديه ! وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فإنه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه، وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن جرائمهم إلا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى : والعافين عن الناس (109).

339/4

قال ابن جزى : من أعجب ما شاهدته من حلم مولانا أيده الله أني منذ قدمي على بابته الكريم في آخر عام ثلاثة وخمسين (110) إلى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة وخمسين

(108) راجع 5. تعليق 5.

(109) القرآن : السورة 3، الآية 133-134.

(110) آخر عام 753 يوافق 5 يبرابر 1353 - وهذه لقطة هامة في حياة ابن جزى سجلها بنفسه ولم يعتمد فيها على أحد غيره، إن ما تعرض له من إهانة من قبل ملكه في الأندلس كان أثناء عام 753 حيث نجده يتمكن من الالتحاق بالمغرب أواخر العام بعد أن تعرف سلفاً على ابن بطوطة لما زار هذا الأخير الديار الأندلسية.

وأما اشتغاله بالعلم فما هو أيدى الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم،⁽¹⁰⁷⁾ فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفروع مذهب مالك رضي الله عنه، وكتب المتصوفة وفي كل علم منها له القدح المعلق، يجلو مشكلاته بنور فهمه ويلقي نكته الرائقة من حفظه، وهذا شأن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين، ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية، فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة، ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب الشافعي خاصة، وكنت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة، حتى رأيت ملازمة مولانا - أيده الله - في العلوم كلها في الجماعة، وإقيام رمضان والله يختص برحمته من يشاء⁽¹⁰⁸⁾.

343/4

قال ابن جزري: لو أن عالماً ليس له شغل إلا بالعلم ليلاً ونهاراً لم يكن يصل إلى أدنى مراتب مولانا أيده الله في العلوم مع إشتغاله بأمور الأئمة وتدبيره لسياسة الأقاليم النائية ومباشرته من حال ملكه ما لم يباشره أحد من الملوك وتطرده بنفسه في شكايات المظلومين، ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسألة علم في أي علم كان، إلا جلا مشكلها، وباحث في دقائقها، واستخرج غوامضها واستدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلفاتها، ثم سما - أيده الله - إلى العلم الشريف التصوفي ففهم إشارات القوم وتخلق بأخلاقهم، وظهرت آثار ذلك في تواضعه مع رفيعته، وشفقته على رعيته ورفقه في أمره كله، وأعطى للأدب حظاً جزيلاً من نفسه فاستعمل أبدعها منزعاً وأعظمها موقعا، وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة اللتان بعثتهما إلى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة: روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبهما بخط يده الذي يخجل الروض حسناً، وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان إنشاء ولا رام إدراكه⁽¹⁰⁹⁾.

344/4

345/4

(107) القصد بمسجد القصر إلى المسجد الكبير الذي بناه يعقوب المريني عام 677 - 279 بفاس الجديدة والذي ظل إلى الآن يتوفر على الكراسي العلمية المشار إليها - التفسير الحديث - الفقه، التصوف، التازي - جامع القرويين - طبعة بيروت 1972 ج 11 399 و ج III 684 - 697.

(108) القرآن - السورة 2، الآية 105 والسورة 3، الآية 74.

(109) كان ابن جزري يحكي عن حقائق شاهدا فقد بعث السلطان أبو عنان سنة 756-1355 أي قبيل الفراغ من كتابة الرحلة سنة واحدة بعث بهذه الرسالة والقصيدة اللتين كانتا من إنشاء سفيره أبي القاسم محمد بن يحيى القسائي البزجي الغرناطي... وأعتقد أن أبا عنان استعرض في الرسالة أحوال البلاد وتحدث عن جهاده معتذراً بذلك عن عدم الوصول إلى تلك البقاع على نحو ما وقفنا عليه في رسائل مماثلة - ابن الخطيب - ريجانة الكتاب وقد جرت العادة كما قال ابن مليح في رحلته بقراءتها داخل الروضة... ابن الخطيب - ريجانة الكتاب - الاحاطة - التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب 219، 7.

أودهم، ومنها صدقته على المساكين مضطرة بالنداس الوثيره والقضاف الجياد يفتشونها عند رقادهم، وتلك مكرمة لا يعلم لها نظير وعندها من المرسطات في كل بلد من بلاد، وتعين الأوقاف الكثيرة من المرضى وبعين الأوباء المعاجيم والتصرف في طبهم (115)، إلى غير ذلك مما أبدع فيه من أنواع المكرم وضرب المثار كاعى الله إباديه وشكر نعمه.

348/4

وأما رفعه للمظالم عن الرعية فمنها الرب التي كانت تؤخذ بالطرقا، أمر أيده الله بمحو رسمها وكان لها مجبى عظيم فلم ينفذ اليه، وما عند الله خير وأبقى (116)، وأما كفه أيدي الظلام فأمر مشهور، وقد سمعته أيده الله يقول لعصاه لا تظلموا الرعية ' ويؤكد عليهم في ذلك الوصية

قال ابن جزى ولو لم يكن من رفق مولانا أيده الله برعيه إلا رفعه التّصنيف الذي كانت عمّال الزكاة وولاة البلاد تأخذ من الرعايا، لكفى ذلك آثراً في العدل ظاهراً، ونوراً في الرفق باهراً، فكيف وقد رفع من المظالم ويسط من المرافق ما لا يحيط به الحصر.

349/4

وقد صدر في أيام تصنيف هذا من امره الكريم في الرفق بالمسجونين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ما هو اللائق بإحسانهم والمعهود من رافته، وشمل الأمر بذلك جميع الاقطار، وكذلك صدر من السكيل بس ثبت جوارحه من القضاة والحكام ما فيه زاجر الظلمة وردع المعتدين '.

وأما فعله في معاونة أهل الأندلس على الجهاد ومحافظة على إمداد الثغور بالاموال والاقوات والسلاح وقتّه في عضد العدو بإعداد العدد وإظهار القوة فذلك أمرٌ شهير لم يغب علمه عن أهل المغرب والمشرق ولا سبق إليه أحد من الملوك (117).

350/4

(115) لعل من هذه المارسات المنشرة في المغرب ما ذكره ابن الخطيب في كتابه (نفاضة الجراب...) أنه حين دخل مدينة اسفي عام 760=1360 وجد بها المارسات الذي كان تافره الشيخ أبو الضياء الجزيري أما مارستان فاس الذي كان سوق الحبوب بجوار العطارين وكان يحمل اسم سيدي فرج (هدم مع الأسف) فقد كان تافره أما فاس عند العزيز القروي المتوفي 750=1350 وقد ذكره الشيخ بناني في حواشي الزرقاني عند قول الشيخ حافل في فصل غسل الميت عند قوله (أو نسي معه مال) . وقد تحدث ابن الوزان عن عدة مارسات بعدت كانت في غاية الروفق والانتقان . عن مخطوطة حول الملاحي الأخيرة الإسلامية في الدولة الموحدية والمرسمة للشيخ عبد الحي الكتاني انظر د. التازي المنشأت الصحية بالمغرب، مجلة مجمع اللغة العربية بطنس دجنر 1981

(116) القرآن الكريم - سورة 28 الآية 60 وكذا سورة الشورى 41 الآية 36

(117) حول المساعدة اللامشروطة التي كان يقدمها السلطان أبو عباس لأخيه أبي الحجاج ملك غرناطة يكفي أن نرجع لهذه اللغات الثغلة من المراسلات المتبادلة التي كانت تجتمع على أن مكاسب السلطان أبي عنان بالمغرب الكبير هي مكسب للقضية الاندلسية برسمها وكان التناهد في كل هذا لسان الدين ابن الخطيب... وستقف في هذا الصدد على المسودات التي كانت قائمة ونامة بين غرناطة وفاس من أجل توحيد الموقف أمام قشتالة. ومن الطريف أن يقرأ في أسعد البدايا المتفاداة اسرايا من الضيول المغربية الداهية إلى الأندلس وأسرايا كذلك من أنواع المنصور المساة لأبي عنان الذي كان من أكبر هواة القنص بالصقر ابن الخطيب . رسالة الكتاب بضمير سالف الذكر - د. التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 90-90، 7

القرّة (121) وأخذاً بالحزم في قطع أطماع الكفار، وأكد ذلك بتوجّهه - أيده الله بنفسه - إلى جبال جاناتة (122) في العام الفارط، ليباشر قطع الخشب للانشاء، ويظهر قدر ما له بذلك من الاعتناء، ويتولّى بذاته أعمال الجهاد مترجياً ثواب الله تعالى وموقناً بحسن الجزاء.

(52)

رجع، ومن أعظم حسناته، أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة (123) البيضاء دار ملكه العلي، وهو الذي إمتاز بالحسن واتقان البناء وإشراق النور وبيدع الترتيب، وعمارة المدرسة الكبرى (124) بالموضع المعروف بالقصر (125) مما يجاور قصبة فاس ولا نظير لها في المعمور اتساعاً وحسناً وإبداعاً وكثرة ماء وحسن وضع، ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخرسان ما يشبهها.

وعمارة الزاوية العظمى (126) على غدير الحمص (127) خارج المدينة البيضاء، فلا

(121) القريرة - سمع ابن بطوطة لنفسه باستعمال هذا التعبير الإسباني (Guerra) ومن المعلوم أن هذا اللفظ كان جارياً على الأسنة لشدة الجوار مع قشتالة، وقد ظنّها البستاني محرفة عن كلمة الغزاة فأثبت هذه عوض القريرة " وقد غفل د. عادل خلف عن هذه الكلمة في معجمه..

(122) جنانته (JANATENE) تقع جنوب غرب مدينة الخميسات وكانت جبالها غنية بأشجار العرعار على ما هو معلوم انظر الخريطة وقد أخطأ موني (mauny) وفريقه (1966) عندما جعلوها DJANET التي تقع غرب الجزائر كما أخطأ كيوك 1995 عندما جعلها جنوب غرب غات وقد ذكر بيكينكام بأن تحديد الموقع غير معروف والواقع ماقلناه إن شاء الله ! وإلى جنانته ينتسب عدد من العلماء والفقهاء المونني نظم الدولة المربنية مجلة البحث العلمي 1964 - د. التازي - نصيب الأعلام الجغرافية المغربية من رحلة ابن بطوطة الندوة العلمية لتاريخ الرباط - نونبر 1995.

(123) القصد بالمسجد الجديد إلى جامع الحمراء من فاس الجديد لأن التشابه القائم بين شكل زخرفته وزخرفة مدرسة أبي عنان مما يرجح هذا، ويحتوي على كرسي للعلم وخزانة للكتب التازي - جامع القرويين ج III - 683 - 689

(124) تم بناء المدرسة البوعنانية عام 756=1355 قبل سنة من نسخ الرحلة - د. التازي - تاريخ جامع القرويين ج 2 ص 360 - تعليق 27 ص 589.

(125) هكذا كانت التسمية في القديم وقد هجر هذا الاسم اليوم وحل مكانه الطالعة ومعلوم أن المدرسة تقع بين الطالعة الكبرى حيث الساعة المائنة التي انشئت عام 758 بعد انتساخ الرحلة

BEL : INSCRI. DE FES I - 25.

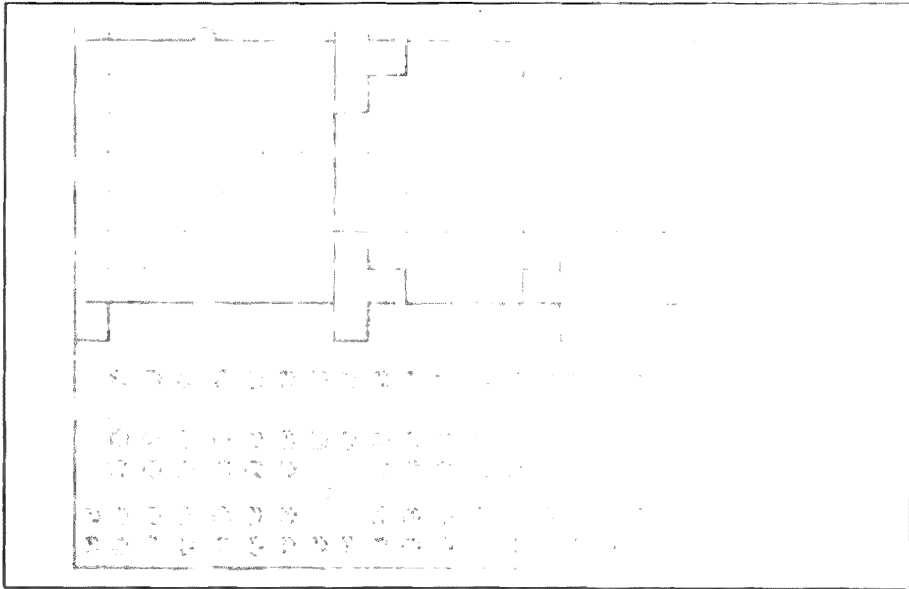
(126) الزاوية العظمى هي دون شك غير المدرسة الكبرى وقد أسلفنا الحديث عنها بإسهاب في 84.1 فهناك نبهنا إلى أن جميع المعلقين من أمثال البروفيسور كيب ومن قبله وبعده التبست عليهم الزاوية هذه بالمدرسة، وهناك أعطينا وصفاً دقيقاً لما كانت عليه قبل أن تختفي عن الأنظار بفعل الزلازل وتقلبات الأحوال... وسنأتي في (الملاحق) على ما قيل عن هذه المعلمة الحضارية الكبرى انظر فيض العباب لابن الحاج النميري دراسة وإعداد د. محمد بن شقرون - دار الغرب الاسلامي بيروت 1990 ص 206-218. المقرري - أزهار الرياض ج 3 ص 196-197. الرباط 1978.

(127) القصد بغدير الحمص إلى وادي الجواهر على ما نقرأه في (روضة التوسرين) لابن الأحمر، ولفظ (حمص) أطلق - كما يقول العمري في مسالك الأبصار - على جانب من فاس العليا، وقد أتى اسم حمص من اليهود الوافدين عليها من اشبيلية الذي تسمى حمصاً لنزول أهل حمص السوريين بها، وقد كانت راكبة على النهر وهي مشرفة على الجميع، ومن هنا نعرف خطأ الترجمة التي ضبطت الكلمة بكسر الحاء وتشديد الميم وترجمت حمص المدينة بالحمص النبات (Pois chiches) ¹

وحمص لا تنس لها تينها * وانكر مع التين زياتينها

عمل لها أيضاً في عجب وضئها وبديع صنعها، وأبدع زاوية زائتها بالمشرق زاوية
سرباقصر التي بناها الملك الناصر (1281)، وهذه أبدع منها واشد إحكاماً وإتقاناً والله
سبحانه يرفع مولانا أيده الله بمقاصده الشريفة ويكافئ فضائله المنيفة ويدعم للإسلام
والسنيين أيمانه وينصر ألبتة المظفرة وأعلامه (129).

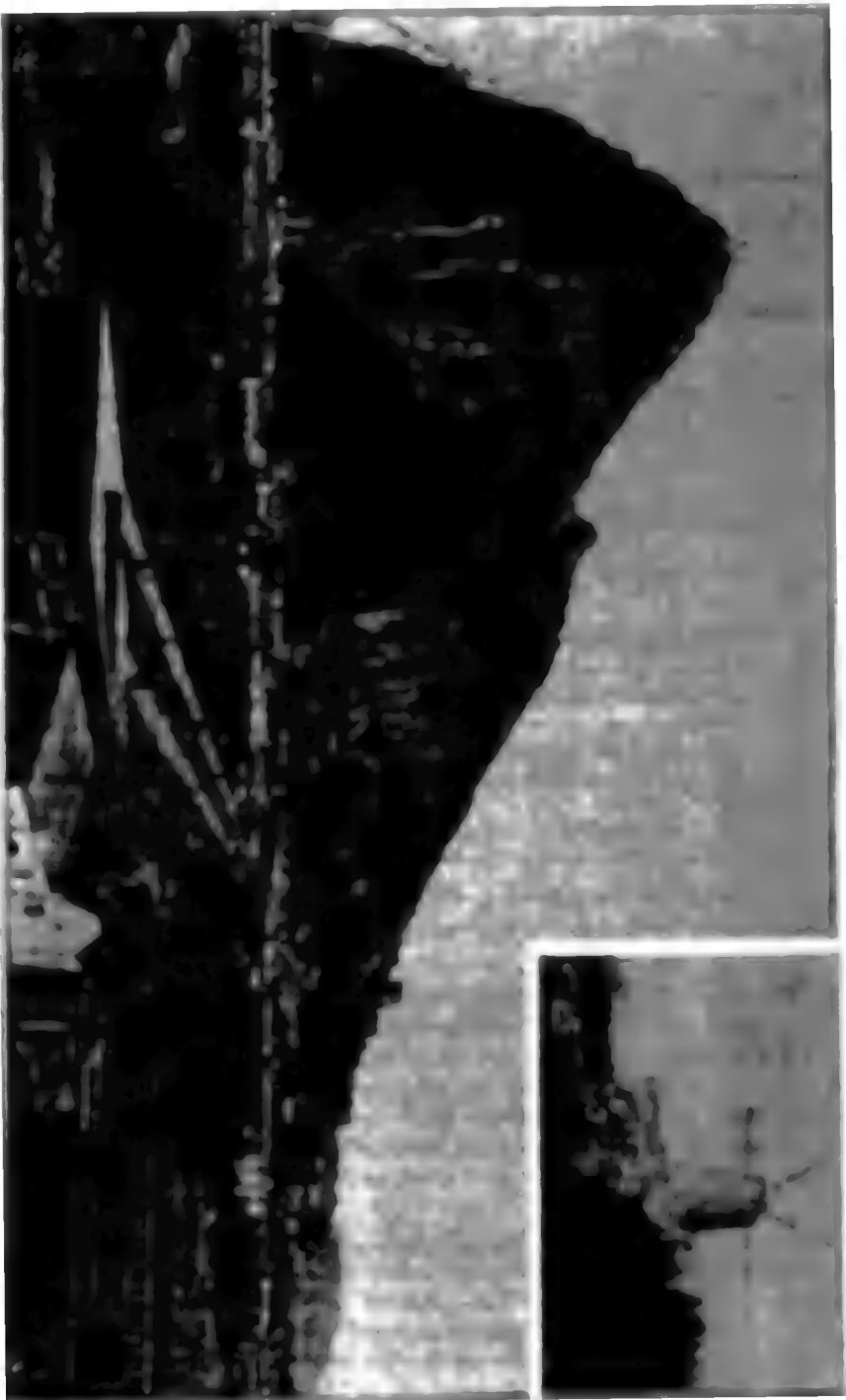
ولنعد إلى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت لي مشاهدة هذا المقام الكريم وعمتي فضل
حسابه العميم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت إلى بلدي طنجة وزرتها...



الراوية العظمى كما تحيلها سعيد لحميمي فكيف تتخيلها انت من خلال وصف ابن الحاج النميري ٤

(129) انظر ج 1 ص 81

(130) مكنتنا هذه الخاتمة من تسجيل لقطات تاريخية هامة أيام أبي عنان ومجالسه العلمية وطموحاته
ومشائته الحضارية الكبرى المدارس العلمية والزوايا الكبرى ولولا ما تعرض له هذا الملك العظيم من
مضيق محزون في ذي الحجة (754-758) لكان للدولة المرينية وجه أكثر إشراقاً، وكفي أن نعرف أن
العواصم المغربية لا تخلو من آثار حضاري من آثار السلطان أبي عنان رحمه الله



جبل طارق .. وكان يحتوي على رضى كانت هناك لمعنى الأقوات بالربيع ..

ولم يكن حينئذ على ما هو الآن عليه فبنى به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه القلعة (12) العظمى بأعلى الحصن وكانت قبل ذلك برجاً صغيراً تهدم بأحجار المجانيق، فبناها مكانه (13)، وبنى به دار الصناعة، ولم يكن به دار صنعة، وبنى السور الأعظم المحيط بالثربة الحمراء الأخذ من دار الصناعة إلى القرمدة ثم جدد مولانا أمير المؤمنين أبو عنان، أيده الله عهداً تحصينه وتحسينه وزاد بناء السور بطرف الفتح، وهو أعظم أسواره غناء وأعمها نفعاً وبعث إليه العدد الوفرة والأقوات والمرافق العامة وعامل الله تعالى فيه حسن النية وصدق الاخلاص.

357/4

ولما كان في الأشهر الأخيرة من عام ستة وخمسين (14) وقع بجبل الفتح ما ظهر فيه أثر يقين مولانا أيده الله وثمرة توكله في أموره على الله، وبأن مصداق ما أطرد له من السعادة الكافية، وذلك أن عامل الجبل، الخائن الذي ختم له بالشقاء، عيسى بن الحسن بن أبي (15) منديل نزع يده المغلوله على الطاعة، وفارق عصمة الجماعة، وأظهر النفاق وجمع في الغدران والشقاق، وتعاطى ما ليس من رجاله، وعمى عن مبدأ حاله السيء وماله، وتوهم الناس أن ذلك مبدأ فتنة تنفق على إطفائها كرائم الأموال، ويستعد لانتقامها بالفرسان والرجال، فحكمت سعادة مولانا أيده الله ببطلان هذا التوهم، وقضى صدق يقينه بانخراق العادة في هذه الفتنة، فلم تكن إلا أيام يسيرة، وراجع أهل الجبل بصانهم، وثاروا على الثائر، وخالفوا الشقيي المخالف، وأقاموا بالواجب من الطاعة، وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد له في النفاق، وأثني بهما مصفدين إلى الحضرة العلية فنفذ فيهما حكم الله في المحاربين وأراح الله من شرهما.

358/4

359/4

ولما خمدت نار الفتنة أظهر مولانا أيده الله من العناية ببلاد الأندلس ما لم يكن في حساب أهلها وبعث إلى جبل الفتح ولده الاسعد المبارك الأرشد أبا بكر المدعو من السمات

(12) رسم هذا اللفظ في بعض النسخ هكذا (القاهرة) وفي بعضها (المائرة) وقد رسمتها نسخة الأمير مولاي العباس هكذا : القلعة أي القلعة الحرة أي (Calahorra) على نحو الإسم الموجود في قرطبة اليوم، ويفهم من بروفنصال الميل إلى هذا الاختيار الذي ربما وجده أيضاً في مخطوطة الكتاني !

(13) تذكر بعض التعاليق أن فيرديناند الرابع بنى دار صناعة أخرى على أسس دار الصناعة القديمة التي كانت من إنشاءات أبي الحسن لتحسين الجبل بعد سقوط الجزيرة الخضراء.

ويرى نوريس Norris أن معظم البناء في السور من دار الصناعة إلى الساحة، كان فيما بعد عام 733=1333. هذا وما يزال اسم القلعة الحرة (Calahorra) رائجاً إلى الآن في الجبل

(14) آخر يوم من عام 756 كان 14 دجنبر 1355.

(15) كان ابن أبي منديل حاكماً على جبل طارق منذ أن اكمل أبو الحسن بناء الجبل. وقد وقف إلى جانب السلطان أبي الحسن ضد ولده أبي عنان، وكان من كبار مستشاري بني مرين، لكنه لم يلبث أن انضم إلى أبي عنان بعد أن فقد الأمل، القصة المروية هنا من قبل ابن جزى حول انتفاض عيسى تتوافق مع التي حكاه ابن خلدون بتفصيل أكثر مع فارق أن هذا الأخير (ابن خلدون) يظهر منه أنه كان يتعاطف مع عيسى. - تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 612 - 613 طبعة دار الكتاب اللبناني 1983.

وفيهما يقول في وصف الجبل، وهو من البديع الذي لم يسبق إليه، بعد وصفه السفن وجوارها (18).

حتى رمت جبل الفتحين من جبل (19)
معظم القدر في الأجيال مذكور
من شامخ الأنف في سحنائه طلس
له من الغيم جيب غير مررور
تمسي النجوم على إكليل مفرقه
في الجو حائمة مثل الدنانير¹

(18) هذه الإشارة هامة لما ورد في وصف الأسطول المؤدي من القصيدة المذكورة ومنها قوله

تسئم الفلك من شط المجاز وقد
تودين ياخير أفلاك العلا سيري
فسرن يحملن أمر الله من ملك
بالله منتصر، في الله منصور²
لما تسابقن في بحر الزقاق به
تركن شطبه في شك وتحير
ذي المنشآت الجواني في أجرتها
شكل الغدائر في سدل وتصفير
نجالها بين أيد من مجاذفها
يفرقن في مثل ماء الورد مبخور³
كانما عبرت تخال عائمة
في زاخر من ندى يمناه معصور

المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، هذا وقد كان العلامة بوزي الهولاندي أول من اهتم بالمعجب منذ أواسط القرن التاسع عشر ثم اهتم به فانيان وقد نشره محمد الفاسي، مطبعة الثقافة سلا المغرب ص 129 - 1357=1938، ثم سعيد العريان والعربي العلمي - البيضاء - دار الكتاب 1950 د. التازي . حضور الشعر في تاريخ الزقاق

La Presencia de la Poésia en la la Historia del Estrecho de Gibraltar (Bah al-Znqaq) P. 166 Historia del Paso del estrecho de Gibraltar (SECEGSA) 1995.

(19) وقع هنا بعض الخلط لابن جزي في رواية الأبيات وقد وردت هكذا في المعجب للمراكشي وفي أعمال الاعلام لابن الخطيب .

حتى رمت جبل الفتحين من كُتب
بساطع من سناه غير مبهور
لله ما جبل الفتحين من جبل
معظم القدر في الاجيال مذكور⁴

عبد الله بن يحيى بن بطوطة، ولقيت بها الفقيه القاضي الاديب أبو الحجاج يوسف المُنْتَشَقَرِي (1)، وإضافتي بمنزلة، ولقيت بها أيضا خطيبها الصالح الحاج الفاضل أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالشنْدَرُخ المتوفى بعد ذلك بمدينة سلا من بلاد المغرب. ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصفار (2)، وسواه.

واختمت بها خمسة أيام، ثم سافرت منها إلى مدينة مَرَبْلَة (25)، والطريق بينهما صعبٌ شديد الوعورة، ومربلة بليدة حسنة خصبية، ووجدت بها جماعة من الفرسان متوجهين إلى مالقة، فاردت التوجه في صحبهم، ثم إن الله تعالى عصمني، بفضلها، فتوجهوا قبلي فأسروا في الطريق. كما سذكرك، وخرجت في إثرهم فلما جاوزت حوز مربة، ودخلت في حوز سَهِيل (26) مررت بفارس ميت في بعض الخنادق، ثم مررت بقفة حوت مطروحة بالأرض، فرايتي ذلك وكان أمامي برج الناطور، فقلت في نفسي: لو ظهر هاهنا عدوٌ لأنذر به صاحب البرج، ثم تقدمت إلى دار هنالك فوجدت عليها (27) فرسا مقتولاً، فبينما أنا هنالك سمعت الصياح من خلفي، كنت قد تقدمت اصحابي فعدت إليهم فوجدت معهم قائد حصن سَهِيل فاعلمتني أن أربعة أجفان للعدو ظهرت هنالك ونزل بعض عمارتها إلى البر، ولم يكن الناطور بالبرج، فمر بهم الفرسان الخارجون من مربة، وكانوا اثني عشر، فقتل النصاري أحدهم وغر واحدٌ وأسبر العشرة، وقتل معهم رجل حوّل، وهو الذي وجدت قفته مطروحة بالأرض، وأشار علي ذلك القائد بالبيت معه في موضعه ليوصلني منه إلى مالقة، فبت عنده يحصن الرابطة المنسوبة إلى سَهِيل، والأجفان المذكورة مرساة عليه، وركب معي بالغد فوصلنا إلى مدينة مالقة (28)، إحدى قواعد الأندلس وبلادها الحسان، جامعة بين مرافق البر والبحر،

(25) سببه إلى منشورة Montepcal شمال غرناطة، شاعر ورد ذكره في المؤلفات المعاصرة ويعرف أيضا باسم الجذاسي والرسدي المقري نفع الطيب 5، 605 - 135-138-139-145، 7، 512 ابن الخطيب الأحاطة ج 4 ص 377 - الدور 5، 254

(26) يظهر من هذا الوصف أن الرجل أو أحد أباته كان يتعاطى لحرفة الصفارين

(28) مربة (MARBALAT) تقع في الحبوب الشرقي من رندة على الساحل في منتصف الطريق بين جبل طارق ومالقة

(29) سَهِيل اسم الكوكب المعروف في اللغة اللاتينية نجم Canopus وحسب ياقوت في معجم البلدان فإنه لا يرى سَهِيل في عمل من أعمال الأندلس إلا أنه وهو ما في النسخ (164، 1) ومن هنا أخذ هذا الاسم. وهذا وادي سَهِيل أيضا الذي ينسب لأحد قراء الإمام عبد الرحمن بن عبد الله السَهِيلِي مصنف شرح السيرة المسمى بالروض الأنف. كان حصن سَهِيل يقع فيما يعرف اليوم بـ (فوين خير الله Fuen- tirola) بين مربة ومالقة، ويعتبر اليوم من المصطافات المغصودة - أشكر زميلي ذ. عبد الجليل فنَجْبرو على معلوماته القيمة

(30) معظم النسخ ترسم عليه مثل عليها أما مخطوطة دوزي فقد حذف فيها كلمة (عليه أو عليها)

(31) كانت مالقة على ذلك العهد هي عينا - ملكة غرناطة فهي متغلها على العالم الخارجي. وهكذا فقد أسفل ابن بطوطة من منطقة سي مدين إلى منطقة بني نصر.

جعفر بن خطيبها ولي الله تعالى أبا عبد الله الطنجالي (31) قاعداً بالجامع الأعظم، ومعه الفقهاء ووجوه الناس يجمعون مالا يرسم فداء الأساري الذين تقدم ذكرهم، فقلت له الحمد لله الذي عافاني ولم يجعلني منهم، وأخبرته بما اتفق لي بعدهم، فعجب من ذلك، وبعث إلي بالضيافة رحمه الله. وأضافني أيضاً خطيبها أبو عبد الله الساحلي المعروف بالمعمم (31).

(308)

ثم سافرت منها إلى مدينة بلش (33) وبينهما أربعة وعشرون ميلا، وهي مدينة حسنة بها مسجد عجيب، وفيها العناب والفواكه والتين كمثل ما بمالقة، ثم سافرنا منها (34) إلى الحمّة وهي بلدة صغيرة لها مسجد بديع الوضع عجيب البناء وبها العين الحارة على ضفة واديها، وبينها وبين البلد ميل أو نحوه، وهناك بيت لاستحمام الرجال وبيت لاستحمام النساء.

ثم سافرت منها إلى مدينة غرناطة قاعدة بلاد الأندلس، وعروس مدنها، وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا، وهو مسيرة أربعين ميلاً يخترقه نهر شنيل (35) وسواه من الأنهار الكثيرة والبساتين والجّنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة، ومن عجيب مواضعها عين (36) الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين، لا مثيل له بسواها.

(309)

(31) الطنجالي والقصد إلى أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي من أهل مالقة. أخذ عن أبيه وعن مالك بن المرحل وأجاز له جده أبو جعفر... كان قديماً العدالة كثير الحياء، أدركه أجله في شوال 764 = 1363 - الدرر 1: 192.

(32) الساحلي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الانصاري الساحلي... كان طبقة من طبقات الكفاة ظرفاً ورواءً وعارضة وترتياً تجل بفضله شهرة أبيه الذي كان صغيراً في بعض الظروف، وبعض المخطوطات تتعنه بالمعمم بدل المعمم وهو غير صواب أدركه أجله بمالقة ليلة النصف من شعبان 754-1353 الاحاطة ج 3 ص 191-192.

(33) بلش Velez، القصد إلى بلش مالقة، ويقع في شرقها على بعد 24 ميلا (34) ورد ذكر هذه الحمّة كثيراً في المصادر التي تحدثت عن المنطقة، وخاصة منها نزهة الإدريسي ومسالك الأبحار للعمري معاصر ابن بطوطة الذي أدنى عنها وصفاً دقيقاً. ومن تلك المصادر مخطوطة (الروض الياسم) في حوادث العمر والتراجم تأليف الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي الملطي القاهري المتوفى 920=1514 ورقة 112 ب وقفت عليها في حاضرة الفاتيكان رقم 729 Árabe، وكتب عنها المستشرق روبير برونشفيك (1936 Larose Editeurs).

(35) أظن محمد بن عبد الوهاب الفسّاني سفير السلطان مولاي اسماعيل لدى الملك كارلوس الثاني (1402=1690) في وصف شنيل... وقد ذكره سحر هذا النهر الذي ينحدر من وادي أش فيما قالت حمدة الشاعرة الأندلسية الوادي أشية

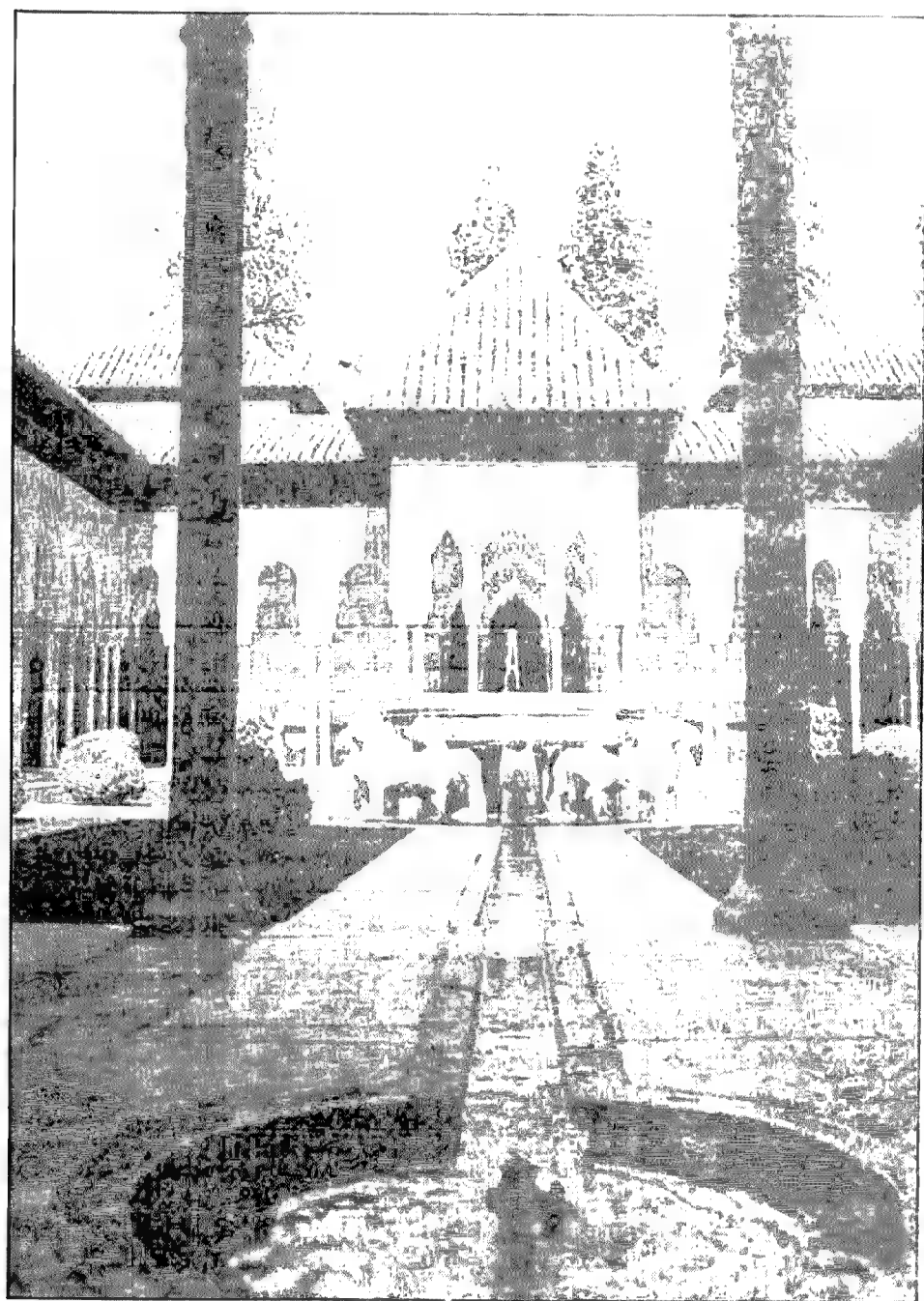
أيّاح الدمع أسراري بواد

له في الحسن آثار بوادي

(36) عين الدمع بقعة من ضواحي غرناطة كانت منتزهاً بديعاً إذ كانت تقص بالمروج والحدائق الغناء، وقد استمرت تحتفظ ببقية من سحرها القديم... ويشغل موقعها سطح تلال البيازين التي تطل على المرج وكانت تسمى عين الدّعة ويقال إن آخر ملوك غرناطة ذرفت دموعه وهو يودعها! وقد تحرف هذا الاسم عند الإسبان إلى (Dinamar)، وقد ورد ذكر (عين الدمع) في شعر كثير تذكّر منه قول أبي البركات ابن الحاج البلقي وهو من شيوخ ابن الخطيب

الأقل لعين الدمع يهمني بمقلتي × لفرقة عين الدمع وقفاً على الدم

وقد ظهرت عين الدمع في خريطة بني نصر بغرناطة أنظر الصورة 3 من كتاب Rachel Arié: L'Espagne musulmane au Paris 1993 Temps de Nasrides.



الحرم الشريف في القدس



لكي نأخذ فكرة عن صور القوم على ذلك العهد رأينا أن ننقل هنا جانباً من الرسوم المنقوشة في سقف إحدى قباب
قصر الحمراء في غرناطة

الأيام فوق الاجتماع به في بستان الفقيه أبي القاسم محمد بن الفقيه الكاتب الجليل أبي عبد الله بن عاصم (١١٩) وأقمنا هناك يومين وليلة (١٢٠)

قال ابن جزي كنت معهم في ذلك البستان وأمعنا الشيخ أبو عبد الله باخبار رحلته، وقيدت عنه أسماء الأعلام الذين لقيهم فيها واستفدنا منه الفوائد العجيبة، وكان معنا جملة من وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد الغرب الشان أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الجذامي (١٢٥) وهذا الفتى أمره عجيب، فإنه نشأ بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة، ثم إنه نبع بالشعر الجيد الذي ينذر وقوعه من كبار البلغاء، وصدور الطلبة مثل قوله :

يامن اختار فؤادي منزلاً يابيه العين التي ترمقه
فتح الباب شهادي بذكركم فابعثوا طيفكم بعلقه

رجع، ولقيت بغرناطة شيخ الشيوخ والمتصوفين بها الفقيه أبا علي عمر بن الشيخ الصالح الولي أبي عبد الله محمد بن المحروق (١٢٥) وأقمت أياماً بزاويته التي بخارج

(١٢٦) يبدو أن القصد إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عاصم بن محمد بن أبي عاصم الانصاري من أهل غرناطة ويعرف بأبن عاصم، كان حسن الخط، وكتب بالديار السلطانية، كان لئن العريكة طيب النفس سليم الصدر وولي الحسنة وناب عن صاحب القلم الأعلى ومن بعض قصائده

شدت بطلك للهدى أركان
وسما به فوق السبا أركان
والله أسعدنا بدولتك المني
هي للعباد والبلاء امان

وقلنا يبدو اعتماداً على ما ورد في هامش النسخة المطبوعة من الزور من أنه توفي عام 774 وليس عام 743 - الدور ج ١، ص 294

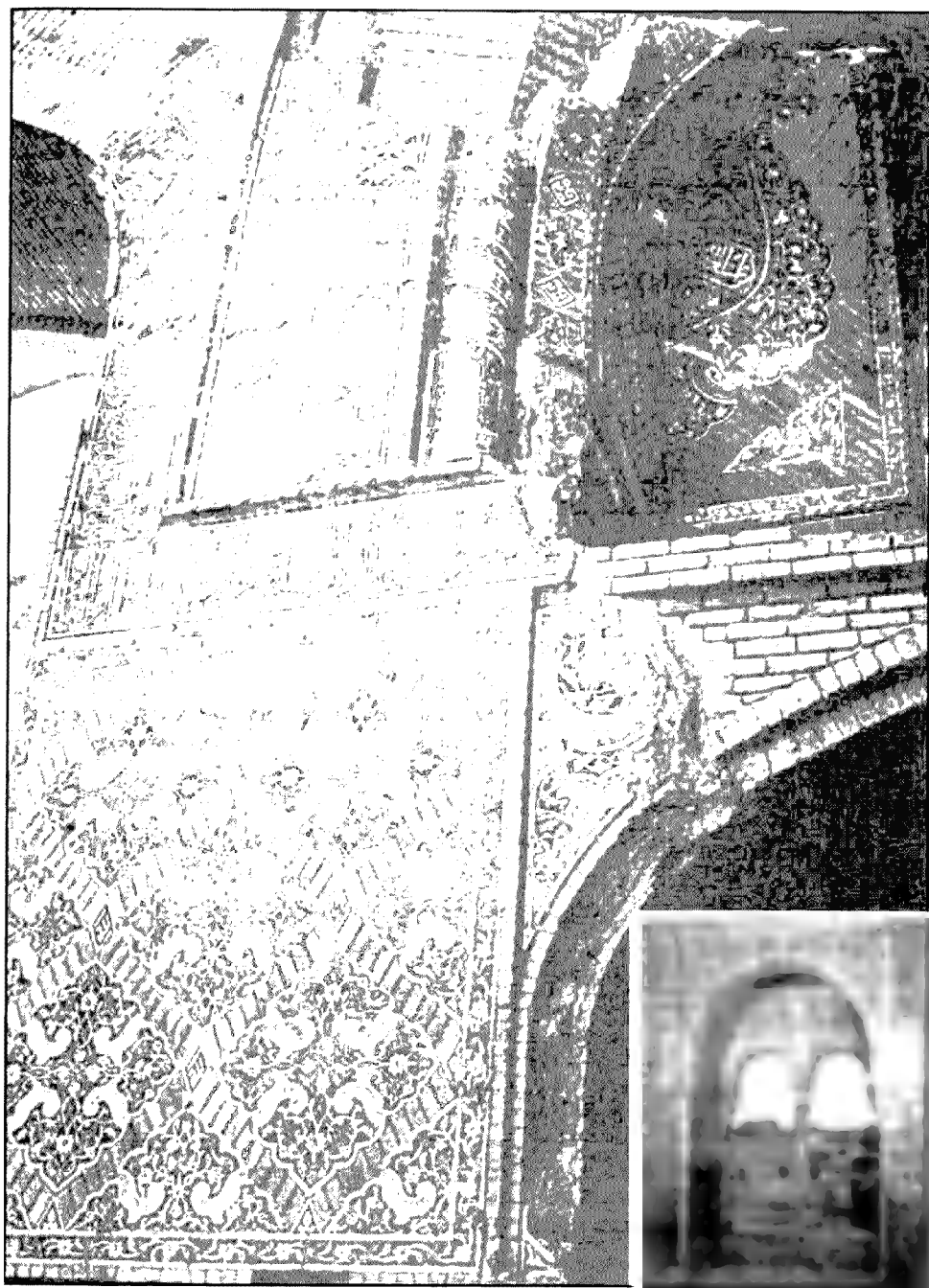
(١٢٧) حسب إفادة البليقي فإن ذلك اللقاء - ثم في بستان بقرية تبلة - انظر ما نقله لسان الدين ابن الخطيب عن أبي البركات في الاحاطة ج ١١١ ص 274 فهو بركي - إلى حد - معلومات ابن بطوطة

(١٢٨) الجذامي هذا هو الذي نعت ابن حجر بأنه شاب فاضل وأنه من الفلاحين ببلدة غرناطة، وأنه بحوك الشعر بالطبع الذكي الذي له كقوله

ياسيداً ودعته ومدامعي تسهل من عيني يوم وداعه
ما سار شخصك عن محبك انما عبيت عن عيني في اضلاعه

وقد أورد ابن حجر كذلك نفس البيتين الواردين في الرحلة، باستثناء تبديل منزل بمسكن مات شهيداً في جمادى عام 763 عن إحدى وأربعين سنة - الدور ١، ص 111 162

(١٢٩) لم نقف على ترجمة لابي علي عمر ابن المحروق هذا في كتاب الاحاطة لابن الخطيب بالرغم مما احوال عليه لسان الدين في الترجمة الواسعة لابن احمه أبي الحسن علي سي الذكر قريباً



حوار الحضارات بين الأندلس وبلاد فارس

وقد استولى عليه الخراب (58)، فما شَبَّهته إلا ببغداد (59) أن أسواق بغداد أحسن، ويمراكش المدرسة العجيبة (60) التي تميَّزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة وهي من بناء مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه.

قال ابن جزي : في مراكش يقول قاضيها الامام التاريخي أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك الأوسي (61) :

لله مـراكشُ الغـرَّاءُ من بَلَدٍ
وحبُّ ذَا أَهْلِهَا السَّادَاتُ من سَكَنٍ
إِنْ حَلَّهَا نازِحُ الأوطانِ مَغْتَرِبُ
أَسْلَوْهُ بِالْأُنْسِ عَن أَهْلِ وَطَنٍ
بَيْنَ الحَدِيثِ بِهَا أَوِ العِيَانِ لَهَا
يُنْشَا الثَّحَاسِدَ بَيْنَ العَيْنِ والأَذُنِ !!

رجع. ثم سافرتُ من مراكش صحبة الركاب العلي . ركاب مولانا أيده الله فوصلنا إلى مدينة (62) سلا ثم إلى مدينة مكناسة العجيبة الخضرة النضرة ذات البساتين والجنان المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا إلى حضرة فاس حرسها الله تعالى فوادت بها مولانا أيده الله ..

(58) ملاحظة ابن بطوطة ناتجة عن أن مراكش التي كانت عاصمةً سياسيةً للدولة الموحدية، وكانت مقصداً للزوار من سائر جهات العالم فُجرت بعد أن تمكن بنو مرين من السيطرة عليها حيث عادت العاصمة إلى مدينة فاس...

(59) كانت مقارنة مراكش ببغداد مقارنةً في محلها سيما مع تقارب الطقس وتكاثر النخيل وقد شعرت بهذه المقارنة عند وصولي إلى بغداد سفيراً لبلادي حيث جرى حديث مع الجهات المسؤولة حول إمكانية التوأمة بين بغداد ومراكش...

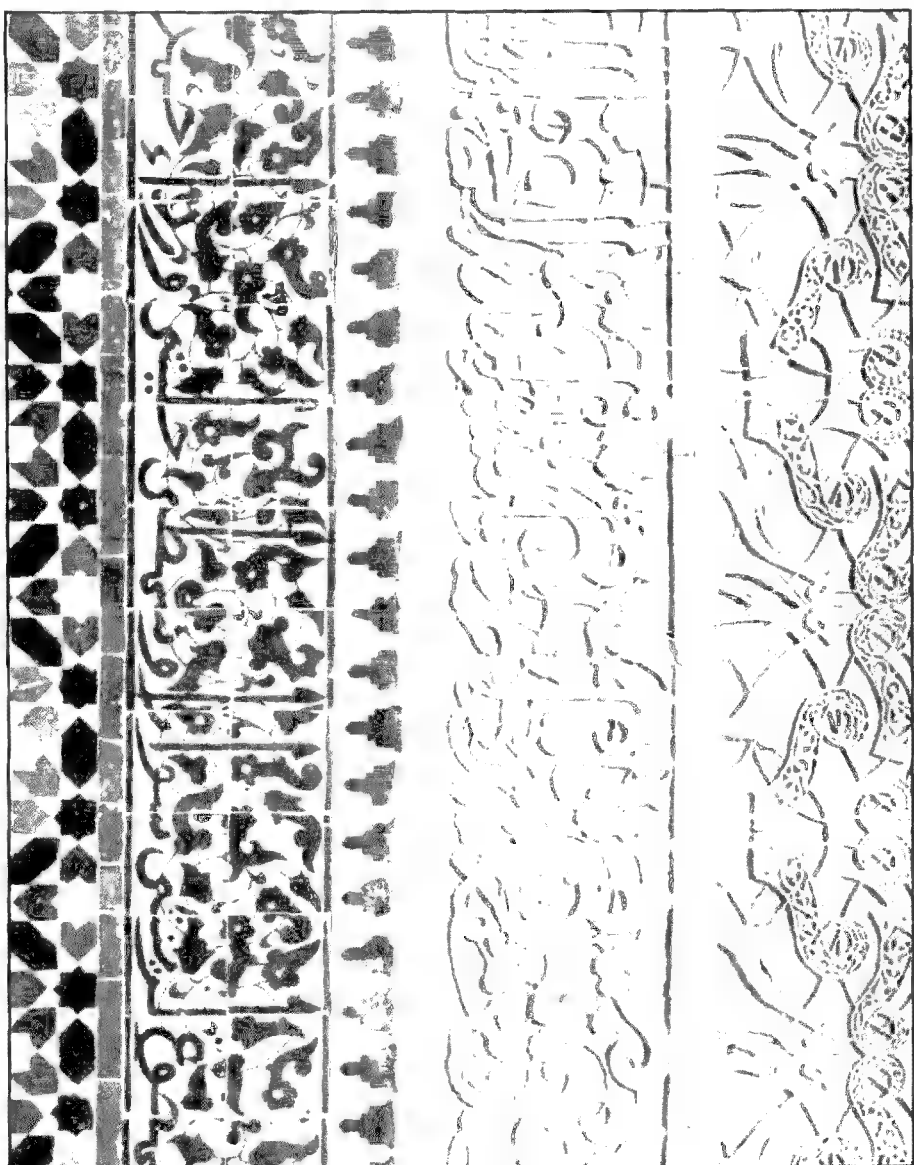
(60) يعتبر ابن بطوطة أول رُحالة يتحدث لنا عن مدرسة السلطان أبي الحسن، وقد كان - كما نعلم - معاصراً لنشاط المدرسة المذكورة كما سيتحدث عن هذه المدرسة ابن مرزوق وابن الوران .

Deverdun : Marrakech, RABAT 1959. - P. 320 - 322 - 344 - 568.

(61) القصد إلى ابن عبد الملك الأوسي المراكشي صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ترجم في أكثر من كتاب، وقد كان فيمن ترجموا له العباس بن إبراهيم صاحب الإعلام بمن حلّ مراكش وأغامت من الأعلام، 1976 المطبعة الملكية ج 4 ص 331-332. المراكشي - الذيل والتكملة - القسم الأول تحقيق د. محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1984.

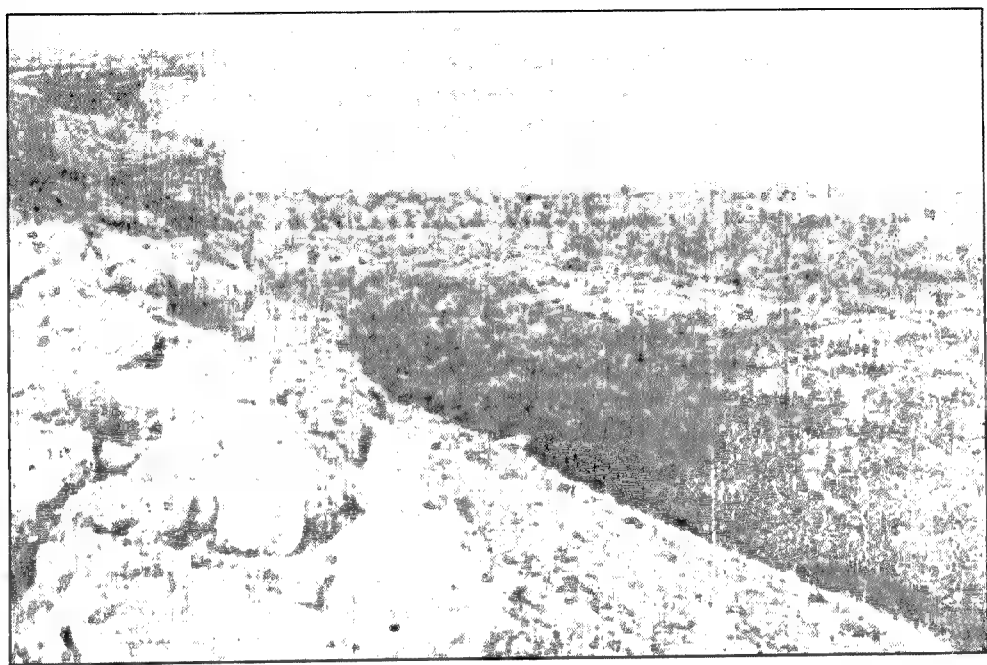
Deverdun : Inscriptions Arabes de Marrakech - Rabat 1956 p. 22.

(62) هذه إشارة هامة ينبغي الوقوف عندها ... وهي تفيد أن ابن بطوطة صاحب ركب السلطان أبي عنان الذي غادر مراكش يحتمل معه شيلو أبيه المتوفى يوم 23 ربيع الثاني 752 - 19 يونيو 1751 حيث تمت عملية النقل بشالة برباط سلا، ومن المهم أن نلاحظ دهاء وكياسة ابن بطوطة حول عدم التعرض إطلاقاً لما كان يجري على الساحة المغربية بين السلطان أبي الحسن وبين ابنه السلطان أبي عنان مما يهم الأسرة المالكة وحدها ومما يعتبر من القضايا الداخلية التي تقتضي التغاضي عنها¹





سوق قريب من موقع سجلماسة القديمة



وادي ريز شمال أطلال سجلماسة عن FB IN BLACK AFRICA

للرعي رعيًا الدواب به، ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجلٌ يعرف بابن زيري فلم أتقدم بعد ذلك ولا تأخرت، وكان ابن زيري وقعت بينه وبين ابن خاله، ويعرف بابن عدي، منازعة ومشاتمة فتأخر عن الرفقة فضلًا، فلما نزل الناس لم يظهر له خبر، فأشترت على ابن خاله بان يكتري من مسوفة من يقص أثره لعله يجده، فأبى. وانتدب في اليوم الثاني رجلًا من مسوفة دون أجره لطلبه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورًا ويخرج عنها تارة، ولم يقع له على خبر، ولقد لقينا قافلة في طريقنا فأخبرونا أن بعض رجال انقطعوا عنهم فوجدنا أحدهم ميتًا تحت شجيرة من أشجار الرمل، وعليه ثيابه وفي يده سوط، وكان الماء على نحو ميل منه. ثم (15) وصلنا إلى تاسرهلأ (16)، بفتح التاء المثناة والسين المهملة والراء وسكون الهاء، وهي أحساء ماء تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام فيستريحون ويصلحون أسقيتهم ويملؤنها بالماء ويخيطون عليها التلاليس (17) خوف الريح، ومن هناك يُبعث التّكشيف (18).

380/4

381/4

■ ذكر التّكشيف

والتّكشيف : اسم لكل رجلٍ من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم إلى إيوالأتن بكتب الناس إلى أصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة أربع، ومن لم يكن له صاحب بايوالأتن كتب إلى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك، وربما هلك التّكشيف في هذه الصحراء، فلا يعلم أهل إيوالأتن بالقافلة، فيهلك أهلها أو الكثير منهم وتلك الصحراء كثيرة الشياطين (19)، فإن كان التّكشيف منفردًا لعبت به واستهوتته حتى يضل عن قصده فيهلك إذ لا طريق يظهر بها ولا أثر، إنما هي رمال تنسفها الريح فتتري جبالاً من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت إلى سواه، والدليل هناك من كثر تردده،

382/4

(15) الميل العربي يعادل تقريباً أقل من كيلومترين أما الميل الروماني فلا يعدو كيلو ميترًا ونصفاً تقريباً.
(16) حول (تاسرهلأ) أورد الأب جوزيف م. كوك J.M. Couq سالف الذكر في تأليفه القيم حول مصادر تاريخ أفريقيا العربية (التعليق 7) تعليقاً مسهباً حول الموضوع...
ويظهر أن الأحساء المقصودة هي بئر الكصيب الذي يبعده 250 ك. م عن محطة تغارئي و 480 عن محطة ولاته Mauny : textes et documents P. 38 N° 4
(17) التلاليس ج تليس ويعني في الدارجة المغربية وعاء كبيراً ينسج من الصوف أو الشعر يصلح في العادة لحمل الحنطة وما أشبه.

(18) الكلمة تعني معرفة معالم الطريق ومسالكها، والشخص الذي يدل على ذلك يحمل اسم الكشاف على نحو ما نعيشه اليوم مع الحركة العالمية للكشفية (Scoutisme)، وهكذا يكون معنى التّكشيف : صاحب التّكشيف، وهو الدور الذي تقوم به اليوم الشركات السياحية في مختلف جهات العالم...
(19) حديثه عن «الشياطين» في الصحراء يذكرني في نقاش جرى بين المجمعين ونحن في الطريق إلى واحة سيوة (مارس 1996) حول عزيف الرمل أو طبل الصحراء عند هبوب الرياح وتخلل المطر بينها...

وتأتي الرجال من مسوفة وبزدامة (24)، وغيرها بأحمال الماء للبيع، ثم وصلنا إلى مدينة إيوالأتن (25) في غرة شهر ربيع الأول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة، وهي أول عمالة السودان، ونائب السلطان بها قرّبا حسين، وقرّبا يفتح الفاء وسكون الراء وفتح الباء الموحدة، ومعناه النائب.

ولما (26) وصلناها جعل التجار أمتعتهم في رحبة وتكفل السودان بحفظها. وتوجهوا إلى القرّبا، وهو جالس على بساط في سقيف، وأعوانه بين يديه، بأيديهم الرماح والقبسي وكبراء مسوفة من ورانه، ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قرّبه من إحتقاراً لهم (27) فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء أديهم واحتقارهم للأبيض وقصدت دار ابن بداء، وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له أن يكتري لي داراً ففعل ذلك، ثم إن مشرف (28) إيوالأتن، ويسمى منثأجو، بفتح الميم وسكون النون وفتح الشين المعجم والـف وجيم مضموم وواو، استدعى من جاء في القافلة إلى ضيافته، فأبيت من حضور ذلك، فعزم الأصحاب عليّ أشد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم أتى بالضيافة، وهي جريش أثلي مخلوطاً بيسير عسل ولين قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة، فشرب الحاضرون

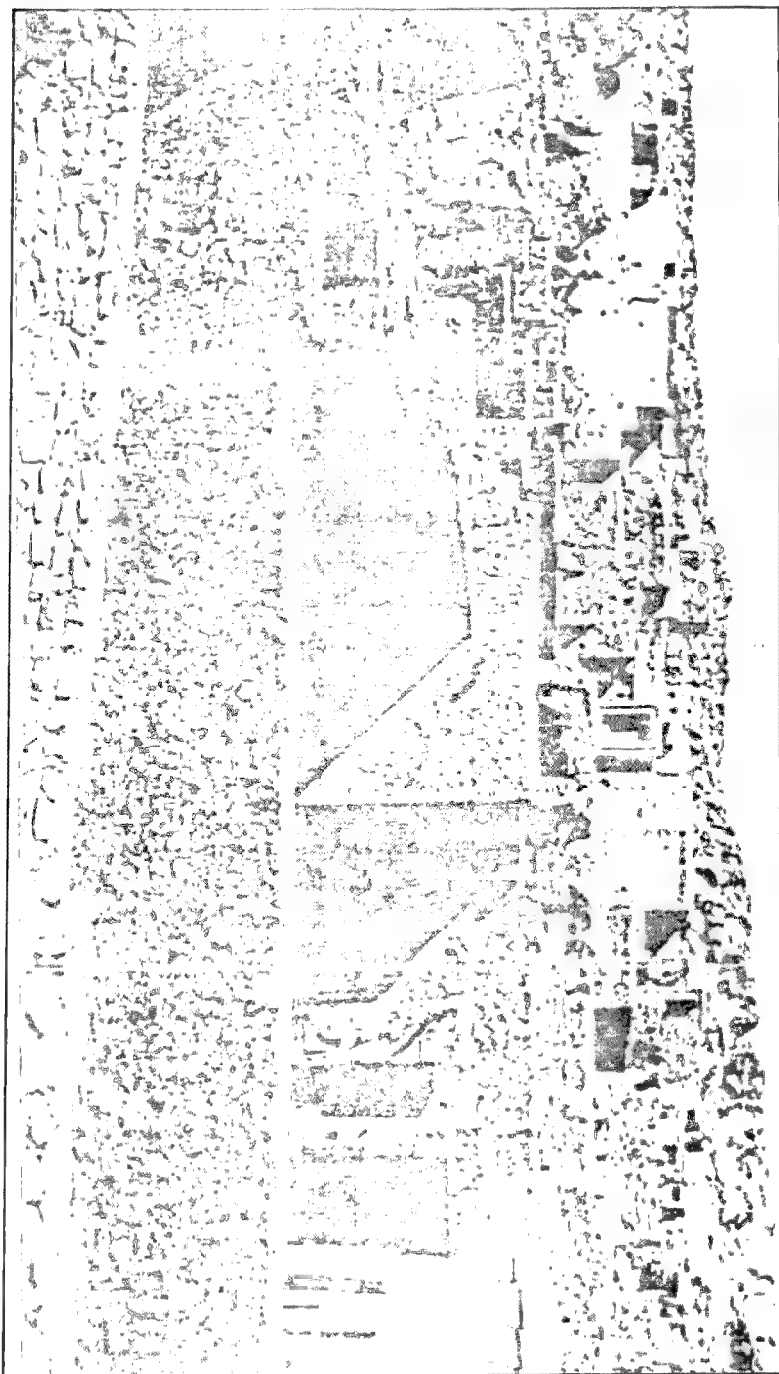
386/4

(24) بزدام وهو الاسم الذي يعطى من لدن الفلّاتين للتوارك على العموم والتبلاء. منهم على الخصوص ويمكن أن يكون لهذا الاسم صلة بالقبيلة التي تحمل اسم إبيير ديانان
Beckingham 1994, IV P. 950 N° 15

ومن المعلقين من يفترض أن القصد ببزدامة إلى بغامة التي ذكرها الشريف الإدريسي ج 1 ص 25 (25) إيوالأتن جمع ولاته، يذكر ابن الوزان أنها مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسانر ممالك السودان. ليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بين حدائق النخل. الخريطة الحالية تظهر مكانين يحملان اسم ولاته - إيولاتن التي يتحدث عنها ابن بطوطة هي القرية الجنوبية التي تقع على الخط 17.02 شمالاً والخط 44. 6 غرباً. كانت في وقت ابن بطوطة الحد الشمالي لامبراطورية مالي، وهكذا فعلى نحو ما لاحظناه أثناء وجود ابن بطوطة في سيلان نجد هذه الإشارة من ابن بطوطة: «وهي أول عمالة السودان». وهذا يعني رسم الحدود بين الأقطار الأمر الذي سيكون له بُعد على صعيد العلاقات الثنائية في المنطقة. - هذا ويوافق تاريخ أول ربيع الأول 17 أبريل 1352

(26) قرّبا كلمة تعني بأمّراً أي الشخص الذي يمثل منسى مالي يعني الحاكم.
(27) كان علي ابن بطوطة أن يعرف أن البروتوكول في بلاد السودان يقتضي، لزوماً، اتخاذ ترجمان مع الأجانب تعبيراً عن الذات وعن الشخصية ومن غير قصد إلى احتقار على نحو ما نراه اليوم يطبق في بعض البلاد ولو مع معرفة اللغة. ومن هنا نجد أن مبعوث ملك مصر إلى منسى موسى ملك مالي يحكى عن أنه استقبل بحفاوة كبيرة بيد أن هذا الملك الذي كان يتقن اللغة العربية إنما كان يتحدث للمبعوث المصري بواسطة الترجمان...

(28) المشرف لقب وظيفي حضاري دخل في القاموس الأوربي Al. MOJARRIF الذي يتوصل بالواجبات والحقائق اللازمة عند الإبراد ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالامامة تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة دار الغرب الإسلامي - بيروت 1987.



اطلال من ابوالأقن

رجع، وفي أشجار هذه الغابة التي بين إيوالأتن ومالي ما يشبه ثمرة الإجاص والتفاح والخوخ والمشمش وليست بها، وفيها أشجار تُثمر شبه الفصوص، فإذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق، فيطبخونه ويأكلونه ويبيع بالأسواق، ويستخرجون من هذه الأرض حبات كالقول فيقولونها ويأكلونها، وطعمها كطعم الحمص المقلو (34)، وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرثي (35). والغرثي بفتح الغين المعجم وسكون الراء وكسر التاء المثناة. وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة مضر بالبيضان إذا أكلوه، ويدق عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع، فمنها أنهم يطبخون به ويسرجون السرج ويقولون به هذا الاسفنج ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير، وهو عندهم كثير متيسر، ويحمل من بلد إلى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة ببلادنا.

393/4

والقرع ببلاد السودان يعظم، ومنه يصنعون الجفان، يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشاً حسناً، وإذا سافر أحدهم يتبعه عبيده وجواريه، يحملون فرشته وأوانيهِ التي يأكل ويشرب فيها، وهي من القرع

والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا إداماً ولا ديناراً ولا درهماً، إنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم (36)، وبعض السلع العطرية، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي وتاسرغنت (37) وهو بخورهم، فإذا وصل قرية جاء نساء السودان

394/4

(34) يتعلق الأمر بما يسمى فَوَانْدَزُو (Voandzou) عُوض اليوم بالبول السوداني كاوكاو النبات الوارد من البرازيل. Cuoq P. 297 Stephane III P. 406.

(35) الغرثي هو بالذات القارثي عند العمري معروف بإفريقيا الغربية وشجر اسمه قارثي يحمل شبيه الليمون. وطعمه يشبه طعم الكمثرى بداخله نوى ملحم، يؤخذ منه ذلك النوى وهو طري ويطحن فيخرج منه شبيه بالسمن، ويجمد، تبيض به البيوت وتوقد منه السرج والقناديل ويعمل منه صابون، وإذا أريد أن يوكل ذلك الدهن يحرق بتدبير... ويستعمل في المأكول كالسمن.

العمري : مسالك الأبصار في ممالك الانصار (ت 749) السفر الثالث إصدار فؤاد سركين - معهد تاريخ العلوم العربية - والإسلامية جامعة فرانكفورت - ألمانيا 1408=1988 ص 36-37.

(36) النظم من نظم العقيق أو اللؤلؤ. أي جعله في نحو خيط مرتباً ليصلح كعقد.

(37) تاسرغنت صيغة تائيت، كلمة بربرية، والاسم المعرب سرغينة (Corrigiola telephiitolia)، وهي كما يقول الحسن ابن الوزان : " جذر عطري يوجد على ساحل المحيط إلى جهة الغرب ويجلبه تجار موريطانيا إلى بلاد السودان حيث يستعمل عطراً رفيعاً، ولا حاجة إلى حرقه أو تسخينه، لانه إذا حفظ في حجرة نشر فيها نفس الرائحة على أية حال... "

المهمل والغين المعجم الاول والنون وضم الغين الثاني وواو، والسنيون المالكين من البيض يسمون عندهم توري (46) بضم التاء المثناة وواو ودا مكسورة، ومن هذه القرية يجلب أنثي إلى إيواأتن.

ثم سرنا من زاغري فوصلنا إلى النهر الأعظم، وهو النيل (47) وعليه بلدة كارسنخو (48)، بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهمل وضم الخاء المعجم وواو، والنيل ينحدر منها إلى كابرزة (49)، بفتح الباء الموحدة والراء، ثم إلى زاغة (50) بفتح الزاي والغين المعجم، وللكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي، وأهل زاغة قداماء في الإسلام، لهم ديانة وطلب علم، ثم ينحدر النيل من زاغة إلى تنبكتو (51)، ثم إلى كوكو، وسنذكرهما، ثم إلى

(46) هذه الأسماء ما تزال إلى الآن كاسماء عائلية - توري (TURI) وهو يؤدي معنى (أجنبي)، وأول ملك في مالي كان يعتقد مذهب الأياضية، فمن المحتمل أن آل صغنفو يكتنون الشريحة الأولى للبيض الذين استقروا في عين المكان، وقد أتبع فيما بعد طبقة أخرى، وكانت هذه الطبقة سنية مالكية، بيد أنه - بعد ابن بطوطة - وجدنا أن آل صغنفو سوف يعتنقون المذهب المالكي J. Cuoq. Recueil P. 1 N° 299، د. التازي. التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 3 ص 305.

(47) يلاحظ أن اسم النيل أعطى من لدن الجغرافيين العرب لبعض الأنهار الأفريقية وهكذا فحتى إلى القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي، نرى أنه توجد أودية في إفريقيا لا صلة لها إطلاقاً بنيل مصر ومع ذلك تحمل اسم النيل ! وما نحن مع ابن بطوطة في هذه الفترات التي يذهب فيها بعيداً فيذكر أن النيل ينحدر إلى بلاد النوبة !! وهكذا غاب عنه كسانو سابقة وجود وادي النيجر...! لقد كان يجهل منابع النيل التي اهتم بها الأسواني سفير جوهر الصقلي إلى ملك النوبة حوالي 975=365 - كراتشكو فسكي الأدب الجغرافي ص 210 - 48 N° 1 Mauny.

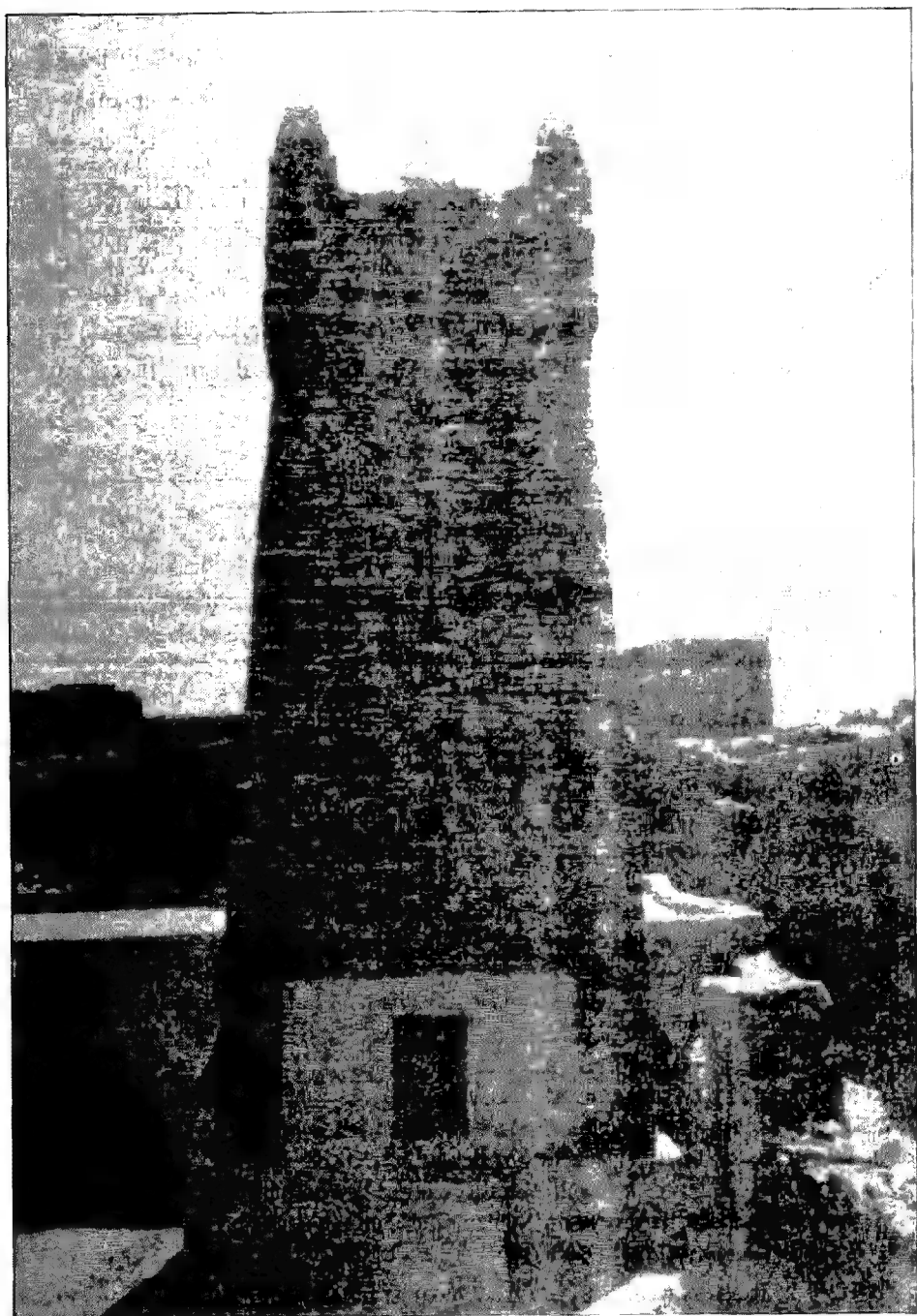
(48) من الممكن أن يكون القصد حسب ديلفوس إبي (KARA-SAKHOU) في عالية ديافارابي (DI-AFARABE) على الساحل الأيمن لنهر النيجر.

(49) كابرة ربما كان أحد أسماء ديافارابي (Diafarabé) في أسفل النيجر، في إقليم موپتي (Mopti) - ومدينة زاغة (ZAGHA) يمكن أن تكون هي (DIA) عند سافلة ديافارابي

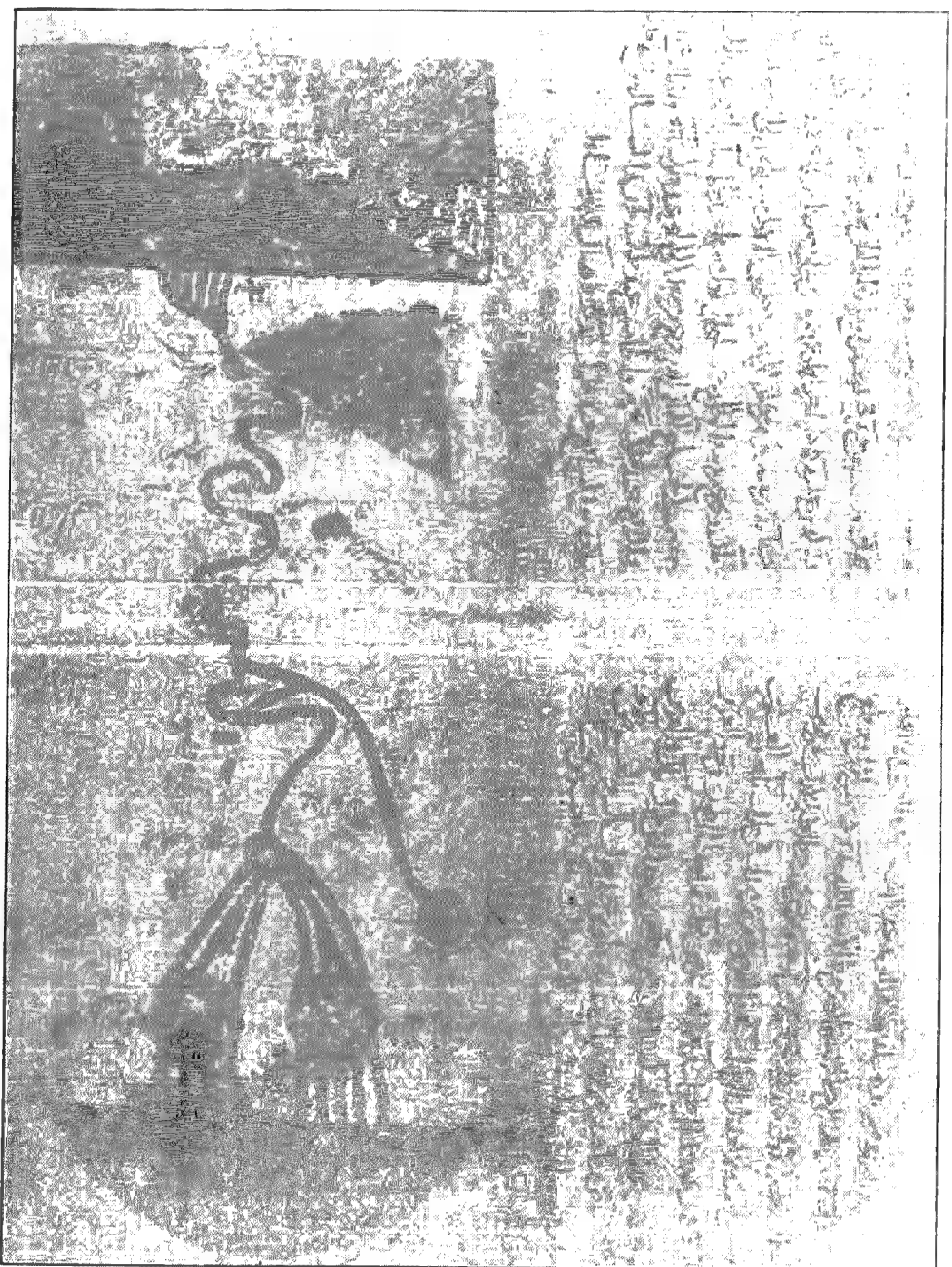
Beckingham P. 36 N° 36

(50) يلاحظ أن غير سكان زاغة على الإسلام ربما كانت مرتبطة بقربها من مدينة جني الواقعة شرق النيجر والتي ابتدأت منذ هذا التاريخ تفرض نفسها كمركز ديني تجاري الأمر الذي يفسره تردد بعض العلماء عليها... أبو القاسم الفكيكي. الفريد في تقييد الشريد، تحقيق د. التازي - طبع بالبيضاء مطبعة النجاح عام 1983 ص 51 تعليق 21.

(51) سياطي الحديث عن تنبكتو وكوكو (كاو)



منارة القاهرة في ساحة



مجرى النيل عند القوارصي

ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك وإحسانه إلي

وأقمت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل إليّ فيهما شيء من قبل السلطان، ودخل شهر رمضان (68)، وكنت خلال ذلك أتردد إلى المشور وأسلم عليه وأقعد مع القاضي والخطيب، فتكلمت مع دُوغا الترجمان، فقال: تكلم عنده وأنا أعبر عنك بما يجب، فجلس في أوائل رمضان، وقمت بين يديه وقلت له: إني سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولي ببلادك منذ أربعة أشهر ولم تُصنفي ولا أعطيتني شيئاً! فماذا أقول عنك عند السلاطين؟! فقال: إني لم أرك ولا علمت بك، فقام القاضي وابن الفقيه فرداً عليه وقالوا: إنه قد سلّم عليك وبعث إليه الطعام! فأمر لي عند ذلك بدار أنزل بها ونفقة تجرى عليّ، ثم فرق على القاضي والخطيب والفقهاء مالاً ليلة سبعة وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة (69)، وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلاثاً وأحسن إليّ عند سفري بمائة مثقال ذهباً.

402/4

403/4

ذكر جلوسه بقبته

وله قبة مرتفعة، بابها بداخل داره يقعد فيها أكثر الاوقات (70)، ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغطاة بصفائح الفضة، وتحتها ثلاثة مغطاة بصفائح الذهب، أو هي فضة مذهبة، وعليها ستور ملف، فإذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور، فعلم أنه يجلس، فإذا جلس أخرج من شبك إحدى الطاقات شرابة حرير قد رُبط فيها منديل مصري مرقوم، فإذا رأى الناس المنديل ضربت الأطبال والأبواق، ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد في أيدي بعضهم القسي، وفي أيدي بعضهم الرماح الصغار والدُرُق، فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنةً وميسرةً، ويجلس أصحاب القسي كذلك، ثم يوتي بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون أنهما ينفعان من العين!

404/4

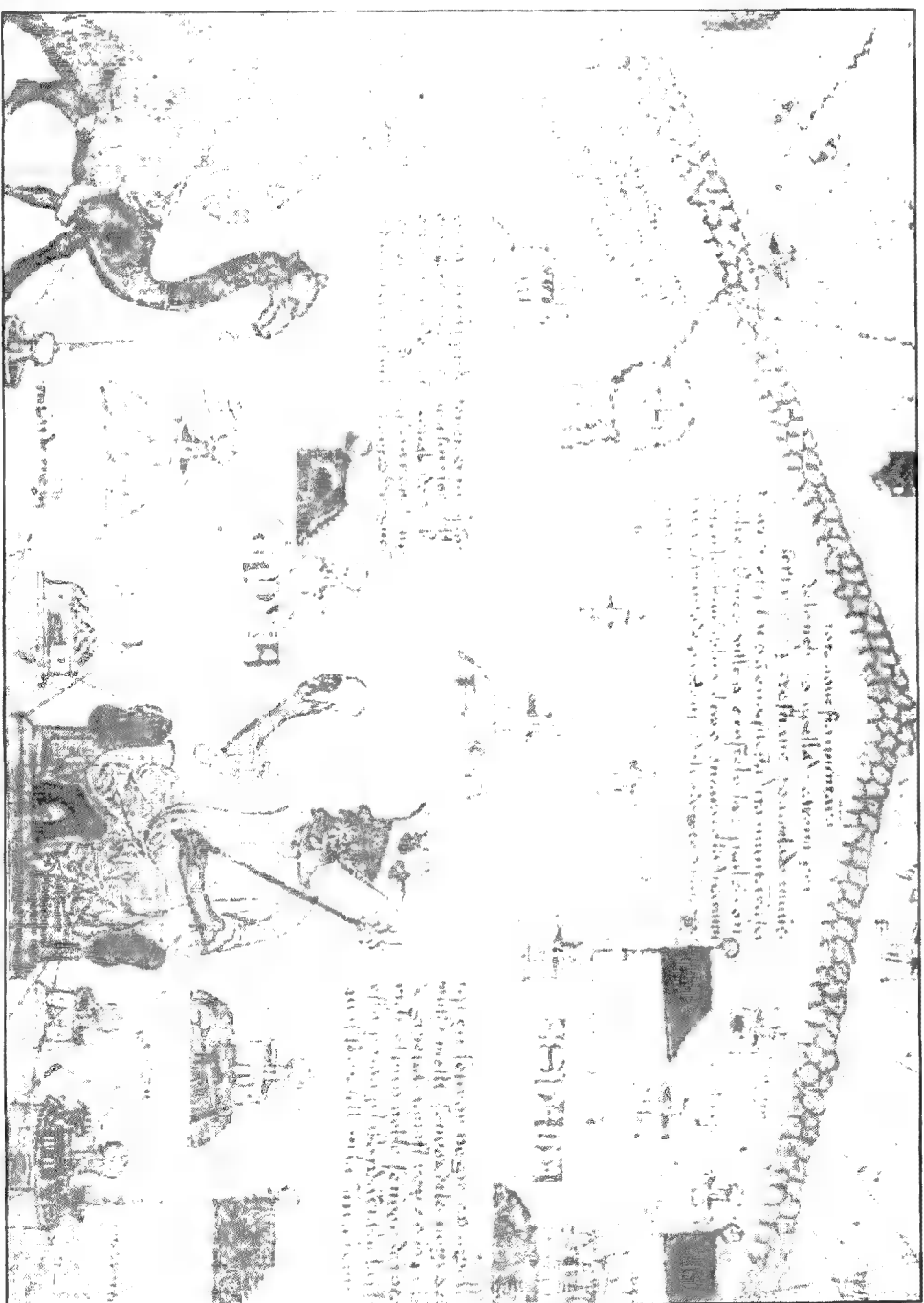
وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائيه قنجا موسى، وتأتي الفرارية (71)، بفتح الفاء، وهم الامراء ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية يمنة ويسرة في المشور ويقف دُوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من

(68) ابتداء من 11 أكتوبر 1352.

(69) الزكاة يعني بها هنا في ليلة القدر مطلق العطاء.

(70) قبة الاستقبال بنيت من قبل أبي إسحاق إبراهيم الساحلي الغرناطي المعروف بالطويجن. قبة مربعة الشكل استقرغ فيها إجادته، وكان صناع اليدى وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة فجاءت من اتقن المباني، ووقعت من السلطان منسى موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم. انظر تعليق 92 - د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 40 تعليق 2.

(71) الفرارية ج. فارى بلغة الماندينك تعني الرئيس العسكري.



رسم سلطان عالم - المكتبة الوطنية بباريس رقم 6596

رضي الله عنه، كان إذا دخل المجلس الكريم حمل بعض ناسه معه قفة تراب فيترب مهما قال له مولانا كلاماً حسناً كما يفعل ببلاده¹

ذكر فعله في صلاة العيد وأيامه

وحضرت بمالي عيدي الاضحى والفطر (81)، فخرج الناس إلى المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان، وعليهم الثياب البيض الحسان، وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان، والسودان لا يلبسون الطيلسان (82) إلا في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فإنهم يلبسونه في سائر الأيام، وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون، وبين يديه العلامات الخمسة (83) من الحرير، وتُصب عند المصلى خباء فدخل السلطان إليها وأصلح من شأنه ثم خرج إلى المصلى فقضيت الصلاة والخطبة، ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير، وهناك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب، وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه.

410/4

ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على البتبي وتأتي السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وأعمادها منه، ورمح الذهب والفضة ودبابيس البلور، ويقف على رأسه أربعة من الأمراء يشتركون الذباب، وفي أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج، ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة، ويأتي دُوغا الترجمان بنسائه الأربع وجواريه، وهن نحو مائة، عليهن الملابس الحسان وعلى رؤوسهن عصائب الذهب والفضة، فيها تفافيح ذهب وفضة.

411/4

وينصب لِدُوغا كرسي يجلس عليه ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قُرَيْعَات (84) ويغنى بشعر يمدح السلطان فيه، ويذكر غزواته وأفعاله، ويغني النساء والجواري معه ويلعبن بالقسي.

412/4

(81) 10 نوفمبر 1352 - 18 يناير 1353.

(82) الطيلسان عبارة عن قطعة من الثوب الحريري الاسود تحمله بعض الشخصيات على الاكتاف، شعار القضاة والعلماء والأئمة والفقهاء.

(83) اللون الأحمر شعار ملكي في امبراطورية غانا في القرن الثامن والحادي عشر الميلادي ولا بد أننا نتذكر أن الحل الأرجوانية شعار الأمراء الأفاقة منذ أيام بوبا الذي منع سيبيون Scipion من ارتدائها طالما أنه ليس أميراً¹¹ - د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 3 ص 48-1

(84) القصد دائماً إلى ما قلناه في التعليق 73 والترجمان هنا يقوم بدور الشاعر...

ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانهم عليهم جباب المِلفِ الحُمْر (85)، وفي رؤوسهم الشواشي البيض، وكلُّ واحدٍ منهم متقلّد طيله، يضربه ثم يأتي أصحابه من الصبيان فيلعبون ويتقلبون في الهواء كما يفعل السّندى، ولهم في ذلك رشاقة وخفة بديعة ويلعبون بالسيوف أجمل لعب، ويلعب دُوغا بالسيف لعباً، بديعاً وعند ذلك يأمر السلطان له بالاحسان فيوتي بصُرة فيها مائتا مثقال (85) من التّبر ويذكر له ما فيها على رؤوس الناس، وتقوم الفرارية فينزعون في قسيهم شكراً للسلطان، وبالغد يُعطي كلُّ واحدٍ لدوغا عطاءً على قدره، وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه.

413/4

• ذكر الأضحوة في إنشاد الشعراء للسلطان

وإذا كان يوم العيد وأتم دُوغا لعبه جاء الشعراء، ويسمون الجُلا، بضم الجيم، واحدهم جَالِي (86)، وقد دخل كلُّ واحدٍ منهم في جوف صورة مصنوعة من الرّيش تشبّه الشَّقْشاق، وجعل لها رأساً من الخشب له منقار أحمر كأنه رأس الشَّقْشاق، ويقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة المضحكة، فينشدون أشعارهم (87)، وذكر لي أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان: إن هذا البُتّي الذي عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من حسن أفعاله كذا، وفلان وكان من أفعاله كذا، فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك! ثم يصعد كبير الشعراء على درج البُتّي ويضع رأسه في جبر السلطان، ثم يصعد إلى أعلى البُتّي فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ثم على كتفه الأيسر، وهو يتكلم بلسانهم، ثم ينزل، وأُخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديماً عندهم قَبيل الاسلام فاستمروا عليه.

414/4

حكاية [الجرادة المتكلمة] !

وحضرتُ مجلس السلطان في بعض الأيام، فاتى أحد فقهاءهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاماً كثيراً، فقام القاضي فصدّقه ثم صدقهما السلطان، فوضع كلُّ واحدٍ منهما عمامته عن رأسه وترّب بين يديه، وكان إلى جانبي رجلٌ

415/4

(85) لعل (الملف) يأخذ أسمه من أمالفي الإيطالية... التازي : مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة مايو 1989.

(86) جالي (DYELI) ويعني المنشد...

(87) من المعتاد إلى اليوم رؤية مثل هذه المشاهد الجميلة والمثيرة بمناسبة استقبال عزيز أو ضيف كبير على نحو ما شاهدناه عند زيارة سمو ولي العهد سيد محمد للمنطقة... التازي : دفاعاً عن الوحدة الترابية للمملكة المغربية رمضان 1400 = يولييه 1980 نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي ص 70.

الشَّقْشاق : بلارج في تلمسان وهو الشحرور في غرناطة، وقد ترجمه بيكينكام إلى HORNBILL طائر ضخم المنقار.

وصارت قاسا تركب كلَّ يوم في جواريتها وعبيدها وعلى رؤوسهم الثَّراب، وتقف عند المشور متتقبلاً لا يرى وجهها. وأكثر الامراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانه : إنكم قد أكثرتم الكلام في امر قاسا وإنها أذنبت ذنباً كبيراً ثم أوتى بجارية من جواريتها مقيدةً مغلولة، فقيل لها : تكلمي بما عندك فأخبرت أن قاسا بعثتها إلى جاطا ابن عم السلطان الهارب عنه إلى كُنْئُرني (90)، واستدعته ليخلع السلطان عن ملكه!! وقالت له : أنا وجميع العساكر طوع أمرك، فلما سمع الامراء ذلك قالوا : إن هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليه، فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب، وعادتهم أن يستجبروا هنالك بالمسجد وان لم يتمكن فبدار الخطيب.

419/4

وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبُخله وكان قبله منسى مفاً، وقبل مفاً، منسى موسى (91)، وكان كريماً فاضلاً يحب البيضاء، ويحسن إليهم وهو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال (92)، وأخبرني بعض الثقات أنه أعطى لمدرِك بن فُقُوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد، وكان جده سارق جاطة (93) أسلم على يدي جِدْ مدرِك هذا.

420/4

(90) لعل القصد إلى ماري جاطا (وليس إلى منسى جاطا) الذي سيبحث (صفر 762 = يناير 1361) بسفارة إلى العاهل المغربي أبي سالم كان من جملة الهدايا التي حملها السفير الزرافة التي حركت من قريجة الشعراء راجع التعليق 80 - كُنْئُرني لعل القصد إلى كُونْبري (Konbere) التي تقع في باندوكو (Bendugu) منطقة وراء وادي باني (BANI).

(91) منسى موسى (712=1337-1337) أعظم امبراطور اكتسبته مآلي وقد اشتهر بما انفق في حجه من أموال. طن ونصف من التبر عام 1324=724 ولده منسا مفاً الأول (مفا = محمد) - 1341 1337 خلفه بيد أن أخا موسى سليمان تغلب على مفا واستولى على الحكم عام 1341=741

(92) القصد إلى ابراهيم بن محمد الأنصاري الساحلي المشهور بالطويجن (تعليق 70) كان أبوه أمين العطارين بغرناطة وقد ترجم له لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة ترجمة واسعة، وقال عنه إنه نسيج وحده في الأدب نظماً ونثراً. أنيق الديباجة غزير المادة إلى خطٍ بديع ومشاركة في الفنون وكرم من النفس، رحل بعد أن اشتهر فضله. ثم دخل بلاد السودان فاتصل بملكها واستوطنها زماناً طويلاً. ثم أب إلى المغرب لكن القدر صرفه إلى مستقره من بلاد السودان ورزق هناك اولاداً كالخنافس...!! وقد أهدى إلى ملك المغرب هدية فائتاً به عليها مالا خطيراً ومدحه بشعر بديع عند دنو ركابه من ظاهر تلمسان :

خَطَرْتُ كِمِياسَ القنا المتأطر ورنْتُ بالحاظ الغزال الأعفر

وقد أدركه أجله بتبنيكتو يوم الاثنين 27 جمادى الثانية 747 - المقرئ النفع 194.2 الإحاطة ج اص 329 تحقيق عبد الله عنان - راجع التعليق رقم 70

(93) سارق جاطة . القصد إلى سون دياطا أو ماري دياطا 629-653=1230-1255 أول سلطان لمآلي ذكر من لدن المؤرخين وفي بعض المخطوطات ماري جاطة - ابن بطوطة يشير إلى ماري جاطا المعروف أكثر بسو ندياطا المؤسس الأسطوري لامبراطورية مآلي - والواقع أن تاريخ وتسلسل أسرة الحكام بمالي في الفترات الأولى غير مؤكد... إن والد منسى موسى أبا بكر كان أخا أو ربما ابن أخت لسوندياتا

الصورة، فإن عادة الفرارية أن يفتروا بدار السلطان، ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه، وهن عرايا ! ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات، وتعرّي بناته. ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا، ومعهن بنتان له ناهدان ليس عليهما سترا ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدياً، ومنها ماذكرته من الأضحوكة في إنشاد الشعراء، ومنها أن كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير.

421/4

ذكر سفري عن مالي

وكان دخولي إليها في الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين (96)، ورافقني تاجر يعرف بأبي بكر بن يعقوب، وقصدنا طريق ميمة (97)، وكان لي جمل أركبه لان الخيل غالية الأثمان، يساوي أحدها مائة مثقال، فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل لا يجاز إلا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به إلا بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر.

425/4

ذكر الخيل التي تكون بالنيل

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة، فعجبت منها وظلنتها فيلة لكثرتها هنالك، ثم إنني رأيتها دخلت في النهر، فقلت لأبي بكر بن يعقوب : ما هذه الدواب؟ فقال : هي خيل البحر، خرجت ترعى في البر وهي أغلظ من الخيل، ولها أعراف وأذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل، وأرجلها كأرجل الفيلة.

426/4

ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا النيل من تنبكتو إلى كوكو، وهي تعوم في الماء وترفع رؤوسها وتتفخ، وخاف منها أهل المركب، فقربوا من البر لنلا تغرقهم، ولهم حيلة في صيدها حسنة، وذلك أن لهم رامحاً مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة، فيضربون الفرس منها فإن صادفت الضربة رجله أو عنقه أنفذته وجذبوه بالحبل حتى يصل إلى الساحل فيقتلونه ويأكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير.

وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى قرياً (98) مغا بفتح الميم والغين المعجم، وهو ممن حج مع السلطان منسى موسى لما حج.

427/4

(96) يعني من 29 يونيو 1352 إلى 28 يناير 1353.

(97) ميمة Mema اسم يعطيه السنوك لموقع خرب قريب من نامبالا Nampala شمال منطقة ماسينا (Macina) هذا والقصد بفرس النهر أو جاموس البحر إلى Hippopotame

(98) حول لقب (قرياً) انظر التعليق السابق رقم 26 وحول موسى وحجّه، انظر التعليق 91

حكاية [أكلة لحم البشر]

أخبرني قريباً مَعَا أن منسى موسى لما وصل إلى هذا الخليج، كان معه قاضٍ من البيضان يكتنّى بأبي العباس، ويعرف بالدكالي (99) فأحسن إليه بأربعة آلاف مثقال سُرقت له من داره فاستحضر السلطان أمير ميمة وتوعّده بالقتل إن لم يحضر من سرقتها، وطلب الأمير السارق فلم يجد أحداً ولا سارق يكون بتلك البلاد، فدخل دار القاضي واشتدّ على خدامه وهدّدهم، فقالت له إحدى جواريه : ما ضاع له شيء ! وإنما دفنها بيده في ذلك الموضع ! وأشارت له إلى الموضع، فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي ونفاه إلى بلاد الكفار الذين ياكلون بني آدم (100)، فأقام عندهم أربع سنين، ثم رده إلى بلده، وإنما لم يأكله الكفار لبياضه! لأنهم يقولون : إن أكل الأبيض مضر لأنه لم ينضج والأسود هو النضج بزعمهم!!

428/4

حكاية [أكلة خادمة السلطان]

قدمت على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين ياكلون بني آدم، معهم أمير لهم، وعادتهم أن يجعلوا في أذانهم أقراطاً كباراً وتكون فتحة القرط منها نصف شبر، ويلتحفون في ملاحف الحرير، وفي بلادهم يكون معدن الذهب، فأكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادماً فذبحوها وأكلوها ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها وأتو السلطان شاكرين!!

429/4

وأخبرت أن عادتهم متى ما وفدوا عليه أن يفعلوا ذلك وذكر لي عنهم أنهم يقولون : إن أطيب ما في لحوم آدميات الكف والتدي !!

(99) نحن على مثل اليقين من أن القصد إلى أحد أفراد عائلة الشيخ الثقة الثبّت أبي عثمان سعيد الدكالي الذي كان ابن فضل الله العمري يعتمد عليه في أخباره، وهو أي الدكالي ممن سكن مدينة (نيني) خمسة وثلاثين سنة - نقل عنه أكثر من مرة وكان يكتنّى بأبي عثمان... وقد يكون أبو العباس عند ابن بطوطة هو أبا عثمان عند العمري... وتحدث الكتب بهذه المناسبة عن علاقات بلاد السودان مع المغرب.

(100) تقع المناطق التي عرفت بأكل لحوم البشر l'anthropophagie في الطريق الرئيسي الذي يمتد من يولا (Yola) إلى تخوم زاريا (ZARIA)، هناك أربع وثلاثون قبيلة معروفة بالاسم، ويذكر ميك (Meek) في تاركيفه عن قبائل شمال نيجيريا) 1925 أن من بين القبائل التي لا تتناول لحوم البشر اليوم توجد بقايا عادات تدل على أن فيها من كان يفعل ذلك قبل وقد ذكر العمري أن تاجراً قدم لأحد الملوك الوثنيين السود قطعاً من الملح، وعند العودة بعث إليه الملك المذكور بفتاتين لغرض أكلهما! خليفة عباس العبيد الزبير باشا مصدر سابق - تعليق 53.

حكاية [أمير لا يحب البكاء]

كان السلطان منسى موسى لما حج، نزل بروض سراج الدين هذا ببركة الخبش (105)، خارج مصر، وبها ينزل السلطان واحتاج إلى مال فتسلّفه من سراج الدين وتسلف منه أمراؤه أيضاً وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضى المال فأقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله، ومعه ابن له فلما وصل تُنَبِّكُوْهُ أضافه أبو إسحاق الساحلي، فكان من القدر موته تلك الليلة، فتكلم الناس في ذلك، واتّهموا أنه سُم، فقال ولده إني أكلتُ معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سُم لقتلنا جميعا لكنه انقضى أجله ! ووصل الولد إلى مالي واقتضى ماله وانصرف إلى ديار مصر.

432/4

ومن تُنَبِّكُوْهُ ركبت النبل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة، كنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج إليه من الطعام والسمن والملح وبالعطريات وبطلى الرُجّاج، ثم وصلت إلى بلد أنسييت اسمه، له أمير فاضل حاج يسمى قزبا سليمان مشهور بالشجاعة والشدّة، لا يتعاطى أحد النزاع في قوسه، ولم أر في السودان أطول منه ولا أضخم جسماً، واحتجّت بهذه البلدة إلى شيء من الذرة فجئت إليه، وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم (106)، فسلمت عليه، وسألني عن مقدمي، كان معه فقيه يكتب له فأخذتُ لوحاً كان بين يديه وكتب فيه : يا فقيه ! قل لهذا الأمير : إنّنا نحتاج إلى شيء من الذرة (107) للزاد والسلام! وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيه سرّاً ويكلم الأمير في ذلك بلسانه، فقرأه جهراً وفهمه الأمير، فأخذ بيدي وأدخلني إلى مشوره، وبه سلاح كثير من الدرق والقيسي والرماح، ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي (108) فجعلت أقرأ فيه، ثم أتى بمشروب لهم يسمى الدَّقْنُو، بفتح الدال المهمل وسكون القاف وضم النون وواو، وهو ماء فيه جريش الذرة

433/4

434/4

(105) بركة الحبش. كانت جنوب الفسطاط، وفي بعض المخطوطات بركة الخش - عن السلف الذي اضطر إليه موسى بعد أن صرف طناً ونصف الطن من الذهب يذكر أن التجار هناك ربحوا أضعافاً مضاعفة فانهم في مقابلة تسليفهم ثلاثمائة دينار مثلاً ربحوا سبعمائة ! (عن حج موسى انظر بدائع الزهور لابن إياس الذي ينقته بملك التكرور ويذكر أنه قدّم هدايا جليلة ...)

هذا وحسب رواية أخرى فإن سراج الدين ابن الكويك سلف موسى ثلاثين ألف دينار وبعث باثنين من رجاله إلى مالي لاسترجاع ماله بيد أن هذين توفيا بمالي، وهنا بعث بولده فخر الدين أبي جعفر وبعث معه بموظف ثالث لكن الموت أدركت حينئذ موسى نفسه فلم يحصل المبعوثان على شيء...

Monteil : Les Empires du MALI p. 113 Peckingham IV P. 970 N° 81.

(106) 12 ربيع الأول 754 يوافق 25 غشت 1353

(107) ليس القصد إلى الذرة الأمريكية التي تعرف اليوم ولكن إلى الذرة البيضاء التي تقدّمها لطير الحمام.

(108) هو عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي الحنبلي أبو الفرج، كثير التصانيف من تآليفه تلقح فهوم أهل الآثار والأدبياء وأخبارهم، وكتاب الحمقى والمغفلين، وتقويم اللسان ومنها هذا التأليف المدهش في المحاضرة وغرائب الأخبار له نحو ثلاثمائة مصنف... أدركه أجله في بغداد عام 597 = 1201.



تمثال رأس شخص من حضارة موزون، متحف المتروبوليتان، نيويورك

وأصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصفراء، واجتهدنا في السير إلى أن وصلنا إلى مدينة تَكْدَا، وضبطها بفتح التاء المعلو والكاف المعقودة والdal المهمل مع تشديده، ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي (119)، وأضافني قاضيها أبو إبراهيم إسحاق الجناتي، وهو من الأفاضل وأضافني جعفر بن محمد المستوفي.

وديارُ تَكْدَا مبنية بالحجارة الحُمْر، وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك (120)، ولا زرع بها إلا يسير من القمح يأكله التجار والغرباء ويبيع بحساب عشرين مدًا من أمدادهم (121) بمثقال ذهب، ومدُّهم ثلث المدَّ ببلادنا، وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدًا بمثقال من ذهب، وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبيًا لم يبلغ، وأما الرجال فقلما تقتلهم، ولقد لُدَّعت يوماً، وأنا بها، ولداً للشيخ سعيد ابن علي عند الصبح فمات لحينه، وحضرت جنازته.

439/4

ولا شغل لأهل تَكْدَا غير التجارة يسافرون كلَّ عام إلى مصر ويجلبون من كلِّ ما بها من حسان الثياب وسواها، ولاهلها رفاهية وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم، وكذلك أهل مالي وإيوالاتن ولا يبيعون الملعلمات منهن إلا نادراً وبالثمن الكثير.

حكاية [جَوَّارُ مُعَلِّمَات]

أردت - لما دخلت تَكْدَا - شراء خادم معلِّمة فلم أجدها ثم بعث إلي القاضي أبو إبراهيم بخادم لبعض أصحابه : فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالاً ثم إن صاحبها ندم ورغب في الإقالة، فقلت له : إن دلتني على سواها أقلتك، فدلَّني على خادم لعليٍّ أغْيُول، وهو المغربي التادلي الذي أبى أن يرفع شيئاً من أسبابي حين وقعت ناقتي، وأبى أن يسقي غلامي الماء حين عطش! فاشتريتها منه وكانت خيراً من الأولى، وأقلت صاحبي الأول، ثم ندم هذا المغربي على بيع الخادم ورغب في الإقالة وألح في ذلك فأبيت إلا أن أجازيه بسوءٍ فعله! فكاد أن يجن أو يهلك أسفاً ثم أقلَّته بعد!!

440/4

(119) نسبة إلى جزولة جنوب المغرب مشهورة برجالها... حول الجناتي انظر تعليق 122

(120) يذكر أن مياه (Teguidda n' Tesemt) مشحونة بالطين والملح، لا تشرب تقريباً، وكذلك فإن منطقة أزليك (Azelik) سالفة الذكر وبالذات المحلة التي تحمل اسم (Azelik Gueléle) تمتلك نفس الخصائص...

(121) المدُّ يختلف من بلد إلى آخر، ففي الشرق الأوسط نراه يعادل 513 ك.ك... أما عن المثقال الذهبي فإنه يعادل دائماً دينار الذهب المغربي الذي يزن 4.46 جرام

ذكر سلطان تكدّا

وفي أيام إقامتي بها توجه القاضي أبو ابراهيم، والخطيب محمد والمدرس أبو حفص، والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان تكدّا، وهو بربري يسمى إزار (١٣٠)، بكسر الهمزة وزاي والـف وراء، وكان على مسيرة يوم منها. وقعت بينه وبين التكركري (١٣١)، وهو من سلاطين البربر أيضا، منازعة فذهبوا إلى الاصلاح بينهما فأردت أن القاه، فاكترت دليلاً وتوجهت إليه، وأعلمه المذكورون بقدومي فجاء إلي ركباً فرسا دون سرج وتلك عاداتهم، وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بدية وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق، ومعه أولاد أخته وهم الذين يرثون ملكه، فقمنا إليه، وصافحناه، وسأل عن حالي ومقدمي فاعلم بذلك، وأنزلني ببيت من بيوت اليناطيين، وهم كالوصفان (١٣٢) عندنا، وبعث برأس غنم مشوي في السفود، وقعب من حليب البقر، وكان في جوارنا بيت أمه وأخته فجاءتا إلينا وسلّمتا علينا وكانت أمه تبعث لنا الحليب بعد الغنمة وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو، وأما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه، وأقامت عندهم ستة أيام، وفي كل يوم يبعث بكبشين مشويين عند الصباح والمساء، وأحسن إلي بناقة وعشرين متاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت إلى تكدّا.

443/4

444/4

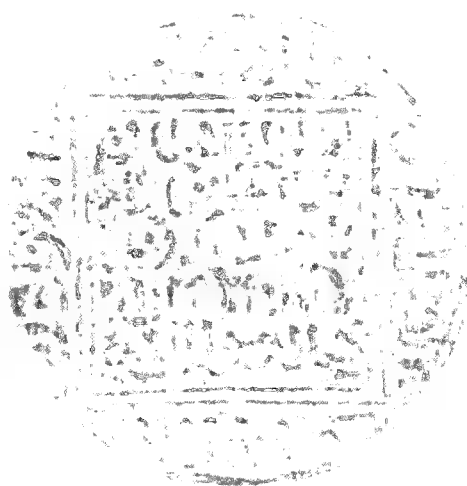
ذكر وصول الأمر الكريم إلي

ولما عدت إلى تكدّا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بأمر مولانا أمير

(١٣٠) ورد في الباب الحادي عشر من مسالك الأمصار لابن فضل الله العمري - وبلاد السودان أيضا ثلاثة ملوك مستقلون مسلمون بيض من البربر سلطان أهير، وسلطان دموسة وسلطان دامكة... ثلاثتهم في جنوب الغرب وأكبرهم ملك أهير. يقيم نحو زني المغاربة ففيما يتصل بأهير فإنها توجد في شرق تيكيدا وتادماكتا في الشمال الغربي لهذه المدينة الأخيرة (في شرق جمهورية مالي) - سلطان تكدّا الذي ذكره ابن بطوطة هو سلطان دموسة عند العمري. في هذه السنة ذاتها لقي ابن خلدون في يسكره مبعوثاً من هذا السلطان يشيد بازدهار تكدّا

(١٣١) ينبغي أن يكتب هكذا الكركري نسبة إلى كركر منطقة صحراوية تقع في الجنوب الغربي لأير (Aïr) ويحتمل أن يكون الأصل (جرجر) Cuoq p 320 - Note 2.

(١٣٢) الوصفان في اصطلاح كتاب القصور الملكية بالمغرب جمع أوصيف (Usef)، ويعني العبد الحارس المقرب من الملك وهو نظام يشبه إلى حد كبير نظام الحشم الذي كان في عهد المرابطين على ما نقراه في الحل الموشية. وتقدم لنا الحديث عنهم أما اليناطيون (أو النباطيون كما في نسخة الحبيب اللمسي) فلم يعرف القصد منه ولعل أصل الكلمة من لغة التوارك وعربت فحرقت Beckingham 975 n 101 Cuoq p 320 Note 2.



دينار مريني من عهد السلطان أبي عنان ولي نعمة ابن بطوطة

خرجت فوصلت إلى حضرة فاس حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة (148)، وتيمّنت بمشاهدة وجهه المبارك وأقامت في كنف إحسانه بعد طول الرحلة، والله تعالى يشكر ما أولانيه من جزيل إحسانه وسابغ إمتنانه ويديم أيامه ويمتع المسلمين بطول بقائه.

وهاهنا إنتهت الرحلة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار) وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبع مائة (149)، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

149/4

قال ابن جزى : انتهى ما لخصته من تقييد (150) الشيخ أبي عبد الله محمد ابن بطوطة، اكرمه الله، ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحّال العصر، ومن قال رحّال هذه الملة لم يبعد، ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة وأخذ حضرة فاس قراراً ومستوطناً بعد طول جولاته، إلا لما تحقق أن مولانا أيده الله أعظم ملوكها شأنًا وأعمهم قضائل، وأكثرهم إحسانًا وأشدّهم بالواردين عليه عنايةً، وأتمهم بمن ينتمي إلى طلب العلم حماية، فيجب على مثلي أن يحمد الله تعالى لأن وفقه في أول حاله وترحاله لاستنيطان هذه الحضرة التي اختارها هذا الشيخ بعد رحلة خمس وعشرين عامًا، إنها لنعمة لا يُقدر قدرها ولا يوفى شكرها، والله تعالى يرزقنا الإعانة على خدمة مولانا أمير المؤمنين ويبقى علينا ظلّ حرمة ورحمته ويجزيه عنا معشر الغرباء المنقطعين إليه أفضل جزاء المحسنين

450/4

اللهم - وكما فضلت على الملوك بفضيلتي العلم والدين وخصصته بالحلم والعقل الرصين، فمدّ لملكه أسباب التأييد والتمكين وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين واجعل الملك، في عقبه إلى يوم الدين وأره قرّة العين في نفسه وبنيه وملكه ورعيته يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا ونبيّنا محمد خاتم النبيين وأمام المرسلين والحمد لله رب العلمين

451/4

وكان الفراغ من كتبها في صفر عام سبعة وخمسين وسبع مائة (151)، عرف الله من كتبها.

(148) هذه لقطة أخرى تتحدث عن مدى صلة الرحالة المغربي بالسلطان أبي عنان مما يزيّف ما حكاه أبو القاسم الزياني مما حكاه زوراً عن رحلة البلوي مما تعرضنا له في المقدمة وفي الملاحق

(149) كان ذلك يوافق تاسع دجنبر 1355

(150) ينبغي أن ننتبه هنا لهذه الفقرات من الكاتب ابن جزى : لقد قام ابن بطوطة بوضع تقييد للرحلة أنهاء بتاريخ 3 ذي الحجة عام 756 (9 دجنبر 1355) وقدم التقييد للكاتب بن جزى الذي قام بوضع تلخيص لما كان قيده ابن بطوطة وأنهى كُتب هذا التلخيص في صفر من عام 757 (يبرابر 1356)، ومعنى هذا أن العملية إنما استغرقت من قبل ابن جزى ثلاثة شهور على أكثر تقدير

(151) كان ذلك يوافق يبرابر 1356، والجدير بالذكر هنا أن يكرر القول بأن النسخة التي تحمل في مكتبة باريز رقم 907 أو 2291، والمعروفة بمخطوط دولا بورت، خُتتم هكذا : وكان الفراغ من كتبها في صفر عام سبعة وخمسين وسبع مائة عرف الله من كتبها بينما نجد أن سائر النسخ الأخرى التي توفّرنا عليها لا تحتوي على هذه العبارة وهي تقف عند يا أرحم الرحمن. ومن هنا رجح القول بأن المخطوطة رقم 907 = 291 9 هي بخط ابن جزى

الحكايات فتتاجي الناس بتكذيبه. ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه، فقال لي الوزير فارس: أياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره، فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن. وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس، فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به، فقال له أبوه هذا لحم الغنم، فقال وما الغنم؟ فيصفها له أبوه بشيائها ونعوتها، فيقول: يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه، ويقول: أين الغنم من الفار! وكذا في لحم الإبل والبقر إذ لم يعاين في محبس من الحيوانات إلا الفار فيحسبها كلها أبناء جنس الفار. ولهذا كثيراً مايعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عن قصد الإغراب كما قدمناه أول الكتاب، فليرجع الإنسان إلى أصوله وليكن مهيمناً على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والمتعم بصريح عقله ومستقيم فطرته، فما دخل في نطاق الإمكان قبله، وما خرج عنه رفضه، وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فإن نطاقه أوسع شيء فلا يفرض حداً بين الوقعات، وإنما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء، فانا اذا نظرنا أصل الشيء وجنسَه وصنْفَه ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم من نسبة ذلك على أحواله، وحكمنا بالامتناع على ماخرج من نطاقه، وقل رب زدني علماً وأنت أرحم الراحمين والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * * * *

تعقيب الزباني

وعن التحامل على ابن بطوطة من لدن الزباني مما اشرنا إليه في التقديم نورد نص الترجمانة الكبرى مصحوباً بالرد عليه من قبل الكتاني في مخطوطة عن تاريخ القرويين :

قال الزباني : إنما رسمت فيها (أي الترجمانة) مشاهدته في الأقاليم التي بلغتها، وغيره نقتنه من رحلة العياشي، ومحاضرة اليوسي، ورحلة البلوي، ورحلة ابن نباتة، ورحلة السرخسي للأندلس والمغرب، ورحلة الكردي، ورحلة البكري، وأخبار الهند، والسند والصين من تاريخ الإسلام للذهبي، ومن تواريخ لبعض علماء الهند اجتمعت بهم بالحرم الشريف وبمكة، وكنت أسرد عليهم رحلة ابن بطوطة، فانكروا كثيراً مما فيها من أخبار ملوكهم، وأما قضاؤه بالهند ومصاهرته لسلطانه، فقد أبطلوه بالكلية، وقالوا : هذا غير ممكن، فبسبب ذلك لم أنقل من خبرها شيئاً، ثم بعد ذلك وقفت على ترجمته في الإحاطة، لأبي عبد الله الخطيب، نقلاً عن شيخه أبي البركات البلقيني، أن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة. حاله كان رجلاً له مشاركة في الطب، وارتحل للمشرق وتزايروا الصوفية، وجال الاقطار، ودخل بلاد العجم، والسند والهند والصين، وعاد لبلده طنجة، وجاز البحر للأندلس،

وعند الكلام على المدرسة المتوكلية التي تعرف بالعنانية... قال عبد الحي الكتاني، ولما تم بناؤها دخلها السلطان أبو عنان لينظرها واعطاه القائم عليها هناك زمام صانرها... إلى أن قال

ذكر مورخ المغرب أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى نقلا عن رحلة البلوي أن الرحالة ابن بطوطة لما دخل فاسا بعد رحلته الطويلة ولم يجتمع بالسلطان أبي عنان وسافر إلى السودان إستقدمه وعاتبه على عدم الاجتماع به، وكان أبو عنان قد فرغ من تشييد المدرسة المتوكلية، فقال بامولانا السلطان لما دخلت هذه المدرسة التي شيدت ولم أقف على مثنها فيما شاهدته في المعمور كله، قلت والله لابد أن أتمم عملي وأبر بقسمي بالوصول إلى اقاليم السودان حتى أشاهده واقسم أن ليس في المعمور كله مثلها، فحقق الله ظني وأبر يميني، فأنكره السلطان وأمره أن يؤلف رحلته ويذكر فيها مدرسته التي زعم أنه لانظير لها في المعمور. أقول (الكتاني) وهذه مبالغة، وعجيبُ سرعانُ حقد الزياني إلى من كان قبله بدهور وأجيال، والعجب أن القصة التي ذكرت في اعتذار ابن بطوطة لأبي عنان عن موجب عدم لقائه بعد رجوعه من الأندلس لم أجد لها في رحلته المطبوعة إلا أن أهل البحث من الأوروبيين اليوم يذكرون أن رحلة ابن بطوطة الأصلية ليست هي المطبوعة في مجلد، وأن المطبوعة إنما هي تلخيص ابن جزّي لا الرحلة الأصلية والله أعلم أي ذلك كان، على أنني أقول قد دخلت كثيرا من عدارس الشام ومصر والحجاز والمغرب فلم أر من حيث ضخامة البناء والوسع والشكل أضخم من المدرسة العنانية هذه إلا ما كان من جامع السلطان حسن بمصر وجامع بني أمية بدمشق وبيت المقدس بفلسطين، أما في النهر الجاري وسط المدرسة العنانية والبيوت المحيطة بها من فوق لسكنى طلاب العلم وغير ذلك من النقش والزخرف، فلم أر لها نظيراً مطلقاً فيما رايت بعد التتبع والبحث الذي أتشخصه...

* * * * *

عن كلمة (أفراج) أو أفراق المغربية

عن ذكر (أفراج) في عدد من المرات (11 103 - 14111 251 148) وحيرة المعلقين حول القصد منها نسوق الملحق التالي عن ابن الحاج التُميري من كتابه فيض العباب.

وأفراق السعيد كالبلد الواسع الأقطار، القائم الأسوار البديع الاختطاط، الشريف الاستنباط، المحكم الارتباط، وهو في وضعه مستدير الساحة، بدري المساحة قد صنع من شقاق الكتان الموضونة، وفضلاته الفاضلة المصونة وضوعفت طاقاته، وحذبت حذو القذة بالقذة مسافات

وأظهر النصّاحون في خياطته النصائح، وظاهر المراوح منهم المعادي والمعادي

مشتتلة بالمحاسن أحسن الاشتمال. وفيها مرتبة الملك العزيز التمكن، أحسن من طاقات السوسان والنسرين. وهي مستندة إلى ألواح تتصل بلطائف الصنعة، وتتلام أجزاءها فتصير سوراً ظاهر المنعة. وقد أودعها الدهانون عجائب اشغالهم وأظهروا بالفعل ماكان بالقوة في خيالهم حتى شمل الاتقان جميع ماتقع عليه الأبصار، وتتشوف إليه الأفكار، واستوضحت الحكم التي استتبع بها الأسرار.

ويستقدم قبة الجلوس مجال يقيد الالفاظ، وتقف على ذكر محاسنه الألفاظ. وبه طريق الخليفة إذا خرج من مضاربه إلى حياة الساقية، التي قامت قيام الجبل الرفيع الذروة، والحديقة الملتفة بأعلى الربوة. مرسله أطناها إرسال شأبيب الأمطار، رافعة عمدها الثابت الذي كاد كالحروف. فتنثشر المرواقات على أعطافها، وتتكاشف بمواطن استشرافها. حتى تحيط بالبقعة المتخيرة لنزول خير الملوك، والمنزل المطهر الذي يحوز بسلوك الإمام عليه بركة أهل السلوك.

سور عظيم يعارض مهاب الرياح، ويسمو سمو الحبا على الراج. ويزاحم الجو بمناكبه، ويكاتب البروق المومضة بكواشيه. وله شرفات من الرقاع الزرق تباهي ألوان السحاب، والعيون المناسبة في حجر الروض أحسن الانتساب.

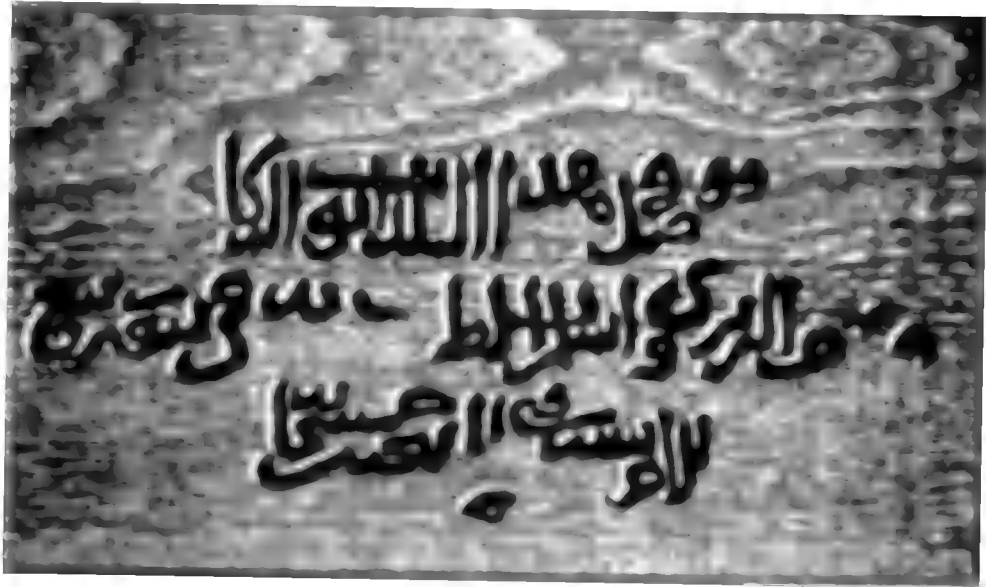
وله بابان أحدهما جوفي وهو المسمى بباب الصرف، وهو مفتوح لبيت علا سمكه علو السماك، وأشرف على المحلة إشراف البدر المنور الأحلاك. وأعرب عن الفخامة الثابتة الدلائل، والجلالة الرفيعة المنازل، والضخامة التي أنافت على الملوك الأوائل. والباب الثاني بقبليّة أمام البرج الذي كاد يبلغ عنان السماء، ويزحم النجوم المختومة كؤوسها بمسك الظلماء. وهو مربع الشكل، محتفل العلو والسفل، دواخل حيطانه أبدع من الروض غب العهد، وأحسن من تحليات الخريدة ولاغرو فهي منوطة بالعماد.

فسبح مجال الأطناب، عالي مسادل الجلباب. شديد الأركان، يفوق شامخ البنيان سام على الهضاب، دافع في صدور السحاب. قابض بأعنة الرياح الهوج، مشرف كغوارب القلائص العوج. قد لبس أثواب الهيئة وجرّ برودها، وصدع بأنوار العزّ وأبدى صعودها. وزهى بجامور تحسد الثريا اجتماع ثقافيه، ويود الشفق لو كان بعض زوائبه المرسلّة إلا هزّ ريحه.

وفي جوفه حائط من الخشب يروق الأبصار بريقه، ويفوق الوشي اليماني تنميقة. حسن المساق، جميع الاستساق تجتمع أجزاءه بعد الافتراق، وتعود بعد الانخرام للانتظام والانساق.

ابن السلطان . شهاب الدين أحمد بن أبي الفتح جلال الدين عمر بن صلاح الدين خلد الله أعماله وأمر الوزير .

(3) السطر الثالث : شنورازه ؟ الدين علي بن أبي الفرج الصلاحي بعمارته فبنى وعمر وقام فيه بحمد الله وشكر وفرغ من عمارته في شهر ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ٩ وسبعمئة من الهجرة النبوية على صاحبها السلام .



أكاديمية السلطان أبي عنان

عن المجلس العلمي المشار إليه في 17 342 ذكر مايلي نقلاً عن شرح الموقت الجاديري (ت 839) لبردة البوصيري.

وقد تعمداً أراد هذا الملحق لأنه يعطي صورة عن الحياة الفكرية بفاس على عهد السلطان أبي عنان، ثم هو يقدم لنا نخبة من العلماء الذين تعددت اختصاصاتهم وتنوعت حقول معارفهم بين فقيه وقاض وأديب وخطيب وموقت ومفتي وفيلسوف ودبلوماسي وسياسي ومهندس ورياضي ومقرئ ومتصوف وموثق ومؤرخ، ومعبر للرؤيا! علاوة على الرحالة ابن بطوطة... إنه مجمع علمي حافل :

وهذا الشرح إنما هو مختصر لما ورد في الشرح الحافل لبُرْدَة البوصيري الذي ألفه الأمير أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر المتوفى بفاس سنة 807 هـ.

قال البوصيري :

لعلَّ رحمةَ ربي حينَ يقسمها * تأتي على حسبِ العِصيانِ في القِسمِ

لعلَّ : كلمة ترج، قال الجوهري : وأصلها عل، واللام في أولها زائدة. قال المرادي : ولعل للترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه، ولا يكون إلا في الممكن ولا تكون للتعليل ولا للاستفهام ولا للشك عند البصريين خلافاً لمن قال بذلك، وليست مركبة على الأصح، والرحمة : الرقة والتعطف، يقال رحمة ومرحمة، والحين : الوقت، ويقسمها : يهبها، وتأتي : تأتي على حسب على مقدار، والعصيان : ضد الطاعة، والقِسم : الحظ والنصيب. معناه : رجا الشيخُ رحمه الله من الله تعالى أن تكون رحمته شاملةً مستوعبة لجميع المعاصي حين قسمه إياها، وذلك لما جاء في الحديث النبوي : «إن الله تعالى يقول : "لو أتاني ابن آدم بقراب ملء الأرض ذنباً لآتيته بقراب ملء الأرض رحمة".

قال شيخنا أبو الوليد : وقد وقع الكلام بين يدي السلطان أمير المؤمنين أبي عنان فارس بن السلطان أبي الحسن بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ملك المغرب من مقعد ملكه من المدينة البيضاء من حضرة فاس، بمحضر الفقهاء والعلماء والأساتذ والقضاة والشرفاء والخطباء وأصحاب العلوم، منهم :

- 1- الفقيه الإمام المفتي القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد القرشي التلمساني المقرئ بمفتح الميم.
- 2- وشيخنا الإمام الفقيه المدرك المفتي القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد بن الفقيه

- 22- والفقيه الخطيب العارف بكتاب ابن الحاجب الفرعي علي بن منصور بن هدية القرشي التلمساني.
- 23- وشيخنا الأستاذ التحوي سيبويه زمانه أبو عبد الله بن علي بن حياتي الغافقي الغرناطي.
- 24- وصاحبنا الفقيه القاضي العارف بالبديع والبيان أبو يحيى محمد بن أبي البركات العياضي السكاك.
- 25- والأستاذ المقرئ التحوي محمد الجكسي فارس زمانه.
- 26- وشيخنا الصوفي الحكيم محمد بن شاطر الجمحي المراكشي.
- 27- والفقيه الأستاذ العارف بالقراءات والتصوف والنحو محمد بن إبراهيم الموحي التيملي المراكشي المعروف بابن الصفار.
- 28- وشيخنا الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأوربي القاسي العارف بالوثائق.
- 29- والفقيه المدرس مجالس السلطان أحمد بن أبي الفضل ابن الصباغ الخزرجي العارف بالفقه والحديث ، الآية في علم التاريخ.
- قلت : وغير ذلك ممّن تركنا ذكره ويطول به الكتاب في قوله : (لعل رحمة ربي حين يقسمها) البيت.

وتردّد بينهم الكلام فيه، فقال مجالس السلطان أبو زيان عريف ابن يحيى العربي السويدي : إذا كانت الرحمة تأتي على حسب العصيان إذاً لخسر المحسنون ! قال شيخنا : لو كنت حاضراً هناك لقلت مجاباً له : أما أهل الطاعة ففراهم عن الذنوب ونبذهم إياها بعراء الترك، وأدبارهم عن المعاصي، وإقبالهم على الطاعة لهو الرحمة الكبرى، والطائع بإحسانه لا يشابه العاصي بإسأته : لشتان ما بين اليزيديين : يزيد بن سليم والأغر بن حاتم (1) .

(1) الإشارة إلى قول الشاعر ربعة الرقي :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى * يزيد سليم والأغر بن حاتم

وقد كان الشاعر قد ذهب إلى الأمير يزيد بن سليم الذي غزا الروم عام 158 واستولى على حصون من ناحية قاليقلا، وقد توفي بعد عام 162، لكن الشاعر استقلّ مانعاه يزيد هذا ثم ذهب إلى الأمير يزيد بن حاتم والي المنصور العباسي على إفريقية عام 154 الذي قضى على كثير من الفتن وقد توفي بالقيروان عام 170 واشتهر بالجوّد والكرم فأغدق عليه من خيراته...

«ألا يارسول الله ناداك ضارِعٌ
 مَشْشوقٌ إذا ما الليلُ مدَّ رواقه
 إذا ما حديثُ عنك حانت به الصبَا
 أيجهر بالنجوى وأنت سميعُها
 ونعوزُه السقيا، وأنت غياثُه
 بنورك نور الله قد أشرق الهدى
 لك انهل فضلُ الله بالأرض ساكبا
 ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى
 لك الخلق الأرضي الذي ذكره
 يجلُّ مدي عليك عن مدح مَادِح
 ولي يارسول الله فيك وراثَةُ
 وعندي إلى أنصار دينك نسبة
 وكان بودي أن أزور مُبَبَّوًا
 وقد يُجهد الإنسان طُرْفَ اعترامه
 وعذري في تسويف عزمي ظاهر
 عذرتي بأقصى الغرب عن تترك العدا
 أجاهدُ منهم في سبيلك أمة
 فلولاً اعتناء منك ياملجأ الورى
 فلا تقطع الحبل الذي قد وصلتُه
 وأنت لنا الغيث الذي نستدرُّه
 ولما نأت داري وأعوز مطمعي
 بعثتُ بها جهد المقلَّ معولاً
 وكلتُ بها همي وصدق قريحتي
 فلا تنسى يا خير من وطئ الثرى
 عليك صلاةُ الله ما دُرَّ شارق

على النأي محفوظ الوداد سليمُه
 تهمُّ به تحت الظلام همومُه
 شجَاهُ مِنَ الشَّقِيقِ الحثيثِ قديمُه
 ويشرح ما يخفي وأنت عليمُه
 وتلفُه الشكوى، وأنت رحيمُه
 فاقمارُه وضاحه ونجومُه
 فانواؤه ملتفة وغيومُه
 خليلُ الذي أوطاكها وكليمُه
 ومجدك في الذكر العظيم عظيمُه
 فموسرُ درِّ القول فيك عديمُه
 ومجدك لا ينسى الذمام كريمُه
 هي الفخر لا يخشى انتقالاً مقيمُه
 بك افتخرت أطلاله ورسومُه
 ويعوزه من بعد ذاك مرسومُه
 إذا ضاق عذرُ العزمِ عمن يلومه
 جلالته الثغر الغريب ورؤمُه
 هي البحر يعيي أمرها من يرومُه
 لربيع حماء واستببح حريمُه
 فمجدك موفور النوال عليمُه
 وأنت لنا الظل الذي نستديمُه
 وأقلقني شوق يشبُّ جحيمُه
 على مجدك الأعلى الذي جلَّ خيمُه
 فساعدي هاء الروي وميمُه
 فمثلُك لا ينسى لديه خديمُه
 وماراق من وجه الصباح وسيمُه

«إلى رسول الحق إلى كافة الخلق، وغمام الرحمة الصادق البرق، الحائز في ميدان

نقص الصبر، وانكسار لايتاح له إلا بدئاً مزارك الجبر، وكيف لايعني مشوقك الأمر، وتوطأ على كبده الجمر، وقد مَطَلَّتْ الأيَّامُ ابلقْدومَ على تريك المقدسة اللحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وانصرفت الرفاق والعينُ بنور ضريحك ما اكتحلت، والركائبُ إليك مارحلت، والعزائمُ قالت وما فعلت، والنواظرُ في تلك المشاهد الكريمة لم تسرَّخْ، وطيورُ الآمال عن وكور العجز لم تَبْرَحْ، فيالها من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطرَ رَيَّاهَا، بلاد نيظت بها عليك التمانم (١)، وأشرقت بنورك منها النجودُ والتهائم، ونزل في حُجراتها عليك الملك، وانجلي بضياء فرقانك فيها الحلك، مَدَارِسُ الآياتِ والسور، ومطالع المعجزات السافرة الغُر، حيث قضيت الفروض وحتمت، وافتتحت سورة الرحمن وختمت، ابتدئت الملة الحنيفية وتممت، وسُحِخت الآيات وأحكمت :

«أما والذي بعثك بالحق هادياً، وأطلعك للخلق نوراً بادياً، لايطفى غلتي إلا شربك، ولايسكن لوعتي إلا قريك، فما أسعدَ مَنْ أفاض من حرم الله إلى حرمك، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيفاً كرمك، وعقر الحد في معاهدك ومعاهد أسرتك، وتردد ما بين داري بعثتك وهيرتك، وإنِّي لما عاقتني عن زيارتك العوانق، وإن كان شغلي عنك بك، وعدتني الأعداء فيك عن وصل سبي بسبك، وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه، وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشمس عند الظهيرج عجاجه - في طائفة من المؤمنين بك ووطنوا على الصبر نقوسهم، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم، ورفعوا إلى مصارحتك رؤوسهم، واستعذبوا في مرضاة الله تعالى ومرضاتك بوسهم، يطيرون من هيعة إلى أخرى، ويلتفتون والمخاوف عن يميني ويسرى، ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعاً كجموع قيصر وكسرى، لايلبغون من عدو هو الذرُّ عند انتشاره، عُشْرُ معشاره، قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا، لأن تكون كلمة الله تعالى هي العليا، فبأ له من سرِّب مَرُوع، وصريخ إلا منك ممنوع، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع، وصبية حُمُر الحواصل، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل، والصليب قد تمطى فمد ذراعيه، ورفعت الأظماع بضبعيه، وقد حُجبت بالقتام السماء، وتلاطمت أمواج الحديد، والبأس الشديد، فالتقى الماء، ولم يبق إلا الدماء، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر ولاساعت الظنون، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده العيون، إلى أن نلقاك غداً إن شاء الله تعالى وقد أبلينا العذر، وأرغمنا الكفر، وأعلمنا في سبيل الله تعالى وسبيلك البيض والسمر - استنبت (٢) رقعتي هذه لتطير إليك من شوقي بجناح خافق، وتسعد من نيّتي التي تصحبها برفيق موافق، فتؤدّي عن عبدك وتبلغ، وتعقر الحد في تريك وتمرغ،

(١) نشر فيه قول الأعرابي :

بلاد بها نيظت علي تمانمي وأول أرض مس جلدي ترابها

(٢) استنبت جواب «لما» التي وقعت قبل سطور عديدة.

وكتب أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان مخدمه السلطان الغني بالله محمد ابن السلطان أبي الحجاج - رحم الله تعالى الجميع- ماصورته (الإحاطة 4: 536)

ذَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِينَ غَرِيبُ
مَدْلُ بِأَسْبَابِ الرِّجَاءِ وَطَرَفُهُ
يَكْلَفُ قَرَصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ
لِتَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غَدَوَةٌ
وَيَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الشَّمَالَ شِمَانُلًا
وَيَطِيبُ فِي جِيبِ الْجُيُوبِ جَوَابَهَا
وَيَسْتَفْهَمُ الْكَفَّ الْخَضِيبَ وَدَمْعَهُ
وَيُتَبَّعُ أَثَارَ الْمَطِيِّ مَشْيِعًا
إِذَا أَثَرَ الْأَخْفَافِ لَاحَتْ مُحَارِبًا
وَيُلْقِي رِكَابَ الْحَجِّ وَهِيَ قَوَافِلُ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا أَنَّهُ وَتَوَجَّعُ
غَلِيلُ وَلَكِنْ مِنْ قَبْلِكَ مِنْهَلُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْأَمَانِي ضَلَّةُ
أَيَنْجِدُ نَجْدُ بَعْدَ شَخْطِ مَزَارِهِ
وَتُقْضَى دِيُونِي بَعْدَمَا مَظَلَّ الْمَدَى
وَهَلْ أَقْتَضِي دَهْرِي فَيَسْمَحُ طَانِعًا
وَيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ لَخُومِي مُورِدُ
وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى الْجَوَادُ وَجَارُهُ
وَكَيْفَ يَضِيقُ الذَّرْعُ يَوْمًا بِقَاصِدِ
وَمِمَّا هَاجَنِي إِلَّا تَأَلَّقُ بَارِقُ
ذَكَرْتُ بِهِ رُكْبَ الْحِجَازِ وَجِيْزَةً
فَبِتُّ وَجَفَنِي مِنْ لَالِي دَمْعِهِ
تَرْنَحْنِي الذَّكْرَى وَيَهْفُو بِي الْجَوَى
وَأَخْضُرُ تَعْلِيلًا لَشَوْقِي بِالْمُنَى
مَرَامِي، لَوْ أُعْطِيَ الْأَمَانِي زُورَةٌ
فَقَوْلُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوَّقًا

وَأَنْتَ، عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ، قَرِيبُ
غَضِيزُ عَلَى حَكْمِ الْحَيَاءِ مَرِيبُ
إِذَا مَا هَوَى وَالشَّمْسُ حِينَ تَغِيبُ
وَقَدْ ذَاغَ مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ طَيْبُ
مِنَ الْحَبِّ لَمْ يَعْلَمْ بِهِنَ رَقِيبُ
إِذَا مَا أَطْلَتْ وَالصَّبَا حُجْنِيبُ
غَرَامًا بِحَنَاءِ النَّجِيعِ خَضِيبُ
وَقَدْ زُمِرَ الْحَادِي وَحْنُ نَجِيبُ
يَخِرُّ عَلَيْهَا رَاكِعًا وَيَنْبِيبُ
طِلَاحُ وَقَدْ لَبَّى النَّدَاءَ لَبِيبُ
وَلَا حَوْلَ إِلَّا زُقْرَةٌ وَنَحِيبُ
غَلِيلُ وَلَكِنْ مِنْ رِضَاكَ طَبِيبُ
وَقَدْ تَخَطَّى الْأَمَالَ ثُمَّ تَصِيبُ
وَيَكْتُبُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنْهُ كَثِيبُ
وَيَنْفُذُ بَيْعِي وَالْمَبِيعُ مَعِيبُ
وَأَدْعُو بِحَظِّي مَسْمُوعًا فَيُجِيبُ
لَدَيْكَ ؟ وَهَلْ لِي فِي رِضَاكَ نَصِيبُ
عَلَى أَيْ حَالٍ كَانَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَذَاكَ الْجَنَابُ الْمُسْتَجَارُ رَحِيبُ
يَلُوحُ بِقَوْدِ اللَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبُ
أَهَابَ بِهَا نَحْوَ الْحَبِيبِ مُهْيِبُ
غَنِيَّ وَصَبْرِي لِلشَّجُونِ سَلِيبُ
كَمَا مَالُ غَضْنُ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبُ
وَيَطْرُقُ وَجْدُ غَالِبٍ فَاعْغِيبُ
يُبْتُ غَرَامَ عِنْدَهَا وَوَجِيبُ
عَسَى وَظَنُّ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبُ

البشر ومنتهى أطواره، إلى المجتبي وموجود الوجود لم يُغنْ بمطلق الوجود عديمه، المصطفى من ذرية آدم قبل أن يكسو العظام أديمه، المحتوم في القدم، وظلمات العدم، عند صدق القَدَم، تفضيله وتقديمه، إلى وديعة النور المنتقل في الجباه الكريمة والغرر، ودرة الأنبياء التي لها الفضل على الدُّرر، وغمام الرحمة الهامية الدُّرر، إلى مختار الله تعالى المخصوص باجتماعه، وحبيبه الذي لم المزية على أحبابه، وذرية أنبياء الله تعالى أبائه، إلى الذي شرح صدره وغسله، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله، وأتمَّ عليه إنعامه الذي أجزله، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله، إلى بشرى المسيح والذبيح، ومن لهم التَّجَرُّ الربيع، المنصور بالربع والريح، المخصوص بالنسب الصريح، إلى الذي جعله في الحُول غماماً، وللأنبياء إماماً، وشقَّ صدره لتلقِّي روح أمره غلاماً، وأعلم به في التوراة والإنجيل إعلاماً، وعلم المؤمنين صلاةً عليه وسلاماً، إلى الشفيع الذي لا تُرَدُّ في العُصاة شفاعته، والوجيه الذي قرنت بطاعة الله تعالى طاعته، والرؤوف الرحيم الذي خلصت إلى الله تعالى في أهل الجرائم ضراغته، صاحب الآيات التي لا يسعُ ردها، والمعجزات التي أربى على الألف عدها، فمن قمر شقُّ، وجذع حن له وحق، وبنان يتفجَّر بالماء، فيقوم برئى الظماء، وطعام يُشبعُ الجمع الكثير يسيره، وغمام يُظَلِّلُ به مقامه ومسيره، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض، وأول من تنشقُّ عنه الأرض، ووسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القرض، ولا عرف النقل والقرض، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود خلال من ذي، الشاهد بصدقه صحفُ الأنبياء وكتب الأرسال، وآياته التي أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال، صلى الله وسلَّم مائزُ شارق، وأومض بارق، وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق، صلاة تتأرجح على شذا الزَّهر، وتتبلَّج عن سنا الكواكب الزَّهر، وتتردد بين السر والجهر، وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر، وتدوم بدوام الدهر :

«من عبد هُداة، ومستقرى مَواقع نداء، ومزاحم أبناء أنصاره في منتداه، وبعض سهامه الموقوفة إلى نحور عداه، مؤمل العتق من النار بشفاعته، ومحزن طاعة الجبار بطاعته، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله تعالى وإضاعته، متخذ الصلاة عليه وسائل نجاة، وذخائر في الشدائد مُرتجاة، متاجر بضائعها غير مُزجاة، الذي ملا بحبه جوانح صدره، وجعل فكره هالة لبدرة، وأوجب حقَّه على قدر العبد لا على قدره، محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي، نسيب بعد سعد بن عبادة من أصحابه، وبوارق سحابه، وسيوف نصرته، وأقطاب دار هجرته، ظلَّه الله تعالى يوم الفزع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان، كما أثار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان، وجعله من أهل السياحة في فضاء حبك والهيمن :

«كتبه إليك يارسولُ الله - واليراع تقتضي الهيبة صفرة لونه، والمداد يكاد أن يحول سواد جَوْنه، وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصاً على حفظ اسمك الكريم وصوْنه، والدمعُ

الإسلام في الحقيقة عبيد سُدَّتْكَ المؤلمة، وخولُ مثابتك المحسنة بالחסنات الجميلة. وشهد
تعشو إلى بدورك المكلمة، وبعض سيوفك المقلدة في سبيل الله تعالى المحملة، وحرسه مهادك،
وسلاح جهادك، وبروق عهادك.

«وإن مكفول احترامك الذي لا يخفر، وربِّي إنعامك الذي لا يكفر، وملتحف جاهك الذي
يمحى ذنبه بشفاعتك إن شاء الله تعالى ويغفر، يطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك،
ويفتح صوان القدس الذي أجنتك وحواك، وينثر بضائع الصلاة عليك بين يدي الضريح الذي
طواك، ويعرض جنى ما غرست وبذرت، ومصدق ما بشرت به لما بشرت وأنذرت، وما انتهى إليه
طلق جهادك، ومبُ عهادك، لتقرَّ عينُ نصحك التي أنام العيون الساهرة هجوعها، وأشبع
البطون ورواها ظمنوها في الله تعالى وجوعها، وإن كانت الأمور بمراي من عين عنايةك،
وغيبها متعرف بين إفصاحك وكنايتك، ومجمله يارسل الله صلى الله عليك، وبلغ وسيلتي
إليك، وهو أن الله سبحانه لما عرف عرفني لطفه الخفي في التمهيص، المقتضي عدم
المحيص، ثم في التخصيص، المعني بعيانه عن التخصيص، وفق بركاتك السارية رحمتها في
القلوب، ووسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب، إلى استفادة عظة واعتبار، واغتنام إقبال بعد
إدبار، ومزید استبصار، واستعانة بالله تعالى وانتصار، فسكن هبوب الكفر بعد إعصار،
وحلُ مخنق الإسلام بعد حصار، وجرت على سنن السنة بحسب الاستطاعة والمئة السيرة،
وجُبرت بجاهك القلوب الكسيرة، وسُهلَّت المارب العسيرة، ورفع بيد العزة الضيم، وكشف
بنور البصيرة الغيم، وظهر القليل على الكثير، وباء الكفر بخطة التعثير، واستوى الدين
الحنيف على المهاد الوثير، فاهتبلنا يارسل الله غرة العدو وانتهزناها وشمنا صوارم عزة
العدو وهزرتناها، وأزحنا علل الجيوش وجهرتناها.

«فكان ممَّا ساعد عليه القدر، والخطبُ المختدر، والورد الذي حسن بعده الصدر، أننا
عاجلنا مدينة بُرْغَةَ⁽¹⁾، وقد جرعت الأختين مألقة ورندة، من مدائن دينك، ومزابن ميادينك،
أكواس الفراق، وأذكرت مثل من بالعراق، وسدت طرق التزاور عن الطاق، وأسالت المسيل
بالنجيع المراق، في مراصد المراد والمراق، ومنعت المراسلة مع هدير الحمام، لابل مع طيف
المنام عن الإلام، فيسر الله تعالى اقتحامها، وألحمت بيض الشفار في زرق الكفار إلحامها،
وأزال بشرُ السيوف من بين تلك الحروف إقحامها، فانطلق المسرى، واستبشرت القواعدُ
الضرى، وعمدت بطريقها الخيف مصارع الصرعى ومثاقف الأسرى، والحمد لله على فتحه
الأسنى ومُنْحه الأسرى، ولا إله إلا هو منقل قيصر وكسرى، وفاتح مغلقاتهما المنيعه قسراً،
واستولى الإسلام منها على قرار جنات، وأم بنات، وقاعدة حصون، وشجرة غصون، ظهرت

(1) برغه (Burgu) بين مألقة ورندة.

بوثر الواتر، وأحفظ منها باذى الوقاح المهاتر، لما جرته على أسراه من عمل الخائل الخاتر،
 حسب المنقول لأبل المتواتر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، ولم تشك المطي الروازح،
 وصدق الجدُ جدها المازح، وخفقت فوق أوكارها أجنحة الأعلام، وغشيتها أفواج الملائكة
 الموسومة وظلال الغمام، وصابت من السهام وذق الرهام، وكاد يكفي السهام على الأرض
 ارتجاج أجوانها بكلمة الإسلام، وقد صمَّ خاطبُ عروس الشهادة عن الملام، وسمع بالعزير
 المصون مبايع الملك العلام، وتكلم لسان الحديد الصامت وصمت إلا بذكر الله لسان الكلام،
 ووقت الأوتار بالأوتار، ووصل بالخطي ذرُع الأبيض البتار، وسلطت النار على أربابها، وأذن
 الله تعالى في تبار تلك الأمة وثبابها، فنزلوا على حكم السيف ألافًا، بعد أن اتلفوا بالسلاح
 إتلافًا، واستوعب المقاتلة كتافًا، وقُرنوا في الجدل أكتافًا أكتافًا، وحُمِلت العقائل والخراند،
 والولدان والولاند، إركابًا من فوق الظهور وإردافًا، وأقلت منها أفلاك الحمول بدورًا تضيء من
 ليالي المحاق أسدافًا، وامتلأت الأيدي من المواهب والغنائم، بما لا يصوره حلم النائم، وتركت
 العوافي تتداعى إلى تلك الولائم، وتفتن من مطاعمها في الملائم، وشنت الغارات على حمص
 فجلت خارجها مغارًا، وكست كبار الروم بها صغارًا، وأجحرت أبطالها إجحارًا، واستأقت
 من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارًا.

«ولم يكن إلا أن عدل القسم، استقل بالقفول العزيز الرسم، ووضع من التوفيق
 الوسم، فكانت الحركة إلى قاعدة جيان قيعة الظل الأبرد، ونسيجة المنوال المفرد، وكناس
 الغيد الخرد، وكرسي الإمارة، وبحر العمارة، ومهوى هوى الغيث الهتون، وحرب التين
 والزيتون، حيث خندق الجنة تدنو لأهل النار مجانيه، وتشرق بشواطئ الأنهار إشراق الأزهار
 زهر مبانیه، والقلعة التي تحتمت بنان شرفاتها بخواتيم النجوم، وهمت من دون سحابها
 البيض سحائب الغيث السجوم والعقيلة التي أبدى الإسلام يوم طلاقها، وهجوم فراقها، سمة
 الوجوم لذلك الهجوم، فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوداعة، وأجابت منادي دعوتك
 الصادقة الصاعدة، وحبثها بالفادحة الفادعة، ففصت الرُبي والوهاد بالتكبير والتهليل،
 وتجاوبت الخيل بالصهيل، وإنهالت الجموع المجاهدة في الله تعالى انهيار الكتيب المهيل،
 وقهمت نفوس العباد المجاهدة في الله تعالى حق الجهاد معاني التيسير من ربها والتسهيل،
 وسفرت الرايات عن المرأى الجميل، وآربت المحلات المسلمة على التأميل، ولما صبحتها
 النواصي المقبلة الغرر، والأعلام المكتتية الطرر، برز حاميتها مصحرين⁽⁷⁾، وللحوزة
 المستباحة منتصرين، فكأثرهم من سرعان الأبطال رجل الدبا⁽⁸⁾، ونبت الوهاد والرُبي ،
 فاقحموهم من وراء السور، وأسرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور، وتركت

(7) مصحرين بارزين

(8) الرجل الجماعة، والدبا الجراد

الغريب، وأعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب، وأضرعت مسايِفها⁽¹²⁾ لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عظم صيته، والعز الذي سما طوقه واشرب لبته، والعزم الذي حُمد مسراه ومبيته، والحمد لله ناظم الأمر وقد راب شتيته، وجابر الكسر وقد أفات الجبر مفيته

«ثم كان الغزو إلى أم البلاد، ومثوى الطارف والتلاد، قرطبة، وما قرطبة؟ المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، والكرسي الذي بعصاؤه رعي الهمل، والمصر الذي له في خطة العمور الناقة والجمال، والافق الذي هو لشمس الخلافة العُشُمِيَّة⁽¹³⁾، الحمل، فخيم الإسلام بعقوتها⁽¹⁴⁾، المستباحة، وأجاز نهرها المعبي على السباحة، وعم نوحها الأشب يواراً، وأدار المحلات بسورها سواراً، وأخذ بمُخَنَّفها حصاراً، وأعمل النصر بشجر يصلها⁽¹⁵⁾، اجتناء ماشاء، واحتصاراً، وجدل من أبطالها من لم يرص انجحاراً، فأعمل إلى المسلمين إصحاراً، حتى فرغ بعض جهاتها غلاباً جهاراً، ورفعت الأعلام إعلاما بعز الإسلام وإظهاراً، فلولا استهلاك الغواذي، وأن أتى الوادي، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادي، ولقضى ثقته⁽¹⁶⁾ العاكف والبادي، فاقترضى الرأي ولذنب الزمان في اغتصاب الكفر إياها مناب، تعمل بئسراة بفضل الله تعالى اقتاد وأقتاب، ولكل أجل كتاب - أن يراض صغيبها حتى يعود ذلولاً، وتغفى معاهدها الأهلة فتترك طلولاً، فإذا فجع الله تعالى بمارج النار طوانقها المارجة، وأباد بخارجها الطائفة والدارجة، خطب السيف منها أم خارجة⁽¹⁷⁾، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ومفارق الهضاب بالهشيم قد شاب، والغلات المستغلات قد دعا بها القصل فما ارتابت، وكان صحيفة نهرها لما أضرمت النار في⁽¹⁸⁾، ظهرها ذابت، وحييته فرّت أمام الحريق فانساب، وتخلفت لغمانم الدخان عمانم تلويها برؤوس الجبال أيدي الرياح، وتنشرها بعد الركود أيدي الاجتياح، وأغريت باقطارها الشاسعة، وجهاتها الواسعة، جنود الجوع، وتوعدت بالرجوع، فسلب أهلها لتوقع الهجوم

(12) المسايِف جمع مسيف، ويعني بها لسان الدين في الأرجح - المذماك (أي السطر من البناء)

(13) العُشُمِيَّة نسبة إلى عبد شمس

(14) العقوة الساحة، وهي في بعقرتها

(15) في نسخة فاعمل النصر .. نصها، والمراد أن النصر حطم رماحها

(16) التفت في الحج - الحلق والتقصير وقص الأظفار ونحر البدن وغير ذلك مما يفعله الحاج إذا حل من إحرامه، والمراد أنه استوفى حجه، فكفى به لسان الدين عن بلوغ غاية الأرب

(17) أم خارجة - كانت سريعة الخطبة ولذلك قيل في المثل «أسرع من نكاح أم خارجة»، وقد شبه قرطبة بها لتداول الغلبة عليها دهرًا بعد دهر، والملح ابن شهيد إلى هذا حين نزل بقرطبة فقال

زنت بالرجال على سنّها فيا حبيذا هي من زانبه⁽¹⁸⁾

(18) في نسخة حاني، ولعلها حامي

طرق منها حماء، ورماء الفتح الأول بما رماه، وعلم أن لا تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلا من تلقائهما، وأنه لا يعدم المكروه مع بقائهما، فأجلب عليها برجله وخیله، وسد أفق البحر بأساطيله، ومراكب أباطيله، بقطع ليله، وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته، أو إمساكها من دون مهواته، فعجز الحول، ووقع بملكه إياها القول، واحتارها قهراً وقد صابرت الضيق مايناهن ثلاثين شهراً، وأطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم، واسودت الوجوه لخبرها الهاجم، وبكتها حتى دموع الغيث الساجم، وانقطع المدد إلا من رحمة من يُنْقِصُ الكروب، ويفري بالإدالة الشروق والغروب وبما شكنا بشبأ الله تعالى نحوها، وأغصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض تكاثر نجم السما برها وبحرها، ونازلنا نذيقها شديد النزال، ونجحها بصدق الوعيد في سبيل الاعتزال، رأينا بأوا لا يظاهر إلا بالله تعالى ولا يُطال، وممنعة يتحاماها الأبطال، وجناباً روضة الغيث الهطال. أما أسواقها فهي التي أخذت النجد والغور، واستعدت بجدال الجلال عن البلاد فارتبكت الدور⁽²¹⁾، تحوز بحراً من العمارة ثانياً، وتشك أن يكون الإنس لها بانياً، وأما أبراجها فصفوف وصفوف، تزين صفحات المساييف منها أنوف، وأذان لها من موامع الصخر شئوف، وأما خندقها فصخر مجلوب، وسور مقلوب، فصندقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم، واقتران اغتصابها ببوسهم، وأقول شمسهم، فرشقوها من النبال بظلاله نحجب الشمس فلا يشرق سناها، وعرجوا في المراقي البعيدة يفرعون مبناها، ونفوسها أنقاباً، وحصونها عقاباً، ودخلوا مدينة البنة⁽²²⁾ بنيتها غلاباً، وأحسبوا السيوف استللاً والأيدي اكتساباً⁽²³⁾، واستوعب القتل مقاتلتها السابغة الجن، البالغة المن، فآخذهم الهول المتفاقم، وجدلوا كأنهم الأراقم، لم تغفل منهم عين تطرف، ولا لسان يلبي من يستطيع الخبر أو يستشرف.

«ثم سمت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى فداروا سواراً على سورها، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها، وادنوا إليها بالضروب من حيل الحروب، بروجا مشيدة، ومجانيق توثق حبالها منها نسيده، وخفقت بنصر الله تعالى غذبات الأعلام، وأهدت الملائكة مدد السلام، فخذل الله تعالى كفأرها، وأكهم⁽²⁴⁾ شفارها، وقلم بيد قدرته أظفارها، فالتمسوا الأمان للخروج، ونزلوا على مراقي العروج، إلى الأباطح والمروج، من سمائها ذات البروج، فكان بروزهم إلى الغراء من الأرض، تذكرة بيون الغرض، وقد جلل المقاتلة الصغار،

(21) أي أنها وقعت في قضية دور (وهو من مصطلح المنطق) بسبب ما استعدت به من جدال المجادلة

ولارب أن التلاعب بمصطلح أمل المناظرة هنا واضح

(22) في نسخة البنية - والمقصود أن هذه المدينة «البنية» هي بنت الجزيرة الخضراء أي هي من توابعها

(23) يقابل هنا الاحتساب - وهو ما كان لوجه الله تعالى - وبين الاكتساب

(24) أكهم أكل عن المضرب

الحسار، وتقدم بالنس القوية، وشجده بوخسة العربية، وتناخر بالهيبية، وتجهش لطول الغيبة،
 يعمل الرحد بغير داري، وضعف اقتداري، وانتزاح أوطاسي، وخو أعطاني، وقلة زادي،
 وعرج مزادي، وتقبل وسيلة اعترافي، وتعمد هفوة ض اعترافي، وعجل بالرضى انصراف
 مسخني لانصرافي، فكم جيت من بحر راخر، وقفر بالركاب ساخر، وحاش لله تعالى أن
 يخيب قاصدك، أو تتخطاني مقاصدك، أو تطردني موافك، ات تضيقض عني عوانك، ثم
 بعد شخصية مزيد رحمتك، مسندعية دعاء من حضر من أمك، وأصحبها يارسول الله
 عومسا من النواقبس التي كانت بهذه البلاد المفتحة تعيق الإقامة والأذان، وتسمع الاسماع
 الضالة والأذان، مما قبل الحركة، وسالم المعركة، ومكن من نقله الأيدي المشتركة، واستحق
 الشوم عليك والإسلام بين يدك السايقة في الأزل البركة، وما سواها فكانت جبلاً عجز عن
 حملها الهتدام، فتمسح وجودها الإعدام، وهي يارسول الله جى عن جنانك، ورطب من أفنانك،
 يا شهر عينا من مسحة حنانك

هذه هي الحال والانتحال، والعائق أن تشد اليك الرحال، ويعمل الترحال، إلى أن
 تفر في عرصات الخيامة شفيها، وتحل بجاهك ان شاء الله تعالى محلاً رفيعاً، وتقدم في
 روضة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك، الفائلة غلهم في سنجك، وتبتهل إلى الله تعالى
 الذي اطلع في سماء الهداية سراجا، وأعلى لك في السبع الطباوق معراجا، وأم الأنبياء منك
 السى الخاتم، وقفى على اثر نجومها المشرقة بقمم العاتم، أن لايقطع عن هذه الأمة
 عربية أسياك، ولايسد في وجوهها أبوابك، ويوقفها لاتباغ هذاك، ويثبت أقدامها على جهاد
 عذاك، وكيف نعدم ترفنها، أو نحشى بخسا وأنت موفئها، أو يعذبها الله تعالى وأنت فيها ؟
 وملاة الله وسلامه تحط بفنانك رجال طييبها، ونهدر في ناديك شفائق خطيبها، ما أذكر
 الصباغ الطلق هذاك، والغمام السكب نذاك، وما حن مشتاق إلى لثم ضريحك، وبليت نسبات
 الأسحار عما استرقت من ربك، وكتب فى كذا انتهت الرسالة . وفيها مالا خفاء به من
 براعة لسان الدين، رحمه الله تعالى وقُدس روحه الطاهرة، آمين.

.

ومن المهم أن نعرف أن رسالة السلطان أبي عنان وقصيدته كذلك تركت صدئ كبيراً
 في المشرف الأمر الذي يفسره ان صاحب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
 بحث عن كتاب يحمل اسم الدرة السنية والرسالة النبوية، وقال عنها أنها رسالة لأبي
 عنان فارس ملك المغرب . . .

.

البر واجراء الصدقات الباقية بقاء الدهر والله تعالى ولي المثوبة ومجزل الاجر حبسى ايد
الله على هاذه المدرسة ارفافا لطلبة العلم، وارفادا واعانة بهم على طلبه واسعادا جميع ما
ينقسم من الربع وذلك الحمام المعروف بحمام الشهارة والدويرة المتصلة من حقوقه بأعلى
حلق النعام فبلي المدرسة المباركة، والرحا المتصلة بالمدرسة من جهة الشرق والرحا الثانية
المعروفة برحا الحطا بين التي بها معدة الماء المجلوب منها الماء إلى المدرسة ودار الوضوبها
والفرز الذي بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة والروال الاثنان احدهما بالزنقة جنب الفرز
وتتصل بدار الوضو المذكورة واربع وسبعون حانوثا كلها بالقرب من المدرسة بحقوق ذلك كله
ومنافعه أجمعها اليصرف فوائده في اصلاح المدرسة ومرتبات ، المقرئين والطلبة والقوامين
بها تحببسا تاماً ثابت الحكم لاتبديل لرسمه ان شاء الله تعالى وكان ابتداء بنائها في الثامن
والعشرين لشهر رمضان المعظم عام واحد وخمسين وسبعماية والفراغ منه في آخر شعبان
المكرم عام ستة وخمسين وسبعماية وكان بناؤها علي يدي الناظر في الحبس بحضرة فاس
حرسها الله تعالى أبي الحسين بن أحمد بن الأشقر وفقه الله تعالى والحمد لله كثيرا وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وسلم.

* * * * *

حول الحديث عن الزاوية المتوكية خارج المدينة

حول حديثه عن (الزاوية العظمى) التي بناها خارج فاس (353-IV-84.1) والتي التبتست
على معظم الناس بالمدرسة العنانية نسوق مايلي نقلا عن ابن الحاج النُميري والمُقري...

وعلى إثر رجوع مولانا أيده الله من حركته الجميلة الآثار، واستقراره بحضرته العلية
التي هي مطلع الأنوار، ومطرح أشعة المجد والفخار، تخلّصت الزاوية العظمى التي أمر أيده
الله ببنائها على غدير (الجِمَص) الذي أنسى وادي حمص، وأطلعها بشاطئه مجموع كمال
لايعرف النقص وروضة أذهان فحصت عن المحاسن فلزمت الفحص

وما الذي أقوله في زاوية أعجز وصفها كل بليغ، وأثنته وكأنه بحيات الأقلام جد لديغ
فشغل الشعر به مكبوت، والنثر وإن فاق النثرة به ممقوت. فهي أعجوبة المغرب والمشرق،
ومنشأ أحاديث الهشيم والمعرق مصنع طائفات له المصانع رؤوسها، ومبنى استصغرت به
المباني الشامخة نفوسها. قد اختطت في أرض وطنة الأكناف، متخيرة للمنزل المنيف
والروضة الميناف. فتأسست على أثبت القواعد، وقامت شامخة المراقي والمصاعد. راسخة
أقدام حيطانها، ظاهرة بركات استنباطها منفسحة الساحة، متلقية الواردين براحتي
الراحة. مبيضة كأنما أشكالها الصباح الصباح. صحيحة جسوم البناء لكن تسري بها من

ويتصل بهذه الزاوية دار معدة لنزول الواردين مفتحة أبوابها للوفود القاصدين،
وتقابلها دار أخرى معدة للطبخ، واستمجاد العفار والمرخ لاتخدم بها نيران القرى ولا تزال
مشبوبة لذوي النواشب والسرى.

وللزاوية والدارين المتصلتين بها باب عظيم في جهة الشرق. ناظر إلى الحضرة العلية
التي هي مجمع الخلق وبمقروبة منه الصومعة التي كادت تزحم الكواكب، وتبلغ السحاب
فتندر غيوثها السواكب، وهي من أحسن الصوامع صنائع وأعظمها بأشغال الزليج الملون
بدائع تفوق بمحاسنها الرائقة الرائعة الدياج. وتتسى بتفافيحها المذهبة السراج الوهاج.

أعلى الله كلمة من أعلاه إظهاراً للدين وجعل أيامه خليفة الأمانة والتهديد ونفعه
بأعماله الصالحة التي شهدت بسلامة القلب وصحة اليقين بمئه ويمنه

ويتصل بهذه الزاوية المباركة من جهة الغرب والتجوف روض أريض، لقداح الحسن
مفيض قد رمى كتاب تربه بالآثقال، وضمن منها سطوراً بديعة الجمال وشغلت أفكار أرضه
بالأصول، وصار من حيطانه في حكم المعقول. حتى أبهج أولي الأحكام، وأبدى المحاسن
المشتركة الإلزام. وأخرج الأشجار من زهره في أبداع نصيف. وترك الريح تصلي من نوره
في درع حصيف فالأغصان تميل على جوانبه حياً. والماء يجري إلى ملاقاته صبا، وبنات
المرن تصاحب منه أبا.

وبغربي الزاوية صهريج عميق. للماء في جنباته لعب وتصفيق.

- ذكر السانية وأوصافها المتباينة :

وقد قامت بأزانتها سانية بديعة الأشكال. لاتشكو في حبها بتقطع الأوصال. كريمة
كانما علمها بنورمك البذل، فهي تصاحب في قعر بيها جعفرأ وتطلع لنا الفضل. بديعة
النفعات ولاغزو فيه الميلا. حنينها أشد من حنين مهيار إذا أبدت من روضة ظمياء. حسناء
ليس التوقف من مذاهبيها، ولا الإمساك من مأربها بل حبها بين الرجال على غاربها. فهي
تجد وتفور، وتشرب وتدور منزهة عن الهنات، معدودة عند الروض في السابحات.

إلا أنها أصابتها العين فهي باكية. ومن حمل المصاحب المفارق شاكية. قد دارت
عليها الدوائر وأدخل أصبعه في عينها الزائر

استغفر الله بل هي الجارية المبررة، الضاحكة المسرورة المنشرحة الصدر. الطالعة
في الهالة كالبدر إذا نادت بمانها فهو المنادى المرفوع. وإذا أنت في أبياتها بوتد فهو
المجموع وتبهج الفقراء بمحاسنها المتوالية، وترسل إليهم ماءها فلا تنكر مجي السائل إلى

صاصرة لا يضحرف سائل ولا يروعيها شعبان النهر وهي حامل. لاجرم ان قلبها قد تقوى
بشراب العود، وحسمها قد صبح ببركة الركوع، والسجود مشغلة بالتصريف إلا أنها
لا تعرف اغلال العين عاكفة على التأويل والسرى إلا أنها لا تشكو بالان معربة نصبت
فعلب وقلبت أكوابها^٤ لتحركها وانفخاج ماقبلها خلية أعجبها التقطيع، وأظهرت الدائرة
الي سرح منها السريع

شامحة لها الفك الثابت العمى، يحل الماء منه بالقوس ثم يحل بالزاوية في الأسد
جذبة على كل روضة غصة، محلبة لها من مائها المتلون بأساور من فضة مائلة لا تعرف
الحواف، ضخمه تدور إلى الشرق وتلا الحواف، فاضة صرفت وفد النسيم أحسن الصرف.
وسجبت الماء لأنه فر عند الزحف إلا أنها لا تزال تخرجه فيسير بإقبال النور البديع.
ويستحلف ربيعه فلا ينكر يوم دولا ب استخلاف الربيع

سامية حازت أعظم البهاء وغدت وعليها نأج كسرى تنادم ابن ماء السماء، وربما
بفضت النهر لما حازت فضله الظاهر استعلاء. حسنة السرائر ماؤها في قلبها خاطر من
الخواطر سبتدية إلى الري امتداد. الطيف، غير مكثرة وقد انتحت أكوابها من نهرها
بالسيف مصلحة إذا أيس الأصحاب بينهم الثرى ممطية من مائها الإفجر فلا عرو إن
جرى وقته ضمنت للروص نجاز الوعود، وظلم عليها سعد مولانا أيده الله وهو سعد
السعود. فلا عرو ان ارى جريان الماء في العود

ومن العجائب أن دولا بها معظم عند بني مريين وهو عند الوادي، مضيق عليه وهو
يجود باعظم من صوب الغواذي ويسر الجار الجنب لاسيما إذا قرب الصباح ونادي المناذي.
وكذا اظهر في خدمة الصالحين من فعل الاكياس، إلا أنه إذا ذكر له رأس الماء أحب دورانا
في الرأس

راقية إذا شكا الماء بداء الضرع، وإن ارتفع خشبها الذي أمن من الصدع. سقت
بمثل الكافر هو الأرزة مثل المؤمن، وهي خامسة الزرع، قلله درها حين أتت من المحاسن
بفنون وكشفت عن مجنون^٥ لا يتاح به منجى نون فروت من سيلها عن المنكر، ودارت على
القطب فعرفه معرفة المختبر ورأت بالزاوية الابدال وعرفت المقامات والأحوال، فلو نطقت
لقات ما النية إلا نيتي، وأنشدت مخاطبة نواخير المصاراة وما شرب العشاق إلا بقنتي.

ولا أعجب منها حين اتحفت بالسقط، وأبهجت بنقطها ولا بد للدوائر من النقط فهي
الظاهرة القلب المحبوبة القرب التي تاذب الماء مع أكوابها، ما أتى بيوتها إلا من أبوابها
وقصد بالزاوية الأخبار، وقيل ذا الجدار وذا الجدار

وأنا ممن زرت في آخر عام ثمانية وخمسين وسبع مائة، فأسمعني كلامه، وأولاني برّه وإكرامه. فرأيت منه رجلاً أطال شأو المجاهدات، وتوغل في ارتياد رياض الرياضات، وجعل لذاته في ترك اللذات، وصفى ياطنه من كدورات الشهوات، حتى لحق بمن هام في وادي الفناء الذي هو وجود، وغاص في بحور المحو الذي هو إثبات مشهود. وتحلّى بفراند التفريد، وكتب في جرائد التجريد. وأنس باللوائح والطوالع، وانتعش بالبواهد واللوامع. وهام بالمحادثات والمكالمات، وكلف بالمشاهدات والمحاضرات. وتاه في بيداء السحق والمحق. وانتقل إلى بقاع الجمع من حضيض الفرق. وشرب من عين الحياة، واجتلى شمس الحقائق باهرة الآيات. واحتسى كؤوس المحبة على بساط الوفاء، ووقف لاجتلاء كعبة الأسرار على صفاء الصفاء.

نفع الله بمنّ هذه أوصافه، وحيّا الله من اهتزّت لسماعها أعطافه. والله يجبر صدع من ردّ من الباب، إلى ظلمة الحجاب. وحسده الشيطان في الدخول مع الأحباب واستنشاق نواسم الاقتراب. فهو متبع هواه متردّ في مهواه. قد ردّ من أمره في الحافرة، وأثر الدنيا على الآخرة. ونفسي بهذا أعني، فما أجدرني ببكاء على الذنوب وحزني، وعودي إلى التوبة التي تقرب إلى الله وتدني، وخروجي عن الدنيا التي لاتنتفع طالبها ولا تغني.

رجع الحديث :

وطلبت من هذا الشيخ المبارك أن يعرفني بشيخه الذي سلك على يديه، واستند في حسن التربية إليه. فأعرض عن الجواب، واشتغل بذكر رب الأرباب. ففقت منه بالدعاء، وفارقتة مفارقة الظمان للماء.

ثم إنه بعد ذلك أبل، وعافاه الله عزه وجلّ، فتشوّف لرؤية مولانا أمير المؤمنين أيده الله ونصره، وشكر في اعتنائه بالصالحين وردّه وصدره. فأخلى له مجلسه، واستدعاه وأنسه. فلم يزد الشيخ على حمد الله والثناء عليه وانصرف إلى حلّه الذي اشتاق إليه، وعاد إلى انقطاعه وتخلّيه، والاشتغال بتخلّيه العائد بتجلّيه.

ولم يزل مولانا أيده الله معتقداً فيه وفي أمثاله، معتملاً في الاهتمام بأهل الله تعالى أعظم اعتماله. فالله يثيبه وينفعه، ويحيطه بالعمر الطويل ويمتعه بمنّه ويمنه.

﴿فصل﴾

وكان المقدّم شيخ الصوفية بهذه الزاوية المباركة عند خلاصها. ومتمولى الإمامة بجامعها الأكرم المناسب لشرف اختصاصها الفقيه الصالح الزاهد أبا عبد الله محمد بن الفقيه الجليل المعظم الأصيل رئيس المغرب وحسنه عصره المعجب به المغرب أبي محمد عبد

بالترغيب والترهيب.

ثم خرجوا على باب المحروق فغصت الأباطح بأنصاف الخلائق. وانتشروا بتلك الأرجاء انتشار النواسم في الحدائق، وتجاذبوا أهذاب المسرات الواضحة الحقائق، والابتهاج الذي أبان لهم أوضح الطرائق، إلى أن أفضوا إلى الزاوية النيرة الطالعة الأنوار، وقدموا منها على محل الجود والإيثار، والفضائل التي تحلت بها عواطل الاعصار، واشتهر ذكرها في الأقطار والأمصار.

ودخلوا بابها الذي فتح للسعود أبواباً، وحلوا بجانبها الذي فسح للخيرات جنباً، وعجبوا من صنائعها، وقيدوا أبصارهم بيدانها. وأطالوا بها الأذكار، واستنزلوا بأسرار قلوبهم الأنوار.

وكان فيمن حضر ذلك الحفل الشيخ الشاعر الشهير أبو إسحاق الحساوي التونسي، فأنشد قصيدة من نظمته في مدح مولانا الخليفة الإمام، وذكر محاسن تلك الزاوية التي هي بكر الأيام. فاصاغت إليه الأسماع، وكادت تنطق بأمثال مدامحه البقاع.

وعلى أثر ذلك وصلت طيافير الطعام الملوكية، عليها المناديل الساطعة البياض، والسباني المرموقة كأنها أزهار الرياض. من كل موشى الظاهر والباطن، ثقیل إلا أنه متلقى بالقبول في كل المواطن، مستدير كالشمس لكن حرارتها في ألوانه إذا سار لم يبرح عن سمت الرأس يرصد أهل زمانه. كبير الساحة، تجول فيه الراحة بالراحة. مرتصة في دواخله صفوف صحافه، لا يتحلل فرجها الشيطان الذي حكمت التسمية بانصرافه. أت بما تشتهيه الأنفس التي حظيت باستعاده وإسعافه، معروفة حروفه بالإشباع والاتباع، أمنة أحاديثه المسلسلة من الانقطاع. متحرك خفض على الجوار، فروى لحمه عن البزار. فاكل الناس هنيئاً مرياً، وأفاضوا في الدعاء الذي أطلع صبح القبول جلياً، وانفضوا عن مشهد تهاتت البلاد أخباره، واجتلت في صفحات الأيام آثاره. ووقت صفت من الشواثب موارده، واستحكمت بأيدي السعود معاقده.

وحين أبدى وجوهه باهرة الجمال، وصدع بأنوار البشرى الطالعة نجومها في سماء الإقبال. واستتبّت أمور الزاوية أحسن استتباب، وانسكبت سحاب الجود بذراها أعظم انكساب، واتبعت قلم الحساب بكل عطاء حساب.

جزى الله مولانا على ذلكم جزاء من أتبع الحسنة بأختها. وتحلى من الفضائل بأبدع نعتها، وجلى أحكام الفخار لوقتها، ولازال كماله منزهاً عن عوج النقائص وأختها.

الحليم، وجعل العصمة مصاحبة لذاته الطاهرة، [في الأحوال الباطنة والظاهرة] يطالع منها زاد المسافر وتحفة القادم [وزاد المقيم] وشكر ما يصله بعناية تعريفه من سبب الولي الحميم [من الولي الحميم] معظم قدره الذي تعظيمه مفترض. ومقيم برّه الذي لا يقدم على تميمه غرض. الذي أقصى مذاهب المساهمة لجده مهما ألم بجوهر مقامه الأبوي غرض، أو شاب مؤرد صحته مرض، فلان ومنه : وإلى هذا خرس الله ذاتكم الطاهرة من طرق النوائب، وصان مواردكم المؤملة من شبوب الشوائب، وكنفكم بجناح عصمته في الشاهد والغائب. فإتنا في هذه الأيام، طرّق بعض سواحلنا شاني مشئو الخبر، وحث جناح الشراع منه مارج مكروه العين والأثر، جتمع بكلام ملفق، ونبا غير محقق، عللنا النفوس بتمحيه وتكذيبه، [ولم نعن] بتقرير هذمه فضلاً عن تغذيه، وغمضنا عنده الأجفان، طمعاً في أن يكون حلماً، وتغافلنا عن استفسار كلا يجر كلما، فلم نقر الجوارح على هذه الصدمة المتعرفة، ولاسكن اضطراب النفس في مثل هذه الأمور المصرفة، فرئد القلق في مثلها أوزى، واضطراب البال بمثلها أخرى، والشفيق كما قيل بسوء الظن مغرى. فعجلنا إلى جبل الفتح، من يجلب منه نفساً بنفس من بث وعيها له المراحل تحت الحث، فلم يكن يهب نسيمة، ويقضي إلى المطلوب سيره وتقسيمه، حتى طلع علينا من كتابكم صبح جلى الظلمة المعتركة، وعلم غرّف النكرة، وحكم حزم الظنون المذهلة المسكرة، عرفتمونا فيه بالآلم الذي ألم، واتصال العافية التي خصر صنّعها وعم، وشرحت ما أوجب الألفية التي صدقت الآمال بتكذيبها، وسهلت العبارة بحذف وحشيها وغريبها، وقررتم استقرار العافية في مهادها، ورجوع الحال الصحيحة إلى معتادها، واستبشار قبة الإسلام باستقامة عِمادها، وذهاب جِداد السُرور في أقطار المعمور إلى غاياتها وأمادها. فقدّمنا أولاً شكر الله الذي تعرّى لسان الفرج بتقديمه، ونظرنا إلى وجه الإسلام، وقد عادت نظرة أديمه، وبهرتنا فواضل مقامكم الذي اتصل فضل حديثه بقديمه. فلقد كان كتاب مقامكم إلينا أمر من توقّع الشفا لديكم، وأنس من عوايد الصنع الذي ورد عليكم، فنحن نسهب في الثناء ونطيل، ونتحكم على الأيام ونستطيل [ونطرح بظهور الحق مادلسه الأباطيل] ونهينكم بمراجعة عقيلة الصحة التي لاينبو بها من بعد إن شاء الله بيث، ولايتطرّق إليها [كثت ولاكيت] ولايعمل بسببها بعل ولايث، فلتهن راحتكم مجالس العلم وخلوات العمل، لابل الإسلام بما حمل، فإنما عصمتكم على الدين الحنيف وأهله رواق، وظل خفاق، ومكارمكم في أسواقها للدين والدنيا نفاق، فإذا تألمتم كان بالدين الحنيف وأهله إشفاق، وإذا عوفيتم، كان للأمن اتساق، وللسعد إشراق. ثم أتبعتم رحل المرّة بالحقيقة، وجهاد الشيطان الناقع بالتعقبة [جاريأ على فضل من فضل الضريبة ومن النقية] فسرّحتم ماعدكم من العزم الذي جعلتم هذه الحركات المباركات مقدّمات قياسه، وأنواعاً لأجناسه، وأنكم تباشرون إعداد المنشآت وتسيظهرون على قطع مسافة البحر لجيادها الكرام الشّيات، وعملكم على مافيه رضى الله، قضية لا تحتمل النقيض، وتصريح لا يقبل التعريض. إنما هو

معلومات عن الرحلة من خلال المراسلات

وعن اشاراتنا في المقدمة للمراسلات العديدة التي اجريناها مع بعض الجهات المعنية للتحري في القول نسوق البعض منها مما يعالج بعض مناطق الظل من الرحلة أويكشف عن معلومات تهتم المهتمين بالبحث العلمي...

Dr. AbdelHadi Tazi

November 2, 1976

Page 2

الموافق 2 نوفمبر 1976
تاريخ

Nov. 2, 1976

are accepted, then many of the things mentioned by Ibn Batuta in Tawalisi like elephant, silk, sandalwood, gold, etc., can be well accounted for. To say that Tawalisi was in Japan, I guess, would force us to assert that there were elephants and a Turkish speaking princess in Japan around 1347 A.D. However, Champa as well as Sulu, had elephants at the time mentioned.

Some French translators say that Tawalisi is the island of Celebes; others say it is Tonkin. Yule rejects the idea that it is Cambodia or somewhere in Indo-China.

Unfortunately, Ibn Batuta's memoirs of his travels were written many years after his actual travel and he could have mixed up a few names of persons and places as well as his chronology.

// Dear Doctor, I wonder if you can help me on a certain detail? My last trip to attend the Second Conference on Islamic Universities in Rabat was made possible because the Moroccan Ambassador to Islamabad, Pakistan, asked the Philippine Charge d' Affaires in Islamabad to communicate with the Foreign Office here in Manila to send a delegate.// The understanding was that the Moroccan Government was going to pay for my round-trip air fare.// On the basis of this information, the Foreign Office here requested me as the Dean of the Institute of Islamic Studies at the University of the Philippines to go to Rabat.// I contacted a travel agent who advanced me a round-trip (economy) ticket.// I gave the bill to Ustadh Mohammad Bashier, Secretary General of the Conference. I was assured that the Secretariat would deal directly with the travel agency. But this has not happened in accordance with my hopes and expectations. The Foreign Office here had been writing and phoning to the Philippine Charge d' Affaires in Islamabad to intercede with the Moroccan Ambassador to help expedite matters. The Charge d'Affaires message to us the last few days was that he was having "great difficulties". What is happening now is that the travel agent is intending to file a civil case against me which is terribly embarrassing. In order to know what to do, it is first of all important for me to discover what is the attitude of the Secretariat and

(over)

الرباط ، في : 14 / 3 / 1991

السلامة

سعادة الزميل العزيز والأستاذ الجليل

السيد ريميليو غارسيا غوميز

Monsieur le Professeur Emilio Garcia Gomez

Biblioteca de la Real academia de la Historia

Calle de Léon - Madrid-

تحية التقدير وودّ وإكبار

وبعد أن أرجو قبل كل شيء أن تحذركم رسالتي هذه وأنتم والسيدة زوجتكم ، تذهبون بالصحوة والعافية ، وكذلك كل أعضاء أسرته الكريمة . نحن على أمل أن نراكم قريباً بين زملائنا بالدار البيضاء في البريل المقبل بحول الله عند اللقاء الأكاديمي .

حضرة الزميل العزيز

أنتم تعلمون أن مجلة المملكة المغربية عمدة لي أخبارنا بذكر رحلة ابن بطوطة نشرها علمياً يعتمد على ما جدد من معلومات حول الرحلة ...

وكان من جملة ما أثار انتباهي وأنا أقرأ هذا الموضوع ، أن الأستاذ دوزي ذكر في مقدمة كتابه "معجم الملائكة العربية" أنه استناد كثيراً من نسخة الرحلة التي كانت في ملك الأستاذ دو كايانغوس (De Gayangon) والتي أثنى عليها كثيراً .. فرجائي أن تزودوني بصورة لهذه النسخة التي ذكر أنها توجد ضمن المخطوطات التي تعود ليعقوب كايانغوس .

وبعد المناسبة أذكركم أنني قرأت في أحد المصادر أن هناك نسخة من مخطوطة ابن بطوطة في مكتبة مدريد ، ولا أدري هل هي تلك ؟ أو هي أخرى ؟ المصمم أن "توفر على ما يوجد من نسخ الرحلة في مكتبات المملكة الإسبانية ...

في انتظار تفقذك بامأدتي ، تقبلوا فائق تقدير

وأطيب متمنياً تلي .

المملكة المغربية

وزارة التربية الوطنية

حامة محمد الخامس

المعهد الجامعي للبحث العلمي

شارع ماء العينين

ص. ب. 447 - الرباط

الرباط في 1991/7/24

مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي

إلى حضرة الزميل العزيز الدكتور الأستاذ

الشيخ محمد حسن علي إبراهيم

مجمع اللغة العربية

أشاركم عزيز اباطة - القاموسة

رقم : 110

جمهورية مصر العربية

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد فكل الأمل أن تكونوا بخير وعافية وعناء بال يمكنكم كل ذلك من أداء رسالتكم ، بل رسالة المشوكم جميعها زكى الله من عذما وعذما ، تلك الرسالة المقدسة التي لا يقتصر نفعها على مصر وحدها ولكنه يتجاوزها إلى كل البلاد الشقيقة والصديقة بل إلى الإنسانية جمعاء .

هذا ومنذ مدة ولنا أمني النفس بمكاتبة الزميل العزيز حول ما جاء في تدخلكم الجيد الرفيع بمجمع اللغة العربية يوم 1991/2/18 حول البلاء راسيا ، عندما ذكرتم أن الرحالة المغربي ابن بطوطة لاحظ البول الدموي في الرجال وفحصه قائلا : " إن مصر بلد يفيض رجالها " .

إن هذه المقولة لم أعثر عليها إطلاقاً في رحلة ابن بطوطة التي أعكف هذه الأيام على نشرها نشرًا أكاديميًا معتمدًا على حوالي 29 مخطوطة نشرت عليها في مكتبتي أوروبيا وبعض الخزائن الخاصة ... أرجائي أن سنا ذات الجليل أن تغيدوش عن مرجعكم في تلك المعلومة المقدمة .

في انتظار جوابكم أرجو لكم المزيد من العافية والمزيد من التوفيق مفتحا هذه الفرصة لتحميلكم السلام لاهلكم وذوكم وزملائنا جميعا
مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي
د. عبد الباقى العسلي

والله دة زكلا عاكف
د. ادليم
د. كة العوم
المعالم انا زكرا
نفاصل اكل
يا نكل نفع
نفاضه شرقا
وزر داو
بجمع
استاذ
مع تقة
الحقة وقتها

Paris le 8 octobre 1991

Monsieur Abdelhadi Tazi
Directeur de l'
Institut Universitaire de la
Recherche Scientifique

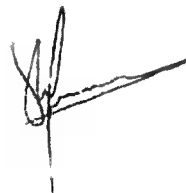
Monsieur le Directeur

Les éditions de La Découverte viennent de me transmettre votre lettre. Je vous remercie pour vos mots gentils concernant mon édition du récit d'Ibn Battûta et je serai très intéressé à vous rencontrer au sujet de l'édition que vous comptez préparer.

Mes coordonnées sont les suivantes.

51, rue de la Glacière
75013, Paris
Tel. 43 37 62 98

Veuillez agréer, Monsieur le Directeur, l'expression de mes sentiments les meilleurs.

A handwritten signature in black ink, consisting of a stylized 'S' followed by a long horizontal stroke.

Stéphane Verasimos

UNIVERSITY of PENNSYLVANIA

School of Arts and Sciences

Department of Asian and ~~Islamic~~ Eastern Studies
847 Williams Hall
Philadelphia, PA 19104-6305
215-898-7488

حضرة الزميل العزيز الأستاذ الفاضل الدكتور
عبد الهادي الساري
عضو أكاديمية المملكة المغربية
مهد بغداد زلفة آيت أورير السوسي
الرباط المغرب

19/5/2015
السيد محمد

فية وسعدنا وبعد فأرجوكم عدم مؤاخذة لتأخري عن ردّ الجواب الى كتابكم
الكريم فإني كنت تعييت عن الجامعة مدته من الزمن فلم يتم لي مجابته حال وصول
الكتاب . أما ما يخصّ سؤالكم من نصّ نقل عني مما قاله عبد اللطيف البغدادي
فأنا آسف أن التأخر عني كان خطئاً فلا يوجد شيء قط عن طهمة فيما قاله
البغدادي وما نقلته عنه بالإنجليزية في الصفحة ٩١ من كتابي *The Rise of Caliphs*
وما نقلته عن البغدادي فوجدت على الصفحات ٨٨ الى ٩١ والنص العربي لعبد اللطيف
أخذته من كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" (مكتوبات دار مكتبة الحياة
في بيروت - طبعة ١٩٦٥) من منتصف الصفحة ٦٩١ الى آخر الصفحة ٦٩٢
(انظروا صفحة كتابي من ٨٤ الحاشية ٢٣ = الصفحة ٢٤١ الحاشية ٢٣) (حيث
الإحالة الى صفحة عيون الأنباء ٦٨٣ وما بعدها). فإذا قرأتم النص العربي
ستجدون أن البغدادي لم يذكر طهمة.

السيد محمد
محرم

هذا ولتفضلوا بقبول فائقه احترامي
جبرج القدسي (من مواليد المهجر)



THE PERMANENT REPRESENTATIVE
OF THE REPUBLIC OF MALDIVES
TO THE UNITED NATIONS

New York, August 24, 1994

Dr. Abdelhadi Tazi,
Villa Bagdad
Rue Alt Curir - Suissi,
Rabat 10 000,
Morocco.

My dear Dr. Tazi,

Greetings and best wishes!

You will recall that when we first met in the United Nations Delegates' Lounge you wanted a photograph of the monument erected in the respected memory of His Eminence Abu-l-Barakat al-Barbari in Male'. You might also recall that I sent that communication to His Excellency the President of the Republic of Maldives informally. His Excellency was good enough to send me some photographs of the monument.

Please find enclosed these photographs which I hope will meet with your satisfaction.

I sent another letter to you on the 22 of this month with a photograph of the day we met at the United Nations Organization. I hope these two letters reach you safely.

Meanwhile, my prayers are for your good health and success in the valuable work you are doing.

Sincere salaams.

Yours sincerely,

Ahmed Zaki



إلى الاستاذ العلامة الشريف العزيز
الدكتور عبد الحمادي التازي، عضو أكاديمية
المملكة المغربية

1995/04/30

سلام الله ورحمته، عن خير حوالة دامت بركة

1995/07/30

وبعد، أود قبل كل شيء أن أعترف على تأخري في القيام بالعملة

التي كلفتموني بها.

عذري أنني كنت مشغولا بسبب انعقاد المؤتمر العالمي الرابع
للزراعة ببيكين، وكذلك ما لا يفتنه من صعوبات في البحث بدون جدوى
من عملة من كاخط كانت متداولة وقت زيارة ابن بطوطة للصين
تسمى "بالشت"

بأنني لم أعثر ولم أجده أنثرا للعملة التي كانت تحمل هذا الاسم
في القرن الرابع عشر.

العملة الورقية الوحيدة التي كانت متداولة في السنوات التي
قضاها الرحالة المغربي في الصين (1349-1346) أي في عهد دولة YUAN
نوعان:

BAO CHAO

JIAO CHAO -

مع العلم أن BAO CHAO كان يساوي 5 JIAO CHAO ولم تكن متساوية

ورقة من فئة 300 قرش التي توجد صورة منها في المعلقة لديه ،
الصفحة 34 - طولها 27cm وعرضها 18,80cm .

هذا ولقد ساعدني في إنجاز هذا البحث الذي قمت به الأستاذ
الجامعي ZHU KAI الذي تجدون رفقته نبذة عن حياته والذي أخبرني
استعداده لتزويدكم بالمزيد من المعلومات إذا ارتأى يتم ذلك .

وتقبلوا فائق التقدير والتحية



الصفحة	الموضوع
65	حديث ابن بطوطة عن السلطنة خديجة التي تحكم في هذه الجزائر
68	عن مقام ابن بطوطة بجزيرة كَنُكُوس في مالديف
70	علاقته برجال الحكم... وتزوجه بسيدة مرهتية تعرف اللغة الفارسية
72	حضوره حفلات العيد مع رجال الدولة وتزوجه وولايته القضاء
75	صراحة ابن بطوطة كانت وراء انفصاله عن البلاد...
77	الاتجاه إلى جزيرة سيلان لزيارة جبل سرنديب
79	سلطان سيلان وحديث عن أحجار الياقوت التي تنقلها النساء
83	القرود والعلق الطيار
88	ذكر قدم سيدنا آدم
90	وصوله إلى مدينة كلنبو (colombo) !
91	الوصول إلى بلاد المغبر والحديث عن سلطانها غياث الدين الدامغاني
95	الصدام بين السلطان غياث الدين وبين السلطان بلال ديؤ...
96	وصوله إلى مئرة حضرة السلطان غياث الدين الذي خلفه ناصر الدين ابن أخيه الذي مدحه الشعراء
98	ابن بطوطة يتعرض من جديد لعملية قرصنة أخرى في جزيرة هِنُور وفاكنور عندما هاجمه اثنا عشر مركباً " وعودته إلى قالقوت
100	عودته إلى جزر مالديف لتفقد ولده الذي تركه هناك ثم الاتجاه إلى بنجالة والحديث عن سلطانها فخر الدين
107	الوصول إلى بلاد البرهنتكار الذين يجعلون أيورهم في جعاب من القصب منقوشه
108	كيف يعاقب سلطانهم الذين يمارسون الزنا...
109	الفصل الخامس عشر : أسيا - الجنوب الشرقي والصين
113	في جزيرة الجاوة... والاجتماع بسلطانها الملك الظاهر في العاصمة سُمُطرة
116	الحديث عن ترتيب السلام على الملك الظاهر
117	ذكر قيام ابن أخي الملك الظاهر على عمه ! والحديث عن اللبان والكافور والعود القماري والقرنفل... وقاتله
119	حديث عن سلطان (مل جاوة) الكافر الذي التجأ إلى إقليمه ابن أخي الملك الظاهر
122	في بلاد طوالسي بعد السفر في البحر الراكذ 34 يوماً ملكها يضاهي ملك الصين فهل هو ملك اليابان ؟
123	اجتماعه بملكة كَيُلُوكُري
125	بعد طوالسي سفر 17 يوماً للوصول للصين
126	حديث مسهب يقدم فيه الصين وأحوال أهلها
129	حديث عن العملة الورقية...

الصفحة	الموضوع
184	الابحار إلى مدينة قابس
186	الحديث عن سلطان تونس أبي الحسن والحالة بتونس في أعقاب تغير الموقف هناك
190	من تونس إلى مرسى تنس عبر جزيرة سرادنية بواسطة مركب قطلاني
192	من أزغغان إلى تازة ثم إلى فاس التي وصلها أواخر شعبان 750 حيث مثل بين يدي السلطان أبي عنان...
195	استطراد لابن جزى
202	الحديث عن فضائل السلطان أبي عنان وبعض منشئاته وإنجازاته ومنها المدرسة الكبرى والزاوية العظمى التي فاقت ماكان بناه الملك الناصر في سيراياقص...
204	التوجه إلى طنجة لزيارة قبر الوالدة
207	الفصل السابع عشر : الرحلة إلى الأندلس
211	الرحلة إلى الأندلس - ابحاره من سبتة على متن مركب لأهل أصيلا
211	اخبار تحصينات جبل طارق وتمنيهِ المراقبة بالجبل للدافعة المغيرين
212	حديث عن تاريخ جبل طارق وخاصة أيام عبد المومن
217	من جبل الفتح إلى مدينة رندة حيث اجتمع بقاضيه ابن عمه أبي القاسم
218	التوجه من رندة إلى مدينة مؤبلة حيث الحكاية عن عدوان للقرصان يقع على جماعة يؤسر فيها بعض الفرسان مما يعبر عن جو التوتر السائد في جنوب الأندلس آنذاك...
219	الوصول إلى مالقة والحديث عن مناثرها وجامعها الأعظم حيث وجد الناس يجمعون الأموال لافتداء الأسرى!
220	الوصول إلى مدينة غرناطة بعد بلش والحمّة. والحديث عن سلطانها أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل... الذي صادفه «مريضاً»...
223	لائحة ببعض رجال الفکر الذين اجتمع بهم ابن بطوطة في غرناطة وكان فيهم الكاتب ابن جزى الذي اعجب بما كان يرويهِ ابن بطوطة عن أسفاره ونقل بعضها وماكان يدري أن القدر يدخره ليكون هو محرر هذه الرحلة برمتها...
227	حديثه عن بعض المهاجرين إلى الأندلس من سمرقند وتبريز وقونية والهند!
229	مغادرة غرناطة للعودة - ومن جبل طارق يأخذ البحر إلى سبتة ثم إلى أصيلا حيث أقام عدة شهور ثم إلى مدينة مراكش عبر سلا والحديث عن جامع الكتبيين ومدرسة أبي الحسن
230	سفره من مدينة مراكش صحبة السلطان أبي عنان الذي كان يحمل شلّو أبيه إلى مقبرة شالة برباط -سلا
235	الفصل الثامن عشر : الرحلة إلى بلاد السودان
239	استئذان السلطان في السفر إلى بلاد السودان

فهرس الرسوم والصور للمجلد الرابع

الصفحة	الرسوم والصور
5	خريطة الجنوب الهندي
8	الاحتفال بأمر مغولي في البلاط - رسم يمثل الاحتفال بأحد السفراء - عن تصوير جدارى بقاعة الأعمدة الأربعين
26	الطرب والغناء... عن فن التصوير عند العرب - وزارة الاعلام - بغداد 1973
32	المركب : نموذج من الفن التصويري
37	كيف يحمل الناس على الدولة
56	الاسماك بين الخليج والمحيط...
64	ضريح أبي البركات البربري
67	لقطات من مالديف
82	الفيل الأبيض
84	أنواع من القروء
87	المكان المقصود من سائر الديانات...
89	كنا نرى السحاب أسفل منا !
99	رسم للقراصنة بريشة بينيت L.Benett
102	البنجال : جهنم ملأى بالنعم !
111	خريطة آسيا - الجنوب الشرقي والصين
121	عن القيلة بمرسى قاقلة
126	بمتحف كنشيهوانك صور من الفخار
128	جانب من سوقهم في بكين...
130	عملة صينية من القرن الرابع عشر
131	نماذج من العملة على عهد زيارة ابن بطوطة للصين
136	البيوت محاطة بالحدائق على نحو ماكان بسجللماسة
138	كانطون في القرن السابع عشر الميلادي
140	سور الصين العظيم
142	تذكاري بخلد وصول البعثة الإسلامية للصين
148	لقطة من ضريح سعدي في شیراز عن مجموعة آثار معماري
150	رسم للسحرة في الصين عن بيكينكام
153	بنايات صينية...
156	صورة لطير خيالي يحمل الإنسان
159-161	لقطات من جاوة
162	لقطات من سمطرة
163	قبرية الملك الظاهر
167	خريطة العودة إلى المغرب
170	جانب من مدينة مسقط وقلعتها التاريخية
171	في الطريق إلى مرسى كلبا التابعة لإمارة الشارقة

تم طبع هذا الكتاب في مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
الهاتف: 28.06.67/68 (07) - 79.47.08/09/15 (07)
الفاكس: 79.47.38 (07)

يضم هذا الكتاب أخبار رحلات ابن بطوطة المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار. وهذه الرحلات التي تبين أن ابن بطوطة برحلاته هذه إنما يمثل المواطن الإسلامي الذي طاف أرجاء العالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري بدافع المغامرة والتجارة أو حب الرحلة المجرد، سيبقى دليلاً على وحدة الشعور الإسلامي أيامها في أمصار الإسلام المتعددة، حيث قدم من خلال رحلته هذه كثيراً من المعلومات التاريخية عن مناطق معروفة، ومناطق أخرى في الشرق الأقصى وفي بعض مجاهل أفريقيا، لم تكن معرفتها واسعة الانتشار إن لم تكن معدومة أحياناً. من هذا المنطلق يسعى المحقق إلى إبراز هذه الهدف من خلال كتابه هذا.

على مولا

ISBN 978-9933-407-05-6

